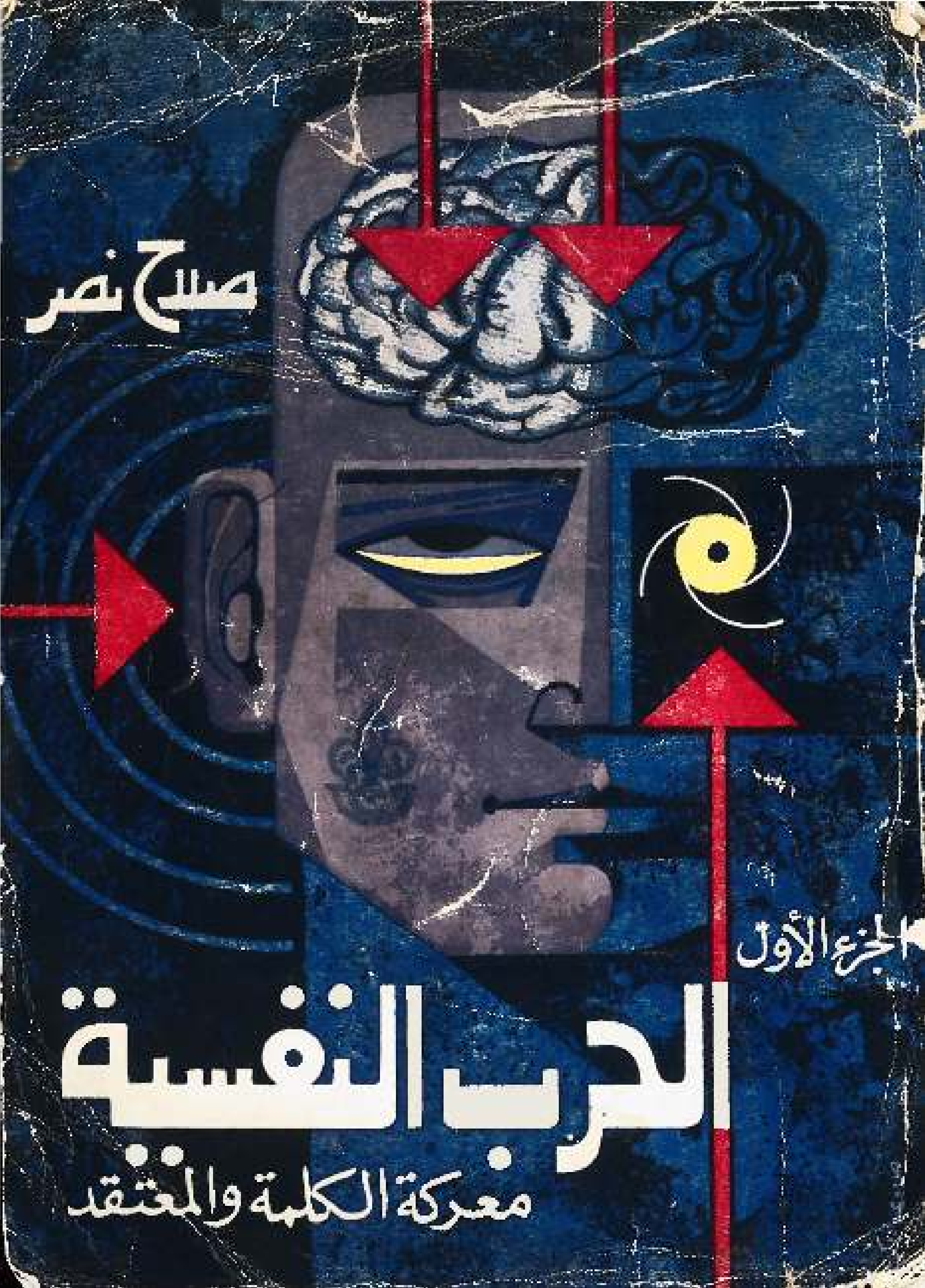

صلاح نصر
الجزء الأول
الحرب النفسية
معركة الكلمة والمعتقد

والاتجاه الفردى يزعم أن الانسان خلق كل التنظيمات الاجتماعية ، والعلوم الفنية ، والقيم ، والمقاييس وذلك لمجرد وجود غرائز معينة فيه ، مثل : غريزة الجنس ، وغريزة حب الاجتماع ٠

اما النظرة الثقافية الاجتماعية فتمنح الفرد قوة ضئيلة أو دافعا ، ويزعم هذا الاتجاه أن الانسان ليس الا مجرد اللعبة لقوى اجتماعية معينة ، أو بمعنى آخر هو مجرد اناء فارغ تصب فيه الثقافة والصفات الاجتماعية ٠ ومن مناصرى هذا الرأى دوركايم Durkheim (١) ٠

وقد جرى الكثير من الجدل والنقاش العقيم بين هاتين المدرستين ، ولكن فى السنوات الاخيرة كان هناك ميل من جانب أصحاب كلا الرأيين الى أن يتقاربوا بل كذلك الى أن يستعيروا من بعضهم البعض ٠ وقد حان وقت التجاوز عن هذين الرأيين والوصول الى تفاهم أفضل لمركز الفرد فى المجتمع ٠

ويرى بعض العلماء الذين يحاولون التوفيق بين الرأيين أن على علم النفس الاجتماعى أن يبدأ من الفرد ، فانه اذا لم يكن هناك مخلوقات بشرية لكى تتعامل فيما بينهـــا فما كانت توجـد حينئذ ثقافة أو تنظيم اجتماعى ، ولكن ما ان يظهر التنظيم الاجتماعى الى عالم الوجود حتى يؤثر على الفرد ٠ وهذا أمر حقيقى تماما كالقول بأنه على الرغم من أن الانســان صنع الآلة فان الآلة أيضا تصنع بدورها الانسان ٠ فالانسان كان موجودا فى بداية الامر ولكن انتاجه ليس هو

---

(١) دوركايم ، اميل (١٨٥٨ - ١٩١٧) استاذ علم الاجتماع فى جامعة « بوردو » ثم بعد ذلك استاذ علم الاجتمـاع وعلم التربية فى جامعـة باريس ، رئيس تحرير مجـــلة L'annee Socialogique سبق كل علماء الاجتماع فى عصره وطور الكثير من الآراء التى جاءت قبله ، وضع دعامة « الفلسفة السياسية » وكان أهم ما كتب :

1) Division du travail social (1893).

2) Suicide (1897).

3) Les regles de la methode socialogique (1895).

والأخير ترجم الى الانجليزية بعنوان :

The rule of Sociological Method, London, 1938.

الانسان نفسه ، بل هو ينتج تنظيما اجتماعيا ، وماليا ، وعلوما فنية ، ولغة الى غير ذلك • كما أن الباعث ، والادراك ، والتعليم ، ورد الفعل للفرد ، كلها أمور ذات اهمية خاصة لعلم النفس الاجتماعي • ومن ناحية أخرى فان الانسان الذى يثور على المجتمع هو من نتاج هذا المجتمع نفسه • فاذا وضعنا هذه الحقائق فى اعتبارنا فان الجدل بين الاتجاه الفردى ، والاتجاه الثقافى يصبح بلا معنى ، ويظهر رأى واحد يضع فى اعتباره كلا من المجتمع ، والفرد •

ان علم النفس الاجتماعى يعالج وضع الفرد فى اطار اجتماعى ويعمل على تنمية شخصيته فى الوسط الاجتماعى ، كما أنه يهتم بنمو الاراء ، والمفاهيم ، والمقاييس لدراسة العمليات الجماعية ، ويدرس السلوك الجماعى فى كل من الوسط الطبيعى والتجارب المعدة ، وباختصار هو الدراسة العلمية لسلوك الجنس البشرى باستخدام أساليب تجريبية للتحرى والاستفسار •

يقول بونر Bonner « أصبح علم النفس الاجتماعى فى هذه الأيام تفاعليا ، ولم يعد الاهتمام موجها لرد الفعل نتيجة لأحد المثيرات ، بل موجها للتفاعل بين الفرد والفرد ، وبين الفرد والجماعة ، أو بين الجماعات وبعضها البعض(١) » •

وطبقا لما يراه سارجنت Sargent ووليامسون Williamson (٢) فان علم النفس الاجتماعى هو الدراسة العلمية للأشخاص باعتبارهم أعضاء فى جماعات مع الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية والشخصية فيما بينهم • كما أنه يدرس

---

(١) بونر جون تيلور : عالم امريكى ، ولد بنيويورك عام ١٩٢٠ حصل على الدكتوراه من جامعة هارفارد سنة ١٩٤٧ ، عمل أستاذا مساعدا فى جامعة برنستون ١٩٤٧ – ١٩٥٨ ، كان محاضرا بجامعة لندن عام ١٩٥٩ ، ومن اهم مؤلفاته :

1) Cells and Societies, 1955.

2) The Evolution of Developments, 1958.

3) Growth and Form, 1959.

(٢) Sargent and Williamson R. C., Social Psychology, Ronald Press Company New york, 1950.

السلوك الفردى فى تأثيره على سلوك الآخرين ، وفى تأثره بسلوكهم • وقد يكون السلوك اما كامنا مستورا كالادراك والتفكير ، واما ظاهرا مثل القراءة أو الانتخاب •

السلوك الاجتماعى :

تعرف دائرة المعارف البريطانية السلوك[١] بانه المظهر الخارجى لنشاط الكائن الحى ، وتقول أن الخاصية الضرورية له هى الحركة التى توجد فى أغلب الحيوانات وفى بعض النباتات • هذه الحركة نتيجة تغيرات داخلية وخارجية يقال لها « المنبهات » •

كما توضح أن السلوك يمكن تصنيفه بعدة طرق كل منها مستقل عن الآخر، فمن الممكن أن ينظم فى طوابع مركبة تبعا لعوامل بيولوجية ووراثية ، أو بواسطة تفاعل المعرفة ، أو بالاثنتين معا • والواقع أن السلوك يتأثر فى الغالبية بكل هذه التنظيمات معا •

وكحديث عام فان السلوك يتأثر بأسباب داخلية ، وأسباب خارجية أيضا • ان السلوك ظاهرة معقدة تتعدد الاسباب المؤثرة فيها ، ولهذا فان لمشكلاتها عدة حلول متبادلة •

ومهما يكن من شيء فان عمليات الأبحاث التى تجرى حول المشكلات تحاول الوصول الى أسباب اختلاف السلوك البشرى عن طريق دراسة عوامل عدة أهمها : الوراثة ، العوامل الفسيولوجية ، البيئة الاجتماعية والبيولوجية ، العوامل النفسية، المعرفة ، العقيدة ، الى غير ذلك من العوامل المؤثرة • ومن ثم فان دراستنا ستقتصر على بحث بعض العوامل الرئيسية التى تحدد سلوك الانسان من حيث هو عضو فى المجتمع الذى يعيش فيه •

---

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية مادة Behaviour ٣ : ٣٢٥ سنة ١٩٦١ •

الأحوال البيولوجية :

حتى يستطيع الانسان أن يبقى يجب عليه أن يكيف نفسه طبقا لاحوال بيولوجية معينة • ان أعماله التي يمكنه أن يؤديها محدودة ، ويحدث أحيانا أن يتمنى أن تكون الطبيعة قد خلقته بشكل مغاير ، ويحدث أحيانا أخرى أن يتصرف كما لو كان غير مقيد بقوانين بيولوجية معينة ، ولكنه اذا غالى في تصرفاته أكثر مما يجب أهلك نفسه فرديا أو جماعيا •

كان على الانسان في شتى الحضارات أن يؤدى وظائف خاصة والا هلك • قد يكيف نفسه وفقا لظروف غير عادية ، ولكن في حدود مرسومة . ومع ذلك فان هناك ألوانا من النشاط البيولوجي وجدت بالضرورة أو دائما في كل نمط من أنماط المجتمع •

ولقد تمكن برونيسلو مالينوفسكى Bronislaw Malinowski (١) ــ عالم الانثروبولوجيا المشهور ــ أن يعد قائمة بكل :

الباعث	العمل	الدافع
الحاجة الى التنفس	استنشاق الأوكسيجين	التخلص من ثانى أوكسيد الكربون
الجوع	ابتلاع الأكل	الشبع
العطش	امتصاص السوائل	الارواء
الرغبة فى الجنس	العملية الجنسية	الاشباع
التعب	الراحة	استعادة النشاط العضلى والعصبى
التبرم او القلق	النشاط	التخلص من التعب

(١) مالينوفسكى ، برونيسلو كاسبر مالينوفسكى (١٨٨٤ ــ ١٩٤٢) عالم من علماء الانثروبولوجيا البولنديين ، تولى التدريس فى جامعة كراكوف فى بولنده وجامعة ليبزج فى المانيا ، وأخيرا تولى مركز استاذ علم الأنثروبولوجيا فى جامعات هارفارد وييل ولندن بعد أن هاجر الى امريكا •

الدافع	العمل	الباعث
الاستيقاظ بعد استعادة النشاط	النوم	النعاس
زوال التوتر	التبول	ضغط المثانة
الاسترخاء المعوى	التبرز	ضغط القولون
الاسترخاء	الهرب من الخطر	الخوف
العودة الى الحالة الطبيعية	تجنب الالم بعمل ايجابى	الالم

ويلاحظ مالينوفسكى أن النظام الماركسى يقر أن تتابع الجوع ، ثم التغذية ، ثم الشبع ، هو الأساس النهائى الذى تبنى عليه كل الدوافع الانسانية • وينتقد مالينوفسكى هذا التفسير ذا الاتجاه الواحد على أساس أن جسم الانسان يختلف من شخص الى آخر من الناحيتين التشريحية والفسيولوجية ، وعلى ذلك يجب مراعاة استقلال الدوافع المختلفة • وهو يقول « ان كل دافع يتطلب نوعا معينا من التصرف ، وكل نتيجة حيوية هى الى حد كبير مستقلة عن غيرها » •

ويوجز مالينوفسكى بعض انطباعاته على النحو التالى :

الاستجابة الثقافية	الحاجة الأساسية
القرابة	التوالد
المأوى	الراحة الجسمانية
الحماية	السلامة
النشاط	الحركة
التدريب	النمو
علم الصحة	الصحة

ان هذه الحاجات الأساسية واستجاباتها الثقافية تشكل جزءا صغيرا فقط من نظريات مالينوفسكى بشأن سلوك الانسان •

اما بالنسبة لعلم الاحياء فيقول هذا العالم « انه من الاهمية بمكان لو استطعنا من أجل دراستنا المقارنة لسلوك الانسان المنظم أن نتعلم من أولئك الذين يدرسون تشريح الانسان وفسيولوجيته المقارنة وبيئة كل نوع والحد الأدنى من شروط البيئة المادية التى تتفق مع النمو ، وتجدد الخلايا ، والحماية من الميكروبات ، وكفاية التوالد والتكاثر » •

ان علم الأجنة ميدان أخذ فى الاتساع على نحو لم يحدث فى كل فروع العلوم • ان كل اكتشاف جديد يشير الى أن ما لم يعرف بعد هو أكثر مما كنا نظن فى الماضى • ووفقا للاكتشافات الحالية يمكن أن نقول أن الحياة تنشأ بقوة النمو ، ونحن لا يعترينا أى شك فى أن هذه الفكرة سوف يكون لها تأثير كبير على سلوك الانسان • ومع ذلك فان مثل هذه التأملات النظرية هى أبعد ما تكون عن أن تصبح أهدافا عند تحليل سلوك الانسان •

وعند التطبيق العملى تكون دراسة الوراثة بالنسبة للفروق الانسانية على جانب كبير من الاهمية ، لان الناس تقريبا تميل الى تعميم مشاعرهم الجسمانية ونتوقع أن نجد نفس هذه المشاعر فى كل الاشخاص الآخرين ، ومما لا شك فيه أنه كان لهذا الميل نتائج سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية خطيرة •

ولكن هل يمكن أن نجرى اختبارا للتأثير على الصفات الوراثية المختلفة فى الاشخاص المختلفين ؟

ان نظريات الوراثة التى جاءت بها الدوائر العلمية فى الغرب(١) لم يتقبلها العلامة السوفييتى ليسنكو Lysenko ومدرسته(٢) • ففى السنوات ١٩٣٥ ـ

---

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية مادة Soviet Genetics ١١ : ٤٩٥ سنة ١٩٦١ .

(٢) ليسنكو ، تروفيم دنيسوفيتش ليسنكو : اصلا من علماء الزراعة وله عدة اختبارات وتجارب فى العمليات التوليدية والتناسلية فى النبات والحيوان • ولد سنة ١٨٩٨ ، تعلم فى كييف ، منح جائزة ستالين مرتين ، ومنح وسام لنين للعلم عضو اكاديمية العلوم السوفييتية ، عضو عدة جمعيات ومؤسسات علمية فى أوديسا بجنوب الروسيا •

١٩٣٨ حدث جدال عنيف فى الاتحاد السوفييتى بين العلماء السوفييت الذين يتقبلون نظريات الوراثة الغربية حيث يطلق عليها اسم « المندلية والويزمانية والمورجانية » ، نسبة الى العلمـاء : مندل(١) ، وويزمان ، ومورجان(٢) ، وبين ليسنكو وأفراد مدرسته الذين أقاموا أسـاس نظريتهـم فى الوراثة على كتابات العـالم الروسى ف٠ بنجورين « ١٨٥٥ / ١٩٣٥ » محترف زراعة البسـاتين « Horticulturalist »

وانتهى الجدل والنقاش فى سنة ١٩٤٨ الى انتصار حاسم لمدرسة ليسنكو، فقد أعلن أن وجهات نظره قد وافقت عليها الحكومة السوفييتية وتقبلها الحزب الشيوعى ٠

والواقع أن أسس الخـلاف بين علماء التكوين التناسـلى « علم الوراثة » الغربيين ، وبين العلماء السوفييت هى خلافات نظرية من ناحية ، وعملية من ناحية أخرى ، فلقد بينت الاعتراضات النظرية أن « الجين » Gene « ميكروب الوراثة » وحدة متحركة بذاتها تحكم خاصيات الوراثة ، ولا يتكيف خاصة بواسطة البيئة ٠

ان هذا ليس بالامر الثابت ولا المستمر فى الفلسفة الشيوعية التى تقرر أن كل «الماديات» يجب أن تتشكل استجابة لأحوال البيئة والظروف المحيطة بها ٠

---

(١) مندل ، جريجور جوهان Gregor Johann Mendel (١٨٢٢ – ١٨٨٤) غسوى الأصل من رجال الدين ولد فى سيليزيا النمسوية يوم ٢٢ من يوليو سنة ١٨٢٢ ، درس اثناء تدريبه فى الدير بعض العلوم ثم ارسل الى جامعة فيينا لدراسة الفيزياء ، والكيمياء ، وعلم الحيوان والنبات ، وبقى يدرس من ١٨٥١ الى ١٨٦٨ ولكنه لم ينجح فى الامتحان للعمل كمدرس ، ادت تجاربه سنة ١٨٥٦ فى حديقة الدير الى اكتشاف الاصول الرئيسية لعلم الوراثة ٠

(٢) توماس هنث مورجان Thomas Hunt Morgan (١٨٦٦ – ١٩٤٥) من علماء علم الاحياء اكتشف الاصول الرئيسية والتكوين التناسلى ، تولى رياسة اكاديمية العلوم الامريكية من ١٩٢٧ الى ١٩٣١ ، له عدة مؤلفات اهمها :

1) Evolution of Genetics, 1925.

2) Embryology and Genetics, 1933.

3) The Physical Basis of Heredity.

وقد وقفت الاعتراضات السوفييتية فى المجال العلمى التجريبى واهتمت بكون علماء الوراثة الغربيين عاجزين عن أن يعيدوا عن قصد وراثة عضو بشرى فى الاتجاه الذى يريدونه ، وانما عليهم أن ينتفعوا بمثل هذه التحولات الفجائية Mutations حيثما جرت بمحض الصدفة ٠

لقد ظهر أن التطبيق العملى التجريبى لنظريات مندل فى التوالد Breeding يحدث ببطء ، على حين قرر ليسنكو أنه قادر على تغيير الوراثة ويستطيع أن يتنبأ بهذا التغيير ٠

وفى سنة ١٩٥٢ خرج ليسنكو بنظرية جديدة للتطور تقوم على أســاس احداث تغييرات فجائيـة فى نوع لتحويله الى آخر تحت ظروف بيئية مصطنعة ليست لصالح النوع الاول ، وفى هذه الحال تنتج حبوب القمح فجأة « جويدار » وهو نبات كالشعير «Rye» ولكن هذه النظرية قوبلت هى والادلة والبينات التى قامت على أساسها بهجوم عنيف حتى فى الاتحاد السوفييتى نفسه ٠

ولم يأخذ علماء الوراثة الغربيون أى نظرية لليسنكو مأخذ الجد ٠

وقد بذلت عدة محاولات قليلة فىالدول الغربية لاعادة التجارب السوفييتية ولكن كل النتائج التى وصل اليها كانت سلبية ٠

وبدأ نفوذ ليسنكو يضعف بعد سنة ١٩٥٢ وأعلن فى سنة ١٩٥٦ أنه طرد من وظيفته القيادية الرئيسية ، ولكن طرده هذا لم يؤد من فوره الى احياء نظريات مندل فى علم الوراثة فى الاتحاد السوفييتى ٠

هذا مثل يوضح كيف أن دراسة العلوم البيولوجية عند تطبيقها تكون معينا كبيرا لنا فى العلوم الاجتماعية ٠ ان علم الوراثة هو أكثر العلوم علاقة بالعلوم الاجتماعية ، لأنه يعالج التأثيرات التى تحسن الصفات الموروثة بالنسبة للانسان٠

الدافع المباشر للسلوك Motivation :

كثيرا ما نسأل أنفسنا فى بحثنا لسلوكنا الخاص أو لسلوك الآخرين لماذا فعلت أنا هذا ؟ ولماذا تصرف غيرى بطريقة مخالفة ؟ والحقيقة أننا ونحن نسأل على هذا النحو انما نثير مشكلة ما يدفع بنا الى أن نقوم بأعمال خاصة .

وبصفة عامة نجد فى تطور كل أنواع الحيوان أن الدوافع الاولية القديمة جدا التى أشاعت النشاط ومكنت من استمراره قامت على أسس فسيولوجية ، فالطفل ينشط أساسا بدوافع مثل « الجوع » و « الظمأ » و « الألم » ، ويستمر فى جعل احتياجاته معروفة حتى تلبى بواسطة أمه أو مربيته ، ونحن فى سن البلوغ نسلم بأننا نشعر بالجوع عندما تحتاج أجسامنا الى الغذاء ، ولكن عندما يتوقف كل منا ليفحص هذا السؤال : كيف أعرف أننى فى حاجة الى الغذاء ؟ فانه يجد أن الاجابة ليست واضحة بأى صورة كانت ، والرد المناسب الذى لا يعتبر غير مألوف قد يجىء فى الصورة التالية : « أعرف أننى جائع عندما أحس بعضة الجوع » أى تقلص المعدة أو انكماشها Stomach Contracions .

ومثل هذه الاجابة تعطى بيانا أو ايضاحا فى غاية البساطة لوجهة النظر التى نادى بها منذ أكثر من ربع قرن الفسيولوجى « وولتر كانون » Walter B. Cannon (١) . لقد ركز كانون الانتباه فى محاولته على تحديد المؤثرات الآلية الحرجة Critical Mechanisms التى تحفز وتحرض على البواعث الفسيولوجية .

---

(١) كانون ، وولتر برافورد (١٨٧١ – ١٩٤٥) استاذ علم الفسيولوجيا بجامعة هارفارد من سنة ١٩٠٦ – ١٩٤٢ ، ومن اهم مؤلفاته :

1) Bodily Cnange in Pain, Hunger and Fear. 1929.

2) Traumatic Shock, 1923.

3) The Way of an Investigator, 1945.

ومع أن هذه النظرية لدوافع الجوع تتمشى مع التجربة التى يسهل ادراكها وفهمها ، فثمة عـــدة أدلة مختلفة تدل على أن هذه التجربة الخاصـــة بالجوع والشعور به خاطئة غير صحيحة ، فمثلا لا يحس المرضى الذين تنزع أجزاء كبيرة من معداتهم بتقلصات فى المعدة بنفس دورات الاحساس بالجوع لدى الانســان العادى ، وكنتيجة لهذا بدأ علماء الفسيولوجيا ، وعلماء علم النفس يبحثون عن محركات للدوافع فى الشبكة المركزية للاعصاب •

ويصف الدكتور « نيل ميللر » Neal E. Miller (١) فى بحث له تجارب تخلب اللب(٢) ، تـدل على أن المؤثرات الآلية الحرجة التى يدرك بها المخلوق الحى أنه جائع أو أنه يحس بالظمأ انما توجـد فى المنـــاطق تحت اللحائيـة Subcortical Regions من المخ • ويقـول ميللر : « ان فى عـلم العقـــاقير النفسية Psycho-Pharmacology امكانيـات عظيمة لزيادة تفهمنا للدوافع البيولوجية (للفأر والانسان) ، واننا نحاول أن نفتح فصـلا جديدا مثـيرا فى دراستنا وتفهمنا للسلوك » •

وليس هناك شك فى أن دراســات مثل دراســات الدكتور ميللر توسع مجالات معرفتنا لطبيعــة الدوافع الفسيولوجية ، الا أنه بالرغم من أهمية هذه الدراسات فمثل هذا الاقتراب غير كامل نظرا لأن أغلب السلوك البشرى انما يستحث ويستمر بواسطة دوافع اجتماعية مدروسة أكثر مما يحدث من دوافع فسيولوجية(٣) •

---

(١) نيل ميللر Miller. Neal. E. « نيل ابلجر ميلر » ١٩٠٩ – درس بجامعة فيينا بعد تخرجه من جامعة ييل سنة ١٩٣٥ ، عمل فى عدة مراكز حكومية لابحاث علم النفس فى سلاح الطيران الأمريكى •

(٢) Central Stimulation and Other New Approaches to Motivation and Reward.

(٣) يناقش الدكتور روبرت سيرت فى بحث له بعنوان « تطور الشخصية فى الثقافة المعاصرة » أن الدوافع الاجتماعية تتطور •

على أن الدكتور ابراهام ماسلو (١) يوضح فى نظريته عن الدوافع البشرية بقوله « ان الدوافع البشرية قد ترتب فى تنظيم له معناه على أساس أن الطاقة التى لأحد الأبوين يمكن أن تنقل خاصيات معينة الى أطفاله ، أو قد يجىء هذا الترتيب أحيانا عن طريق ظروف اضطرارية • ولكن الأخير يجىء بصفة خاصة استجابة للحاجة الفسيولوجية أو للحاجة الى الامن والسلامة • ومع هذا فان المجتمع لو استطاع أن يوجد بيئة خيرة لكان من الممكن أن يتحرر الناس ليطوروا من حاجات احترام النفس ، والحب ، وواقعية النفس •

ويهتم ماسلو فى دراساته ببحث العوامل الاجتماعية بين الاشخاص ، تلك العوامل التى يمكن أن تسهل أو تكبت هذه الحاجات الاساسية • على أن ماسلو فى تفكيره فى سيكولوجية الدوافع البشرية يرى أن الدوافع الفسيولوجية نماذج قاطعة تدل على نقص فسيولوجى ، ويؤكد أننا « نحتاج » الى الحب كما « نحتاج » الى « الفيتامين ج » ، والشخص الذى تمتد جهوده الأساسية الى محاولة ادراك الشعور ، واحترام الذات ، أو الوصول الى الشعور بأنه موضع حب أشخاص آخرين ــ انما يفعل هذا نتيجة لنقص الدوافع على مثال ما يفعل انسان الغاب الذى يعيش فى الأحراش ، ويوجه كل جهوده للحصول على الغذاء •

ولقد سبق أن أشرنا من قبل الى الغرائز الاساسية التى تؤثر على سلوك الانسان ، وذلك عند دراستنا للاحوال البيولوجية ، ولنبحث الان بطريقة أكثر تفصيلا السمات الموروثة •

---

(١) ماسلو ، ابراهام هارولد (١٩٠٨) : من رجال التربية الأمريكيين ولد فى بروكلين عام ١٩٠٨ وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٣٤ ، عضو عدة معاهد وهيئات لعلم النفس ، اهم مؤلفاته :

1) Principles of Abnormal Psychology, 1941.

2) Motivation and Personality, 1954.

3) Toward a Psychology of Being, 1962.

لقد كانت الغرائز حتى ربع قرن مضى من أكثر الامور الشائعة فى تفسير معظم السلوك البشرى والحيوانى ، ولكن علماء النفس فى الوقت الحاضر لا يعرضون للغرائز لأسباب مختلفة ٠

فلماذا طويت فكرة الغريزة وازداد اهتمامالعلماء بالدوافع ؟ لقد شعر الجميع أن لفظ الغريزة غامض الى حد ما ، وانه فى آخر الأمر لا يفسر حقا أى شىء بطريقة مرضية ٠ لماذا نحن جائعون ؟ لأن بنا غريزة الجوع ! ان ذلك التفسير يقدم لنا معلومات ضئيلة جدا ، فضلا عن أن علماء الاجناس كانوا يجمعون ببطء الدلائل على أن كثيرا من السلوك البشرى الذى يرجعه البعض الى الغريزة نشأ بسبب الأصل الثقافى ٠ وبالرغم من أن هذا الرأى ما زال قائما فيما يتعلق بالسلوك الحيوانى المعقد ، فان كثيرا من السلوك البشرى يمكن الآن تفسيره على أساس التدريب والخبرة ٠ وقد أشير فيما بعد الى أن كثيرا من سلوك الحيوان وسلوك الطفل هنا ليس أكثر من ردود فعل عادية وليس سلسلة معقدة من ردود الفعل كما تقترح نظرية الغريزة ٠

وهكذا يمكننا أن نتحدث الآن عن الدوافع على أساس أنها تعنى نفس ما تعنيه الغرائز ، ولكن نظرا لأنها أكثر غموضا فانها تقدم صورة أصدق عن النمط السلوكى ٠ ويجب التركيز هنا على أمرين فى سلوك ما :

١ ـ الدوافع : التى تنشأ مباشرة من احتياجات الجسم مثل : الطعام ، والأوكسيجين ، والنوم ٠

٢ ـ القلق : وهو الحالة التى يكون عليها الجسم عندما تصبح هذه الاحتياجات حادة ٠

وعند اشباع القلق المرتبط بالاحتياجات بطريقة خاصة تنشأ صلة بين الحاجة وبين الطريقة الخاصة لاشباعها وتحقيقها ، مثل تهدئة حالة الجوع عن طريق تناول الخضر فقط ٠

على أنه يجب علينا دراسة الدوافع من وجهة نظر السلوك الكلى وليس من وجهة نظر السلوك الجزئى • والسلوك الكلى يختص بأفعال السلوك الكلية مثل الزواج ، وبهذا نرضى حاجة الجنس بالشكل التقليدى • والسلوك الجزئى عادى ومنعزل نسبيا مثل البلع وافراز العرق • ان السلوك الناتج عن دافع ما يرجع الى الرغبة فى الامن الاجتماعى واشباع احتياجات اجتماعية معينة • ويمكننا أن نتساءل : « هل السلوك الناتج عن دافع يرجع الى الصفات الموجودة فى الميدان النفسى المباشر أم الى تأثير التجربة الماضية ونفوذها ؟ يجيب لوين(١) على ذلك بقوله : « ان الميدان النفسى يتكون من البيئة الطبيعية الخارجية ، والحالة النفسية الداخلية ، وكذا الآثار العصبية للتجارب الماضية ، وبالرغم من أن الانسان هو سيد مصيره وقدره فى بعض الاحيان • فان ضغط العصور يقع عليه فى أحيان أخرى •• » •

وعندما لا يتم اشباع القلق الذى خلقته الاحتياجات فحينئذ يوجد توتر • ويختفى التوتر عندما تزول حالات التقلب وعدم الثبات من الميدان النفسى ، ولكن هذه الازالة قد لا تكون دائما أمرا ممكنا ، ويؤدى التوتر الذى لم يشبع الى خيبة أو فشل • وهناك ايمان عام بأن الفشل يؤدى دائما الى نتائج سيئة ، ولكن أحيانا قد تكون النتائج طيبة • فمثلا قد يؤدى الفشل الى زيادة المجهود ، كما أنه أيضا قد يؤدى الى قيام بصيرة أعظم فى المجال الادراكى والى تفهم أكبر له • وقد يفتح الفشل أعيننا على نواحى القصور فى قدراتنا ، وبهذا يمنعنا من اضاعة طاقاتنا فى سبيل الاهداف المستحيلة ، وقد يساعدنا على أن نركز آمالنا على مستوى معقول لتحقيقها • فالفشل فى احدى الامتحانات لدى أول محاولة قد يجعل الطالب يعمل بجد أكثر من ذى قبل وبذلك ينجح بدرجات مشرفة فى المحاولة الثانية ، أو قد يجعله يتخلى عن هذا الخط الدراسى ، ويتخذ له اتجاها آخر مختلفا قد يثبت فى النهاية أنه أكثر فائدة بالنسبة له •

---

(١) لوين كورت Kurt Lewin من علماء علم النفس الاجتماعى الامريكيين ، صاحب تجربة المطابقة Conformity لاثبات ان من الخطأ تطبيق نتائج عملية ما على مواقف لا تصلح لها ، او تطبيق النتائج التى امكن الحصول عليها من بيئة ما على بيئة اخرى مع توقع نفس النتائج ، على ان التجربة اثبتت من ناحية اخرى ان وجهات نظر الفرد قد تتغير بتغير البناء الاجتماعى الذى يكون الفرد مؤديا دوره فيه •

ومن ناحية أخرى يؤدى الفشل غالبا الى طراز أو شكل غير سار من العدوان، فمثلا اذا أصابك الفشل بضر في أحد المجالات فانك قد تحاول أن تعوض ذلك بالحاق الأذى بشخص آخر في مجال آخر • فالرجل الذى احنقه رئيسه فى المكتب وأثار فيه خيبة الأمل قد يعود لمنزله ويضرب ابنه • كما قد يحدث ارتداد ونكوص ، فاننا اذا أصابنا الفشل فى تقدمنا نحو هدف معين فقد نرجع القهقرى الى نوع من السلوك أكثر بدائية أو أقل تعقيدا من سلوك الاطفال • ومن الأمثلة الدالة على ذلك أن تبدأ في الصراخ عندما تفشل في فهم معنى فقرة معقدة في كتاب ، أو أن تصرخ في وجه شخص يرفض أن يعطيك شيئا تود الحصول عليه منه • وقد يتناقش أحد الدبلوماسيين فى السياسة الدولية على مستوى عال جدا مع زميل دبلوماسى آخر من دولة أخرى ولكنه يجد أن الامور لا تسير وفق هواه ، فيهبط فجأة الى مستوى الذم السوقى •

وفى النهاية قد ينسحب الانسان كلية من الموقف الذى شعر فيه بالفشل • وليس هذا سيئا بالدرجة التى يبدو بها على شرط أن يكون ذلك قد حدث فى مرحلة تمهيدية ، وسرعان ما يدخل في موقف آخر أقل احتمالا للفشل • ولكنه ينبغى ألا يحمل معه الى الموقف الجديد المخاوف التى سببها الفشل فى الموقف القديم ، أو يتخذ موقفا أشد خطورة ، بان يغلق نفسه عن المجتمع ويبتعد عن كل المواقف•

ويقول نيوكومب Newcombe (١) : « ان الدوافع مثل الألفاظ غير الفنية « يريد » و « يرغب » • ان مثل هذه الالفاظ تشير الى كل حالتنا الداخلية من التبرم والسخط وعدم الرضا ، أو القلق أو التوتر أو عدم التوازن ، كذا الى

---

(١) تيودور ميد نيوكومب ، حصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا سنة ١٩٢٩ ، استاذ علم النفس والاجتماع بجامعة ميتشيجان منذ سنة ١٩٤٦ عمل فى منظمة العمليات الاستراتيجية « المخابرات الأمريكية » فى صيف ١٩٤٤ ثم فى قسم الروح المعنوية بادارة التدمير الاستراتيجى للسلاح الجوى الامريكى سنة ١٩٤٥ ، رئيس تحرير مجلة علم النفس منذ سنة ١٩٥٣ ، اهم مؤلفاته :

1) Experimental Social Psycology, 1937.

2) Personality and Social change, 1943.

3) Social Psycology, 1951.

ما يوجد فى البيئة مثل : الطعام أو الى آلام ، أو حل معضلة والى غير ذلك • ان الدوافع تشير الى كل من العوامل الداخلية ، والخارجية » •

والدوافع ليست عملية سهلة فى دراستها • ولقد أشار سارجنت وويليامسون الى مشكلات معينة فى هذا الصدد يستحسن أن نضعها نصب أعيننا :

١ ــ انها عملية صعبة لأنها تتعلق « بأسباب » وليس « بكيفية » أو « ماهية » السلوك • كما أنها تختص بالتفسير أكثر من اهتمامها بالوصف • وكما يعرف كل عالم أو فيلسوف تماما ، فان البحث عن الأسباب لهو من أكثر أوجه النشاط التى تبعث على الحيرة وتؤدى الى الفشل ، وفى نفس الوقت هى مشوقة وجذابة وهامة •

٢ ــ اننا لا يمكننا بصورة مباشرة أن نلاحظ الدوافع التى تتولد لدينا ، ويمكننا فقط أن نستدل على وجودها من السلوك الخارجى • فاذا واظب رجل على تكديس الممتلكات فاننا نقول أن لديه رغبة التملك • ولكن وجه الخطورة فى تكوين مثل هذا الغرض هو أن الناس قد يقومون بنفس العمل نتيجة لدوافع مختلفة • فقد يقوم شخص بتكديس الأموال لمجرد متعة التملك ، كما قد يقوم آخر بالتصرف فيها فيما بعد فى أعمال الخير ، وقد يفعل ذلك ثالث من أجل الشعور بالأمن •

٣ ــ ما زال هناك بعض الابهام والالتباس بصدد معنى كلمة « دافع » Motive هل هى « قوة داخلية » مثل الغرائز القديمة ؟ هل هى الى حد ما استجابة للظروف الخارجية ؟ هل هى نزعة عرضية أو نزعة خاصة ؟ وهل الدوافع منفصلة عن الاتجاهات والعادات والعواطف والاهتمامات والعمليات الاخرى أو مكتنفة بها ؟

هذه كلها أسئلة من الصعب الاجابة عنها ، ولكنها قد تهدينا فى محاولة الوصول الى حل سهل ومعقول •

الادراك Perception :

ويمكن أن نسأل الآن : ما الذى يثير الدوافع ؟ فى الواقع نجد أن الادراك يلعب دورا كبيرا خلف هذه الدوافع ، وهو يعتمد أولا على طبيعة الحواس • فمثلا لا يستطيع الكفيف أن يدرك حيوانا مفترسا أمامه ، وعلى هذا فانه عندما يواجهه لا تكون لديه الدوافع التى تعمل على سلامته وأمنه ، اللهم الا اذا كانت لديه حاسة أخرى تساعده على ذلك كالشم والسمع مثلا ، كما يعتمد الادراك على العوامل المثيرة أو المواقف التى تؤثر على أعضاء الحواس ، وأخيرا يجب ألا ننسى موقف الشخص وقت الادراك ، فمثلا قد يستسلم الشخص المكتئب أو اليائس الى حيوان مفترس بدلا من أن يهرب منه أو يدافع عن نفسه •

وتؤثر العوامل الاجتماعية على ادراكنا ، ولتفسير ذلك بطريقة سهلة نقول : اننا غالبا نرى ما يجبرنا المجتمع على أن نراه ، أو نفشل فى رؤية ما لا يرغب لنا المجتمع أن نراه ، ففى المجتمعات المقفلة حيث توجد تقاليد موروثة صارمة لحجاب المرأة يعتبر اهانة شديدة ومساسا للكرامة أن تظهر المرأة سافرة ، أو أن تشارك الرجل فى أعمال عامة •

والواقع أننا نميل لرؤية الأشياء بصورة مختلفة ونحن فى صحبة جماعة عما نكون ونحن بمفردنا • ويرجع هذا الاختلاف الى « الرأى العام » أو الى نفوذ الناس الآخرين علينا • ولكن استجابتنا لهذه التأثيرات الجماعية ليست مطلقة ، وانما تقف عند حد معين ، ولذا فنحن لانستطيع أن نتغاضى عن قيمة ادراك الفرد • لقد أيد ذلك كل من سارجنت ووليم سن بقولهما : « يدرك كل فرد الموقف ويفسره عن طريق قدراته الحواسية ، ومدى اتجاهه ، وخبرته الماضية ، ودوافعه ، واتجاهاته ، وتنبؤاته ، وما الى ذلك ، أى حسب نمطه الفريد من الخبرة والشخصية » •

وقد قام جودمان Goodman [1] بعمل تجربة على مجموعتين من الأطفال : احداهما فقيرة ، والأخرى متيسرة الحال ، وطلب من كل منهما أن تقدر حجم قطع معدنية من العملة قدمت اليها ٠

لقد وجد أن أطفال المجموعة الفقيرة زادت من تقديرها لحجم قطع العملة بدرجة كبيرة بمعنى أنهم كانوا يتصورون أن حجم قطعة العملة أكبر مما هى عليه فعلا ، بينما أطفال المجموعة المتيسرة لم تكن نزعتهم على هذا النحو ٠ وكانت الفروق فى الادراك فيما يتعلق بهذا الامر بين الجماعتين مثيرة جدا ، وقد يفسر ذلك أثر الحاجة على الادراك بطريقة واضحة جدا ٠

وأجرى مثل هذه التجربة عام ١٩٤٧ ، اذ طلب الى مجموعتين من الأطفال أن تقوم كل منهما بتمرينات وحركات جسمانية أمام فصل من الفصول ٠ وكان أطفال الفصل يعرفون أفراد الجماعتين معرفة جيدة ، فاحداهما كانت محبوبة ، والاخرى لا يميل اليها تلاميذ الفصل ٠ وقد صار تكليف الاطفال فى المجموعة الأولى أن ترتكب بعض الأخطاء فى « تمرينهم » عمدا ، بينما أدت المجموعة الثانية تمريناتها دون ارتكاب مجرد خطأ واحد ، ومع ذلك فعندما طلب الى الفصل أن يقدر أى الأداءين كان أفضل ، كانت النتيجة أن وضعت المجموعة التى يميل اليها التلاميذ فى التقدير قبل المجموعة الاخرى ٠

ان دراسة الادراك أمر على جانب كبير من الاهمية لعلم النفس الاجتماعى ، لان اتجاهات الناس يمكن أن تتغير ٠ ومن المهام الرئيسية لعالم النفس الاجتماعى أن يحاول على الاقل احداث مثل هذه التغييرات ، ولكن لكى نغير اتجاها ما يجب علينا أولا وقبل كل شىء أن نغير مفهوم الاشياء التى يبنى عليها هذا الاتجاه ٠ وتغيير الاتجاه يعنى أيضا اعادة تنظيم الادراك ٠

---

(١) جودمان نلسون : فيلسوف امريكى ، ولد فى سومر فيل بولاية مساشوتس ٧ من اغسطس سنة ١٩٠٦ حصل على الدكتوراه من هارفارد سنة ١٩٤١ يعمل استاذا محاضرا فى هارفارد منذ سنة ١٩٥١ ، عضو الجمعية الأمريكية للمنطق ، أهم كتبه :

1) The Structure of Appearance, 1951.

2) Fact, Fiction and Forcast, 1955.

ان الادراك الاجتماعى هو المهارة التى نكتسبها من فهم : الدوافع ، والنوايا، والذكاء ، والصفات الأخرى للأشخاص الذين نتصل بهم . ولهذا أهميته القصوى لأنه ما لم نفعل ذلك فلن نستطع أن نكيف سلوكنا لمواجهة احتياجات الظروف الخاصة التى تنشأ عندما يتجمع الناس. ان الشخص الذى يفتقر الى ادراك اجتماعى يحاول مثلا أن يمزح مع شخص فى حالة نفسية سيئة. ولسوف يقول بصفة مستمرة الشىء الملائم فى الوقت غير الملائم ، أو بالعكس يقول الشىء غير الملائم فى الوقت الملائم . ومثل هذا السلوك لن يجعلنا فقط أعضاء غير محبوبين فى المجتمع بل أنه أيضا سوف يعوق بدرجة كبيرة ازدهارنا المادى فى هذا العالم. على أننا نرى أنه لكى تكتمل الصورة لابد أن نشير الى مدرسة من مدارس علم النفس كان لها الأثر الكبير على نظرية السلوك . هذه المدرسة هى مدرسة السلوكية «Behaviourism» .

أثر ظهور المدرسة السلوكية :

السلوكية « تصور » أو « ادراك » لعلم النفس قدمه منسقا فى البداية الدكتور جون واطسون(١) فى سنة ١٩١٣ ، وكان لب هذا التصور « الأعمال الموضوعية للكائن البشرى التى يمكن ملاحظتها » .

---

(١) جون برودس واطسون John Broadus Watson (١٨٧٨–١٩٢٨) ولد بجرانفيل فى ٩ من يناير ١٨٧٨، حصل على الدكتوراه من جامعة شيكاغو ١٩٠٣ عمل استاذا لعلم النفس فى جامعة هوبكنز من ١٩٠٨–١٩٢٠ ثم انصرف الى الأعمال الخاصة. قام بعدة تجارب فى سيكلوجية الحيوان والطفل.

وقد فسر واطسون نظريته عن « السلوكية » بانها تجعل علم النفس الفرع التجريبى الموضوعى من علم الطبيعة بتحديده لدراسة العلاقة بين الحوادث البيئية « الحافزة » وبين السلوك « الاستجابة » ، ومن مستنتجاته :

(١) السلوك الواعى ناتج عن الانعكاسات المشروطة لظروف خاصة (بافلوف) .

(٢) يقل التفكير والتصور الى « ارجاع مبهم » للاستجابات الأصلية المتضمنة فى(الكلام) وغيره من صور السلوك الحركية .

(٣) يمكن توجيه الطفل المعافى صحيا ، الذى يحسن تعليمه فى اتجاه معين تبعا للمؤثرات البيئية . من اهم كتبه :

1) An Introduction to comparative Psychology.

2) Psychology From a Standpoint of a Behaviourist.

3) Behaviourism.

دائرة المعارف البريطانية ٢٣ : ٣٥ سنة ١٩٦١ .

ولقد فهم علم النفس في البداية على أنه «علم الوعى» أو «علم الادراك» والتجربة أو العقل ، وعلى حين لم تستبعد أوجه النشاط البدنى فان قيمتها الكبرى هى في علاقاتها مع المظاهر العقلية ، وهكذا كان الاسلوب المميز لعلم النفس هو « فحص النفس » أو ما يسمى « التأمل الاستبطانى » Introspection •

ومن ثم فان « السلوكية » من كلمات واطسون نفسه :

« حاولت أن تعطى بداية جديدة خالصة لعلم النفس نابذة النظريات المعاصرة والنظريات القديمة(١) ، ومتخلصه كذلك من كل المصطلحات والتعاريف القائمة » •

وهكذا نبذت فكرة « فحص النفس » أو « التأمل الاستبطانى » ، واعتبر أن مثل هذه الأشياء التى تلاحظ لا تكون مقبولة الا اذا تمت بوساطة مراقبين مستقلين عن بعضهم البعض ، كل منهم يلاحظ ويراقب نفس الغرض أو نفس الحادث ، وذلك على مثال ما يتم فى علم الكيمياء • وفى ضوء هذا ، فان علم النفس يكون فرعا موضوعيا تجريبيا لعلم الطبيعة •

ولقد سأل السلوكيون أنفسهم : لماذا لا يجعلون ما يستطيعون ملاحظته الميدان الحقيقى لعلم النفس ؟ وهكذا حددوا لأنفسهم الأشياء التى يمكن ملاحظتها وصاغوا القوانين لهذه الأشياء وحدها ، ثم تساءلوا عما يستطيعون ملاحظته • انهم يلاحظون « السلوك » ، ويلاحظون كل ما يمكن أن يقوله الانسان البشرى أو ما يمكن أن يفعله • واذن فلتكن هذه هى النقطة الاساسية الرئيسية •

ان الكلام « فعل » وهو كذلك « سلوك » ، وسواء أكان « الكلام » حديثا اعلانيا مكشوفا ، أو كان تفكيرا فى أعماق النفس فهو نوع من السلوك • وكانت

---

(١) John B. Watson, Psychology from a Standpoint of Behaviourist, 3 rd ed. P. Y. Lippircott, 1929.

وسيلة القياس التى وضعها الاخصائى فى السلوك أمامه دائما هى : هل يمكن وصف كل نوع من أنواع السـلوك الذى يمكن أن يراه على أسـاس « الباعث أو المحرك » وعلى أساس « الاستجابة » ؟

كان ما يقصده بكلمة « البـاعث » أو الحافز هو أى شيء له أثره فى البيئة العامة أو أى تغيير فى التكوين نفسه تبعـا للاحوال الفسيولوجية للحيوان على مثال التغيير الذى نحصل عليه عندما نحول دون هذا « الحيوان الحى » ودون النشاط أو الممارسة الجنسية ، أو عندما نمنعه من الغذاء • ويعنى « بالاستجابة » أى شيء يفعله الحيوان مثل « الاتجاه بوجهه » نحو الضوء أو « الاشاحة » بوجهه بعيدا عنه ، أو الوثوب عند سماعه صوتا مفاجئا •

وهنـا قد نستطيع أن ننفلت من هـذا السياق لنؤكد أن كل فرد منذ طفولته يبدأ فى تكوين السـلوك ، فالطفل الصينى يستخدم عضوين لالتقاط الأرز ، ويرتدى ثيابا خاصة ، ويتعلم كيف يتكلم الصينية ، ويجلس بطريقة خاصة ، ويعبد أسلافه وما شابه هذا منذ طفولته ، وفى المقابل يستخدم الطفل الغربى المسيحى منذ حداثته الشوكة ، والسكين ، ويرتدى ثيابا من طراز معين ، ويتعلم القراءة والكتابة والحساب فى طابع معين ، ويذهب الى الكنيسة •

ولكن المفروض أنه ليس من وظيفة « العالم السلوكى » أن يناقش ما اذا كانت هذه الأشياء التى يفرضهـا المجتمع تدفع أو تعطل من نمو الفرد أو من تكيفه وتواؤمه داخل المجتمع •

فالسلوكى يعمل تحت سلطة « انتداب » يتولاها المجتمع نفسه ، ولهذا فانه قد يجد فى طاقته أن يقول للمجتمع : « لو قررت أنت أن العضو البشرى يجب أن يسلك هذا السلوك المعين فانه يجب أن تعد المواقف اللازمة من أنواع خاصة معينة ككذا وكذا » •

ومهما بدت هذه المقترحات والآراء صريحة فقد كان لها تأثير ثورى على علم النفس ، وكذا على علم الاجتماع ، ثم على فكرة الانسان عن نفسه •

وفى الفترة من سنة ١٩٣٠ الى أواخر الأربعينات تطورت السلوكية الى ما يسمى « السلوكية الجديدة Neobehaviourism » فقد انتقل صولجان واطسون(١) الى هل(٢) Hull الذى حاول أن يترجم برامج الفروض العلمية العامة للسلوكية الكلاسيكية الى نظرية تجريبية تفصيلية للسلوك المتكيف « Adaptive » ، وكان القصد تحقيق الكشف عن قوانين أصولية كمية يمكن منها أن نستنبط بدقة المظهر الرئيسى للسلوك •

وقد تأثر الانتقال من السلوكية الكلاسيكية الى السلوكية الجديدة أو السلوكية العصرية الحديثة بوساطة استخلاص مجموعة من الفروض أو الفتاوى من فلسفة العلم نفسه ، مثل تحليل منطقية الفلسفة الموضوعية أو الوضعية(٣) والتى تعنى بطبيعة النظرية العلمية الصحيحة •

ولكن هل لم تكن الشخصية السائدة فى هذه الفترة فى الصورة التى كانت لواطسون فى فترة السلوك الكلاسيكية اذ كان لكثيرين مثل ادوارد تولمان و أ٠ر ٠ جوثرى ، وايجون برونزيك ، ونيل ميللر نفوذ هام وأثر كبير •

ولقد انحرف كثيرون من أصحاب مدرسة السلوكية الحديثة المعاصرة عن الطريق المرسوم فى الكثير من المشكلات والنظريات ، ولكن كانت دراستهم تنتسب الى السلوكية الحديثة نتيجة اتباعهم للاسلوب الموضوعى •

ويمكن أن يقال : أن هذه الفترة تميزت بالجهد فى صياغة التحليلات الصلبة ، وفى وضع « قوانين » السلوك بأكثر مما عنيت به السلوكية الكلاسيكية •

---

(١) يجب ملاحظة ان واطسون مات سنة ١٩٢٨ •

(٢) س٠ل هل من علماء النفس الامريكيين ومن اهم كتبه الحديثة عن السلوكية :

1) Priniciples of Behaviour, 1943.
2) Essentials of Behaviour, 1951.
3) A Behaviour System, 1952.

واهمية هل فى الواقع ترجع الى انه عمل على تفسير برامج واطسون الى نظريات تفصيلية•

(٣) الفلسفة التى تبحث فى الظواهر دون الاسباب Positivism

على أننا نستطيع أن نميز مرحلة ثالثة بدأت سنة ١٩٥٠ ، بظهور اتجاه نحو : تحرير عقيدة العالم السلوكى ، وتحرير ادراكه وتصوره المنسق ، مع الاهتمام من جانب الكثير من السلوكيين بمشكلات مثل : الادراك الحسى ، الشعور ، البصيرة ، التمييز ، والتى كان العلماء يمرون بها فى الماضى دون التوقف عندها ، على أساس أنهم نسبوها الى مجال العقل ، كما يمكن أن نرى ترحيبا لاستخدام الأساليب التأملية بوساطة أشخاص كانوا من قبل لا يرون صحة هذا الامر ٠

وقد تطورت النظرية السلوكية وطبقت على كل فترات تطور الانسان وكذلك سلوكه العام ، وميوله الاجتماعية السياسية ، بل امتدت الى تفسير ظهور الامراض النفسية والعقلية وكيفية علاجها وذلك بفضل العالم الانجليزى ايزنك(١) ٠

العلم والدين :

أثارت العلاقة بين العلم والدين انتباه الكثير من الفلاسفة والمفكرين ، وكان من نتيجتها ظهور بعض الكتابات الواهية العواطف ، والأهم من هذا كله كانت هذه العلاقة سببا فى الارتباك الشديد الذى اعترى عقول الناس حول القيم التى يعيشون وفقا لها ٠

واشتد الصراع بين الدين والعلم ، وظهرت المذاهب والمدارس الفلسفية المختلفة ، فمنها من نادى بامكان التوفيق بينهما ، ومنها ما رأت استحالة ذلك ، ومنها ما آمنت بوجود الله ولكنها تقيده بقوانينه او تقيده بنواميس المادة والقوة ، او تتطرف فى نزعتها فتزعم أنه من ثمرات التطور فى الكون الشامل ٠ الى غير ذلك من الفلسفات المختلفة التى عرفها الانسان عبر التاريخ ٠

---

(١) Eysenck, H. J., Cyclothymia and Schizothimia as a Dimension of Personality, Journal of Personality, XIX, Durham, N. C, 1950, PP. 123 - 52.

وفى محاولتنا للتعرف على هذه المشكلة نرى من المناسب أن نعرض باختصار لبعض هذه الفلسفات والمدارس التى توضح لنا كيف تنظر الجماعات المختلفة الى العلاقة بين الدين والعلم ، وهل فى استطاعة الانسان أن يوفق بينهما بغية الوصول الى دين أعمق وعلم أفضل ؟

يقول الفريد نورث هوايتهيد Alfred North Whitehead (١) : « أنه على الرغم من تقلص نفوذ الدين أحيانا وزيادته أحيانا أخرى ، فقد تقهقر مركزه فى العالم . ان سلطانه يهبط جيلا بعد جيل . ويقول هوايتهيد ان الدين يميل الى أن يفقد نفوذه حتى يصبح عبارة أو قاعدة مناسبه تضفى بعض التنميق على حياتنا • ففى خلال القرنين الماضيين يقف الدين موقف الدفاع ، بل اتسم موقف دفاعه بالضعف » •

ويعقد هوايتهيد مقارنة بين الموقف حيال العلم، والموقف حيال الدين بقوله : « فمثلا اذا أعلن داروين أو اينشتاين نظريات جديدة اعتبرنا هذا انتصارا للعلم. ان الجديد فى العلوم ــ وهو فى الوقت نفسه تفنيد للماضى ــ يعتبر تقدما • أما الانتقال من موقف دينى الى موقف دينى آخر فينظر اليه على أنه هزيمة للدين • ولن يستطيع الدين أن يستعيد سطوته الأولى الا اذا استطاع أن يواجه التغير بنفس الروح التى يواجه العلم بها التغيير • وقد تكون مبادئه أبدية ولكن التعبير عن هذه المبادىء يحتاج الى تطور مستمر » • ومن ثم فان هوايتهيد يؤمن بالتوفيق بين العلم والدين ولكنه يرى أن العلم أكثر قابلية للتغيير والتطور من الدين •

---

(١) فيلسوف رياضى واقعى (١٨٦١) يعرف مذهبه بمذهب « الكيان العضوى Organism ومدرسة « الواقعية الحديثة » ، وهو يقول : ان الكون كله « كيان عضوى » كالبنية الحية فى تركيب اجزائه وان كل ما فيه من كيانات عضوية لها طبيعة الاجسام الحية فى تجمع الأعضاء وتساند الوظائف العضوية • وهو يتخيل أن الله له مكان فى هذا الكون ولا يتم لهذا الكون حقيقة لغيره ، ولكن الله فى هذا الكيان العضوى الأعظم انما يتولى التعديل والموازنة فيه على النحو الذى يتولاه دماغ البنية الحية •• فهو يريد ويفعل ، ولكنه لا يريد كل ما يشاء ، بل تاتيه دواعى الارادة احيانا من تلك البنية ، كما تاتيه منها دواعى العمل وميسرات التدبير والتصريف •

والواقع أن الخلاف بين الدين والعلم خلاف شكلي وليس جوهريا ، اذا نظرنا اليه نظرة عميقة رسخ ايماننا وازداد علمنا ، وللدلالة على هذا القول نعطى المثل التالى :

« قال جاليليو : ان الأرض تتحرك وأن الشمس ثابتة، وقالت محكمة التفتيش: أن الأرض ثابتة وأن الشمس تتحرك • ويقول أتباع نيوتون الفلكيون ان كلا من الأرض والشمس فى حركة • أما فى الوقت الحاضر فاننا نقول : أن كل ما سبق حقيقي وسليم بشرط أن تثبت معنى « الوقوف » و « الحركة » بنفس الطريقة التى تتطلبها الحقيقة السابقة • وفى الوقت الذى قام فيه النزاع بين جاليليو ، ومحكمة التفتيش كانت الطريقة التى نادى بها بهذه الحقائق ثمرة من ثمار البحث العلمى • ولكنها فى حد ذاتها لم تكن صحتها تزيد على صحة ما جاء فى كلام لجنة التفتيش• ولكن الافكار الجديدة الخاصة بالحركة النسبية لم تكن عرفت بعد ، ولهذا فان التصريحات التى كانت تعلن افتقدت المواصفات المطلوبة لاثبات صحتها • ولكن موضوع حركة الارض وحركة الشمس يعبر عن حقيقة واقعة من حقائق الكون • وكان لكل طرف من هذه الاطراف نصيب من هذه الحقائق الهامة • ولكن لقلة معارف ذلك العهد كانت الحقائق تبدو مفككة » •

ويناقض هوايتهيد ومدرسته فلسفات أخرى ينادى بها أولئك الذين يعملون فى حقل الدين أو العلم • اذ يرى بعض رجال الدين أن تفسيراتهم هى السلطة النهائية والمرجع الأخير ، وأن العلم يعتبر خاطئا اذا ناقض المعتقدات الدينية ، ويعتقد كثير منهم أن العلم هو العدو الحقود • وعلى عكس ذلك يعتقد بعض العلماء أن أى نوع من الدين خاطىء وأنه استمرار لخرافات العهود السالفة • انهم يؤمنون أن العلم حقيقة وأن الدين بلاهة •

ويمثل هـذا الموقف تمثيلا بارزا جوليان هكسلى Julian Huxley (١) حيث يرى ألا سبيل الى الايمان فى الدين وفى العلم معا • انه يقول : « ان طريقتى

---

(١) هكسلى : جوليان سوريل هكسلى (١٨٨٧) حفيد توماس هنرى هكسلى كاتب انجليزى من علماء علم الاحياء وكان جده الذى مات سنة ١٨٩٥ احد العلماء الانجليز فى علم الاحياء •

الدين والعلم فى دراسة الكون والتفكير فيه لا يمكن التوفيق بينهما • ان عـدم امكان التوفيق بينهما يشبه تماما عدم امكان التوفيق بين السـحر وبين الزراعة العلمية ، وبين الطب والعلاج بالسحر ، وبين مذهب الباطنية وبين علم الرياضيات العليا » • ثم يمضى فى كلامه فيقول : « ان تعميم نظرية نيوتون الخاصة بالجاذبية مكننا بل جعلنـا نستغنى عن فكرة الله الذى يوجـه النجوم كلا فى مجراه • ان تعميم فكرة داروين الخاصة بالارتقاء الطبيعى مكننا بل جعلنا نستغنى عن فكرة الله الذى يوجه تطوير الحياة • وأخيرا ان تعميم علم النفس الحديث ودراسات الدين المقارنة مكننا بل جعلنا نستغنى عن فكرة الله الذى يقوم بتوجيه الاجناس البشرية عن طريق الالهام وغيره » •

ويجدر بنا هنـا أن نشـير الى الفلسفة المادية التى تقول : انه يجب على الانسان أن يختار بين العلم ، والدين •

الواقع أن النزاع بين الدين والعلم يبـدو واضـحا خلال تاريخ الفـكر الانسانى ؛ ففى بداية التاريخ الأول كان الناس ينقسمون الى فريقين : فريق يثق فى العقل الانسانى على أساس أنه هو وحده الذى يستطيع تفسير العالم • وفريق يلجأ الى تفسيرات فوق عقل البشر ويستخدم نواحى الايمان العاطفية •

الفريق الأول هم الماديون والملحدون • والفريق الثانى هم دعاة المثل العليا بأشكالهم المختلفة •

لقد أوضح ماركس وانجلز وخلفاؤهما كيف نشأت العقائد الدينية فيقولون: « ان الأديان هى ثمرة العقول الانسانية • ففى عصرنا الحالى تهتم الطبقات الحاكمة بالاحتفاظ بالاديان حتى تستطيع تأمين امتيازاتها • ان البورجوازيين القابضين على زمام السلطة يستغلون الاديان حتى يعموا بصائر الشعب • ان الاديان هى الأفيون الذى يتعاطاه المظلومون » •

« ما التناقض الداخلى الموجود فى الرأسمالية ؟ فطبقا للنظام الرأسمالى تكون طريقة انتاج السلع المادية اجتماعية جماعية ، بينما ملكية أدوات الانتاج ظلت

خاصة • ومن ثم كانت الازمات المتكررة المزمنة ، وبالتالى قامت الحروب • والحروب تعجل بنهاية الرأسمالية لأن الرأسمالية تحمل فكرة الحرب بين طياتها كما تحمل السحب عناصر العاصفة داخل طياتها •

ان المادية هى فلسفة العلم وتطبيقاته والعلم وحده هو القادر على تفسير العالم » •

وبين هؤلاء الذين يؤمنون بعدم وجود استحالة للتوفيق بين العلم والدين ، وبين الذين يؤمنون بضرورة اعتناق الواحد وطرح الثانى، يوجد فريق ثالث يحاول أن يوفق بينها • انهم يؤمنون فى اله يختلف كل الاختلاف عما يعرضه أى دين ، انهم يؤمنون بوجود قوة خلاقة توجه هذا الكون • انهم يؤمنون بالدين ولكنهم يفندون الدين • انهم يؤمنون بالعلم ولكنهم يندون بالعلم • وينعت اعداء هذا المذهب بانه روحانية علمية أو انه خروج على الدين ، بينما يقول أنصار هذا المذهب : انه حل توصل اليه تفكير الانسان لأزمة أو مأزق ، ويمثل هذه الطائفة الأخيرة روبرت ميليكيان (١) •

يقول ميليكيان : « لا يمكن أن تتأثر وظيفة الدين المسيحى أو يتأثر ايمانى بالمسيحية مثقال ذرة لو اكتشفنا أنه لم يكن هناك شخص اسمه المسيح فاذا كانت الأفكار والمثل العليا التى مثلها قد نبتت من تلقاء نفسها فى عقول الناس كانت النتيجة أكثر عجبا وأكثر الهاما مما هى الآن لأنهـا تبين كيف أن روح المسيح أكثر انتشارا فى جميع أرجاء الأرض مما ندرك » •

وهناك جماعة أخرى تسمى « اللاادرية » تقسم نفسها الى فريقين وان كانا يتداخلان فى أشياء كثيرة • يفكر الفريق الاول فى الكون ويصل به تفكيره الى أنه ليس هناك ما يمكن معرفته عنه على وجه الدقة • أما الفريق الآخر فيقبل الكون على علاته ولا يسأل نفسه كيف أو لماذا ؟ أنهم لا يقبلون الدين ، أو الالحاد ، أو أى طريق وسط ؛ فكل شىء سواء •

---

(١) ميليكيان ، روبرت اندروز (١٨٦٨ ـ ١٩٥٣) عالم امريكى من علماء الفيزياء والفلسفة الطبيعية حصل على جائزة نوبل سنة ١٩٢٣

وفى زحمة الحياة وغليانها نجد المواقف بين الدين والعلم تعمد الى الشد والجذب فمن قائل : « لا أستطيع أن أتصور وجود اله يكافىء ويعاقب من خلقهم بعد أن جعل أغراضهم من أغراضه • اله ليس الا انعكاسا لضعفهم • كما لا أستطيع أن أومن بأن الفرد يحيا بعد موت الجسد برغم أن هناك كثيرين من ذوى الأرواح الضعيفة يؤمنون بمثل هذه الأفكار نتيجة : اما للخوف، واما للأثرة الدينية. يكفينى أن أفكر وأتأمل فى لغز الحياة التى تدوم الى الابد ، وأن أفكر فى البناء المدهش لهذا الكون الذى نراه بغير وضوح ثم أحاول بكل تواضع أن أفهم جزءا صغيرا أو متناهيا فى الصغر من مظاهر الطبيعه » •

ومن بين كل هذه الاراء المتضاربة يظهر اتجاه دينى يلقى اللوم على العلم لأنه كان سبب حدوث كوارث الحروب ، ولأنه يسير فى طريق مستقل عن تعاليم الدين •

وفى رأى الكنائس المسيحية أن الحربين العالميتين تدلان على أن العلم لم ينجح فى مهمته • وهى تطالب بالعودة الى الدين كحل للمشكلات الاجتماعية •

اما العقلية العلمية فتتقدم برأيين : الاول ان الدين فى تاريخه الطويل لم يكن أداة للسلام ، الآخر أن الميادين التى سادها فساد التنظيم والخصام هى الميادين التى لم تطبق فيها الطريقة العلميه •

وبين هذه المواقف المتعارضة بين الدين والعلم يشعر الشخص العادى بعدم الامان • ألم يعمل العلم على اطالة عمره ؟ وفى نفس الوقت ألم يكن العلم هو الذى تسبب فى قيام حروب أكثر وحشية من الحروب السابقة ؟ ألا يهيىء له العلم وسائل الراحة فى حياته ؟ ولكن ألم يسبب الانتاج الواسع مشكلة البطالة ؟ ألا يعين الدين على انقاذ الروح ؟ ثم أليس الدين هو الذى يشهر بالعلم الذى يهيىء للانسان الامان المادى الذى يشتهيه ؟ الا يبشر الدين بالاخاء بين الناس ؟ ولكن أين قام الدين بمعارضة السياسة التى تدفع أمم العالم الى الحرب ؟ ألا يندد الدين بمن لا يؤمنون بالخالق ؟ ولكن ألا يسخر العلم ــ الذى أنتج القنبلة الذرية واستكشف الفضاء ــ من هذه الأفكار ؟

هذه آراء لبعض الفلسفات والمذاهب التى عالجت العلاقة بين الدين والعلم وهى تشير الى أن الدين والعلم قوتان كبيرتان لهما تأثير فعال فى حيـاة الانسان وسلوكه • وعلى الرغم من أن هناك تباينا وخلافا فى وجهات النظر بصدد العلاقة بينهما ، فنحن نرى أنه ليس من المحال التوفيق بين الدين والعلم ، بل أن التوفيق بينهما أمر واجب على كل انسان عاقل ، وذلك هو السبيل الوحيد لانتشاله من الارتباك والحيرة والجهل ، الى الايمان والاستقرار والعلم •

وفى هـذا العصر الذى نعيش فيه اليوم ، والذى يتسم بالتقـدم العلمى والاكتشافات الخارقة ، تظهر فى العالم موجة من الالحاد تلقى فى النفس الشك والقلق •

ونحن نقول : ان الايمان بالله اذا كان فى العصور الغابرة ايمانا غيبيا ، فان العلم فى هذا العصر عمقه وحققه ودعمه • ان هذا الايمان يقوم على أساس راسخ من العلم ، والمعرفة ، والعقيدة الحقة •

ان المرحلة الحاسمة التاريخية التى يمر بها مجتمعنا اليوم تقضى بأن ننظر الى الدين نظـرة أعمق بحيث تتمشى مع التطـور والتقـدم العلمى • ان الدين لا يتناقض قط مع العلم •

واذا بدا أن هناك خلافا حقيقيا بين الدين والعلم فهو غير صحيح ، وانما هذا خلاف شكلى يقع فى الحقيقة نتيجة ذلك الجدل السفسطائى بين رجال العلم ورجال الدين على أمور فرعية تتجدد مع تطور الظروف ، والأحوال ، والأزمان •

فاذا ما زود رجال الدين ، ورجال العلم أنفسهم بالمنطق السليم الذى يعتبره الطرفان معيارا للحقائق، استطاعوا أن يسعدوا البشرية بدين حق ، وعلم عميق .

الثقـــافة والسلوك :

تلعب الثقافة دورا كبيرا فى سلوك الانسان • فلدى كل جماعة انسانية بعض آراء أو أفكار معينة ، وكل الذين يتقبلون هذه الآراء هم « الداخلون فى هذه الجماعة » ، وينظرون الى من لا يؤمنون بها على أنهم متخلفون ، وفى ضوء هذه الملاحظة نجد أنه فى كل موقف من المواقف يوجد «داخلون» فى الجماعة و «خارجون» على الجماعة • ولا يمكن لأفراد الجماعة الأولى الذين يعتقدون فى سلامة آرائهم أن يتقبلوا أفراد الجماعة الأخيرة على أنهم نظراء أو مساوون لهم •

ولا يهم الأساس الذى تبنى عليه احدى الجماعتين نفسها • فكل الحروب الدينية الكبرى التى فتكت بأوروبا لعدة قرون لم يكن أساسها فكرة جنس أو عنصر • كان المسيحيون يحـاربون المسيحيين ، وكان أفراد الأسرة الواحــدة يحاربون بعضهم بعضا • كان لا يمكن لعضو من أعضاء البروتستانت«الداخلين» أن يسمح بمكان لعضو من أعضاء الكاثوليك « الخارجين » وبالمثل كان الكاثوليك يعتبرون أنفسهم أنهم الأعضاء « الداخلون » وينظرون الى البروتستانت على أنهم الأعضاء « الخارجون » الذين أغواهم الشيطان •

ومثل آخر بالنسبة لقضية التمييز العنصرى التى نعتبرها أكثر القضايا اهدارا لآدمية الانســان • ففى أمريكا أحضر السود اليهــا كعبيد ، ووضعهم البيض فى زمرة الخارجين • لقد كان البيض فى الجنوب يريدون من يلقون عليــه اللوم عندما تعترضهم المشكلات الكبرى ، فكان الاسود أو الخارج هو الهــدف الواضح •

وهكذا أصبحت المشكلة اليوم هى أن الاسود وضع فى زمرة « الخارجين » • ولو أمكن نشر هذه الفكرة فى الجنوب لأمكن حل مشــكلة « السود » • ولكن طالما شعر الجنوبيون البيض أن مشكلاتهم فى الجنوب أساسها أو منشؤها انحطاط مستوى السود فسوف تزداد حدة التوتر •

ولقد اوضح علمــــاء الأجناس للطبيعة أن أى فكرة عن نقـــاوة جنس من الأجنـاس هراء • ولعل أحسن شرح لهـذا الموقف هو الرســالة التى كتبتهــا روث بندكيت Ruth Benedict (١) بعنــوان « الأجنــاس البشرية » • لقــد صادف هذا العمل اهتماما كبيرا خاصــة حينما حظر تداوله بين أفراد القوات المسلحة فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وذلك لأنه يحارب نظرية « الفصل » ولأنه فضح الأساطير التى اصطنعت عن الأجناس •

لقد قام علماء الأجناس بتمزيق فكرة أن السود ينتمون الى جنس منحط • ان العبارة الآتية التى وردت فى كتاباتهم تحمل نفس الفكرة : « ليس هناك رجل أعقل أو أكثر حكمة من الرجل الاسود » •

ان عامل الفروق الفردية سبب تمردا لا نهاية له فى تاريخ العالم سواء كان هـذا التمرد خفيفا أو عنيفـا • والداخلون فى الجماعة يؤمنون بأن مثلهم العليا تتفق مع مثل الآخرين، ولذلك فهم لا يرضون ولا يتسامحون فى أن يعملوا مع أناس لهم مثل عليا مختلفة . أضف الى هذا الموقف الحقيقة التى تقول : ان أبرز حاجات الانسان النفسية هى استجابة الأفراد الآخرين العاطفية له • وعلى هذا الأساس يمكننا أن نصل الى القاعدة التى تقول أنه لكى تصل حضارة من الحضارات الى حالة استقرار يجب عليها :

- تحديد الأهداف التى يشترك فيها الجميع •

- السماح لكل فرد بمجال غير محـدود يعينه على أن يكيف شــخصيته وفق الخطة العامة •

---

(١) روث بنديكت Ruth Benedict (١٨٨٧) أصلا من علماء علم الأنثروبولوجيا ، وقد عنيت بدراسة الفولكلور لدى مختلف الشعوب الفطرية من الهنــود الحمر فى الولايات المتحدة الامريكية وبعض شعوب جزر الباسفيك الجنوبى •

بمعنى آخر يجب أن يكون هناك حد أقصى للتعاون مع حد أقصى للحرية الفردية ٠

ويعـالج رالف لنتـون Ralph Linton (١) المشـكلة من وجهـة نظر مختلفة عندما يحاول أن يجمع بين علم الأجناس البشرية، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع من أجل دراسة الانسان ٠ لقد وجد أن الجنس الانسانى قد وصل منذ مدة طويلة الى الاعتقاد بأن الجمـاعات المنظمـة ـ وليست الأفراد ـ هى الوحدات البارزة فى النضال من أجل البقاء ٠ ولكن على خلاف الحيوانات الاخرى نجد أن الانسان هو نهاية المطاف لعملية تطورية تتجه نحو زيادة الفردية ٠ لهذا لا نعجب من أن يقول رالف لنتون : « اننا مخلوقات تشبـه القرد ولـكننا نحاول أن نعيش كما يعيش النمل الأبيض دون أن يكون لنا صفاته المميزة » ٠

ان عدم وجود « غرائز » لدى الانسان تضفى أهمية على الثقافة ٠ ان الأخيرة هى التى تزود أعضاء أى مجتمع بالتوجيه الذى لاغنى عنه فى كل شئون الحياة، ويختم لنتون كلامه بقوله : « بالرغم من العدد اللانهائى من الاختلافات الطفيفة فى استجابات الأفراد المختلفين ـ أو فى نفس الفرد فى أوقات مختلفة ـ نجد أن معظم أعضاء أى مجتمع من المجتمعات يستجيبون لموقف معين بنفس الطريقة تقريبا » ٠

والواقع أن الفرد يستطيع أن يعتمد على الثقافة كموجه لسلوكه كما أن لها تاثيرا كبيرا على السلوك الاجتماعى ٠

---

(١) رالف لنتون Ralph Linton (١٨٩٣ ـ ١٩٥٣) احد الانثروبولوجيين الامريكيين ، اسهم فى تطوير علم الانثروبولوجيا واهم كتبه التى صدرت فى حياته :

The Study of Man, 1936.

The Cultural Background of Personality, 1945.

نشر كتابه « شجرة الثقافة » The Tree of Cultrre سنة ١٩٥٥ بعد موته ٠

ويؤيد لنتون هذا الرأى بقوله : « ان أنماط الثقافة بالنسبة للانسان هى كالملابس الجاهزة اذ تمثل البيئة الثقافية حاجيات الفرد التقريبية ، ولكنها لا تلائمه تماما الا اذا تناولتها تعديل ، مثلها تماما مثل السترة فهى فى حاجة الى تعديلات داخل حدود » • وبصفة عامة نجد أن الحدود الثقافية من السعة بحيث تضم جميع الأفراد أو معظمهم •

التعلم Learning :

لقد رأينا من قبل أن الثقافة تحدد سلوكنا فى نواح كثيرة ، فهى تحدد لنا الى درجة كبيرة أى الأشياء تستحق النضال فى سبيلها ، كما أنها تشكل بل تملى علينا سلوكنا وعاداتنا ، انها تحدد لنا موقفنا تجاه الآخرين : أيهم نحب ، وأيهم نكره ؟ فمثلا فى جماعات ثقافية معينة قد يعجب كل شخص بالبطل الرياضى حتى اذا لم يكن له أى شغف بالالعاب • ان التعلم هو الوسيلة التى عن طريقها يتشرب المرء هذه العناصر من ثقافته ويجعلها عناصره •

وبالطبع يختلف الأفراد اختلافا كبيرا فى قدرتهم على التعلم • فالبعض يتعلم كثيرا ، والبعض يتعلم قليلا كما يتعلم البعض بسرعة أو أكثر من الآخرين ، ويقنع البعض بقدر ضئيل جدا ، بينما يتنافس الآخرون فى ذلك • ان حقيقة الاختلافات الشخصية هذه يمكن أن توجد فيما سبق أن بحثناه بالنسبة للدوافع والادراك • فالبعض سريع الخاطر يدرك بسرعة ، بينما البعض الآخر بليد بطىء الفهم ، وقد يمر بهم الكثير من الامور الهامة دون أن يلحظوها • ويندفع البعض بشدة فى اتجاهات متعددة ، بينما يمشى آخرون على مهل بأقل قدر من القوة الدافعة فيعيشون حياة خاملة تقريبا •

والتعلم من أكثر موضوعات علم النفس التى أجريت بشأنها التجارب ، وقد استخدمت فى هذه التجارب الحيوانات على نطاق واسع ابتداء من الفئران الصغيرة البيض الى الشمبانزى •

فهناك تجارب بافلوف (١) عن « الشرطية » والتى أثبتت احدى طرق التعلم وعرفت باسم « التعلم الشرطى » ، وقد ساهمت مساهمة حيوية فى زيادة معلوماتنا عن عملية التعلم ، وكان لها تاثير كبير على النظرية التعليمية العامة وكذلك على طريقة بناء الشخصية ٠ والمبدأ الذى يقوم عليه الفعل المنعكس الشرطى هو فى الحقيقة مبدأ يسير جدا ٠ ان رد الفعل الطبيعى الذى ينشأ أساسا وأصلا من مثير طبيعى قد يرتبط بمثير صناعى حتى انه بعد فترة من الوقت يؤدى المثير الصناعى الى حدوث رد الفعل الطبيعى بنفس الطريقة التى قام بها المثير الأصلى أساسا ٠ وعملية ربط رد الفعل الطبيعى بمثير صناعى معروفة باسم « الشرطية » ، والموقف الأصلى الذى اكتشف فيه الفعل المنعكس حدث فى معمل بافلوف ، وكانت الشخصية الرئيسية هى كلب المعمل الذى كان ملاحظ المعمل يطعمه يوميا فى وقت محدد ٠ وقد حدث أن الجرس كان يدق قبل بضع دقائق من تقديم الطعام الى الكلب ، وبعد أن استمر ذلك الأمر فترة من الوقت ، وجد بافلوف أن فم الكلب بدأ يسيل منه اللعاب بمجرد أن يدق الجرس بينما لم يكن الطعام قد ظهر بعد ٠ ان ما حدث هو أن رد الفعل اللعابى ـ وهو رد الفعل الطبيعى لرائحة الطعام أو مشهده ـ ارتبط بالمثير الصناعى ، وهو دق الجرس ٠

وتتعلم الكائنات البشرية كثيرا بالشرطية ٠ فبتكرار اطلاقنا كلمة الوطن الأم على الدولة التى ننتمى اليها ننقل اليها الحب والاخلاص الذى نشعر به بالطبيعه نحو امهاتنا ٠

---

(١) بافلوف ، ايفان بتروفيتش Ivan Petrovitch Pavlow (١٨٤٩ ـ ١٩٣٦) فسيولوجى روسى ، نال جائزة نوبل فى الفسيولوجيا سنة ١٩٠٤ ، وقد اشتهر بتجاربه على الكلاب ، واستخدمت النتائج التى حصل عليها فى عمليات غسيل المخ كما سيجىء بالتفصيل فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ٠

وهناك التعلم بالمحاولة والخطأ Trial and error ، وقد قام العالم الامريكى ثورنديك(١) باجراء تجارب عديدة على أنواع مختلفة من الحيوانات : كالكلاب ، والقطط ، والاسماك ، والقردة ، وذلك لدراسة قدرتها على التعلم • فمن تجاربه المأثورة أنه قد وضع قطا جائعا فى قفص لا يمكن أن يفتح بابه الا بالضغط على لوحة خشبية ، أو جذب حبل ، ثم رفع مزلاج صغير • ثم أغرى القط بقطعة من السمك خارج القفص ، فلاحظ اضطرابه ، وهياجه وقيامه بحركات عشوائية فاشلة ، الى أن اتفق أن مست يده أو جزء من جسمه لوحة الخشب أو المزلاج وانفتح الباب •

واخذ ثورنديك يسجل الزمن ، ثم يعيد التجربة ، ويسجل الزمن الذى يمضيه القط فى تخبطه ، وهكذا •

وقد استنبط ثورنديك أن الحركات العشوائية التى يقوم بها الحيوان تزول بالتدريج وباطراد فى محاولاته المتكررة ، كما كان الزمن اللازم لخروجه يتناقص ، وقد سجل ذلك برسم بيانى أطلق عليه « منحنى التعلم » •

ولو كان الحيوان يعرف الحل عن طريق الفهم والتفكير لانتقل فجأة من حالة الجهل الى حالة العلم ، ولكنه يتعلم عن طريق التخطيط الحركى • ولقد سميت هذه الطريقة « التعلم بالمحاولة والخطأ » ، لأنها تتلخص فى محاولة عدة طرق يتضح أن أغلبها خاطىء •

واذا طبقنا ذلك على الانسان نرى أنه أفاد من محاولاته وملاحظاته السابقة ، اذ لا يكرر كثيرا من أخطائه السابقة ، بل غالبا ما يركز انتباهه على الأوضاع التى سببت هذه الاخطاء فيما قبل •

---

(١) ثورنديك ، ادوارد لى Edward Lee Thorndike (١٨٧٤ - ١٩٤٩) أحد علماء النفس والتربية الأمريكيين وكانت له شهرة بالاضافة الى هذا فى اللغة ، وله معجم فى مفردات اللغة الانجليزية •

وهناك عديد من الأسماء اللامعة مثل : واطسون، وسكينر ، وهل، أصحابها أكدوا تقريبا السمات الميكانيكية للتعلم وهى « المثير والاستجابة » ٠

ويرون أن التعلم هو الربط بين هذين الاثنين بوسائل مختلفة ، اذ أنه بمجرد تعلم شيء فانه يتكرر ويصبح عادة ببطء ٠

وعلى عكس هذا نجد وجهة النظر التى عرضها كوهلر ، وتولمان ، ولوين الذين يؤكدون حقيقة أن التعلم أساسا هو شكل من أشكال الفهم يبدأ فيه الموقف السلوكى كله فى العمل ٠ وبدلا من تفتيت عملية التعلم الى مثير واستجابة يركزون على الموقف الاجمالى الذى يحدث فيه المثير والاستجابة ٠ وتتحكم فى الطريقة التى ندرك بها المثير والطريقة التى نتفاعل بها نتيجة له عوامل ليست كلها فى المثير ٠ وباختصار يعتبرون أن التعلم هو اجمالى أو جماعى ، وليس جزئيا ولا فرديا ٠

اننا نتعلم أشياء كثيرة فى فترة حياتنا ٠ قد يتعلم الفلاح استخدام محراثه ، كما يتعلم آخر قيادة السيارات ٠ ويتعلم الشخص اتجاهات معينة قد تغريه بعدئذ على أن يصبح محافظا أو متحررا ٠ كما يتعلم حقائق حياته الخاصة وحقائق مجتمعه ، وكنتيجة لذلك قد يتحول ويصبح زعيما ، أو قائدا ، أو تابعا ، أو مختل الأعصاب ، أو شاعرا ، أو جراحا ٠

على أننا نود أن نشير هنا أن هناك كثيرا من الطرق الأخرى للتعلم ، مثل التعلم عن طريق الملاحظة أو عن طريق الاستبصار Insight حيث تعتمد هذه الطريقة أساسا فى حل المشكلة على ادراك أجزائها من علاقات كانت خافية فى اول الأمر ــ وغيرها من الطرق التى أثبتت صحتها ٠

ولن نستطرد فى شرح الطرق المختلفة للتعلم حتى لا نخرج بالقارىء عن الموضوع ، ويكفى ما ذكرناه لنؤكد أننا كبشر لا نستطيع أن نعيش فى مجتمع

ما لم نلاحظ بعنـاية كيف يتصرف الآخرون ؟ ولماذا يتصرفون بشـكل معين ؟ وعلى أساس تلك الملاحظات ومثلها نستطيع أن نستخرج مرشدا عمليا للعمل يوضح سلوكنا العام ٠

ان كل أشكال التعلم موجودة فى حياتنا الاجتماعية ، وما لم نحاول أن نصل الى جذورها ونتفهمها فانه سيواجهنا من المشكلات ما قد يسبب الكثير من تناقضات المجتمع ٠

* * *

ومن ثم فان هناك العديد من العوامل التى تؤثر على سلوك الفرد كعضو فى المجتمع ، وكما سبق أن قلنا : اننا سوف لا نعالج كل هذه العوامل ، فهناك غير ما ذكر عامل الشخصية ، والرأى العام ، والعوامل البيئية المختلفـة التى تلعب دورا كبيرا فى سلوك الانسان ٠٠ الخ ٠

ان الهدف الأساسى من هذا الفصل كما رأينـا هو أن يفهم القـارىء لماذا يختلف الناس فى سلوكهم ؟ وما هى العوامل التى تتحكم فى هذا السلوك ؟ وتلك التى تتأثر بها الجماعات طبقا لتكويناتها المختلفة ٠

وبالانتهاء من هذا الفصل نستطيع أن ننتقل الى لب الموضوع كما سيجىء فى الفصل التالى ٠

الفصل الثانى

الجذور التاريخية

بالرغم من أنه قد يكون طبيعيا عند التعرض « للحرب النفسية » كصورة اخاذة لها أهميتهـا اليوم ــ أن يستهل الحديث بتعريف هـذه الحرب وتحـديد المصطلحات التى تستخدم فى معـالجة موضوعهـا ــ وذلك حتى يمكن أن يتهيـأ للقراء فكرة أساسية عن ذلك الموضوع قبل التعمق فى دراساته ــ فنحن نرى من الاوفق أن نبدأ بتقديم امثلة من التاريخ تكشف عن ماهية الحرب النفسية ، وتصور طابعها ، والوسائل المختلفة التى استخدمت فيها على مر العصور ، على أن نردف بالحديث عن وظيفة هذه الحرب ، وبذلك يتم الشكل العام الذى يكون من الميسور معه الانتقال من التعميم الى التخصيص •

الحرب النفسية والدعاية كلتاهما قديمة قدم الجنس البشرى نفسه ، لكنهما أخذتا فى العصر الحـديث طـابع التخصص ممـا جعلهمـا تبرزان فى الأضـواء كموضوعين منفصلين •

وعلى الرغم من أن الساسة ورجال الدين عرفوا بالتلقين منـذ القدم سر الاقوال والافعال التى تحرك الانسان ، فان التطور العلمى استطاع اليوم أن يكيف المخلوق البشرى لدرجة يتمكن بها ان يحل بعض القوى الخارجية المنظمة لمعرفته محل طبيعته • والواقع أن هذا التطور لم يفعل الى الآن أكثر من تنمية الوسائل القديمة يساعده فى ذلك ما لديه من امكانيات ، ومع ذلك فقد خلقت هذه عديدا من المشكلات الاجتماعية ، والسياسية ذات أهمية كبرى •

ان التاريخ ملىء بالحوادث التى يمكن أن تروى أو تنقل لايضاح تطبيقات الحرب النفسية ، ومن اولى صور هذه الحرب تلك القصة الطريفة التى تحكى عن تحوتمس الثالث عندما هم بفتح مدينة يافا فى فلسطين واستعصى عليه امر فتحها فلجأ الى الحيلة ، والخديعة ، والمفاجاة ، فيقال أنه عندما هاجم بجيشه هذه المدينة ووجدها صعبة المنال اخذ يمكر بحاكم المدينة حتى ادخل فى روعه أنه ساخط على أعمال فرعون عازم على الغدر به والانضمام الى عدوه ، وظل يراسله من خارج الاسوار محتالا حتى جازت عليه الحيلة وخرج الحاكم لمقابلة القائد ٠ ولما اطمأن كل منهما الى صاحبه اخذ القائد المصرى يقص على حاكم يافا من اخبار قوة فرعون مما أثار دهشته وأرهب قلبه ، ولكن القائد فى آخر الامر ذكر لحاكم يافا أنه عليم بسر قوة فرعون، بل أنه يملك هذا السر وهو عصا سحرية يمتلكها فرعون يضرب بها الارض فيعطيه الله ما يشاء ٠ وطلب حاكم يافا من القائد أن يريه هذه العصا فاشترط الاخير أن يكونا على انفراد ، فلما اختلى بالحاكم عاجله بضربة قوية فصرعه ، ثم عهد الى مائتين من رجال الجيش المصرى فأخفاهم فى غرائر ثم أمر بهم فحملوا الى المدينة يتقدمهم سائس خيل الحاكم يحمل رسالة وهمية من الحاكم الى زوجته ، وكانت الغرائر محروسة بطائفة أخرى من الجنود المصريين الذين اوصاهم القائد باطلاق من فيها من الجنود اذا دخلوا المدينة ٠ ولم تكد أبواب المدينة تفتح فى وجوههم حتى نفذ أمر القائد وانطلق الجنود المصريون يحتلون مرافق المدينة بينما هاجمها الجيش من الخارج ، وبتلك الحيلة البارعة تم الاستيلاء على يافا ، فقد مهدت الحرب النفسية التى شنها القائد المصرى على حاكم المدينة لهذا النصر الحاسم فى تاريخ مصر القديم ٠

وهناك مثال آخر حدث فى معركة قادش أيام رمسيس الثانى وقد كان الحيثيون قد تزعموا الحلف المعادى لمصر وأخذوا يثيرون الفتن فىسوريا وفلسطين ، فاضطر رمسيس الثانى سنة ١٨٩٤ ق٠م الى الخروج على رأس جيش كبير قسمه الى أربعة فيالق يعتمد كل منها على نفسه ، ثم تحركت هذه الفيالق حتى دخل اثنان منها الى مشارف مدينة قادش التى اتخذها العدو مركزا للفتن والمؤامرات ٠

وهنا لجأ العدو الى تدبير حيلة بارعة ، فقد ظهر فجأة فى أحد المعسكرات المصرية بدويان من أهل المنطقة ادعيا أنهمـا تشردا من جيش العدو ، وأن ملك الحيثيين قد تقهقر بجيشه شمالا الى مدينة حلب خوفا من الجيش المصرى ، وظل المصريون فى شك من هذه العملية حتى أنهم قاموا بضرب البدويين ضربا مبرحا ليعترفا بالحقيقة ، ولكنهما أصرا على أقوالهما وهنا تقدم الفيلقان المصريان دون حذر لتصديقهما أخبار انسحاب الحيثيين • وفجأة انقض عليهم جنود العدو الذين كانوا مختبئين وراء مشارف قادش وأحاطوا بهم من كل مكان وكادت تتم هزيمة المصريين ، لولا وصول رمسيس الثانى ومعه بعض حرسه الخاص وبعض الجنود الفلسطينيين فقام بشغل مؤخرة جيش العدو حتى وصلت باقى القوات المصرية وأمكنهم فى النهاية من دخول قادش بصعوبة •

ومن الطرائف التى تروى فى هذا الموضوع وهو ما يتصل بالخداع والمفاجأة فى نطاق الحرب النفسية ما يحدثنا به « القائد امنحتب » وهو أحد قواد تحوتمس الثالث فى مقبرته عن حادث طريف وقع فى شمـالى سـوريا ، فمنـذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، أرسل قائد قوات العدو فى أثناء حصار المصريين لاحدى مدنه انثى فرس عمدا ، وتسللت الى المواقع ليلا قاصدا بذلك ايقاع الاضطراب بين الخيل الذكور[1] التى تجر العجلات الحربيـة فيربك صفوف القوات المصرية • ولكن امنحتب فطن لتلك الحيلة • وهجم على تلك الفرس وبقر بطنها بمجرد ظهورها فأحبط بذلك حيلة العدو •

كما نجد فى معركة مدين عام ١٢٤٥ ق٠م صورة طريفة أخرى من صور الحرب النفسية القديمة حينما استخدم جدعون الاسرائيلى المصابيح والقاذفات فى تلك المعركة . وقد جاءت القصة فى الاصحاح السابع من سفر « القضاة » وتروى أن جدعون كان فى موقف تكتيكى سيىء ، اذ كان أهل مدين أكثر منه عددا وكانوا على وشك القضاء على قواته ، ولم تكن أساليب القتال العادية بقادرة على أن تحل المشكلة ، ومن ثم فان جدعون ـ مستندا الى الهام أعظم مما يمكن أن يكون لدى

(١) كانت جميع الخيول التى تجر العجلات الحربية ذكورا •

قادة عصره ـ تخير ثلاثمائة رجل لتنفيذ عملية يمكن بها أن يثير الاضطراب في صفوف العدو • كان يعرف جيدا أن من تكتيكات عصره أن يكون لكل مائة جندى حامل مشعل يضيء لهم الطريق بمشعله ، وبتزويده كلا من هؤلاء الرجال الثلاثمائة بمشعل وبوق أوجد ما يوهم العدو بوجود ثلاثين ألف رجل ، ولما كانت هذه المشاعل لا يمكن أن تضاء أو تطفأ آليا على مثال المصابيح الكهربية الحديثة فقد أخفى هؤلاء الجنود أنفسهم ، ولكى يحققوا تأثير المفاجأة وضعوا المصابيح مختفية داخل حواملها •

وصف جدعون جنوده خفية حول معسكر العدو ليلا ، ثم أطلق اشارة واحدة فأخرج الرجال كلهم المصابيح فى وقت واحد ، وبرزت الانوار مبعثرة حول المعسكر ، وراح الجنود ينفخون فى الأبواق بقوة كمن فقدوا عقولهم • وهب أهل مدين من نومهم مفزوعين ، وعم الاضطراب صفوفهم وقاتلوا بعضهم بعضا داخل معسكرهم ، وأسرعوا بالفرار وفى أعقابهم الاسرائيليون يطاردونهم[1] •

* * *

على أن هذا اللون من الحرب النفسية باستخدام وسائل غير مألوفة وغير عادية لاثارة الفزع متواترة فى تاريخ كل البلاد القديمة ، ففى الصين القديمة حاول مرة الامبراطور ـ المغتصب للعرش ـ وانج مانج أن يدمر قبائل « الهون » بجيش يشتمل على قسم من « السحرة والعرافين العسكريين » بالرغم من أن امبراطور الهون العسكرى وجد أن الوسائل الصحيحة المستقيمة هى خير ما يمكن الاعتماد عليه • على أن وانج مانج كان تواقا الى التجديد ولا يبرأ من هذا الشغف المزمن الا باستحداث الوسائل غير العادية واستخدامها ، ففى سنة ٢٣ ميلادية فى أثناء محاولة كبح جماح حركة ناجحة لثوار خارجين على حكمه ، جمع كل الحيوانات الموجودة فى حدائق الحيوان الامبراطورية ، وبعث بهذه الحيوانات بما فيها النمور ، والفيلة ، والخراتيت وحيدة القرن لاثارة الرعب فى صفوف العدو ، ولكن

---

(١) سفر القضاة ـ اصحاح ٧ السطران ٢٢ ـ ٢٣

الثوار كانوا سباقين بالمبادأة فى الهجوم ، فقتلوا القائد الامبراطورى وانج صن وفى خضم الاضطراب انطلقت الحيوانات الضارية من عقالها داخل جيش الامبراطور نفسه وافزعت الجنود . وحدثت بالصدفة فى نفس الوقت عاصفة عاتية زادت الموقف المضطرب من سيىء الى أسوأ . وكانت نتيجة ذلك ان هزمت جنود الامبراطور ، وفقد الامبراطور السيطرة على أعصابه مما اثر على نفسيته تأثيرا بالغا ، فاعتلت صحته وأسرف فى احتساء الخمر ولم يكن يتناول طعاما غير المحار ، وترك كل شيء تسيره الظروف ، ولما كان لا يستطيع ان يتمدد على فراشه أصبح يرقد جالسا على أريكة . وقد قتل وانج مانج فى نفس السنة وبقيت الصين بلا منهج سياسى حتى عصر وانج - آن - شيه « ١٠٢١ - ١٠٨٦ ميلادية » أى بعد قرابة ألف عام من مقتل وانج مانج ولا شك فى أن حربا نفسية لو أحسن توجيهها لكان من الممكن أن تغير سير التاريخ .

وكان السب والشتائم احدى الوسائل النفسية التى استخدمها الاقدمون فى منازعاتهم ففى عام ٨٠٠ قبل الميلاد وصف الشاعر اليونانى هوميروس القتال الذى دار بين اليونانيين والطرواديين ، وفى احدى قصائده الزاخرة بالبطولة وصف الشاعر موقف العدو الذى اتخذ لنفسه مأوى فى مكان بعيد أمين ، قال :

احم ، ايها المختال المفترى ، الشعر
الجميل وقوادى النساء ! هل تريد
ان تتسلح مرة لتجرب حظك فى القتال
ان اقواسك وجميع سهامك لن تنفعك؛
فانطلاق السهم بيد الرجل الجبان
العاجز لن يكون شديدا ..

وفى هذه القصيدة التى يذم فيها هوميروس الطرف الآخر صورة لما كان يقوم به المحاربون الأولون ، كان المحاربون الأولون فى كلا الجيشين اللذين يقفان وجها لوجه يستعينون بتبادل الشتائم حتى يؤثر كل طرف فى الروح

المعنوية لدى الطرف الآخر • ونلاحظ اليوم أن نفس هذا الأسلوب ما زال متبعا بين تلاميذ المدارس ، فهم فى مشاغباتهم مع بعضهم البعض يلجأون الى القتال النفسى •

ونوع آخر من الدعاية العسكرية فى تاريخ قديم جاء فى التشهير السياسى الذى يصدر فى مطلع الحرب وذلك بقصد تبرير قانونية موقف احد الجانبين أو ابرازها ، ففى الرواية الصينية الشهيرة « سان كيو San Kuo » النص المزعوم بالاعلان عن وجود جماعة موالية تناصر الثوار من « الهون » عند ابتداء العمليات العسكرية قرابة سنة ٢٠٠ ق•م ، وللنص طرافته ذلك لانه يجمع بين مختلف الاعمال والمهارات الفنية ، ولكنها منطقية معقولة وهى :

- تسمية العدو المعين •
- التوسل الى « الناس ذوى الفضل » •
- العطف على عامة الناس •
- تعضيد الحكومة الشرعية •
- تأكيد قوة الفرد وروحه المعنوية العالية •
- التضرع للعمل على قيام الوحدة •
- التوسل بالدين •

وقد ارتبط اصدار الاعلان بقيام هذه الجماعة باحتفال رسمى كبير :

« يواجه بيت هان أياما مليئة بالشرور ، لقد انحلت روابط السلطة الامبراطورية ولقد انتفع الوزير الثائر « تونج شاو » من الخلاف والنزاع ليرتكب الشرور • وقد حلت النكبات على الاسر الشريفة ، وعمت القسوة وشملت كل الجماعات العادية الفقيرة • نحن « شاو » زملاءه فى غمرة خوفنا على سلامة الامتيازات الامبراطورية قد جمعنا القوات العسكرية لانقاذ الدولة ، اننا نتعهد معا على أن نبذل غاية ما فى قوتنا ، ومن الضرورى ألا يكون هناك محل لأى بلبلة

ولا لأى عمل يقوم على الاثرة وحب النفس • ان من يولى ظهره لهذا الرجـاء سيفقد حياته ، ولن يخلف وراءه نسلا له : وليشهد الله فى السماء • ولتشهد أمنا الأرض، ولتشهد الارواح الواعية لاسلافنا القدامى على كل ما قلناه • اللهم قـد بلغنا » •

* * *

ولا شك أن التاريخ الاسلامى ملء بعشرات الامثلة الحية والقوية التى تدل على أن العرب والمسلمين لم يفتهم من فنون الحرب الحديثـة والاستراتيجيـة كثير مما نعرفه فى هذه الايام ، ولعل أروع هذه الامثلة هو ما حدث بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بساعة واحدة وانتشار النبأ • واستغل الكفرة هذا الخبر على الفور وأخذوا يشنون الحرب النفسية ضد المسلمين ، زاعمين أن الاسلام انتهى ولن تقوم له قائمة • وأخذوا يروجون الشائعات الخبيثة لنشرها بين المسلمين وقالو : « لو كان محمد نبيا لظل بينكم ولم يمت ! » وقد بلغ من شدة هذه الحرب الباردة أن عمر بن الخطاب ـ وهو من أكبر زعماء المسلمين ، وأمير المؤمنين ، وثانى الخلفاء الراشدين ـ خرج من بيته مذعورا حاملا سيفه فى يده مهددا الكفار الذين يرجفون بموت محمد قائلا : انه سيضرب عنق من يروج هذا النبأ ، وظل الأمر فوضى والناس فى اضطراب ، وكاد بعضهم أن تتزعزع عقيدته • وفرح الكفار بهذه الفتنة الكبرى ، لولا أن خرج أبو بكر الصديق وحسم الموقف بخطبته المشهورة التى قال فيها بعد أن حمد الله وصلى على نبيه :

« أيها الناس : من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ، وكأنى بكم لم تستمعوا الى قول الله ـ سـبحانه وتعالى ـ « وما محمد الا رسول قد خلت من قبـله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيـه فلن يضر الله شيئـا ، وسيجزى الله الشاكرين » (١) •

---

(١) آل عمران آية ١٤٤

وهناك مثل آخر يدل على ما للتعبئة الروحية التى تنتج عن التوجيه المعنوى من أثر بالغ فى احداث التاريخ المتلاطمة •

وهذا المثل البارز فى التاريخ الاسلامى تلك القصة الخالدة لأحد قواد المسلمين الذى انقذ بها سمعة وطن وكرامة جيش ومصير أمة ذلك هو القائد « طارق بن زياد » الذى وقف على مشارف الجبل ابان فتح الاندلس ، ووجد أن جيش العدو يربى على مائة ألف فى حالة دفاع ، وجيشه اثنا عشر الفا فى حالة هجوم ، فما كان منه بعد أن عرف عظم المسئولية الا أن قام بحرق جميع سفن الاسطول التى اقلته من شمالى أفريقيا الى الأندلس وأشرك الجند فى حرقها وقام فيهم خطيبا فقال :

« ايها الجنود : العدو أمامكم والبحر وراءكم ،
وليس لكم والله الا الموت أو النصر ، ولا يعينكم
على هذا الا ما تستخلصون من أيدى عدوكم » •

فثبت الجنود وقاتلوا حتى انتصروا ، وكانت هذه الحرب النفسية حربا ايجابية أدت الى النصر كمثال على قوة الارادة وما يمكن للتاثير المعنوى أن يؤديه فى كسب معركة حاسمة •

وأظن أنه لا يغيب عن بالنا هذا المثال الثالث الذى يدل أيضا على الحنكة السياسية ، والخداع ، والمفاجأة ، ووضع العدو تحت ضغط معنوى مدمر حيث تتحول المعركة فى غير صالحه • ونقصد بذلك معركة صفين التى قامت بين على بن أبى طالب ، ومعاوية ، والتى تحمس فيها معاوية لهزيمة على والتنكيل به انتقاما لعزله أقارب عثمان من وظائفهم التى عينهم فيها • فلما التقى الجيشان أشار عمرو ابن العاص الداهية السياسى المحنك على معاوية ـ وقد قاربت المعركة أن تتحول فى غير صالح معاوية ـ اشار عليه أن يضع المسلمون المصاحف فوق أسنة السيوف ، ويهللون ويكبرون طالبين التحكيم ، وحل الخلاف بالطرق السلمية ، وبذلك ينجو معاوية من هزيمة محققة نتيجة هذه الخدعة • ثم تمضى الحرب النفسية وتصل الى أقصاها

حينما يقبل على بن أبى طالب التحكيم فيختار وكيلا عنه أبا موسى الاشعرى ، ويختار معاوية ذلك الداهية عمرو بن العاص • واتفق الطرفان على أن يكون حكمهما نهائيا ، ويجتمع المسلمون فى جمع كبير لسماع الحكم الذى اتفق عليه بين عمرو ، وأبى موسى على ان يخلع كل منهما صاحبه ويتفق المسلمون على خليفة آخر غيرهما • فيقوم أبو موسى ويعلن خلع صاحبه « على » كما يخلع خاتمه من أصبعه فيهلل المسلمون، ثم يقوم عمرو ويعلن موافقته على خلع على ثم يلقى قنبلته المدوية التى تفتقت عنها حيلته وخداعه وهى تثبيت معاوية فى مركزه خليفة للمسلمين كما يثبت سيفه فى غمده •

وكانت النتيجة المباشرة لهذه الحرب النفسية البـاردة المريرة هى حربا ساخنة استمرت بينهما زمنا وذهب ضحيتها عدد كبير من أبرياء المسلمين •

* * *

ولقد كانت احدى مظاهر الحرب النفسية فى الماضى ذات تاثير كبير حتى أن نتائجها لا تزال باقية حتى اليوم ، والفكرة العامة أن أعظم غزاة العالم تيموجين جنكيز خان قد حقق غزواته بالجحافل التى لا حصر لها فى خيالة التتر المتوحشين، الذين اندفعوا اندفاع السيل واستطاعوا أن يغزو مناطق فسـيحة من الأرض بعددهم الوافر • وقد كشفت الدراسات الحديثة عن أن امبراطورية الخان قامت على مستحدثات عسكرية مليئة بالجرأة :

١ ــ استخدام قوات خفيفة الحركة بدرجة كبيرة •

٢ ــ الانتفاع الكامل باعمال المخابرات وجمع المعلومات •

٣ ــ تنسيق استراتيجية تغطى نصف العالم •

٤ ــ تطبيق أساليب الدعاية بكل صورها المختلفة •

كان المغول فى وقت واحد يقاتلون أسرة سـونج فى الصـين ، ويحاربون الامبراطورية الرومانية المقدسة فى بروسيا بفـاصل آلاف الاميـال بين مسرحى

الحرب دون أن تعرف أسرة ســونج بوجود الامبراطورية الرومانية ، ودون أن تعرف الامبراطورية الرومانية بوجود الأسرة الصينية الحاكمة بأكثر مما يمكن أن تكون دراية مستندة الى مجرد شائعات •

لقد استخدم المغول الجاسوسية للحصول على المعلومات اللازمة لشن حملاتهم، كما لجئوا الى الشائعات وغيرها من وسائل المبالغة لتجسيم عدد قواتهم وعنف جنودهم ، ولم يكن يهمهم ماذا يمكن أن يظن أعداؤهم ما داموا ينتفضون من الخوف والرعب ، وقد وصف الأوروبيون خيالة المغول الضاربة وان كانت أقل عددا من الحقيقة على أنها جحافل لا حصر لها ، ذلك لان عملاء المغول كانوا يهمسون بمثل هذه القصة في الطرقات • والى اليوم لا يقدر أغلب الاوروبيين سرعة هذه القوات ولا مهارة القيادة ، الامرين اللذين توافرا للمغول عندما وجهوا لهم الضربات منذ سبعة قرون •

ولقد استخدم جنكيز خان جواسيس العدو كوسيلة لارهاب جنود العدو انفسهم ، وعندما كان يستميل جواسيس العدو الى جانبه يروح يلقنهم الشائعات التى ينشرونها بين قواتهم • ولنرقب ماذا يقول أول أوروبى أرخ لجنكيز خان واصفا فى كلماته غير المألوفة الآن كيف أن جنكيز خان أطلق « خلية النحل » على ملك خوارزم أى جعله يعيش فى دوامة من الاضطراب • يقول المؤرخ : « ولقد جعل الجواسيس الذين بعث بهم ملك خوارزم لرؤية قوة جيشه وتعداده .. يقول فى وصف الامر بهذه الصورة : انهم ــ كما قال الجواسيس للسلطان ــ كاملو الرجولة شجعان لهم مظهر المصارعين لا يستنشقون شيئا الا رائحــة الحرب والدماء ، ويبدون تشوقا الى القتال حتى أنه من النادر أن يستطيع القادة السيطرة عليهم وتهدئتهم • ومع هذه الوحشية التى يبدون فيها فانهم يجيدون الضبط والنظام ، ويطيعون قائدهم طاعة عمياء ، ويدينون بالولاء لاميرهم الى آخر حــدود الولاء ، ويقنعون بما يصل اليهم من طعام • وليس من المدهش ان يختاروا الوحوش ليأكلوها ، ومع انهم مسلمون فلم يكن من الصعب أن يستعيضوا لونا من الغذاء عن لون آخر ، فهم لا يأكلون لحم الخنزير فحسب، بل أيضا ياكلون الذئاب والدببة

والكلاب عندما لا يكون هناك أى نوع آخر من اللحوم ، لا يفرقون بين ما يجوز شرعا أن يأكلوه وبين ما لا يجوز • وتضطرهم الحاجة الى الطعام لقوام الاود الى تناول كل ما يحرم على المسلمين تناوله من لحوم بعض الحيوانات • ثم يختتم الجواسيس كلماتهم بقولهم ـ أما عن عدد قوات جنكيز خان فان القوات تبدو كالجنادب « أبو النطيط » من المستحيل حصرها أو احصاؤها •

والواقع أن الامير قد أجرى عرضا لجنوده لاحصائهم فوجدهم سبعمائة ألف جندى • ولا يزال جواسيس العدو اليوم ـ كما كانوا بالامس ـ لهم نفعهم فى اضعاف معنويات العدو ، ولقد قام ملك « خوارزم » وشعبه بقتال رهيب برغم توقعهم أنهم يواجهون مقاتلين يأكلون الذئاب ولا حصر لعددهم ، ولكنهم كانوا قد تركوا قوة المباداة بين يدى جنكيز خان ومن ثم كان مآلهم الهزيمة •

* * *

والحق أن تاريخ مغامرات القرصان فى العالم الجديد اقترن دائما بالبحر الكاريبى ، اذ كانت القرصنة بالاضافة الى حب المغامرة وكراهية الاسبان مصدر ربح ، وكان هذا الكسب هو الدافع الاساسى الذى جعل بعض الافراد الشديدى البأس القساة من رعايا انجلترا ، والاراضى المنخفضه ، وايطاليا ، وفرنسا يقبلون على القرصنة فى البحر الكاريبى •

وكان القراصنة الاولون مجرد أفراد استوطنوا « هيبانيولا » أسبانيا الجديدة وهى الجزيرة التى نعرفها اليوم باسم هاييتى وسان دومينجو ، وكانت بداية المتاعب يوم أن طردهم الاسبان من ديارهم فتولدت فى قلوبهم كراهية الاسبان وتحولت الى حقد شديد واستحال المستهترون الى مجرمين •

واستخدم القراصنة تكنيك الحرب النفسية البحرية فسدوا الطريق على السفن الاسبانية ، ونهبوها ، وأسروا بحارتها ، وهجموا على الموانى والبلاد الساحلية الاسبانية وحرقوها ، وأنزلوا الرعب فى كل مكان نتيجة استخدامهم عامل المفاجأة •

وكان القراصنة يقومون بهذه الحرب البحرية غير الرسمية لحسابهم الخاص، ولكن عندما اشتركت بريطانيا فى حرب معلنة ضد اسبانيا منحت القراصنة الانجليز تكليفا رسميا يبيح لهم تعقب سفن العدو .

وكان القراصنة يعملون وهم يعلمون أنه لو تصالحت بريطانيا واسبانيا فانهم يستطيعون الحصول على تصريح رسمى من البرتغال يبيح لهم العبث بالسفن والموانى الاسبانية فى البحر الكاريبى .

على أن القراصنة الفرنسيين لم يتوقفوا عن الاغارة على السفن والموانى الاسبانية فى البحر الكاريبى الا سنة ١٥٥٩ بعد معاهدة كاتو كامبرسيس(١) .

وثمة صورة اخرى من أساليب الحرب النفسية تظهر بوضوح فى استخدام كورتيز Cortez الاسبانى - الذى غزا المكسيك سنة ١٥١٩ - الخيل لنشر الارهاب النفسى فى صفوف الأزتيك Aztecs مع استغلاله التقاليد والأساطير المكسيكية للوصول دون أى مقاومة الى مدينة نيو مكسيكو « تينو سيتتلان Tenochititlan » ففى ١٠ أو ١٨ من فبراير سنة ١٥١٩ أبحر هيرمان كورتيز من كوبا فى احدى عشرة سفينة لغزو المكسيك ، وقد وصل اليها ايام حكم منتزوما الثانى « ١٤٦٦ - ١٥٢٠ » ، وكان ملكا محاربا ومشرعا ولكن تعاظمه وعجرفته واستبداده جعل القبائل الخاضعة لحكمه تسكن فى وادى المكسيك الأوسط .

ومع أن الأزتيك الذين كانوا يسودون كل القبائل الهندية الأخرى كانت لهم حضارة قديمة وكانت لهم حكومة منظمة ، فقد أفزعهم هؤلاء القادمون الجدد الذين يركبون الخيل ، ولم يكن الازتيك بناة الأهرام فى العالم الجديد يعرفون الخيول على خلاف هنود الشمال فى غربى الولايات المتحدة وفى كندا .

---

(١) تاريخ العالم للسير ج . ا . هامرتون ٦ : ٢٩٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ الترجمة العربية .

ولكن الواقع أن العامل النفسي الأكبر تأثيرا انحصر في أن الملك منتزوما ـ ذكره هامرتون باسم موتكيزوما ـ كان قد تدرب ليكون قسيسا في عقيدة الازتيك الذين كانوا يعبدون عددا من الآلهة .

وكان تقويمهم يجمع بين تقويم المايا ـ الحضارة التي سبقتهم ـ وتقويمهم أي بين التقويم الذي يجعل السنة ٣٦٠ يوما ، والتقويم الذي يجعل السنة ٣٦٥ يوما مقسمة الى ١٨ شهرا كل منها عشرون يوما مع خمسة أيام نحوس ، ويلتقي هذان التقويمان كل ٧٢ عاما .

وقد جاء الاسبان في هذه الأيام النحوس عند التقاء التقويمين .

والأمر الآخر أن الحرب عند الازتيك نوع من العبادة ولها طقوسها الدينية ، وتقضي أصول الدين بعدم افناء العدو بل على أسره حيا حتى يقدم للآلهة قربانا .

ولهذا تردد الملك في قتال الاسبان ولم يلجأ الى العنف في أثناء سيرهم الشاق حتى يصلوا الى الهضبة ، فوجدوا عونا لهم في القبائل التي تعارض سيادة الازتيك .

وكان استغلال هذه التقاليد هو الذي أنقذ الأسبان ومكن كورتيز من الوصول الى عاصمة الازتيك حيث مات مونتزوما في أسر الأسبان[١] .

* * *

---

(١) تاريخ العالم ٦ : ١٠٠ ، ١٠١

دائرة المعارف البريطانية ٢ : ٨٣٣ ـ ٨٣٤

دائرة معارف امريكانا ـ مجلد ١ ص ٧٤٦

بريسكوت « غزو المكسيك » Priscott, Conquerd of Mexico

على أن تاريخ شركة الهند الشرقية(١) الذى استمر حتى أول نوفمبر سنة ١٨٥٨ حينما انتقلت السيادة على الهند الى التاج البريطانى ، يعتبر سلسلة من الحروب ضد البرتغال ، وضد الفرنسيين ، ومناصرة لبعض الأمراء والهنود ضد البعض الآخر سعيا وراء مصالح الشركة ، وبسطا لنفوذها حول بومباى على الساحل الغربى ، وفى أرض البنغال على الساحل الشرقى ، ثم حول مدراس فضلا عن الحروب فى ميسور وضد المهراتا الى أن تم غزو السند وحتى تم تنظيم الحدود فى الشمال والشمال الغربى مع التبت ومع الافغان ٠٠ هذا التاريخ كله يحمل فى طياته عاملا هاما هو الوسائل الدعائية التى استخدمتها شركة الهند الشرقية فى غزو الهند ضد أفضلية عددية كبيرة من الهنود حتى عصر كلايف ٠

يقول أدموند تيلور (٢) :

فى الأيام الأولى لشركة الهند الشرقية أرغم الانجليز على أن يستخدموا بدرجة كبيرة ما يعتبر اليوم « الحرب النفسية السوداء » وذلك باستخدامهم « الطابور الخامس » وباستخدام أساليب فجة من الدعاية السرية مما مهد الطريق لجنود الشركة وللكويزلنجيين الوطنيين الذين عينوا حكاما ليخففوا العبء عن اداريى الشركة فى الأماكن المحتلة ٠

(١) فى سنة ١٦٠٠ م اعطت الملكة الياصابات لجون ميلدنهال Mildenhall احد تجار لندن تصريحا ليتاجر باسم اتحاد تجار لندن فى الهند تحت اسم « شركة الهند الشرقية » وكان ميلدنهال يصف نفسه دائما بانه « سفير الملكة » وقد حصل بتاثير هذا اللقب المزعوم عام ١٦١٣ م من الأمير سليم « جهانجير » بوصفه امبراطور الهند على تصريح بانشاء محطات تجارية على الساحل الغربى للهند عند سورات Surat ، وقد وطد ميلدنهال اقدامه هناك حتى انه عندما ارسل البرتغاليون السفن لمنع اقامة هذه المحطة الانجليزية لم ينجحوا فى غرضهم بسبب سوء القيادة وارغموا على الانسحاب ٠ وفى عام ١٦٥٧ منح كرومويل (ايام الحرب الأهلية) الشركة عهدا جديدا ثم زاد منه شارل الثانى بعد انتهاء حكم كروموبل ، ثم أعطيت بومباى للانجليز كجزء من المهر الذى اعطى للملك شارل الثانى عندما تزوج الاميرة البرتغالية كاترين أوف براجانزا ٠

(٢) راجع .Edmund Taylor, Richer by Asia - London 1948 PP. 151 154

وقد عمد الانجليز الى المناورة لابقاء القوى الوطنية السياسية المضادة لهم ضعيفة ومقسمة ، وبوساطة الدعاية نجحوا فى أن يملأوا عقول الهنود بخرافات مضللة ؛ فتظن كل مجموعة من المجتمع الهندى أن الجماعات الأخرى تقف منها موقف التضاد ٠

وكانت الحكومة الوطنية فى البلاد تستخدم الجواسيس باعداد كبيرة للتعرف على اتجاهات الرأى العام فى هذه البلاد الواسعة ولضبط أى تآمر حتى قيل أن العدد كان يصل فى هذا العصر المبكر الى ثلاثين الفا فى خدمة راجاه واحد من حكام الاقاليم ٠

وباستخدام الانجليز بدورهم مثل هؤلاء الجواسيس لم يخطر لهم أنهم يقومون بحرب نفسية منظمة ، ولكنهم فى الواقع كانوا يفعلون هذا دون قصد ، فلم يكن من السهل استخدام عدد كبير من الجواسيس فى أى بلد مهما كانت مساحته دون أن يكشف نشاطهم عن وجودهم ، ومن ثم تولدت بين الشعب عقدة الخوف من الجواسيس Spy Phobia وكراهية لهم ولما كان السبيل متسعا للشك فى أى شيء تولد داخل المجتمع كراهية متبادلة بين الأفراد ٠

وفى خضم هذه الظروف المواتية استغل الانجليز الخلافات العقائدية ، فمثلا اذا وطيء مسلم دون قصد منه ذيل بقرة رابضة فى الطريق ، أو دق هندوسى على طبله أمام مسجد أثناء اقامة الصلاة نشأت اضطرابات أشبه بالحرب الأهلية ، واستغل الانجليز هذه الخلافات لزيادة الشقة بين الجماهير ٠

وفى معركة بلاسى Plassey التى كسب بها كلايف لحملة الأسهم فى شرقى الهند الشرقى اقليم البنغال قام هذا الرجل بواحدة من أهم صور الطابور الخامس فى التاريخ ، فقبل أن يهاجم جيوش نواب البنغال ــ أى حاكم البنغال ــ عقد كلايف اتفاقا سريا مع المير جعفر أحد قادة جيش « النواب » وبواسطة

عميل هندى فى خدمة الشركة تم الاتفاق على أن يكون المير جعفر حاكما للبنغال تحت رياسة الشركة مقابل امداد كلايف بخطة الجيش الهندى ، ومقابل معاونته للانجليز فى المعركة ٠

وقد تمت الخيانة وانتصر كلايف ، وفضلا عن الغرامة التى فرضها على النواب المهزوم والتى وصلت الى ملايين الروبيات ؛ فان المير جعفر بعد أن خدم الشركة لعدة سنوات تخلصت منه الشركة بتوريطه فى مشكلة سياسية ٠

ويقول أدموند تايلور فى كتاب « تاريخ الهند لباول براثب : ان الغرامة وصلت الى خمسة ملايين دولار قسمت بين الشركة وبين كبار موظفيها ، نال كلايف وحده أكثر من نصف مليون دولار[1] » ٠

وتكررت قصة معركة بلاسى بعد نحو القرن فى حرب سنة ١٨٤٨ ضد السيخ وأمكن انقاذ الانجليز من الفناء نتيجه خيانة « قائدين » من قادة السيخ اللذين ترك احدهما جنوده بعد تحطيم كوبرى كان المنفذ الوحيد للانسحاب .

وبعد ثلاث سنوات ثار السيخ ثانية وأنقذ ضابط انجليزى « الملازم ادواردز » الموقف باستغلاله الخلاف بين الجماعات فشكل قوات من المسلمين لمناصرة الانجليز ضد السيخ ، وعاد الانجليز فى الثورة الكبرى سنة ١٨٥٧ فسلحوا السيخ ضد المسلمين ٠

وكان هجوم الانجليز على العقلية الهندية بوساطة الدعاية فريدا فى بابه ، اذ استخدموا الأسلوب العلمى ، ولم يعملوا مباشرة لاثارة الفرقة بين الجماعات ٠ وانما كانت سياستهم تؤدى الى ذلك ، وعلى الرغم من أنهم ساووا بين الجماعات المختلفة فقد استخدموا الطوائف المختلفة فى كبت الثورات ، فاذا ما ثار السيخ استخدموا المسلمين لكبت الثورة ، واذا ما ثار المسلمون استخدموا السيخ فى القضاء على الثورة ، وبذلك كانوا يبقون الخلافات بين الجماعات مشتعلة دائما ٠

---

(١) تاريخ الهند لباول براثب ٠

وهكذا فباتباع الانجليز سياسة « فرق تسد » استطاعوا أن يوجدوا الحواجز ، التى تمنع وحدة الشعب .

ولقد استمرت هذه السياسة الى آخر لحظة .. وكانت آخر مراحلها عملية تقسيم شبه القارة الهندية بين الهند وباكستان باثارة الرابطة الاسلامية ضد حزب المؤتمر الهندى مما لا مجال لمناقشته هنا على هذه الصفحات .

وفى غزو المانشو(١) Manchus للصين صورة فعالة من أساليب الحرب النفسية ، ولما كانت الأفضلية العددية لدى الصينيين بنسبة « ٤٠٠ : ١ » فقد استخدم المانشو الارهاب كوسيلة لكبح هذه الافضلية العددية .

ففى عام ١٦٦٤ م استولى المانشو على بكين بعد أن هزموا جيش الفلاحين الصينيين الذين جمعهم لى تسى تسنج وكان هؤلاء أقوى مقاومة شعبية فى التاريخ

---

(١) كان المانشو هم النوشين الذين عاشوا فى جبال شنجباى الوافرة الموارد الطبيعية ، وقد عاش الناس فى مجتمعات ريفية يستثمرون ارض الغابات يزرعها لهم اسرى الهان ويصطادون اللؤلؤ من نهر موتانكيانج ، وقد وحد نورهاشو زعيم النوشيين كل القبائل فى وحدة واحدة سنة ١٦١٦ تحت حكمه وقسم رعاياه فى ثمانية اقسام وكان رؤساء هذه الاقسام يشتركون فى حكم الدولة ، وكان الناس كلهم يعملون وقت السلم فى الانتاج فاذا بدات الحرب تحولوا الى جنود . وجمع نورهاشو ٦٠٠٠٠ جندى هزم بهم جيش اسرة منج فى جبال سارهو ثم تقدم ليصطدم من جديد بجيش المنج تحت اسوار مدينة نينجيوان ولكن النوشين لم ينجحوا فى المعركة ، وجرح نورهاشو فى القتال ، ثم مات عند ارتداده بقواته الى شنيانج .

وخلفه ابنه هونجتايشى فاطلق الهان من الأسر والرق ونظمهم مع رعاياه ككتائب تحت امرة ضباط منهم ثم نادى بنفسه امبراطورا سنة ١٦٣٦ م وغير اسم الشعب من « نوشين » الى « مانشو » .

واخضع هونجتايشى منغوليا الداخلية ثم بدا اغارات على الصين واستطاع ان ينفذ الى ما وراء سور الصين العظيم وتقدم جنوبا الى هوبيه وشانتونج وفى احدى هذه الاغارات حمل المانشو معهم ٣٦٠٠٠٠ اسير من الأهلين و ٥٥٠٠٠٠ راس من الماشية وعربات كثيرة من الأسلاب .

الحديث • واستمر قادة لى تسى شنج يتولون أعمال المقاومة بعد وفاته هو ، وامتدت هذه الأعمال الى الجنوب تحت امرة شيه-كو-فا احد وزراء حكومة منج •

وكانت الافضلية العددية فى جانب الصينيين فضلا عن طول خطوط مواصلات هونجتايشى مع موطنه فى منغوليا فى الشمال ولكن المانشو استخدموا الارهاب كوسيلة لكبح الأفضلية العددية التى لدى الصينيين •

وأمر المانشو بأن يحلق كل السكان الصينيين شعرهم ويبقوا فقط خصلات من الشعر فى وسط الراس •

واستمروا يقذفون المقاومين فى كيانجين بالمقذوفات والسهام حتى هلك السكان كلهم بعد حصار استمر واحدا وثمانين يوما •

واستمرت المقاومة فى شيانتج مدة شهرين ، ومرة أخرى تكررت المذبحة •

وتابع المانشو عمليات الارهاب ضد المقاومة الشعبية مهدرين دم كل من يقع فى أيديهم ولم يستطيعوا القضاء على آخر مقاومة شعبية فى نانكنج الا فى سنة ١٨٥٩ .

وقد استمر حكم المانشو حتى سنة ١٩١٢ حيث قضت على حكمهم ثورة الزعيم صن يات سن •

* * *

وقد فشل الاتراك فى ميدان الحرب النفسية ابان الحملة العظيمة لسنة ١٦٨٣ فى الحرب بين تركيا والنمسا أيام محمد الرابع •

ففى أواخر سنى حكم السلطان محمد الرابع قامت فى النمسا حركة مضادة للملك ليوبولد الاول الذى تولى العرش بعد حرب الثلاثين سنة مغتصبا للعرش .

ورأس الحركة أحد أمراء المجر هو الكونت أمرى دى توكلى يعاونه عدد من الأمراء ، واتصل توكلى بحكومة الاستانة للاستعانة بجيوشها فى حركة للخروج على ليوبولد • وبدأ زحف القوات التركية بعد أن عينت الدولة العلية توكلى أميرا لبلاد المجر الوسطى ، ووصلت القوات التركية بقيادة الصدر الاعظم قره مصطفى باشا •

وعقد الصدر الأعظم مجلس الحرب ، ولكنه اختلف فى رأيه مع بعض قادته ، وامر بحصار فيينا سنة ١٦٨٣م ، واستمر حصارها شهرين أغفل الصدر الأعظم طوالهما اجتذاب الاهلين الذين يعيشون على خطوط مواصلاته وكذا الناس فى المناطق حول فيينا ، ولم يعمل على تفتيت عضد المدافعين الذين أمضهم الحصار • ولقد استولى على جميع قلاع فيينا الخارجية وهدم أسوارها بالمدافع ، وكاد يتم فتحها لولا أن وصل حنا سوبيسكى ملك بولونيا مع حاكم ساكس وحاكم بافاريا بجيوشهم بتحريض البابا ايناشتينسيوس الحادى عشر الذى أثار فى قلوبهم نار التعصب الدينى ، وقد اشتهر حنا سوبيسكى بعد ذلك بلقب « حامى النصرانيين(١) » •

* * *

وفى الثورة الأمريكية لعبت الحرب النفسية دورا كبيرا ، فان الحملة الدعائية التى قام بها الراديكاليون أعضاء حزب الأحرار Whig ، أدت الى التحدى الاستعمارى من جانب بريطانيا • وقد أخذت هذه الحملة طابع المهارة والتخصص وصحبت بداية العمليات العدائية محاولات لاجتذاب الأهالى المدنيين عن طريق المنشورات التى توزع باليد •

واستخدمت القوات الأمريكية فى معركة « بنكرهل » واحدة من أوائل صور الدعاية فى خط القتال الأمامى بتوزيع نشرات على الضباط والجنود الانجليز تحثهم بصورة مباشرة على ترك صفوف الجيش الانجليزى والانضمام اليهم ،

---

(١) العميد « اسماعيل سرهنك » حقائق الأخبار عن دول البحار ـ المجلد الأول طبع بولاق سنة ١٣١٢ هجرية •

وتعدهم بالأجر الكبير ، والغذاء الكثير ، والرعاية الصحية مع التحرر ، ولا تزال هذه الفكرة مثالا جيدا صالحا حتى اليوم للدعاية فى ميدان القتال .

ولجأ الأمريكيون الى استخـدام الصحف على نطاق واسـع للحث على ضـم الناس الى صفوف الثوار دفاعا عن قضية المستعمرات الأمريكية ، وعندما اتجه أصحاب الصحف الى جانب المستوطنين الامريكيين الموالين لملك بريطانيا ، حـذر أصحاب الصحف من موقفهم وطلب منهم الوقوف الى جانب الوطنيين الاحرار . وفى ضوء تهديد مماثل من جانب الموالين للتاج البريطانى أبدى بعض أصحـاب الصحف رغبتهم فى ايقاف اصدار صحفهم ، فحذروا ثانية بأن تعطيل الصـحف سيعتبر خيانة لأمريكا .

ولقد استغل الجانبان ما تحت أيديهم من صحف استغلالا جيدا ، ولـكن صحف الانجليز لم تكن منتشرة خارج المدن التى كانت معاقل القوات البريطانية . على أن المقالات التى نشرت فى هـذه الصحف أو تلك والتى عنيت بالحديث عن الموقف السياسى لكل جانب ، وناقشت أوجه الخلاف الاقتصادية ، كان لها دورها الهام وبخاصة فيما يتصل بعمليات سير الحرب .

وقد أوضح جورج واشنطن قائد « الجيش القارى » لقوات الثوار اهتمامه بالدعاية للحرب ، ووضع تدابير سياسية وعسكرية معتدلة كانت هى القـاعدة التى عملت منها دعاية الوطنيين الأحرار .

وفى التاريخ امثلة تجعلنا نقول : ان بعض الحروب تأثرت بصورة ما بكتاب أو آخر . وكانت حرب الثورة الأمريكية واحدة من هـذه الحروب ، وقد وضـع توماس بين[1] كتابه الحس المعقول Common Sense الذى صدر فى سلسلة

---

(١) توماس بين Thomas Baine (١٧٣٧ ـ ١٨٠٩) انجليزى الأصل انتقـل الى امريكا حيث عاش واشتهر بأنه مواطن أمريكى ثورى ، كاتب ومفكر سياسى من طابع ممتاز ، وله عدة مؤلفات أهمها قصته « كوخ العم توم » ولها اكثر من ترجمة باللغة العربية .

من الكتيبات ، واكتسح ما فى الكتاب التفكير الامريكى اكتساح النار للهشيم •
وقد أشارت الكتيبات الى بعض الأسس فى التفكير الأمريكى وأبرزت قضية الثورة فى جرأة وفى أسلوب سهل حتى أن المتحفظين بين المواطنين الثوار لم يستطيعوا مقاومة استخدامها فى الدعاية •

لقد صار الكتاب من أمهات الكتب فى الأدب الأمريكى ، وفى الوقت نفسه صارت له مكانة فى التاريخ على أساس أنه « الكتاب الذى كسب الحرب » •

وكانت تجربة أمريكافىالحرب المكسيكية أقل نجاحا ، ولقد شن المكسيكيون حربا نفسية ضد الأمريكيين ، حتى أنهم نجحوا فى جعل رجال المدفعية الامريكية يقومون بمذبحة داخل صفوف القواتالأمريكية نفسها خارج مدينة نيومكسيكو .

وشرح المؤرخون فى كل من البلدين وعلقوا على حوادث الخيانة والتآمر التى جرت فى كلا الجانبين • ولقد مارس الجانبان فى الحرب الأهلية الامريكية الحرب النفسية ، وبخاصة من ناحية انشاء وسائل الدعاية فى انجلترا وفى قارة أوروبا ، واستخدم الشماليون وسيلة تجنيد وحدات من السود ، ففكر الجنوبيون بدورهم قرابة نهاية الحرب فى تجنيد قوات من السود • وحتى ان لم يكن تجنيد السود الوسيلة البارزة الرئيسية فى الدعاية فانه كان يوضح شعور المجتمع بالنسبة لموقف كل جانب عن السبب الذى قامت من أجله الحرب بغض النظر عن موضوع البقاء فى الاتحاد أو الخروج عليه ، كما يوضح أن الشماليين والجنوبيين على السواء نقلوا عوامل الصراع السياسى كالعادة الى خط القتال •

* * *

ومن الأمور التى تدعو الى السخرية والعجب ما قام به نابليون بونابرت حينما حاول غزو مصر عام ١٧٩٨ ليستعبد أهلها ويستغل ثرواتها ، فقد ادعى أنه قدم لينتشل المصريين من براثن ظلم المماليك ، وخلع على نفسه لقب حامى الاسلام ، بل تطرف فى تبجحه ونفاقه فادعى أنه مسلم ، وأنه يحارب النصرانية فى روما التى أرادت أن تحارب المسلمين • ولم يمض وقت طويل حتى كانت خيول الغزاة الأفاقين تدوس الجوامع وتضرب الثوار بكل قسوة وعنف •

ونحن نضع أمام القارىء صورة المنشور الذى وجهه نابليون الى شعب مصر حينما وطئت قدماه مدينة الاسكندرية ، وهو يعطينا صورة واضحة من أساليب الحرب النفسية .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له فى ملكه » .

« من طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية والتسوية السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابرته يعرف أهالى مصر جميعهم ان من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع الايذاء والتعدى . فحضر الآن ساعة عقوبتهم ، وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازة والجراكسة يفسدون فى الاقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها » .

« فاما رب العالمين القادر على كل شىء ، فانه قد حكم على انقضاء دولتهم » .

« يأيها المصريون ...

« قد قيل لكم أننى ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم ، فذلك كذب صريح .. فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين : أننى ما قدمت اليكم الا لأخلص حقكم من يد الظالمين ، وانني ــ أكثر من المماليك ــ أعبد الله ــ سبحانه وتعالى ــ واحترم نبيه والقرآن العظيم » .

« وقولوا أيضا لهم : أن جميع الناس متساوون عند الله ، وأن الشىء الذى يميز بعضهم عن بعض هو : العقل، والفضائل، والعلوم فقط ، وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب .. فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا ان يتملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شىء حسن فيها : من الجوارى الحسان ، والخيل العتاق ، والمساكن المفرحة » .

« فان كانت الأرض المصرية التزاما للماليك ، فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم • ولكن رب العالمين رءوف ، وعادل ، وحليم •

« ولكن بعونه تعالى ، من الآن فصاعدا ، لا ييأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية . فالعلماء ، والفضلاء ، والعقلاء بينهم سيدبرون الامور •• وبذلك يصلح حال الامة كلها » •

« وسابقا كان فى الأراضى المصرية : المدن العظيمة ، والخلجان الواسعة ، والمتجر المتكاثر •• وما أزال ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك » •

أيها المشايخ والقضاة والأئمة والجربجية وأعيان البلد ••

« قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون ، واثبات ذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى ، وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة الاسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكواللرية[1] الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين •

« ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى ، وأعداء أعدائه • أدام الله ملكه •• ومع ذلك ان المماليك امتنعوا من اطاعة السلطان ، غير ممتثلين لأمره ، فما أطاعوا أصلا الا لطمع أنفسهم •

« طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تاخير فيصلح حالهم ، وتعلى مراتبهم » •

« طوبى أيضا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين ، فاذا عرفونا بالأكثر تسارعوا الينا بكل قلب •

---

(١) او « الكفاليرية » ماخوذة من الكلمة الافرنجية التى تعنى « فارس » وهم طائفة من مخلفات الحروب الصليبية استقرت فى مالطة •

« لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك فى محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقا الى الخلاص ولا يبقى منهم أثر •

المادة الأولى :

جميع القرى الواقعة فى دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التى يمر بها عسكر الفرنساوية ، واجب عليها أن ترسل للسر عسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار اليه أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم الفرنساوية الذى هو : أبيض ، وكحلى ، وأحمر •

المادة الثانية :

كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار •

المادة الثالثة :

كل قرية تطيع العسكر الفرنساوى أيضا ينصب صنجاق السلطان العثمانى محبنا دام بقاؤه •

المادة الرابعة :

المشايخ فى كل بلد يختمون حالا جميع الارزاق والبيوت والاملاك التى تتبع المماليك ، وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شيء منها •

المادة الخامسة :

الواجب على المشايخ والعلماء والقضاء والائمة أنهم يلازمون وظائفهم • وعلى كل أحد من أهالى البلدان أن يبقى فى مسكنه مطمئنا ، وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة •

« والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله ـ سبحانه وتعالى ـ لانقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عالى : أدام الله اجلال السلطان العثمانى • أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى • لعن الله المماليك وأصلح حال الأمة المصرية •

« تحريرا بمعسكر اسكندرية فى ١٣ شهر سيدور من اقامة الجمهور الفرنساوى » •

هكذا كان نابليون ، وقد عاد فهدد بالعقاب والضرب كل من يثور ضد المستعمر ، ولقد أراد أن يخضع أهل البلاد فتجرأ على كتاب الله الكريم وزعم أن ما حدث للبلاد نتيجة أطماعه فيها صرح به القرآن الكريم فى آيات كثيرة • ومما يؤسف له أن بعض المرتزقة من العلماء ساعدوه فى كتابة هذه الافتراءات ، بعد أن امتلأت بطونهم من يد المستعمر البغيض •

اننا لم نطل الوقوف أمام هذا المثال الا لما فيه من عبرة لأبناء هذا الجيل ، فالمستعمر مهما كان غرضه خبيث شرير ، قد يتخذ شكل الحمل الوديع أو حمامة السلام وهو حقيقة ليس الا حية ملساء تحمل سموم الفتك والدمار •

وبعد هذا السرد التاريخى لهذه القصص وتلك الأساطير نجد أن الوسائل الفعالة التى استعملت فى مضمار الحرب النفسية هى :

١ ـ الخداع عن طريق الحيل والايهام •

٢ ـ اثارة القلق باستخدام وسائل غير مألوفة •

٣ ـ الشتائم •

٤ ـ افتراءات العدو وعرض قضيته التى يحارب من أجلها •

٥ ـ خلق قوة خاصة جبارة لا تقهر •

٦ ـ التهديد بواسطة التسليح •

٧ ـ بث الذعر واطلاق الشائعات •

٨ ـ التحقير من قوة العدو •

٩ ـ الاغراء والتضليل والوعد •

١٠ ـ استغلال الخلافات الدينية والعقائدية •

١١ ـ الارهاب •

وينقص هذه القائمة ـ اذا ما قورنت بالحرب النفسية الحديثة ـ استعمال الوسائل المخططة على نطاق دولى واسع ، كما ينقصها كذلك استعمال الوسائل الفنية الحديثة .

وهكذا يمكن جمع شتات هذه الأمثلة لنخرج منها بنتيجة واحدة هى :

« يسعى دائما كل طرف من أطراف النزاع قبل المعركة المسلحة وفى أثنائها الى اضعاف موقف الطرف الآخر عن طريق شن هجوم عنيف على القوى الروحية والنفسية لديه ، وفى الوقت نفسه يسعى الى تقوية موقفه هو » .

دروس الحربين العالميتين :

على أن النماذج الحديثة تشمل العقائد التى تنطبق على الحرب النفسية وصارت اليوم اجراء عسكريا موطد القدم فى الجيوش الحديثة .

فقد شهدت الحرب العالمية الأولى تحول الحرب النفسية من وسيلة عرضية الى آلة عسكرية رئيسية . وقيل فى تاريخ لاحق : أن الحرب النفسية كانت السلاح الذى كسب الحرب ، وراح أولئك الذين كانوا يتولون أمر الدعاية فى صفوف الحلفاء ينشرون الاعتقاد بأن مهارتهم كانت قاطعة ، وأن القتال العنيف الذى جرى فى الخنادق لم يكن بأكثر من شل حركة الجانبين المتضادين .

والواقع أننا اذا قدرنا الحرب النفسية فى خطوطها العريضة نستطيع أن نقرر أنها كانت سلاحا بين الاسلحة القاطعة فى حرب ١٩١٤/١٩١٨ ، فقد لعبت سياسة الحلفاء الملطفة ، ونقاط ويلسون الأربع عشرة ، وطابع الاهمال الذى اتصف به القيصر غليوم ، ثم انبعاث القوميات البولندية والفنلندية والتشيكية والسلافية .. دورا حقيقيا فى استسلام المانيا سنة ١٩١٨ .

ولكن هل كان هذا الدور أعظم من الدور الذى كان للمدافع والجنود والسفن والطائرات والدبابات ؟ فى الواقع ليس من السهل الاجابة عن هذا السؤال ، فمثله مثل سؤال عداء من عدائى المسافات الطويلة عما اذا كانت رئتاه أو ساقاه

أو رأسه قد أسهمت بأكثر من غيرها فى فوزه . ولما كانت الحرب تدور بواسطة ـ وضد ـ كل أجزاء الشخصية البشرية ، من : بدنية ، ومهارة ، وذكاء ، وغيرها، فانه من المستحيل أن نميز بين دور سلاح وسلاح فى تحقيق الهدف .

ولقد احتلت الدعاية مكان الصدارة فى الحرب لان الأمم المشتركة فى الحرب جعلت وسائل الاتصال الجماهيرية جزءا من حياتها المدنية ، وتبعا لهذا لم يكن معدى من أن هذه المهارات التى تطورت فى الحياة المدنية يجب أن تنتقل الى المجال العسكرى ، وكانت جهود الحرب النفسية لكل من الدول المقاتلة البديل المباشر لدعايته غير السياسية فى أيام السلم . فأنشأت وزارة الخارجية البريطانية سنة ١٩١٤ مكتبا للدعاية ، ولكن الجزء الأكبر من الجهد كان يتم بوساطة المؤسسات الخاصة . وكانت نتيجة الصعاب التنظيمية التى قابلها الانجليز أن أصبح لديهم فى نهاية الحرب وكالتان منفصلتان : الأولى تتكون من وزارة الاستعلامات تحت رياسة لورد بيفربوك ومعها ادارة المخابرات تحت رياسة الكولونيل بوكان للقيام بأعمال الدعاية خارج بريطانيا . أما الوكالة الأخيرة فهى اللجنة القومية لاغراض الحرب وتقوم بأعمال الحرب النفسية داخل بريطانيا .

* * *

ولم ينجح الالمان فى دعايتهم فى الحرب العالمية الأولى ولا سيما فى الجبهة الداخلية ، فلقد بدأت الحكومة الامبراطورية الحرب سنة ١٩١٤ واثقة من قوتها ، ولكنها لم تقدر عوامل القوة بين صفوف الجماهير ، فقد كان القيصر غليوم الذى ورث عن سلفه عرشا وجيشا كبيرا يؤمن بأن الأمر لا يعنى به أحد سواه ، اما الجماهير فيحسن ان يبعدوا أنوفهم عن هذه الامور .

واستفادت المانيا الهتلرية من هذا الدرس . اذ وصلت النازية الى السلطة عن طريق استمالة الرجل العادى ، وطبق هتلر هذا التكنيك فى الميدان الدولى بادئا بتملق الجماهير فى كل مكان ، وقام بالعروض التى تدل على القوة ، ثم انتهى الى الوحشية الباردة التى لا يهمها كل ما يحدث فى سبيل تحقيق هدفها .

وكان لأمريكا فى الحرب العالمية الأولى هيئتان للدعاية ، الوكالة المدنية للمعلومات والتى عرفت دوليا باسم لجنة كريل Creel نسبة الى رئيسها مستر جورج كريل ، ثم الوكالة العسكرية ولها قسم للدعاية أو للحرب النفسية فى هيئة العمليات« G - 2D » بمركز رياسة الحملة الامريكية تحت رياسة النقيب هيبر بلانكنهورن Heber Blankenhorn .

وقد وفقت لجنة كريل فى الحصول على معاونة منسقة من كل الادارات الحكومية الاخرى اذ أن رئيسها كان موضع ثقة الرئيس الامريكى . وأعدت لجنة كريل متحدثين متطوعين يتحدثون فى كل المجتمعات الامريكية ، وظهرت لافتات كتب عليها «Four Minutes Men» بمعنى أن المتحدث لا يتكلم غير أربع دقائق ، وأعدت أفلاما للدعاية عرضت فى كل أنحاء العالم ، وجاء وقت هدد كريل شركات العرض السويسرية بمقاطعتها ما لم تعرض أفلام الدعاية الأمريكية كما أرسل كريل مبعوث الدعاية الى فرنسا ، وانجلترا ، وايطاليا ، وسويسره ، وهولنده ، وأسبانيا ، واسكنديناوه ، والمكسيك وغيرها من بلاد امريكا اللاتينية وكذا الصين وروسيا .

ثم جاءت الثورة البولشفية فى السنة الرابعة للحرب ، واستندت هذه الثورة الى الدعاية، ثم استمرت الدعاية السلاح الرئيسى الفعال فى أيام البولشفيك ثم عند التحول الى الشيوعية ، وقد استخدمت الدعاية البولشفية الوسائل التالية :

١ ــ تنظيمات الحزب الشيوعى .
٢ ــ اتحادات العمال .
٣ ــ المنظمات السرية .
٤ ــ البعثات التجارية والقنصلية .
٥ ــ النشرات التى ترسل بالبريد .
٦ ــ الملصقات والكتب والصحف .
٧ ــ الأفلام والراديو .

والواقع أن ما حققته الشيوعية فى ميدان الحرب النفسية كان يعتبر دائما جزءا خاصا من تطبيقات الماركسية ، ولم ينظر اليه على أنه فن يمكن أن تتعلمه أو تستخدمه أية شعوب أخرى لا تدين بالشيوعية • وكذلك اعتبر الاكتساح التاريخى الذى قامت به الجيوش الصينية الوطنية بين عامى ١٩٢٢ ، ١٩٢٧ مسألة صينية بحتة ، وأغفلت الدروس التى كان من الممكن تعلمها من الحرب النفسية التى قام بها الشيوعيون الصينيون • وفى أثناء هذا كانت ألمانيا تخوض غمار حرب نفسية داخلية ، ولم يستيقظ العالم من غفوته ليدرك وجود هذا السلاح الجديد ، الا بعد أن وصل هتلر الى مركز مستشار الرايخ ، وبدأ استعمال تكتيكات « القمصان الرمادية » فى الشئون الخارجية •

وهنا يجب أن نشير الى حقيقة هامة ، فالنازيون من البداية لم يؤمنوا بالعقيدة التى يبشرون بها بالقدر الذى آمن الشيوعيون بعقيدتهم • فمن البداية اعتبر الشيوعيون الدعاية سلاحا جديدا قاسيا يمكن أن يؤدى الى تحقيق قوة حديثة • كان الشيوعيون قد أوضحوا بأن أقلية لها رسالة مقدسة من اختراعها يمكن أن تحصل على تعضيد الجماهير لحكومة تزعم أنها تهدف للعمل من أجل الشعب وان كانت لم تقم بوساطة الشعب ولا من بين صفوف الشعب ، واتخذ النازيون هذا مثلا يحتذى •

وجاء جهاز النازية الى حد بعيد تطبيقا للمثال الشيوعى، وان كان التطبيق لغاية مختلفة • كانت الغاية بالنسبة للنازية « حكم العالم » وكانت الغاية بالنسبة للشيوعية « قيام الشيوعية الدولية » • والمهم أن كليهما اعتبر أن أية وسيلة لها نفعها فى أى وقت ما دامت تؤدى الى الغاية البعيدة • ولما كان زعماء الحزب فى كليهما هم وحدهم الذين يقررون ما اذا كان عملا معينا يمكن أن يؤدى فعلا الى « الغاية » أصبح هدف العمل هو تحقيق السيطرة والسلطة •

ونمت الدعاية فى كلتا الدولتين لتكون « ايديولوجية » • على أن الذى جعل « الحرب النفسية » ذات طابع خاص فى الحرب العالمية الثانية حقيقة أن النازية والفاشية قاتلتا على أساس حرب تدار بأسلوب نفسى أى « الحرب الشاملة » •

الحرب النفسية فى فترة الحرب العالمية الثانية :

واستطاعت دول المحور « روما ـ برلين ـ طوكيو » أن تجعل شعوبها أولا راضية عن القيام بحرب عدوانية ، ثم قامت بتفتيت خصومها للحصول على النصر جزءا بعد آخر ، وكان عليها أن تخيف أعداءها المباشرين ، وأن تهدىء خصومها المنتظرين .

وقد اقتضت كل المحاولات التى سبقت العمليات العدائية استخداما واسع النطاق للدعاية « السوداء » برغم ما بذل من جهد كبير لاخفاء تلك الدعاية .

ولقد حقق الألمان فى ميدان الدعاية ثلاثة انتصارات :

١ ـ فى المجال السياسى بجعل كتلة كبيرة من الرأى العام الدولى ترى أن مستقبل العالم يتوقف على الاختيار بين الشيوعية والفاشية .

٢ ـ فى المجال الاستراتيجى بأن تبدو كل ضحية على أنهـا هى الضحية الأخيرة ، وبذلك كانوا يجدون فى كل مرة الفرصة للمضغ الجيـد وازدراد ما يمضغونه .

٣ ـ فى الميدان السيكولوجى باستخدام « الذعر الكامل » بجعل الشعب الألمانى نفسه يخشى من تصفية الشيوعية له ، كما استخدمت أفلام عمليـات الحرب الخاطفة لاخافة الجمـاعات الحـاكمة فى دول أخـرى ولتحطيم المعنويات ، وتسبب عن ذلك ما يسمى «بالانهيار العصبى» للأمم وذلك بابقائها دائما فى حالة شك وعدم تيقن ممـا يمكن أن يحدث لها غدا .

ومن ناحية أخرى لوحظ أن كلا من المانيـا وبريطانيـا وجدتا فى الاذاعة وسيلة فعالة يمكن توجيهها الى كل دول أوروبا على الموجات العادية ، بل تستطيع كل منهما أن تتداخل فى الاذاعة الاخرى بالقيام بما يسمى « أعمال الشوشرة » .

والحق أننا نجد أن كلا منهما ركز اهتمامه لجذب انتباه أكبر عدد من المستمعين والتأثير فى معتقداتهم ، وعواطفهم ، وولائهم سواء أكانوا أصدقاء أم محايدين أم أعداء •

وخرج الألمان مما يسمى « حرب الاذاعة » بدرس أو مبدأ أساسى هو عدم السماح لاذاعتهم أن تسبق الحوادث ، اذ كان الراديو الالمانى يعد المستمعين أحيانا بأشياء لا يستطيع أن يحققها العسكريون ، وكان الانجليز ينتهزون تلك الفرصة بالتقاط هذه النداءات وتوجيه أنظار المستمعين اليها ، مما جعل الالمان يضعون ضباط اتصال من الجيش فى الاذاعة لمراقبة الاذاعيين فى توجيه اذاعاتهم حتى لا يعدوا بما لا يمكن تحقيقه •

أما الولايات المتحدة فلم يكن لديها بعد بداية الحرب فى الشرق الاقصى بل حتى بعد اشتراكها فى العمليات الحربية بأوروبا أى أقسام مدنية أو عسكرية تتوافر لها وسائل الدعاية ، ولكن كان لها فى الواقع صلات غير مباشرة فى كل أنحاء العالم أقامتها مجموعة صحف Fortune - Life - Time فضلا عن الريدرزدايجست •

وكان يبدو ممكنا أن تضع الحكومة يدها على كل صحيفة ومجلة وكل محطة اذاعة فى البلاد ، وأن تنسق هذه كلها للمصلحة القومية ، ولكن هذا لم يكن مستطاعا مع وجود دستور ومع وجود محاكم تمكن من تنفيذ الدستور ، وبذلك وضح أنه يجب توقع تدخل من جانب وسائل النشر الخاصة •

وكان أول ما فعله الرئيس روزفلت أن عين دونوفان « منسقا للمعلومات » «C. O. I Co-ordinator of Information» وامتلأت ادارته بالاخصائيين ولا سيما فى القسمين الخاصين بالبحوث والتحليلات ، وجمعت أكوام من المعلومات السياسية ، والجغرافية، والاقتصادية ، ونسقت عمليات الاذاعة مع الاستراتيجية من جهة ومع السياسة الخارجية من جهة أخرى • ولكن الظاهرة الهامة أن كل المتاعب التى واجهها الامريكيون فى الحرب النفسية التى تولوها كانت تكمن فى الناحية الادارية •

وفى ١٣ من يونيو ١٩٤٢ أنشأ الرئيس روزفلت « ادارة معلومات الحرب » Office of War Information لتتولى السيطرة المباشرة وغير المباشرة على كل الدعاية المحلية والدعاية الخارجية فى نصف الكرة الغربى الذى بقى تحت ادارة لجنة روكفلر فى وزارة الخارجية ، وأخذت ادارة معلومات الحرب قسم الاذاعة من ادارة التنسيق COI التى تغير اسمها الى ادارة الخدمات الاستراتيجية Office of Strategic Services وحددت أغراضها بالآتى :

١ ـ استمرار جمع المعلومات .

٢ ـ القيام بالدعاية السوداء .

٣ ـ القيام بأعمال المؤامرات والتقويض بالتعاون مع السلطات العسكرية

* * *

ومع أن اليابانيين لم يخترعوا الا القليل فى الحرب النفسية فقد أحسنوا استخدام « الأنباء » كوسيلة لاجتذاب المستمعين الامريكيين ، فقد استمرت وكالة « دومى » Domei للأنباء تصدر نشراتها بالانجليزية ، واستمرت أجهزة مورس اللاسلكية فى ارسال الأنباء الى الصحف الامريكية .

ومن جهة أخرى طور الروس حتى من أنفسهم فى معركة الحرب النفسية ، اذ نجحوا فى تجميع مواطنيهم وتكتيلهم ضد العدو اذ طالبوا الشعب بأداء الصلوات فى الكنائس من أجل النصر ، وأطلقوا على الحرب اسم « الحرب الوطنية الكبرى » وأعادوا للألمان ذكرى فردريك وبعثوا نصيحة بسمارك بعدم القاء جنودهم فى أى مغامرة نحو الشرق من بلادهم، وأثاروا طبقة «اليونكرز» ضد النازيين غير المحترفين ، الذين يحطمون الجيش الالمانى ، واستخدموا الاسرى الألمان فى الدعاية ، وجعلوا الجنرالات النازيين يتحولون الى حركة ألمانيا الحرة .

الشكل الحديث للحرب النفسية :

تمخضت الحرب العالمية الثانية عن صراع مذهبي كبير بين المنتصرين ، وأدى هذا الصراع الى أن عاش العالم في جو من الاضطراب والقلق ، بدرجة فاقت ما كانت تتوقعه الشعوب التي قاست كثيرا من مآسي الحرب العالمية الثانية .

ان الحرب النفسية قد دخلت في مرحلة لا هي حرب فعلية ، ولا هي سلام حقيقي . اذ حاول كل من المعسكرين أن يعالج المشكلات الدولية بطريقته الخاصة ، ومفهومه السياسي . وتسابق الطرفان في ميدان الحرب النفسية بشكل لم يظهر في التاريخ الحديث ، مما أدى الى ما سماه والتر لبمان « الحرب الباردة » باشكالها المختلفة . ان هذا الاصطلاح قد أصبح جزءا هاما من حديث المثقفين في العالم أجمع . وعلى الرغم من المجادلات والآراء المختلفة التي دارت حوله فلم تلق أضواء للتفسير والشرح بقدر ما أثارت من اللبس والغموض .

ان الوصف الكامل الدقيق للمرحلة التاريخية الراهنة ، لن يتضح ، ولن يكتب الا بعد نهاية هذا الصراع المرير الذي لا يتحمل أعباءه وتضحياته الا تلك الشعوب الصغيرة التي يمارس على أرضها هذا النوع الجديد من الحرب النفسية .

ان معركة خليج الخنازير ، وأزمة صواريخ كوبا التي وصل فيها الارهاق النفسي لكل من المعسكرين الى درجة تهدد باندلاع عاصفة عاتية قد تودى بالمدنية والحضارة الانسانية ، تعطيان صورة واضحة عما قام به الطرفان من استغلال الحرب النفسية في مفهومها الجديد على أوسع نطاق .

كما تعطينا الأحداث الجارية الآن في فيتنام مظهرا ساخنا لحلقة من حلقات الحرب الباردة الدائرة بين المعسكرين ، ولا سيما بين كل من الصين الشعبية ، والولايات المتحدة في جنوب شرقي آسيا . ومن المشاهد أن كلا من الولايات المتحدة ، وبريطانيا تعمل بصفة خاصة لزيادة احكام الحصار على الصين الشعبية في منطقة جنوب وجنوب شرقي آسيا بمحاولتهما اقامة سلسلة جديدة من الاحلاف

تكمل الحصار الذى يمثله حلف جنوب شرقى آســـيا ، وذلك بمحاولة ادخال اليابان ، والفلبين ، ونيوزيلاندا ، وفيتنام الجنوبية ، وكوريا الجنوبية ، وغيرها فى نطاق هذه الأحلاف .

ان المظاهر الاساسية للحرب النفسية فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية أخذت أشكالا عديدة من كلا الطرفين ، فاحد هذه المظاهر التسابق العنيف فى التسلح النووى برغم الجهود التى تبذلها الأمم المتحدة نحو الســـلام ، وكذا الحروب المحلية العـديدة . ويمكن أن نقول : ان الصراع المذهبى بين الكتلتين والتحرر السريع لكثير من دول أفريقيا وآسيا قد جعل كلا من الطرفين يحاول أن يستعرض عضـــلاته التى تسند مذهبـــه الايديولوجى ، وقد أخـذت معركة الاذاعة السوداء حظا كبيرا فى هذا الصراع وبشكل لم يظهر فى التاريخ من قبل ، وساعد على ذلك التطور الكبير فى أجهزة الارسال ، والاستقبال ، وانتشار أجهزة الراديو الرخيصة فى جميع أنحاء العالم وسنتعرض بالتفصيل لهذا الموضـــوع فيما بعد . وفى كل يوم تطالعنا الصحافة ووكالات الأنبـــاء بأنبـــاء مثـــيرة عن اكتشافات الفضاء ، ويحاول كل معسكر أن يبرز للعالم سبقه فى هذا المضمار .

ان التناقض الذى يسود العالم فى هذه الفترة الحرجة قد يؤدى الى القضاء على مصير الانســـانية . فاذا لم تتفهم الامم المتحـــدة وتلك القوى المتصـــارعة مسئوليتها التـــاريخية فى دعم الســـلام حقيقة وبذل الجهود الخـــالصة لتحقيق التعايش السلمى بين شعوب المجتمع الدولى ، فلا مفر من اشتعال حرب شاملة قد تقضى على البشرية فى نهاية الأمر .

الفصل الثالث

مفاهيم متغيرة

ليس من السهل بحال أن نضع تعريفا محددا للحرب النفسية ، أو نحدد مجالها • وحتى وقتنا هذا فان الحرب النفسية غير واضحة فى أذهان الكثيرين على الرغم من الكتابات الأجنبية العديدة التى عالجت هذا الموضوع . والحرب النفسية تبدو فى أذهان الناس بمفاهيم مختلفة متغيرة ، ولم يتمكن حتى أولئك الذين تخصصوا فى هذا الموضوع أن يضعوا هذا الاصطلاح فى اطار واضح المعالم •

وفى هذا الفصل سنحاول أن نعرض للمفاهيم المختلفة للحرب النفسية ، ولتعريف كثير من الثقات لها ، بأمل أن نبرز مجال هذا النوع من الحرب وحدوده .

عرفت الحرب النفسية أول ما عرفت فى ملحق معجم ويبستر الدولى الجديد للغة الانجليزية عام ١٩٤١ • وقد اعترف بالتعبير فى الأيام الأولى من الحرب العالمية الثانية عندما قام جماعة من الامريكيين بترجمة بعض المطبوعات الألمانية الهامة بهدف أن يدرك القادة الأمريكيون – العسكريون والمدنيون – أن دروس علم النفس يمكن بل يجب أن تستخدم فى كل نواحى الحرب فى الظروف الحديثة •

وحظى التعبير باعتراف سريع نسبيا فى خلال النزاع الذى كان قائما فى أوروبا وفى آسيا • وقبيل نهاية الحرب كان قد استقر فى كل مسرح عسكرى

وفى كل قيادة هامة وفى كل ادارة خاصة على القيام بهذا النشاط الذى كان يوصف فى الحرب العالمية الاولى أنه من قبيل الدعاية • وبتطور هذا التعبير فى أثناء الحرب اقتصر استعماله على نشاط الدعاية العسكرية • وكانت تطلق على الدعاية السياسية الاستراتيجية أسماء مختلفة ، ولكن قلما كان يوصف هذا النشاط بأنه حرب نفسية •

وبالرغم من أن عبارة « الحرب النفسية » صادفت قبولا واسعا فى الدوائر العسكرية فى الحرب العالمية الثانية ، فان استخدامها فى المطبوعات بعد الحرب كان بطيئا • دفيما عدا الكتاب الذى وصف الحرب النفسية الالمانية الذى نشر عام ١٩٤١ ، كان أول مؤلف أمريكى(١) استخدم هذه التسمية بصفة رسمية كعنوان لكتابه هو بول لاينبارجر • وفى العام التالى ظهر كتاب « الحرب النفسية ضد المانيا » لمؤلفه دانيل ليرنر •

ولقد ازدادت أهمية الحرب النفسية فى المانيا عندما قام الالمان الذين هزموا فى الحرب العالمية الاولى ببحث أسباب انهيارهم • واعتقد خبراء الالمان أن العدو قد تفوق عليهم فى استخدام أجهزة الاعلام الجماهيرية « وهى التى يشيرون اليها غالبا تحت اسم الدعاية » ، كما يرجع سبب هزيمتهم الى فشلهم فى استخدام كل أسلحتهم للتاثير باقصى ما يمكن على ارادة الاعداء •

وكان رواج استخدام التعبير « الحرب النفسية » هو نتيجة التوسع السريع فى ازدياد عدد علماء علم النفس المتخصصين فى المانيا والولايات المتحدة وغيرهما من الدول الاوروبية • كان علماء النفس يبحثون لهم عن مكان تحت الشمس ، بمعنى أنهم كانوا يتوقون لأنّ يثبتوا أن بامكانهم استخدام مهاراتهم فى الدفاع القومى زمن الحرب • وفى بداية الحرب العالمية الثانية قام جماعة من الأمريكيين بترجمة بعض الكتب الالمانية الى اللغة الانجليزية بغرض أن ينتبه العسكريون الى فائدة علم النفس فى مجال من مجالات الحرب فى الظروف الحديثة •

---

(١) Linebarger M. A. Psychological Warfare, 2 ed Combat forces Press, Washington, D. C. 1954.

ولذلك عندما نقول : ان الحرب النفسية تسمية جديدة لفكرة قديمة قد يزداد غموضها ، فليس معنى هذا أننا ننكر أهمية التسمية • وبالرغم من أن الروس لم يهتموا بالتعبير كثيرا فقد كانوا أكثر ادراكا للفكرة الاساسية من الالمان • فقد عمد قادة الاتحاد السوفييتي الذين استولوا على الحكم الى أن يجمعوا بين الدعاية وبين الأعمال الأخرى تجاه الحكومات المترنحة والجماهير غير الراضية . ولم يشعر القادة السوفييت بضرورة ايجاد كلمة جديدة لمفهوم أو لفكرة مفهومة تماما ومطبقة تطبيقا كاملا •

وحتى بعد نشوب النزاع المسلح فى كوريا كان الكتاب يترددون فى استخدام هذه التسمية فيما عدا استخدامها فى الحرب العالمية الثانية ، للاشارة الى عنوان فرع ، أو قسم من فروع ادارة عسكرية أو أقسامها •

وبعد أن تورطت الولايات المتحدة والأمم المتحدة فى النزاع المسلح فى كوريا عام ١٩٥٠ ، وبعد أن افتتح الرئيس ترومان الحملة الاستراتيجية الامريكية الكبرى المسماه « حملة الحقيقة » دخلت هذه التسمية تدريجيا فى مجال المناقشات العامة ، وفى مناقشات الكونجرس الأمريكى وفى الصحف ، وذلك عند وصف الأنشطة التى كانت تقوم بها أجهزة الحكومة الامريكية والتى كانوا يطلقون عليها قبل ذلك اسم « استعلامات ما وراء البحار » • وفى سنتى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ كان هذا الاسم يستخدم بطريقة غير مناسبة ليصف المجال الواسع للاتصالات الدولية التى تمتد من الدعاية العسكرية فى ميدان القتال الى التبادل السلمى للعلماء وقادة الرأى بين الدول الصديقة التى يسودها السلام •

تعريف الحرب النفسية :

ولقد جاء الاختلاف فى تحديد تعريف واضح للحرب النفسية ، نتيجة أن مجال نشاطها غير متفق على حدوده ، وحتى بين الهيئات المختلفة داخل دولة واحدة ، فان مفهوم الحرب النفسية يختلف وتفسره كل هيئة بشكل متغاير •

فمن بين أول التعاريف التى وضعت للحرب النفسية التى كان تجمع عليها القوات العسكرية الأمريكية أن : « الحرب النفسية هى استخدام أى وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية ، وعلى سلوك أى جماعة لغرض عسكرى معين » .

وقبل مرور عام على اصدار ذلك التعريف ـ وقد لاقى قبولا رسميا من كل القوات العسكرية الثلاث ـ قامت مدرسة الجيش البرى العامة باصدار كتاب يعرف مفهوم الحرب النفسية كما يلى : « تتضمن الحرب النفسية استخدام الدعاية ضد عدو مع استخدام عمليات عسكرية أو اجراءات أخرى تدعو الحاجة اليها لتكملة مثل هذه الدعاية » .

وبعد ثمانية عشر شهرا أصدر الجيش الامريكى معجما جديدا يتضمن المصطلحات الحربية ، وقد عرف المعجم الحرب النفسية تعريفا مختلفا :

« الحرب النفسية هى استخدام مخطط من جانب الدولة فى وقت الحرب ، أو فى وقت الطوارىء لاجراءات دعائية بقصد التأثير على آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق سياسة الدولة وأهدافها » .

وبعد ثلاث سنوات أصدرت وزارة الحرب طبعة جديدة للمعجم ظهرت فيها تغييرات هامة فى هذا التعريف :

« الحرب النفسية هى استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول للدعاية وغيرها من الاجراءات الاعلامية الموجهة الى جماعات عدائية ، أو محايدة ، أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها ومواقفها وسلوكها بطريقة تعين على تحقيق سياسة وأهداف الدولة المستخدمة أو الدول المستخدمة » .

ومن أهم التغييرات التى طرأت على التعريف الأول هو استبعاد الكلمات « فى وقت الحرب أو فى وقت الطوارىء » . وقد أوحى بهذا الاستبعاد الاتجاه السائد فى ذلك الوقت بشأن وصف النشاط الذى كانت تقوم به ادارة الاستعلامات الدولية التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية على أنه من قبيل الحرب النفسية .

العناصر الأساسية :

فى مارس عام ١٩٥٥ أصدرت وزارة الحرب الامريكية كتاب ميدان يتضمن أحدث الآراء الرسمية على مفاهيم الحرب ومبادىء الحرب النفسية ٠ وقد عرف الكتاب الموضوع كما يلى :

« الحرب النفسية هى الاستخدام المخطط للدعاية وغيرها من الاعمال التى تستهدف قبل كل شىء التأثير على آراء وعواطف ، ومواقف ، وسلوك جماعات عدائية ، أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق أهدافها القومية » ٠

ويجب أن نلاحظ أن هذا التعريف لا يحدد استخدام الحرب النفسية بزمن الحرب أو وقت اعلان الطوارىء ، كما أن التعريف يتضمن « الاستخدام المخطط » واعمالا أخرى ٠ ويجب أن نقارن هذا التعريف بالتعريف الذى ظهر فى أحد مطبوعات الولايات المتحدة العسكرية الذى طبع فى مايو عام ١٩٥٥ :

« الحرب النفسية هى استخدام مخطط فى وقت الحرب أو وقت اعلان الطوارىء للدعاية الموجهة الى جماعات معادية أو محايدة أو صديقة بغرض المعاونة على تحقيق الأهداف والأغراض القومية » ٠

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو هل يتضمن الحرب النفسية استخدام « أعمال أخرى » ، وهل هى مقصورة على « وقت الحرب » و « وقت اعلان الطوارىء » ؟ ويجوز أن تكون الاجابة عن هذا السؤال : « ان مجال الحرب النفسية وحدودها لا يقتصر على هذه النقاط » ٠

وهناك نسخة خطية للبحرية الامريكية أعدت عام ١٩٤٦ وأعيدت كتابتها عام ١٩٥٠ ثم نشرت فى دائرة محدودة ، جاء فيها ما يلى عن هذا الموضوع :

« ان المهمة الأساسية للحرب النفسية هى فرض ارادتنا على ارادة العدو بغرض التحكم فى أعماله بطرق غير الطرق العسكرية ووسائل غير الوسائل الاقتصادية » ٠

« وعمليات الحرب النفسية قد تكون قصيرة المدى وقد تكون بعيدة المدى . وأنواع نشاطها القصير المدى يشمل :

(أ) الدعاية الاستراتيجية .

(ب) دعاية القتال .

(ج) نشر الاخبار .

(د) خداع العدو بطريقة منظمة محكمة .

(هـ) دعاية سرية .

« وتتضمن الحرب النفسية بعيدة المدى نشر الأنباء بطريقة مستمرة وبوسائل شتى بغرض مساعدة السياسة الخارجية للدولة ورفع سمعتها ، والحصول على العطف والتأييد » .

وقد يكون من المفيد أن ندرس التعاريف الآتية التى صاغتها شخصيات عسكرية ومدنية لها مكانتها .

كتب جنرال مارك كلارك[١] يقول :

« يتضمن التعبير الواسع « الحرب النفسية » اى عمل من شانه أن يجبر العدو على أن يحول رجاله وعتاده من الجبهة النشطة وتجعله يقيد رجاله واسلحته استعدادا لصد هجوم لن يأتى . ان موقفنا البرمائى فى « وتسان » هو مثل لذلك . لقد أجبرنا العدو على أن يبذل مجهودا كبيرا ويحرك عددا كبيرا جدا من الرجال وكمية ضخمة من العتاد ليعزز الدفاع عن ساحل لم يكن فى نيتنا أن نشن عليه هجوما » .

---

(١) Mark Clark, From the Danube to the Yalu, Harpers and Brothers, New York, 1955, P. 371.

وكتب توماس فانيلتر وزير الطيران الامريكى السابق بأن الحرب النفسية تتضمن الخداع فى علاقاتنا مع الآخرين :

« ان كلمة » حرب نفسية « ليست تسمية سليمة لأن كلمة الحرب تعنى أن الخداع يبرره خدمة أغراضنا . فالخداع عمل معروف فى تكتيك الحرب . وهو ليس عملا سليمافىوقت السلم سواء كان موجها نحو شعبنا ، أو نحو أصدقائنا ، أو نحو أولئك الذين لم يتحيزوا لجانب أو نحو الشعوب التى قامت روسيا والصين باستعبادها • ان الحرب النفسية لا تتفق مع مبادئنا وليست من قبيل الاعمال السليمة » •

« لقد شاع استخدام كلمة الحرب النفسية بعض الوقت حتى حدد استخدامها تقرير اللجنة التى كان يرأسها وليم جاكسون التى أوصت الولايات المتحدة أن تقلع عن الحرب النفسية • قال التقرير بضرورة الغاء مجلس الحرب النفسية لأن أساس تكوينه كان سوء فهم الحقيقة التى تقول بأن الاستراتيجية النفسية يمكن أن توجد بعيدة عن السياسات والاعمال الرسمية وانه يمكن معالجتها معالجة مستقلة بواسطة خبراء فى هذا الميدان » •

وبالرغم من ذلك فيواصل فانيلتر مناقشته للموضوع فيقع فيما يبدو انه متناقض مع ما سبق فيقول :

« وهذا لا يعنى عدم وجوب استمرار الحرب النفسية كتكتيك عسكرى ، كما لا يعنى عدم قيام الولايات المتحدة بشرح سياستها لحلفائها ، وللمحايدين ، وللشعوب المستعبدة بشرط أن يكون هذا الشرح صادقا ودقيقا » •

هل الحرب السياسية تسمية أفضل ؟

ويصف البريطانيون النشاط الذى يطلق عليه الأمريكيون اسم الحرب النفسية اسما آخر هو الحرب السياسية •

وقد وصف سير روبرت بروس لوكهارت(١) المدير العام للجنة التنفيذية للحرب السياسية ـ فى الحرب العالمية الثانية ـ الحرب السياسية بأنها عبارة عن : « تطبيق الدعاية لتخدم حاجة الحرب ٠٠ فغرضها الرئيسى هو تعبيد الطرق أمام القوات المسلحة وتسهيل مهمتها » ٠ ولا يختلف هذا المفهوم بأى حال عن التعاريف التى أوردها الكتاب الأمريكيون مثل لاينبارجر وليرنر ولاسويل وغيرهم عن الحرب النفسية ٠ ومع ذلك فان وجهة النظر الضيقة هذه عن طبيعة الحرب السياسية لاتمثل بالضرورة المبدأ البريطانى بالرغم من المناصب الكبيرة التى تولاها سير روبرت بروس لوكهارت فى الأجهزة السياسية وفى أجهزة الدعاية البريطانية ٠

وتقوم صحيفة رسمية تصدرها الحكومة البريطانية باعطاء مفهوم عن الحرب السياسية نلحظ فيه انحرافا شديدا ، فتقول :

« يمكن تعريف الحرب السياسية بأنها شكل من أشكال الصراع بين الدول يسعى كل جانب فيه أن يفرض ارادته على خصومه بطرق غير طريقة القوات المسلحة ٠ ومن الناحية العملية يمكن أن نقول : ان السلاح الرئيسى للحرب السياسية هو عملية مشتركة بين الدبلوماسية والدعاية » ٠

وواضح أن مفهوم الحرب السياسية التى يتحدث عنها لوكهارت ينحرف نحو استخدامها فقط فى أوقات النزاع المسلح ٠ وعلى نقيض ذلك فالبيان البريطانى الرسمى يقول : انها تستخدم بصفة عامة فى وقت السلم وفى وقت الحرب الباردة ٠

لقد دخلت التسمية « الحرب السياسية » المعجم الأمريكى، وتوجد فى كتابة عدد كبير من محررى الصحف ٠ ومع ذلك فهناك فارق كبير فى الآراء بشأن كيفية استخدام هذه التسمية ٠

---

(١) Robert H. Bruce Lockhart Political Warefare, Journal of the Royal United Service Institution, London, 1950, PP. 193 - 206.

ويرى لاديسلاس فاراجو : ان الحرب السياسية مرادفة للحرب النفسية(١) :

« ان كلمة « حرب سياسية » هى تعبير بريطانى • ويطلق على هذا النشاط أسماء أخرى فى بلاد أخرى ، ففى الولايات المتحدة يطلقون على هـذا النشاط اسم « الحرب النفسية » •

« انها هذا النوع من أعمال المخابرات التى تستخدم الافكار للتأثير على السياسات • انها تعالج الآراء وتنقلها الى الآخرين • وهى عملية منظمة لاغواء الآخرين بطرق غير عنيفة ، على نقيض الحرب العسكرية التى تفرض فيها ارادة المنتصر على الجانب المنهزم : اما بالعنف واما بالتهديد باستخدام العنف » •

وكتب جون سكوت(٢) ـ وهو مؤلف أمريكى ومراسل اجنبى ـ كتابا اسمه « الحرب السياسية : دليل للتعايش التنافسى » • وهو يضع فى هـذا الكتاب تعريفا لهذا الاسم ويقول : انه يتضمن الأنشطة التى يطلق عليها الجيش « حربا غير تقليدية » والتى تطلق عليها البحرية « حربا خاصة » •

« ان الهدف الأساسى للحرب السياسية المدمرة هو اضعاف العدو ـ واذا أمكن ـ تدميره بواسطة استخدام المناورات الدبلوماسية ، والضغط الاقتصادى والمعلومات ـ الصحيحة والمضللة ـ والاثارة والتخويف والتخـريب والارهاب وعزل العدو عن أصدقائه ومؤيديه » •

« ومن الوسائل الكبرى التى تستخدم عند شن حرب سياسية هى نقل الأفكار » •

---

(١) Ladislas Farago War of Wits; The Anotomy of Espionage and Intelligence, Funk and Wagnell Co., New York 1954, P. 323.

(٢) John, Scott, Political Warfare, A. Guide to Competitive Co - existence, The John Day Co., New York, 1955.

صعوبة التعريف :

ويمكن أن ندرك الصعوبة التى تواجهنا عند تعريف الحرب النفسية من جراء المجموعة الكبيرة من المصطلحات التى شاعت عند الحديث عن الصراع الأيديولوجى الذى يسود العالم اليوم • وفيما يلى قليل من هذه المصطلحات الشائعة :

- الحرب الباردة •
- حرب الافكار •
- النضال من أجل الحصول على عقول الرجال وارادتهم •
- الحرب من أجل السيطرة على عقول الرجال •
- حرب الفكر •
- الحرب الايديولوجية أو العقائدية •
- حرب الأعصاب •
- الحرب السياسية •
- الاستعلامات الدولية •
- استعلامات ما وراء البحار •
- حملة الحقيقة •
- الدعاية •
- الدعاية الدولية •
- حرب الدعاية •
- حرب الكلمات •
- العدوان غير المباشر •
- الاثارة •
- الاعلام الدولى •

وقد تدوولت بعض هذه الاصطلاحات على أنها مرادفات للحرب النفسية لدى بعض الكتاب الذين طرقوا هذا الموضوع مساوين الحرب النفسية بالدعاية ٠

وهكذا تتردد تعاريف الحرب النفسية بين الاستعمال الضيق الذى ظهر فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ، والمفاهيم الواسعة التى أدت الى انشاء المجلس الاستراتيجى السيكولوجى ـ أنشاه الرئيس ترومان عام ١٩٥١ ـ والتى أدت الى أن يعين الرئيس أيزنهاور مستر جاكسون كمستشار للحرب النفسية فى أوائل عام ١٩٥٣ ٠

وربما كان أفضل التعاريف للحرب النفسية والعسكرية هو الذى كتبه بول لينبارجر وهو من رواد الكتاب فى هذا الموضوع . وفى كتابه المعروف « الحرب النفسية » طبعة عام ١٩٥٤ عرف لينبارجر الحرب النفسية بمعناها الضيق : « انها استخدام الدعاية ضد العدو مع اجراءات عملية أخرى ذات طبيعة عسكرية ، أو اقتصادية ، أو سياسية مما تتطلبه الدعاية » ، ثم يعرف الدعاية العسكرية بأنها « استخدام مخطط لأى شكل من أشكال الاعلام بقصد التأثير فى عقول وعواطف مجموعة معاديه أو محايدة أو صديقة ، وذلك لتحقيق غرض استراتيجى أو تكتيكى معين » ٠

أما بالمعنى الواسع فقد عرف لاينبارجر الحرب النفسية بأنها : « تطبيق لبعض اجزاء علم النفس لمعاونة المجهودات التى تبذل فى المجالات السياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية » ٠ وبدأ الثقات فى الموضوع أمثال : هارولد لاسويل ، وادوارد باريت يتحدثون عن الأسلحة الأربعة التى تملكها سياسة الولايات المتحدة الخارجية وهى : الدبلوماسية ، والعسكرية ، والاقتصاد ، والدعاية ٠

واخيرا اكتسبت الحرب النفسية المعنى الذى يقول : انها « النضال من أجل عقول الرجال وارادتهم » وذلك عندما ألقى الرئيس أيزنهاور خطابه الشهير فى حملة الانتخابات فى ٨ من أكتوبر ١٩٥٢ فى سان فرنسيسكو وقال فيه :

« يجب أن نكيف سياستنا الخارجية حتى توائم استراتيجية الحرب الباردة الموحدة المتماسكة ٠٠ وفى روحنا وفى عزيمتنا يجب أن نرى فى هذه الحرب الباردة فرصة كى نحصل على نصر دون خسارة فى الأرواح ٠ وكى نفوز فى نضال من أجل انقاذ السلام » ٠

وهكذا نرى أنه فى عام ١٩٥٣ أصبحت الحرب النفسية تعنى الحرب الباردة، أى النضال العالمى بين الشرق والغرب ٠

ونتيجة للمعانى الكثيرة المتنوعة التى أعطيت للحرب النفسية ونتيجة للتغير الذى يحدث لها بصفة مستمرة ، فاننا لم نحاول أن نعطى تعريفا معينا لمفهوم الحرب النفسية فى هذا الفصل ، ولكننا آثرنا أن نوضح المجال الذى يمكن أن تعمل فيه الحرب النفسية ، وهذا قد يبرز لنا المعنى المقصود من استخدام الاصطلاح فى كل مرة ٠

على أننا نرى أنه من الضرورى أن نشير هنا مرة أخرى الى الثمانية عشر اصطلاحا السابق ذكرها لاستخلاص معناها ٠

فالمصطلحات الخمسة الاولى « الحرب الباردة ـ حرب الافكار ـ النضال من اجل عقول الرجال وارادتهم ـ الحرب من أجل السيطرة على عقول الرجال ـ حرب الفكر » كلها مصطلحات مواقفية ٠ أنها تصف عمليات نفسية فى العلاقات الدولية ، ويبدو أن الحرب الباردة تغطى أوسع مجال ٠ والحرب الباردة تشن اليوم بكل الوسائل فيما عدا الهجوم العسكرى المباشر على نطاق واسع . أما المصطلحات الاربعة الاخرى فتصف الدور الايديولوجى فى هذا النضال ٠

أما الحرب العقائدية ، وحرب الاعصاب ، والحرب السياسية فيمكن أن يكون لها معان مواقفية أى تعريف الأزمة الحالية بين الشرق والغرب ، أو معنى منوالى، أى وصف للاساليب المستخدمة لمواجهة هذه الازمة ٠ أما التسمية «الحرب السياسية» فهى كما سبق أن ذكرنا تسمية بريطانية تحمل معنى ترابط أدوات السياسة من

دبلوماسية واقتصاد وسلاح .. الخ فى وقت الحرب • وهذه التسمية تقترب من معنى « الحرب النفسية » بمعناها الواسع . والحرب الخاصة بالأعصاب هو مصطلح سيكولوجى ، لأنه يستهدف رفع حدة التوتر عن عمد •

ويستخدم المصطلحان «الاستعلامات الدولية» و «استعلامات ما وراء البحار» فى الولايات المتحدة فى عملية توزيع الحقائق والمعلومات التى من شأنها موازنة المعلومات المضللة التى تثيرها الجماعات المعادية ضد الولايات المتحدة •

ويعرف لاسويل (١) الدعاية بأنها : « اختيار العبارات وترويجها بقصد التأثير على سلوك الجماهير » • وبالمثل يمكن تعريف الدعاية الدولية على أنها « اختيار العبارات وترويجها بقصد التأثير على سلوك الجماهير فى المسائل الدولية المختلف عليها » • وحرب الدعاية هى نفس العملية • أما حرب الكلمات فتختص باختيار العبارات اللفظية فقط وترويجها •

والعدوان غير المباشر هو تسمية واسعة لمفاهيم التخريب والتحريض على الثورة ، كما تتضمن استخدام المعلومات والدعاية لأغراض هجومية • والاثارة هى تسمية سوفييتية صرفة ، وهى تستخدم لتصف الدعاية بين الجماهير • وبغض النظر عن المعنى الفنى الصرف للاعلام الدولى فهو يستخدم ليصف من يقول وماذا يقول ولمن يقول ومتى يقول وأثر ذلك فى العلاقات الخارجية • ومن ثم فاننا نجد أن هناك عنصرا من كل مفهوم من المفاهيم السابقة حسب تعريف الحرب النفسية الذى نتقبله » •

---

(١) H. D. Lasswell, « Political and Psycological, Warfare » in Daniel Lerner (ed) Propagnda in War and Crisis, George W. Stewart, Publisher, Inc New Work 1950.

اعادة التقييم :

فى أثناء الحملة الانتخابية للرياسة أدلى دوايت أيزنهاور بوجهة نظره عن مدى مجال الحرب النفسية ، وذلك فى الخطاب الذى ألقاه فى سان فرنسيسكو والذى سبق أن أشرنا الى فقرة منه :

« يعتقد كثير من الناس أن الحرب النفسية تعنى مجرد استخدام الدعاية مثل راديو « صوت أمريكا » . وبطبيعة الحال تعتبر الدعاية ـ المكتوبة والشفوية ـ جزءا أساسيا لكسب الشعوب فى صفنا . ولكن ليست الدعاية هى الجزء الهام فى هذا النضال ... فهناك كثير من الأدوات السلمية مثل المعونة الاقتصادية المشتركة، والتجارة والمقايضة ، والاتصالات الودية عن طريق الاسفار ، والمراسلات ، والالعاب الرياضية ، وتمثل هذه بعض الوسائل السياسية التى تساعد البرامج الرئيسية من اجل المعونة العسكرية المشتركة والأمن الجماعى » .

كان من اول الاعمال التى قام بها الرئيس أيزنهاور هو تعيين لجنة قوامها ثمانية أعضاء لدراسة مشكلة الحرب النفسية . وكان يرأس هذه اللجنة و . ه . جاكسون نائب نيويورك العام . وقد قام باستجواب ٢٥٠ شاهدا فى فترة الخمسة الشهور من ٣٠ من يناير حتى ٣٠ من يونيو ١٩٥٣ .

وقد جاء استنتاج اللجنة فى مقدمة هذا المقال . وفيما يلى ما قالته اللجنة عن الحرب النفسية :

« ... ان المجلس الاستراتيجى النفسى الحالى الذى أنشىء فى عام ١٩٥١ لا يفى بحاجة الحكومة الحقيقية ، وعلى ذلك يجب الغاؤه . وقد تم انشاؤه بناء على سوء فهم بأن الحرب النفسية يمكن أن توجد بعيدة عن السياسة الرسمية والاعمال الرسمية ، ولذلك يمكن معالجة موضوعاته معالجة مستقلة بواسطة خبراء فى هذا الميدان .

« وفى الحقيقة هناك ناحية نفسية لكل سياسة وكل عمل فى ميدان : الدبلوماسية ، أو الاقتصاد ، أو العسكرية • وهذا اعتبار يجب أن يلقى عناية أكبر ، سواء فى مرحلة تخطيط السياسة ومرحلة تنفيذها ، مع عدم استبعاد العوامل الاخرى •

« وباستثناء الدعاية لا توجد أدوات للحرب النفسية تتميز عن أدوات السياسة التقليدية • فكل عمل هام فى كل ادارة وكل هيئة حكومية له أثره فى النضال من أجل الحرية سواء من الناحية الايجابية أو الناحية السلبية • والمهمه الهامة هى خلق وعى فى دوائر الحكومه كلها بالنسبة لأثر الاعمال الحكومية اليومية ، وتنسيق هذه الاعمال وتوقيتها حتى نحصل من ورائها على الحد الاقصى من الفوائد •

« وأهم أغراض برنامج الاستعلامات هو تقديم الدليل لشعوب الدول الاخرى بأن آمالهم وأمانيهم من ناحية الحرية والتقدم والسلام انما يساعد على تحقيقها أهداف الولايات المتحدة وسياستها •

« ويجب أن توجه لتحقيق هذه الغاية مجهودات كل الاجهزة ـ الراديو والصحافة ، والمطبوعات ، والسينما ، وتبادل الاشخاص ، والمكتبات ، ومراكز الاستعلامات • ويجب أن توضح هذه انطباق أهدافنا مع أهداف الشعوب الاخرى • ويجب أن نقوم بتفسير هذه الأهداف • وهذه الرغبات نشترك فيها معهم بطرق تكفل قيام الآخرين بالانضمام لنا لتحقيقها •

« ولاخراج هذا الغرض الى حيز الوجود يجب أن تركز الاذاعات الامريكية ، والمادة المطبوعة على الهدف ، وذلك بنشر الأنباء الحقيقية مع اختيار طائفة معينة من الأنباء التى توضح أعمال الولايات المتحدة وسياستها ، وخاصه فيما يهم الدولة التى توجه اليها الاذاعة ، او الكتابة •

« ويجب أن تكون اللهجة والمادة قويه ومباشرة ، وأن نتجنب نغمة الدعاية • ويجب ألا يعوق أجهزة الاعلام شيء عن عرض تفنيد قوى حقيقى للاتهامات السوفييتية المضللة » •

ولم يكن يتسم هذا القرار بصفة المفاجاة الكاملة • فكانت هناك دلائل قبل ذلك من هذه الاتجاهات الفكرية بشأن الدعاية والحرب النفسية ـ وفى الحقيقة كان كارول قد قام فى عام ١٩٤٨ باستخدام نفس الكلمات تقريبا التى استخدمتها اللجنة ، عندما قدم آراءه بشأن ما يجب أن يكون عليه هدف الاستعلامات الامريكية فيما وراء البحار : « ان السياسة الامريكية الخارجية تحرز نجاحا اذا استطاعت أن تقنع الشعوب أن الأهداف الأمريكية لتنسجم مع آمال هذه الشعوب فى السلام ، وفى الحرية ، وفى الحرية الشخصية » •

تعليـــق :

ومن ثم نجد أن مدلولات الحرب النفسية واسعة متعددة لا يمكن تحديد مسئولياتها ، فهناك الحرب النفسية التى تقوم بها القوات المسلحة اثناء العمليات ، وتستخدم لتنفيذها أغلب وسائل الاعلام من : مطابع ، واذاعة ، ونشرات تسقطها الطائرات ، وذلك لتحقيق أهداف الحرب الحديثة •

كما أن الحرب النفسية كثيرا ما تستخدم لوصف أى صراع أيديولوجى بين الدول : فمنها الحرب الباردة ، والحرب الدائمة ، والنضال الممتد « على حد قول ماوتسى تونج » ••• الخ •

وقد نرى هنا أن نستخدم تعبير الحرب النفسيه أيضا لوصف عمليات تغيير الشخصية بوسائل فسيولوجية أو ميتافيزيقية ، ومن ذلك ما يسمى بغسيل المخ، أو اعادة البناء الذهنى ، أو التكنيك السيكولوجى • كما نرى أن تطبيق تعبيرالحرب النفسية يمكن أن يطلق على كل الأساليب والوسائل التى استخدمت ضد عقل الانسان فى تاريخه الطويل على الارض • ونظرا لأهمية هذا الموضوع قد أفردنا له الجزء الثانى بأكمله من هذا الكتاب •

ان العنصر الجديد فى المفهوم ليس فى العمل نفسه بل فى طبيعة هذا العمل وصفته ، وفى الحقيقة نجد أن هناك أربعه أشكال من النضال الدولى نستطيع أن نحصرها هى : الحرب النفسية ، والحرب السياسية ، والحربالاقتصادية ، والحرب الفعلية « العمليات الحربية » ويمكننا أن نضيف هنا أن مفهوم هذه الاصطلاحات يختلف من دولة لأخرى ٠

ان الحرب النفسيه ليست أفضل أو أسوأ من غيرها من أشكال الصراعات الدولية ، والاختلاف كله أن الانسان لا يصاب منها بضرر جسمانى نسبى اذا ما قورنت بحرب الاسلحة الاخرى ٠ ومن ناحية تكاليفها نجد أنه لا يمكن مقارنة آثارها البالغة على العدو بالنسبة الى نفقاتها ٠

ويجب أن يكون معظم المادة التى تستخدم فى الحرب النفسية حقيقيا اذ أن من السهل الحصول على ما يؤيد الحقيقه بالوثائق ٠ ولكن لا نستطيع أن ننكر قيمة نشر الشائعات المغرضة كسلاح ٠ ولنبين أثر ترويج الشائعات كسلاح يمكن أن نضرب مثلا يسيرا اذا ما قام فرد وذكر لجيرانه أن نبأ ما قد نشرته صحيفة يومية فان المستمعين سيشغلون بالنبأ ولن يحاول معظمهم التحقق من صحة هذا النشر، مع أن الواجب الأول والأهم هـو البحث عن حقيقة نشر الخبر ، بل قد يتطوع الكثيرون مدفوعين بعقدة معرفة بواطن الأمور بترديد هذه الآكاذيب ، ويؤكدون لمستمعيهم أنهم قرأوا هذا الخبر بأنفسهم ٠ ولقـد خصصنا الباب « الخامس » لدراسة هذا الموضوع الهام لما له من علاقه كبيرة وأثر بالغ على الحرب النفسية ٠

ومن جهة أخرى نستطيع أن نسبغ على الحرب النفسية وصفا يعكس عليهـا مستويات الاطار الزمنى والمكانى ونقصد هنـا الحرب النفسيـة الاسـتراتيجية والتكتيكية ٠ فالحرب النفسية الاستراتيجية تهدف الى تحقيق الاتصال الجماهيرى والذى يوجه الى جمهور كبير أو على مساحة شاسعة ٠ وتكون الحرب النفسية فى هذه الحالة غير محدودة بزمان أو مكان وهدفها التأثير على الآراء ووجهات النظـر والسلوك فى الخارج فى سبيل مساعدة الاهداف القومية للدوله ٠

ولا تستهدف الحرب النفسية الاستراتيجية فئة محدودة أو شعبا معينا ، بل تعمل من أجل تحقيق الاهداف الاستراتيجية البعيدة للدولة طبقا للأهداف القومية . ومن أجل ذلك فهى شاملة بكل ما تحمله الكلمة من معان . وقد يستخدم فى الحرب النفسية الاستراتيجية أكثر من عنصر من عناصر الحرب ، فالى جانب الدعاية والحرب الباردة قد تلجأ الدول الى استخدام الحرب السياسية والحرب الاقتصادية ، وأحيانا الحرب العسكرية ، وأحيانا ما تتعارض بعض هذه العناصر مما يؤثر على أهداف الخطه السيكلوجية الاستراتيجية ·

وفى أغلب الدول الكبرى تقوم الأجهزة الأهلية والحكومية بدورها فى الحرب مشاركة تحت اشراف مجلس التخطيط السيكلوجى الاستراتيجى ، والدور الأساسى لهذه الأجهزة هو الاتصال بالجماهير سواء عن طريق الدعاية بمختلف وسائلها أو عن طريق الاتصال المباشر ، ونظرا لتشعب الاتجاهات التى توجه الحرب النفسية الاستراتيجية ، وبالنسبة لارتباطها التام بالاهداف القوميه للدولة ، فان هذه الخطة تتغير تبعا لتغير أهداف الدولة ، وتبعا لتطور الأحداث الدولية التى تؤثر على أهداف الدولة القومية ·

ولما كانت الحرب النفسية الاستراتيجية تعمل عادة فى المدى البعيد ، فان تقديراتها تكون عادة أبعد مدى من تقديرات المخابرات ، وتعتمد على قدرتها على تغيير الأحداث أكثر من اعتمادها على التقديرات الكلاسيكية ·

أما الحرب النفسية التكتيكية فتوجه ضد جيوش العدو فى ميدان القتال ، أو فى قواعده ، أو ضد رعايا الدولة بصفه عامة والموجودين منهم فى منطقة القتال بصفه خاصة ·

وتكون العمليات النفسية فى هذه الحالة عمليات محلية تستهدف اضعاف مقاومة قوات العدو أو مطالبة الشعب بالتعاون مع القوات المتقدمة والقيام بعرقلة المجهود الحربى للدولة ·

ويشرف على هذه العمليات ويديرها فرع العمليات النفسية بقيادة القوات العسكرية ، وتضع أجهزة الخدمة المدنية امكانياتها تحت تصرف قيادة القوات العسكرية .

وبالرغم من أن المبادىء العامة للحرب النفسية واحدة فان الوسائل تختلف لحد ما بين : العمليات التكتيكية ، والعمليات الاستراتيجية . ففى العمليات التكتيكية تعتمد الجيوش فى معظم الأحيان على : النشرات ، والملصقات ، والاذاعات المحلية ، ومكبرات الصوت ، والشائعات ، وحملات الهمس بالاضافة الى عمليات التخريب التى تساعد على تحطيم الروح المعنوية للقوات المقاتلة ، أو لرعايا الدولة .

وتهدف العمليات النفسية التكتيكية الى تحقيق هدف قريب ومحدود ، مثل استسلام القوات المقاتلة ، لذا فان العمليات النفسية كما يفهمها أفراد القوات المسلحة أضيق بكثير وأكثر تخصصا مما يعنيه الصحفيون أو السياسيون عند حديثهم عن الحرب النفسية .

ولا تقتصر مهمة فرع العمليات النفسية فى الجيش على العمل وقت الحرب ، بل تقوم القوات المسلحة بتولى العمليات النفسية التكتيكية فى فترة ما قبل الحرب فى جميع وسائل الاتصال العالمية ، وتستمر مسئولية القوات المسلحة فى توجيه العمليات النفسية فى ميدان المعركة حتى بعد ايقاف القتال ، والى أن تعود الحالة الى وضعها الطبيعى .

وعند بحث الحرب النفسية وغيرها من أدوات السياسة المتصلة بها يجب أن نذكر أنها تستخدم فى السلم ، كما تستخدم فى الحرب . ولا يمكن دائما أن نضع الخط الفاصل بين الحرب والسلم كما هو الحال فى الوقت الحاضر فى الحرب الباردة . ويمكن أن نقول بقيام حرب اذا كانت هناك أعمال عدائية ايجابية بين دولتين أو عندما تستأنف الأعمال العدائية فى أية لحظة .

وادوات السياسة الرئيسية فى وقت السلم ووقت الحرب هى :

الدبلوماسية

الدعـــــاية

الاقتصـــــاد

الأسلحـــــة

وفى وقت الحرب يصبح التركيز على الاسلحة أمرا بارز الاهمية :

الحرب المسلحة :

الحرب التقليدية

الحرب النفسيه

الحرب السياسية :

الحرب الدبلوماسية

حرب الدعـــــايه

الحرب الاقتصادية

فالسلم والحرب هما النمطان المستخدمان فى السياسة العامة فى كل وقت .



الحرب النفسية جزء من الحرب الشاملة

طبيعة الحرب الشاملة :

اعطى التطور الكبير فى صناعة الحرب الحديثة صورة الشمول ، بحيث تمتد المعارك لتشمل كل الجبهات وبكل ما يمكن استخدامه من أسلحة ، وفى هذه الحرب الشاملة توجد « جبهة داخلية » كما توجد « جبهات قتال » ، وتوجد كذلك الجبهة العسكرية كما توجد « الجبهة الاقتصادية » و « الجبهة السيكولوجية » ٠

ان الحرب العسكرية ، والحرب الاقتصادية ، والحرب النفسية ، تشكل معا نوعا من الحرب هو « الحرب الشاملة » ٠

وتتصل هذه الانواع الثلاثة من الحروب ببعضها البعض ، بحيث يكون النجاح العسكرى نصرا اقتصاديا اذا كانت نتيجته الاستيلاء على كميات كبيرة من موارد العدو أو سد طرق الامداد الهامة له ، وقد يكون كسبا سيكولوجيا اذا استطاع أن يخفض من معنويات العدو أو يجعل جنوده يتوقعون الهزيمة ، أو يهيىء شعب العدو للاستسلام والخضوع ٠

وقد يتحول النجاح الاقتصادى الى هزيمة عسكرية للعدو اذا أمكن أن يحرم من الامدادات الضرورية ، ومن الممكن أن يصير هذا نصرا سيكولوجيا اذا أضعف من معنويات العدو وجعله مستعدا للخضوع ٠

ومن جهة أخرى فلا فائدة من الانتصار العسكرى اذا أدى الى هزيمة سيكولوجية ، فاليابانيون مثلا أنزلوا بالاسطول الامريكى عند هجومهم المفاجى على بيرل هاربور الكثير من الخسائر ، ولكن الحصيلة النهائية للهجوم كانت خسارة لليابانيين ، لأن هذا الهجوم وحد صفوف الامريكيين وتناسى الناس الخلافات ، والفرقة ، والانقسام بين صفوفهم ، وتجمعوا للعمل من أجل غرض واحد هو سحق اليابان ٠

والحرب النفسية التى هى أحدث أسلحة الحرب توجه ضد : « الفكر » و « العقيدة » و « الشجاعة » و « الثقة » وضد الرغبة فى القتال ، وهى حرب دفاعية هجومية وذلك لأنها تحاول أن تبنى معنويات الشعب والجنود ، بينما تحطم فى الوقت نفسه معنويات العدو ٠

والحرب النفسية جزء من الحرب الشاملة تشن قبل الحرب ، وفى أثنائها ، وفى أعقابها ، ثم أنها لا تخضع لرقابة القانون ولا لعادات الحرب ، ولا تعرف على أساس وصف الارض أو نظام المعركة ، أو تبعا لمعارك لها أسماء فهى عملية مستمرة، وغالبا ما يظهر نجاحها أو فشلها بعد شهور بل ربما بعد سنوات من تنفيذها ٠ ومع هذا فان النجاح يمكن أن يكون ساحقا برغم صعوبة تقديرها كميا ، كما أن الفشل قد يكون قاتلا وان كان غير ملموس ، ولكن يمكن الكشف عنه وادراكه ٠

والحرب النفسية لا تتواءم بسرعة مع النظريات المألوفة للحرب ، والعلم العسكرى برغم تطوره مدين بالكثير من أحكامه الى المعالم التى تحدد مفهومه التقليدى وهو التطبيق المنظم لعنف قانونى ٠ ان الضابط أو الجندى يقوم بواجبه عادة فى استخدام العنف دون أن يكون من واجبه تحديد العدو ، فان : مشكلات المبادأة بالحرب ، الاعتراف بالمحايدين ، تعيين الاعداء ، اعلان السلم ٠٠ كلها من قبيل المشكلات السياسية وتخرج عن نطاق مسئولية الجندى ، وحتى فى استخدام القوة دون قيام حالة الحرب فان الجندى يقوم بها فقط عندما توصف طبيعة العمليه بواسطة السلطات الأعلى ، ونعنى السلطات السياسية ، ويحدد الاعداء بواسطة القيادة العليا صاحبة السلطة ٠ أما فى ميدان الحرب النفسية فان طبيعة

العملية تختلف من ناحية عدم استطاعة السلطات السـياسية تحديد مفهومها تحديدا واقعيا ، اذ تبدأ الحرب النفسية نظرا لطبيعة أسلحتها وأدواتها ، ونظرا للمهام التى تشتمل عليها قبل اعلان الحرب بوقت طويل ، وتستمر بعد أن تتوقف العمليات العدائية العلانية • وغالبا ما يتجنب العدو فى الحرب النفسية التعريف بنفسـه ، فهو يختفى أكثر الوقت وراء صوت الوطن ، الـدين ، أو الصحافة أو الصديق •• الخ •

ولا يحتاج الضابط أو الجندى الى أن يدرس كل طبيعة الحرب لكى يدرك واجبه ويعرف طبيعته ، فان التقاليد والمهارة العسكريةوالنظام والعقيدة الصحيحة هى التى تمهد له ذلك • ولقد عين : صن تزو ، وفيجتس ، وفردريك ، وكلاوزيفتز مكان القتال من الحرب ، وقد قدروا قيمة طابعها العام •

ولكن كم من العقائد التقليدية يمكن أن تتغير فى ضوء الانفجار الذرى ؟ الواقع أن أحدا لا يعرف هذا ، ولكن مع أن الاسلحة تتطور فان الرجال سيبقون دائما الذين يحسنون استخدام هذه الاسلحة ، وستبقى الدوافع وعوامل الضعف فى مجال الحرب كما هى يتحكم فيها العامل البشرى مهما كان شكل هذه الوسائل ، ومهما تكن مخيفة رهيبة •

والحرب من حيث هى كل محددة تحديدا جيدا من الناحية التقليدية ، ويمكن أن نتفهم الحرب النفسية تبعا لعلاقتها بالعملية كلها ، فهى لا تعدو أن تكون مجرد آلة تستخدم فى مناسبة خاصة . لقد صارت عاملا تاما شاملا فى الموقف العسكرى، له أثره على أى قوة على ظهر الارض • وهى جزء من الحرب التى يمكن أن نعرفها فى أبسط صورها بأنها قتال رسمى منظم بين الرجال • وفى هذا المجال يجب أن نفرق بين الحرب والتقاتل أو القتل ، فمملكة الحيوان لا تعرف الحرب برغم أنها تتقاتل •

ان الرجال فقط هم الذين يعلنون الحرب ويشعلون نارها ويحددون نهايتها، وهم يقومون بهذا فقط ضد بشر مثلهم •

ومن الناحية الشكلية يمكن أن نعرف الحرب بأنها : « التطبيق المتبادل المشترك للعنف بواسطة جماعات حكومية مسلحة » ٠

فاذا لم يكن هذا متبادلا فانه لا يكون القتال حربا لان عملية قتل الرجال الذين لا يدافعون عن أنفسهم لا تعتبر حربا بل هي مذبحة او مجزرة ، أو ربما تكون جزاء أو عقابا ٠

واذا لم تكن الهيئات المشتركة فى القتال عامة حكومية فلن يعتبر العنف الذى تقوم به حربا ، وفى الحرب العالمية الثانية نجد أن دول المحور كانت الى حد ما تعنى بهذا التحديد لأنها لم تكن تعرف الى أى مدى مباشر ، والى أى درجة من السهولة واليسر سيحسب عليها نقض القواعد والاصول ٠

وليس من الضرورى لكى يكون للمقاتلين طابع رسمى حكومى ان يكون لهم كيان قانونى ، أو بمعنى آخر ان يكونوا جنودا دائمين ، اذ يكفى تبعا للعرف الدولى أن يتوافر لهم حد أدنى معقول من ناحية العدو وأن يكون لهم لون من التعريف ، أى يكون لهم طابع يتميزون به عن عامة الاهالى المدنيين ، وأن يكون لهم الغرض السياسى الذى يسعون لتحقيقه ٠

وأخيرا فان الحرب الفعلية يجب أن تكون عنيفة ، ولكن استنادا للقانون فى كل الدول الحديثة فان الضغط الاقتصادى أو السياسى أو المعنوى لا يعتبر حربا بمفهومها التقليدى ٠ ان الحرب هى جعل الاعمال التى لا يستطيع أى فرد أن يقوم بها لمخالفتها للقانون وقت السلم قانونية عند عملها باسم الدولة ٠

والواقع انك حتى فى وقت الحرب لا تستطيع قتل العدو الا اذا فعلت هذا باسم الدولة ونيابة عنها ، فاذا قام أحد أفراد دولة ما فى حالة حرب مع دولة أخرى بقتل أحد رعايا الاعداء ؛ فان القاتل فى هذه الحالة يعتبر مجرما عاديا يطبق عليه قانون العقوبات ٠ ومثال لذلك التهم التى وجهت فى محاكمات مجرمى الحرب ضد يابانيين وضد المان لقتلهم اناسا لم تكن حتى الحرب تمنحهم حق قتلهم ٠

ان حكومات العالم الحديث لتشعر بالغيرة على الحق الذى تحتكره وحدها لاستعمال العنف ، والحرب هى أعلى طراز لممارسة العنف ، كما أن الحرب الحديثة ليست مجرد لهو وميل للقتل ، والا لما كانت هناك حاجة الى هيئات أركان الحرب اذا كانت الحرب مجرد صورة من الوحشية أو مجرد لوثة جنون لقطع رقاب الناس ، بل على النقيض فان الحرب الحديثة ـ كاحدى وظائف المجتمع الحديث ـ انما تعكس التناقض الثقافي والسياسى الذى تنبع منه • ان المعركة الحديثة عملية أصولية ، طقوسية ، معقدة فنيا ، فالجندى يجب أن يقتل فيها الناس الذين يجب أن يقتلوا بطريقة صحيحة وفى التوقيت الصحيح والمكان الصحيح ، وأن يكون هذا لاغراض صريحة معترف بها •

ولكن لماذا نقاتل بهذا الاسلوب وعلى ذلك المنوال ؟ ولماذا نقاتل هنا وليس هناك ؟ ولماذا نفعل هذا الآن وليس فى وقت آخر ؟ لماذا هذا كله ؟

الواقع أن الاجابة سهلة ويسيرة ، ذلك لأن القتال يتم بين البشر ، والغرض من ذلك هو أن يحاول كل جانب تغيير آراء الآخر •

واحيانا قد لا يمكن استمالة بعض الافراد واقناعهم ومن ثم فمن الضرورى قتلهم ، أو « تحييدهم » بأى وسيلة بدنية مثل عزلهم « اعتقالهم » أو سجنهم(١) ولكن أغلب الافراد يتوقفون عن القتال عند الوصول الى نقطة لا تصل الى الفناء أو الانقراض ، ويمكن الوصول الى هذه النقطة لو حدث واحد من أمرين :

١ ـ اما أن يفقد المهزومون كل القدرة على التنظيم لفشلهم فى الاتفاق على القيادة وعلى الاساليب والوسائل ، ومن ثم فانهم ينفضون أيديهم من القتال لانهم لم يعد فى استطاعتهم القتال كمجموعة ، وقد حدث هذا من الامريكيين سكان الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة

---

(١) لقد وجد بعض النازيين وربما كان هتلر من بينهم أن العالم الغربى يثير نفورهم واشمئزازهم ، ومن ثم فقد قتلوا انفسهم لانهم لا يستطيعون الاستسلام ، اما فى ميدان الباسفيك فقد كان من الضرورى قتل الكثيرين من اليابانيين قبل ان يتقبلوا شروط الحلفاء

الامريكية فى أبريل عام ١٨٦٥، فقد ترك رئيس الولايات الكونفدرالية القطار هو والوزراء فى محطة ريتشموند ، أما الذين استقلوا القطار الى أبعد من هذا للجنوب فقد أصبحوا « لاجئين » • لقد حدث شيء لهم وللناس الذين من حولهم ، ولم يعد مستر ديفس يفكر فى نفسه على أنه الرئيس ديفس • ولم يعد الناس يتقبلون قيادته ورياسته •

ولقد حدث شيء مثل هذا تماما فى المانيا عام ١٩٤٥ اللهم الا بالنسبة للادميرال دونتز •

٢ ــ واما ان المهزومين يحتفظون بطاقتهم على التنظيم ويستطيعون أن يستخدموا تنظيمهم السياسى للاتصال بالعدو ولترتيب انهاء الحرب عن طريق الوسائل المنظمة للتمشى مع رغبات المنتصرين ، وقد حدث هذا عندما اعترفت بريطانيا باستقلال امريكا، وعندما اعترف البوير بالسيادة الانجليزية ، وعندما وقعت فنلندا ما أملته عليها روسيا ، وعندما قرر اليابانيون التوقف عن القتال •

وفى بعض الاحوال يمتزج هذا كله معا ، فقد يريد أفراد الشعب أن يحل السلام مكان الحرب ، ولكنهم يجدون أن حكومتهم لا تحظى باعتراف العدو ، أو قد يظن المنتصرون أنهم حطموا حكومة العدو عندما تكون المنظمة الجديدة لا تختلف عن المنظمة القديمة الا فى الشكل مع اختلاف قليل عن الاسم القديم ، ولكن لا يزال الزعماء القدامى موجودين ، ولا تزال الآراء القديمة مسيطرة سائدة •

ومن الواضح أنه مهما حدث فان الحروب تشن للوصول الى تغيير نفسى فى العداء والخصومة ، وفى هذه الحال فان الحروب تقوم لهدف أو لغاية سيكولوجية ما لم يكن هدفها الافناء ، وهذا نادر جدا •

حقا ان الحرب تعلن ضد عقول الاعداء وليس ضد أجسامهم لتثبيتها، ويشهد بصحة ذلك تعليقات الكتاب العسكريين فى كل عصر ، والقول الفصل والمثل السائر لكلاوزيفتز لينص على أن : «الحرب هى السياسة مستمرة بوسائل أخرى» .

وهذه الحقيقة هي في بساطة التعبير الحديث ، لواقع صحيح معترف به منذ عصر قديم ، فالحرب وسيلة من وسائل الاقناع الخطيرة غير الاقتصادية وغير السارة • ولكنها وسيلة لها تأثيرها عندما تفشل كل وسيلة أخرى •

شن الحرب على أساس نفسي :

بالرغم من أن جميع الاطراف المعنية في الحرب العالمية الثانية قد أبقت على جهودها مستمرة في الحرب النفسية طوال الحرب ، فان كثيرا من الكتاب اهتموا بدراسة تاريخ الرايخ الثالث، ووضعوا عدة عناوين كمحاولةلتسمية الاستراتيجية المرعبة الغريبة التي خطط لها هتلر في المدة ما بين عامي ١٩٣٦ ، ١٩٤١ ، وقد أطلق عليها ادموند تيلر « استراتيجية الارهاب » على ما جاء في كتاب له يحمل نفس الاسم « طبعة بوستون ١٩٤٠ » وسماها لاديسلاس فاراجو مؤلف « حرب الدهاء » والصحفي السياسي « حرب الاعصاب » ، وقد قدم دراساته للاستراتيجية الهتلريةفي كتاب طبع بنيويورك سنة ١٩٤١ بعنوان « الحرب النفسية الألمانية » ، وفي هذا الكتاب عرض خلاصة مئات الكتب والبحوث الالمانية المتصلة بعلم النفس، وبصناعة الحرب ، وأغلب مادة هذه الدراسات تقدم تجارب شخصية ودراساتفي الطب النفسي والعقلي ، والكتاب ككل يعتبر عرضا أخاذا لبيان القدر الذي عمل به الألمان ليجعلوا حربهم حربا فنية . وتوالت البحوث الكثيرة الأخرىفيهذا الميدان ، ووجد أن الجديد في الجهد الحربي الألماني انما يقبع في نطاق ميدانين اثنين :

١ ـ الدقة أو على الأقل مظهر الدقة في توقيت الجهود السياسة ، والتآمر والجهود العسكرية كلها معا وفي وقت واحد •

٢ ـ الاستخدام الجيد لنتائج علم النفس الحديث لتحقيق الأهداف العسكرية وادراكها •

ويبدو أن أساتذة علم النفس علموا رجال المخابرات السياسية والعسكرية الالمان كيف يضعون التقديرات والتنبؤات الممكن تنفيذها عمليا • وكانت تحليلات الألمان للدعاية المضادة الموجهة ضد النازية ممتازة ، فاذا ما أضفنا هذا كله الى العمليات الاستراتيجية ، والتكتيكية في الميدان تلك التي كانت ممتازة متفوقة على مثيلاتها باجماع الآراء ، فان التأثير لم يكن تأثير مجرد حرب ، بل تأثير هذا النوع الجديد من الحرب أي « الحرب النفسية » •

ومن الواضح أن هيئة أركان الحرب الالمانية فى غزو الالمـان لأوروبا قد استخدمت « تحليل الرأى العام » ، وظهر أن الكثير من هذه التحليلات لم يكن بأكثر من حدث رائع فاخر ٠ وفى مسير الحرب اشعل الالمان نيران حرب خاطفة كانت من الناحية : التكنولوجية ، والنفسية ، والعسكرية منطقية ومعقولة راحت تؤتى ثمارها ، واستخدمت دبلوماسيتهم ـ للافزاع والتهويل ـ التهديد بالحرب لدرجة جعلت التشيكوسلوفاكيين يسلمون أرض « السوديت » دون اطلاق طلقة واحدة . لقد انتفع الألمان لأقصى مدى بالتهديد باشعال نيران الحرب ، فلما اندلعت نيرانها فعلا حاولوا عن قصد أن يجعلوها تبدو مخيفة للغاية ٠

وليس ثمة قاعدة ـ أو بلغة أبسط ـ وصف للحرب النفسية فى كتب علم النفس ولا فى كتابات المشرعين للقانون الدستورى ، فان الشمول للحرب هو نتيجة للشكل الذى دارت به الحرب العالمية الثانية ٠ ان « السلاح السرى » الذى كان لدى الألمان يكمن فى السلطة التى أعطاها الألمان صراحة وعلانية لهتلر ، وفى استخدامه المطلق لهذه السلطة بطريقة فعالة دون ما تقدير لاى شيء ٠

لقد قاد الفوهرر الاخصائيين ولم يحـدث العكس ٠ واذا كان الالمان قد تباهوا على العالم بدقة توقيتهم للأشياء ، فليس لتوافر أخصائيين على درجة خاصة من المعـرفة تهييء لهم أن يخترعوا نوعا جـديدا من الحرب ، بل بسبب نزوة سياسية بشعة كالحة جعلها هتلر تسيطر على كل الموارد الشاملة للرايخ الألمانى .

وبدا فى نهاية الامر أن العناصر التى جعلت الحرب النفسية ممكنة فى بداية الحرب العالمية الثانية هى نفسها التى أدت الى عقم ألمانيا ، والى خرابها الكامل عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ وهذه العناصر هى :

١ ـ السلطة الزائدة عن الحد ٠

٢ ـ الشعب الذى يعيش دون اخطاره بحقيقة الموقف ٠

٣ ـ الدعاية المركزة ٠

٤ ـ التخطيط السياسى السرى ٠

لقد تمشى هذا النوع من الحرب مع محاولات الوصول الى الشهوة المتعطشة للسلطة ونسقت الحرب بدرجة لا حد لنهايتها ، ثم شنت الحرب مستغلة الضعف السياسي والمعنوى للعدو ٠

وكانت الحرب النفسية الالمانية فى المفهوم الواسع لاشعال الحرب على أساس نفسى تتوقف بدرجة أكبر على ما يسمى بالصورة الخلفية للسياسة بأكثر مما تعتمد على التكنيك السيكولوجى . ومكنت عوامل متشعبة كثيرة ـ مثل انعدام الوحدة بين الضحايا المنتظرين مستقبلا ، وملاطفة الدول التى لا تتأثر تأثيرا مباشرا بذلك ، ومظاهر الاسلحة الجديدة عن طريق التطبيقات المخيفة لهذه الحرب، واستخدام الخوف من الحرب لكبح جماح الثائرين والميل الى تهدئتهم ، والوضع الجغرافى لألمانيا فى مركز المواصلات الاوروبية ـ من جعل « حرب الاعصاب » التى مارستها ألمانيا تبدو جديدة ٠ ان مثل هذه الحرب النفسية ليست جديرة بالنجاح فى أى مكان اللهم الا للاعتداء بواسطة تلك الدول الفاشية أو الاستعمارية لتحقيق أطماعها وشهواتها فى أنحاء العالم ٠ ان ما يسمى بالاستعمار الجديد والذى يوجهه الاستعمار ضد الدول المتحررة فى أفريقيا وآسيا فى النطاق الاقتصادى صورة جديدة من صور الحرب النفسية الحديثة(١) ٠ ولكن من جهة أخرى فان هذه الحرب لا تستطيع العمل بحال ما ، أو بمعنى آخر يكون أثرها ضعيفا اذا ما كانت الدولة المستهدفة بالحرب متيقظة واعية ، ودرب شعبها على مجابهة أساليبها الى درجة كبيرة من الوعى السياسى والاجتماعى ، حتى يستطيع أن يتفهم أهداف مثل تلك العمليات غير الانسانية ٠

الحرب النفسية وعلم النفس :

على الرغم من أن لعلم النفس قواعده وأسسه ، فان الحرب النفسية يمكن ادارتها بأشخاص ليس لديهم معرفة بقواعد هذا العلم ، ودلت حوادث عدة عبر التاريخ فى الحرب النفسية على ذلك تماما ، فلم يكن جدعون مثلا ولا وانج مانج

---

(١) يرجع الى كتاب الحرب الاقتصادية فى المجتمع الانسانى لصلاح نصر ـ دار القلم ـ سنة ١٩٦٥ ٠

يعلمان شيئا عن القواعد الاساسية لعلم النفس ، ولكنهما استغلا بالغريزة جوانب — ناقشها هذا العلم — فى ارهاب العدو ، والقضاء على معنوياته حتى استطاعا أن يحققا نصرا حقيقيا ٠

على أن التاريخ القديم ملىء بالأمثلة التىأوجدت للعالم قادة عظماء وصلوا الى درجة عالية من المهارة الفنية فىاستخدام أساليب علم النفس استخداما صحيحا ، بل نستطيع أن نقول انهم أفادوا من هذا العلم بدرجة تضارع مايحققه اليوم مهرة علماء النفس المحدثين . ولكننا اليوم لم نعد نستطيع انتظار الموهوبين أو ذوى المواهب النادرة لتطبيقنظريات هذا العلمفىحروبالعصر دون دراسة أو تخطيط . ونستطيع الآن أن نقول أن علم النفس الحديث يدور حول الغرائز ، والعواطف أكثر مما يدور حول التعليم ، كما يهتم بدراسة نفسية المجموعات والمنظمات ٠

ويمكن أن نتساءل ماذا يستطيع أن يقوم به علم النفس لصناعة الحرب فى وقتنا هذا ؟ الحقيقة أنه لم يكن علم النفس هو العنصر الفعال فى ادارة الحرب النفسية الحديثة ، الا أننا نؤكد أن العالم النفسى يساهم بمجهود فعال فى هذه الحرب ٠ فهو يستطيع أن يجذب انتباه الجندى الى العناصر المكونة للعقل البشرى ، هذه الظاهرة التى تبقى فى الغالبية بعيدة عن نظره غير واضحة ، وهو يستطيع أن يتحكم فى عقلية الفرد وتفكيره ويحول سعة الحيلة الفردية الى جبن وخور جماعى ، وهو فى استطاعته أن يحول الثقة الى اهتزاز فى الشخصية والاستسلام والتكاسل الى ثورة عاتية ٠ بهذه الوسائل وغيرها يخترق العقل اللاوعى للوصول الى الموارد التىيحتاج منها الى مادته . ومن ناحية أخرى يستطيع العالمالنفسى أن يوضح الوسيلة الفنية أو التكنيكية التى تهدف الى ايضاح ما يخفى به العدو حقيقته ، فهو باختباراته العملية المتواصلة على الموارد التى يحصل عليها يخترق عقلية العدو ، فمثلا يمكن قياس نتائج اختباره لعدد معين من أسرى العدو فى مسرح معين من مسارح الحرب وفى فترة معينة خاصة ، وبهذه القياسات يضع تقديرا منطقيا معقولا ، ويمكنه أن يوضح الى حد كبير الوسائل التى قد يتأثر منها العدو تحت ظروف خاصة معينة ٠

قد لا يتوافر للعالم النفسى هذا المصدر ، أى مصدر الأسرى لاجراء اختباراته ، ولذا يعتمد الى حد كبير على مصادر أخرى كتحاليل الأنباء

أو الدعايات التى تذيعها أو تطلقها سلطات العدو الى شعبهـا أو جنودها فى الميدان • بهذه الوسيلة يسهل على القائمين بادارة الحرب النفسية حل عديد من المشكلات وتفهم الكثير من الأمور الغامضة التى لو أسيىء تقديرها لأدت الى أسوأ النتائج فى سير دفة الحرب •

ان رجل الدعاية عادة تكون لديه تطلعات نفســية بل نستطيع أن نقول أن متعته المتأصلة فى نفسه هى أن يخاطب عدوه فيعامله معاملة العدو للعدو ، وغالبا ما يخبره فى نشراته برأيه فيــه ، بل قد يتمادى فيسخر منــه ويهزأ بضعفه مما قد يسبب رد فعل عكسيا لخطة الدعاية • ان رجل الدعاية يجب أن يخبر العدو بالموضوعات أو الاشياء التى يبالى بها ، وعليه أن يبعــد عواطفه الخاصة بمعزل عن العملية التى يمارسها • وهنا يستطيع العالم النفسى أن يعلم من يتولى أعمال الدعاية كيف يكون موضوعيا قادرا على تنسيق دعايته ، باردا هادئا لا تستثيره أى انفعالات نفسية • ولنتصور رجل دعاية فى دولة استعمارية يخاطب أحد شعوب دول أفريقيا الثائرة التى تحاول التحرر من الاستعمار قائلا لهم: « أيها الشرذمة من القتلة السفاكين يا من تعيشون فى الأدغال حياة بعيدة كل البعد عن المدنية والنور . أيها الجهلة يا من لا تعرفون من العلم والحياة الا ما يفرضه قانون الغاب ، أيها الحمقى ما هى رسالتكم فى الحياة ؟ انكم تعيشون فى المجاهل وتحتاجون الى من يستطيع أن يقودكم، وينير الطريق أمامكم نحو المعرفة والنور » .

ان رجل الدعاية هــذا لا يفعل أكثر من أن يزيد هؤلاء الثائرين الاحرار رغبة فى القتال والمقاومة للتحرر من قبضة هــذا الوحش الذى ينادى بالمعرفة والعلم وهما بريئان منه •

وعلى عكس ذلك نرى فى التاريخ القديم مثلا رائعا لنجاح الدعاية حينما نحاول أن نرى الأشياء من وجهة نظر من توجه اليهم ، فحينما كان تيموستكليس الأغريقى « ٢٥٧ ــ ٤٦٠ ق٠م » يحـــارب الفرس فى معركة أرتيمســيوم استطاع هذا السياسى المحارب أن يضم اليه الايونيون اهل جزر البحر الايونى • اذ قام بجمع أفضل سفن الملاحة لدى الاثينيين ــ أهل أثينا ــ وذهب الى مكان تتوافر فيه مياه صالحة للشرب ، ثم حفر فى الصخور بعض سطور موجهة الى الايونيين • وفى اليوم التالى حينما وصل الايونيون الى أرتيمسيوم أرض المعركة

وجدوا نقوشا محفورة فى الصخور تخاطبهم : « يا رجال ايونيا انكم تخطئون للقتال ضد آبائكم بمعاونتكم على استعباد اليونان • ولهذا نناشدكم الانضمام الينا ، فان لم تستطيعوا فابعدوا قواتكم عن المعركة وحثوا أهل كاريا على أن يفعلوا مثلكم ، واذا لم تستطيعوا لا هـذا ولا ذاك ، وتجدون انفسكم مرتبطين بضرورة ملحة ، فتمارضوا عندما نشتبك فى القتال ، واذكروا دائما أنكم من نسلنا ، وان العداء بيننا وبين المتوحشين انما هو من اجلكم » •

وليست الحرب ولا علم النفس بالامر الجديد المستحدث ؛ فكلا الاثنين قديم قدم الانسان نفسه ، ولكن لما كانت صناعة الحرب هى الصورة الابسط والطاقة الافضل من الناحية العملية نجد أنه أصبح لها تاريخ مسطور أقدم من تاريخ علم النفس ، بخاصة أن ما نعرفه اليوم فى نطاق علم النفس كان يعرف فيما مضى تحت أسماء : الدين ، والأخلاق ، والآداب ، والسياسة ، والطب ، وغير ذلك ، ولكن نتيجة التطور جعلت الحرب النفسية الحديثة ثمار الوعى النفسى والتطبيق العملى لعلم النفس الحديث فى الحروب . ان علم النفس كبقية فروع المعرفة يتطور نتيجة الدراسات المستمرة ، ولذا يجب الا نهمل أو نغفل اهميـة القدرة على استخدام هذا التطور كلما سنحت الفرصة بجرأة وسرعة فى الحرب النفسية •

ويستطيع العالم النفسى أيضا أن يحدد الوسيلة الفعالة التى يمكن استخدامها فى الحرب النفسية ، وهو بذلك يشير الى أى من هذه الوسائل أكثر فاعلية فى موقف معين ـ الراديو أو النشرات، أو مكبرات الصوت، أو العملاء ، أو غير ذلك . ويجب على العالم النفسى حينما يحدد الوسيلة أن يتصل برجال المخابرات للحصول على الموارد السيكولوجية الميسورة لديهم ، حتى يستطيع أن يضع خططه ويساعد على تنسيق الدعاية وتوقيتها حسب المواقف العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية . وليس من الضرورى أن يكون العالم النفسى حاضرا بنفسه لاعطاء نصيحته لرجال الحرب النفسية ، فقد يكون وجوده محققا فى الكتب التى يكتبها أو المحاضرات العلمية التى يلقيها ، أو دورات التعليم التى يعقدها لاعداد ضباط الحرب النفسية •

ان علم النفس أقرب العلوم كلها الى عمل رجل الدعاية ، بالرغم من أنه لايعدم الصلة بكثير من العلوم الاخرى ، فالحرب النفسية لايمكن فصلها عن علم

الانثروبولوجي الذى يبحث فى نواحى الانسان الفسيولوجية ، والتاريخية ، والتقسيمات الجغرافية ، والأجناس المختلفة ، ولا عن علم الاجتماع الذى يبحث فى دراسة الانسان بوصفه كائنا اجتماعيا له أوجه نشاط مختلفة . كذلك فان علم الاقتصاد وثيق الصلة برجل الدعاية ، فهو لايستطيع ان يعزل نفسه عن الفاعليات الاجتماعية التي لها صلة بالانتاج ، والتوزيع ، والاستهلاك ، والرخاء . ان جميع الاخصائيين فى هذه العلوم يسهمون بشيء كبير فى الحرب النفسية ، ولكننا نستطيع أن نقول : ان علم النفس هو الذى يشير الى ما يحتاج اليه رجل الدعاية من هذه العلوم الاخرى . وفى هذا المجال يجب ألا ننسى الدور الكبير الذى ساهم به علم النفس حديثا فيما يسمى عملية غسل المخ Brain Washing التى دخلت حديثا مجمع مصطلحات السياسة ، والتى تستخدم لتوجيه الفكر الانسانى، أو العمل الانسانى ضد رغبة الفرد الحر ، أو ضد ارادته ورغباته كما سيجيء بالتفصيل عند دراسة هذا الموضوع فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

علم النفس العسكرى :

والحرب النفسية ليست مع هذا هى الطريقة الوحيدة التى يسهم بها علم النفس فى انجاح القتال .

فمثلا يحتاج الجندى الى أن يتفهم الطبيعة البشرية حتى يستطيع أن يفهم نفسه ويفهم زملاءه ، ويجب أن يتعلم الضباط كيف يفسرون ، وكيف يؤثرون على سلوك أولئك الذين يتولون قيادتهم .

ومن الضرورى أن يعرف الجندى الكثير عن الاحتياجات البشرية وعن الدوافع والانفعالات . فاذا أحس بالخوف فعليه أن يعرف كيف يتصرف عندما يعتريه ، وعليه أن يعرف متى يكون الغضب نافعا ، ومتى يسبب المتاعب ؟ كما يجب أن يفهم أسباب القلق والشعور بعدم الطمأنينة وافتقاد الأمن ، وان يلم بأسباب وأثر انفعالات الغيظ والحقد بالنسبة للعدو ، وكذا الانفعال والتهيج Irritation ضد الزملاء ، وعن العلاقة بين الغذاء ، والعمليات الجنسية ، وبين الحياة العسكرية .

ومن الضرورى أن يعرف الجندى العلاقة بين كل هذه الأشياء وبين الروح المعنوية ، وهكذا فانه يتعلم كيف يتجنب العوامل المؤثرة على انخفاض الروح المعنوية ويعرف كيف يبنى ويقيم معنويات جيدة قوية ٠

ويجب ان يفهم كل جندى مشكلات التكيف العقلى للجنود بالنسبة للجيش اولا ، ثم بالنسبة للقتال فيما بعد ، وأن يفهم كذلك لماذا يشعر الجنود بانهم غير آمنين على سلامتهم ؟ وما العوامل التى تخلق الشجاعة والجرأة ؟ وما علامات اقتراب الانهيار ؟ وكيف يمكن منعه ؟ وماذا يفعل نحوه اذا ما حدث ؟

ولقد صار اختيار القادة للقوات المسلحة واحدا من أهم المشكلات فى سيكولوجية الحرب ٠ ان القائد الجيد هو الرجل الذى يستطيع أن يبنى ويقيم المعنويات الجيدة ، فكيف يستطيع أن يفعل هذا ؟ وأى نوع من الرجال يجب أن يكون هو ؟ ولو كان القائد ضعيفا أو قائدا غير جيد فهل يمكن جعله قائدا جيدا ؟ ٠

ومن الضرورى أيضا أن يتفهم الجندى عقلية الغوغاء والدهماء ، وأن يعرف عوامل الفزع التى تؤثر فى الجماهير ٠ فقد يكون هذا وثيق الصلة بالجندى وعمله عندما يختلط الأهلون بعمليات القتال ، أى عندما تصير القرى والمدن وسكانها جزءا من جبهة القتال أو عندما تبدأ الجبهة الداخلية فى الانهيار والتقسيم ٠

وقد يمكن أن يحدث الفزع داخل صفوف العسكريين انفسهم حتى ولو كانوا جيدى التنظيم ، والضبط والربط اذا ما توافرت الظروف والأحوال التى تسبب هذا ٠

فما اذن هذه الظروف والاحوال التى تسبب الفزع ؟

ولماذا ينتشر الفزع وسط الجنود « الاحتياط » وليس بين الجنود العاملين النظاميين من أفراد الجيش ؟ ٠

ان تفهم لماذا يختلف الأفراد بعضهم عن بعض ، وكيف يمكن قياس الموارد البشرية ، ليعاون الجيش على وضع الرجال حيث يكونون اعظم نفعا ٠

التقاط الكفايات وحسن توجيه الجنود :

والقوات المسلحة فى حاجة الى عمال للراديو ، والى ميكانيكيين للدبابات ، وتحتاج أيضا الى مراقبين جويين وطيارين ، كذلك تحتاج الى ضباط قدر حاجتها الى كتبة عسكريين • لقد صار الجيش فى بساطة يحتاج الى أفراد للقيام بمئات الاعمال المختلفة ، ومن ثم صار فى حاجة الى المئات من الاخصائيين الذين تتوافر لهم كفايات وطاقات مختلفة متنوعة •

والكثير من هذه الأعمال فى الجيش لها ما يشابهها فى الحياة المدنية ، ولكن هناك اعمالا تتطلب تدريبا اضافيا عند التحاق الفرد بالجيش ، فسائق اللورى فى الحياة المدنية يجب أن يدرب عند التحاقه بالجيش على قيادة سيارات النقل الكبيرة فى الأوحال ، وفى الظلام ، وتحت النيران ، وفى أثناء السير ضمن قافلة كبيرة •

فما واجب القوات المسلحة بالنسبة لكل الاعمال التى تتطلب كفايات خاصة ، او التى تتطلب مزيدا من التدريب ؟

يجب عليها أن تتخير أو بمعنى أدق تلتقط الجنود الذين تتوافر لهم المهارات الضرورية ، ومن الطبيعى أنه لا يوجد العدد الكافى اللازم لسد احتياجاتها ، ولهذا يجب أن يدرب الأفراد على مهارات جديدة ، ومن ثم يجب اختيار الذين يمكن أن يتعلموا بسرعة أى الذين تتوافر لهم « الشهية » للتعليم للقيام بالأعمال التى يكون فيها نقص ملحوظ •

وتتقرر قدرات الأفراد بواسطة الاختبارات ، والمقابلات ، والتسجيلات لأعمالهم السابقة . أما الذين لا تتهيأ لهم هذه القدرات المطلوبة ، فيمكن أن يختبر استعدادهم وتقاس درجات صلاحيتهم، وبذلك يدرب الأصلح والأكثر استعدادا •

ويشكل هذا العمل برامج ضخمة لتصنيف الأفراد تبعا للقدرات والطاقات، كما يتطلب انشاء عدد كبير من معاهد التدريب ومعسكراته •

ولكن ما صلة هذا بعلم النفس العسكرى وما صلته بسيكولوجية القتال ؟

الفكرة أنه عندما يوضع الرجل الصحيح فى المكان الصحيح يعود النفع على كل فرد ، فتستفيد القوات المسلحة ككل اذ أن الأعمال تتم بكفاية وعلى الوجه الصحيح ، ويستفيد « المقاتل » لأنه يشعر بسعادة حيث يمكن أن ينتفع من قدراته ومن طاقاته ، ومن شعوره بأن القوات المسلحة تعتمد عليه وتفيد بعمله •

والجندى يحتمل مسئولية عمله وترتفع معنوياته ، وهنا يعود النفع أيضا على القوات المسلحة اذ أنها تحتاج الى المعنويات أكثر مما تحتاج الى الكفايات ، كما تحتاج الى الولاء والحماس والغيرة مما يعتبر « لقاحا » ضد الهزيمة •

على أنه ليس على القوات المسلحة فقط أن تضع كل فرد فى مكانه الصحيح ، بل من واجب الفرد أيضا أن يعرف كيف ينتفع الى أقصى درجة من مواهبه وقدراته .

ومن أجل هذا هناك كثير من الوان المعرفة التى يجب أن يلم بها الجندى ويوضح هذا كيف صار القتال عملية مركبة •

ان الفكرة الأولية الفطرية للقتال ، هى أن الجندى يندفع عندما يواجه عائقا يعطل تحقيقه للغرض الموكل اليه ، ويندفع بقوة أكبر لو ازدادت المقاومة المعطلة ، ويغضب اذا ما اشتدت المقاومة ، ويتحول اذ ذاك اندفاعه الى قتال •

وفى هذا القتال يستخدم كل الوان المعرفة والمهارات ، وباستغلاله هذه المعرفة يعرف كيف يستخدم عينيه في الظلام ، وكيف ينظم الوسيلة التى تجعله يسمع وهو داخل الطائرة بمحركاتها ذات الأصوات العالية ، وهو بتفهمه الطبيعة البشرية يعرف كيف يقيم معنويات أفضل تتغلب على الخوف •

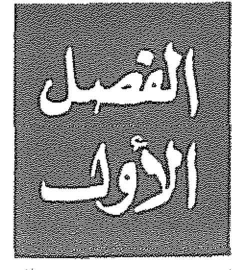
انه باختصار يقاتل باستخدامه كل موارد العلم بما فى هذا موارد علم النفس .

ومن واجبه أن يفعل هذا لأن الحرب صارت حربا شاملة •

الباب الثاني

التنظيم والأفراد

- الفصل الأول
  التنظيم للحرب النفسية
- الفصل الثاني
  مؤهلات الأفراد



التنظيم للحرب النفسية

واجهت مشكلات التنظيم الخاصة بالحرب النفسية معظم الدول الكبيرة فى نضالها وصراعها ، ولقد سبق أن أشرنا الى منظمات الحرب النفسية فى بعض الدول والأعمال التى وكلت اليها ، ولكن هذا لا يكفى فى مجال الحرب النفسية لمن يجب أن يمعن فى دراسة مشكلات تنظيم هذا النوع من الحرب التى أصبحت اليوم موضع عناية العالم أجمع ٠

وفى هذا الفصل سنحاول دراسة منظمات مختلفة فى دول متباينة فى : عقيدتها ، وأسلوبها السياسى ، وحياتها الاجتماعية حتى يمكننا أن نعرف أثر هذه العوامل المختلفة على التنظيم القائم فى كل منها ٠

وقد اخترنا فترتين زمنيتين لهذه الدراسة هما : فترة الحرب العالمية الأولى، وفترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها مباشرة ، حتى يمكننا أن ندرك الاختلاف فى مفهوم الحرب النفسية فى كل من هاتين الفترتين ٠

ونود أن نلفت النظر الى أن الهدف من هذه الدراسة ليس مجرد شرح التنظيمات المختلفة التى أنشأت لشن الحرب النفسية أو المساهمة فيها ، ولكن هدفنا هو أن نوضح الى أى مدى كان للعوامل الايديولوجية والبيئية والثقافية والسياسية وغيرها أثر كبير على شكل هذه المنظمات • وثمة نقطة أخرى يجب ألا تغيب عن بالنا وهى أهمية التخطيط السليم عند القيام بمثل هذا العمل ، وكذا ضرورة التنسيق الكامل المبنى على الايمان الراسخ بما يقوم به كل فرد فى هذا التنظيم ، ومحاولة حل مشكلات الادارة التى لا يخلو منها أى تنظيم •

منظمات الحرب النفسية فى الحرب العالمية الأولى :

الحقيقة أن كل الحكومات تقوم الى حد ما بالدعاية كجزء من مهامها العادية فى وقت السلم • انها تقوم بالدعاية لمصلحة أصدقائها ، وهذا أمر لا مفر منه •

لقد اعترفت الدول فى فترة الحرب العالمية الاولى أن تعبئة الرجال والعتاد لم تكن كافية ، اذ يجب أن تكون هناك تعبئة للرأى • وقد انتقلت السيطرة على الرأى ــ كما كانت على الحياة وعلى الممتلكات ــ الى أيد رسمية •

حقيقة ان سيطرة الحكومة على الرأى هى نتيجة حتمية للحرب الحديثة الشاملة ، ولكن المهم هو الى أى مدى تحاول الحكومة أن تقوم بدعايتها سرا ، والى أى مدى تقوم بها جهرا •

ان قوة الدعاية تزيد اذا أضيفت اليها سلطة الحكومة • واذا استثنينا حالات صغيرة ـ مثل تهريب مواد الدعاية داخل أراضى العدو المتاخمة ـ لاتفقد الحكومة شيئا اذا كانت كل عمليات الدعاية فى البلاد المحايدة والبلاد الصديقة تتم بشكل سافر ، والا حلت الريبة والشك محل الثقة التامة والتفاهم اللذين لا غنى عنهما ، وعلى سبيل المثال كانت لجنة الاستعلامات العامة الأمريكية على حق حينما قامت باخطار الحكومات المحايدة عن كل ما تريده داخل حدودها الحيادية •

ويعلق هارولد لاسويل على مشكلة التنظيم بقوله :

« واذا قبلنا المبدأ الذى يقول بضرورة القيام بالدعاية من جانب الحكومة المحاربة بشكل سافر تبقى أمامنا مشكلة التنظيم • فما الهيئات التى يجب أن تنفذ هذه العملية ؟ الى أى مدى يكون توحيد القيادة عمليا ؟ ان موضوع تنفيذ الحرب يضم عدة خدمات حكومية فى مهمة السيطرة على مصادر معينة للمعلومات . فهناك وزارة الخارجية فى الداخل، وهناك السلكان السياسى والقنصلى فى الخارج . هناك وزارتا الحرب والبحرية فى الداخل وهناك الملحقون العسكريون والبحريون فى الخارج • هناك الهيئة العامة لأركان الحرب ، وهناك مقر القيادة الميدانى ، وهناك وزارات الخدمات المختلفة التى تشترك فى مشكلات التموين والتنظيم الداخلى . ان مجرد تعدد هذه الهيئات كاف لأن يذكرنا بالقول الواضح بأن التأثير على المواقف تتضمنه كل مهمة وأنه غير ممكن الفصل الكامل بين الواحدة والأخرى » •

ويعود لاسويل فيقول :

« ان عدم التوحيد قد يسفر عن أخطار . فقد تحاول كل من وزارة الخارجية ومقر قيادة الميدان الاقناع بوسائل متضاربة مما ينال من سمعة الدعاية . قد يعلن العسكريون في الداخل تدمير المباني العامة في البلاد المحتلة الأمر الذي يثير رعب الممثلين السياسيين في البلاد المحايدة . وهناك احتمال انتشار الأخبار السيئة ذات الانواع المختلفة في نفس الوقت ، مما يخلق حالة من القلق غير المرغوب فيه وذلك اذا قامت كل هيئة بنشر أخبارها على الجمهور . فقد تأتي أخبار عن : خسارة بحرية ، أو خسارة عسكرية ، أو خسارة جوية في وقت يكون فيه نقص في الدقيق أو تكون فيه مشكلات خاصة بالأجور أو الأسعار في الداخل . فاذا كانت تتولى أمر هذه الأخبار هيئة مركزية فانه يمكن أن تقوم هذه بتوزيعها على فترة من الزمن ، وتجعل أثرها غير محسوس عن طريق الأخبار الطيبة عن الموقف العام .

ويؤدي عدم التوحيد الى ازدواج كبير في المجهود . فاذا قام العسكريون بنشر نفس النشرة التي نشرها السلك الدبلوماسي ، وقاموا بتوزيعها بواسطة الملحقين العسكريين في الخارج ، في الوقت الذي يكون فيه الملحقون السياسيون يقومون بتوزيعها ـ فهذا العمل لا يخدم أي غرض . ومن الصعب مراجعة السياسة العامة في ضوء مجهودات الدعاية اذا لم يكن هناك جهاز ينظم تصريف عملية الدعاية » .

ويرى لاسويل أنه قد تقع بعض الأخطاء نتيجة عملية التوحيد ، وقد يؤدي مشروع التوحيد الى معاداة بعض الهيئات الاخرى وتحطيم المعنويات .

فاذا تركزت السيطرة على الدعاية الخارجية والدعاية المحلية فى يد رجل واحد فقد يقاسى الآخرون من الرأس المسئول .

ولكن على الرغم من ذلك فان وجود أساس تنظيمى يحتفظ لكل هيئة من الهيئات المشتركة بدرجة كبيرة من الاستقلال الذاتى ضرورة لا غنى عنها فى الحرب النفسية .

واذا تساءلنا عن أشكال التنظيم التى كانت ممكنة فى هذه الفترة فاننا نجد الاجابة عن ذلك فيما اتبع فى الحرب العالمية الأولى .

قد تكون هناك ادارة واحدة مسئولة عن جميع أعمال الدعاية ، أو قد توجد لجنة يتفرع منها منفذون كل منهم مسئول عن فرع من فروع الدعاية ، مثل : الدعاية ضد العدو ، الدعاية فى البلاد المحايدة والبلاد الحليفة ، الدعاية بين المدنيين ، الدعاية بين القوات المحاربة .

أما الطريقة الثالثة فتتم بتنظيم مؤتمر صحفى عام تشترك فيه كل الادارات ولكن مع ترك كل أشكال المجهودات الاخرى للهيئات المعنية ، وهى : وزارة الخارجية ، مقر القيادة العامة ، وزارة الحرب ، وزارة الداخلية . وبصفة عامة فقد اتبعت الولايات المتحدة الطريقة الأولى ، واتبعت بريطانيا الطريقة الثانية واتبعت المانيا الطريقة الثالثة .

وعقب دخول الولايات المتحدة الحرب أصدر رئيسها أمرا بتاليف لجنة للاستعلامات العامة . وكانت تتالف من وزراء البحرية والحرب والخارجية ومستر جورج كريل . وفى الحقيقة كان مستر كريل مسئولا عن كل مظهر من مظاهر الدعاية سواء فى الداخل أو فى الخارج . وكان من بين نتائج هذه الطريقة أن منح كل ممثل من ممثلى اللجنة فى الخارج هيبة ثلاث وزارات حكومية لاشباع كرامة كل منهم .

وبينما نشأ النظام الأمريكى بجرة قلم واحدة ، وظل دون تغيير فى أثناء الحرب ، فان النظام البريطانى اعتراه سلسلة طويلة من التغييرات المعقدة ، وقد كتب الميجور جنرال سير جورج أستون فى ذلك يقول :

« ان الساسة الحزبيين قوم شكاكون ، لا يأتمنون أى حكومة على أموال تنفقها على الدعاية خوف أن تصرفها لمصلحتها أكثر مما تصرفها على مصلحة البلاد. ولهذا السبب أنشئت (لجنة أهداف الحرب البرلمانية) من ممثلى كل الأحزاب • وقد أسند الى اللجنة عمل الدعاية فى الداخل ولكن وجه اليها كثير من النقد » •

وأنشئت ادارة صغيرة فى ولنجتون هاوس لاعداد النشرات والاعلانات ، وأصدرت ولنجتون هاوس تقرير « برايس » الذى اعتبر نصرا من انتصارات الحرب عن دعاية الجبهة ولكن مادته كتبت كما لو كانت صادرة عن هيئة خاصة لا رسمية • ثم تكونت بعد ذلك لجنة للأفلام واللاسلكى تحت رياسة مستر ماير ، ولكن كانت علاقتها بوزارة الداخلية ووزارة الخارجية غير مؤكدة • وأنشىء مكتب للصحافة فى أغسطس ١٩١٤ الحق بعد ذلك بوزارة الداخلية •

وكانت وزارة الخارجية تقوم بألوان النشاط الآتية على ما جاء على لسان مستر اكلاند وكيل وزارة الخارجية فى بيان ألقاه فى البرلمان :

« نحن نقوم الآن باتخاذ خطوات لنرى كيف اننا نمد صحافة الدول المحايدة بما يسمى أخبارا بكل معنى الكلمة فحسب ، بل كذلك بالأنباء التى قد تبدو لنا هنا عادية بينما تثير هى اهتمام البلاد الأخرى ، فمثلا الأحوال فى هذه البلاد أو المعلومات الخاصة بتجارتها وبموضوع العمالة وبموضوع التجنيد وغير ذلك من الموضوعات الخاصة ببلادنا والتى تهم فى نفس الوقت أصدقاءنا » •

وفى يناير عام ١٩١٧ تكونت ادارة الاستعلامات ، وكان الكولونيل بوكان يتولى أربع هيئات مبعثرة • وكان بوكان مسئولا أمام وزارة الحرب وأمام رئيس الوزراء ، كما أنشئت لجنة استشارية تتألف من لورد نورثكليف ولورد بيرنهام ومستر روبرت دونالد ومستر ك• ب• سكوت •

وكانت وزارة الحرب قد نظمت هيئة مستقلة للقيام بالدعاية ضد الجيش الألمانى والمدنيين • وأخيرا عين لورد بيفربروك فى فبراير عام ١٩١٨ وزيرا للاستعلامات • وعين فى نفس الوقت لورد نورثكليف مديرا للدعاية فى بلاد

الأعداء • وعين مديرون للمخابرات فى البلاد المحـايدة وللدعاية السينمائية • وكان لورد نورثكليف مسئولا فنيـا أمام لورد بيفربروك فى الشئون الماليـة ، ولكن كان له حق الاتصال المباشر برئيس الوزراء ووزارة الحرب • وكان الارتباك أسوأ من ذى قبل عندما ألحقت ادارة دعاية الاعداء بالبعثة الحربية البريطانية التى كان يعمل لها نورثكليف فى الشهور القليلة السابقة . وقد افتتحت مؤتمرات غير رسمية لتنسيق الجهود ، وأخيرا رأس لورد نورثكليف لجنة سياسة الدعاية ، وتحققت وحدة العمل وان كان ذلك على حساب جهد كبير مستمر لعدة سنوات •

وأهم فرق بين الخطة الأمريكية والخطة البريطانية هى أن الأخيرة وضعت الدعاية المحلية والخارجية فى يد موظفين منسقين • ولم يفرق النظام البريطانى بين نورثكليف وبيفربروك ، فكان لكل منهما مثلا حق الاتصال برئيس الوزراء وبوزارة الحرب • وكان البريطانيون يؤكدون ضرورة وجود اســـتقلال ذاتى للادارات عند معالجة الدعاية فى الداخل أو فى الامبراطورية والدول المحـــايدة والحليفة والمعادية • كانت المصالح المتنوعة التى تجابه البريطانيين تبرر هــذا الاجراء لأن المشكلات التى قامت أمامهم كانت مميزة تماما • لقد دخل الأمريكيون الحرب لا ليكسبوا المحايدين الى صفوفهم ولا ليوحوا الى فريق بأن يقف ضــد فريق آخر • لقد كانت لهم رسالة يسيرة فى موضوع الدعاية ، وكان يمكن أن تقوم بها هيئة تنفيذية واحدة دون خطورة كبيرة •

ولقد كان للألمان الحد الأدنى من المجهود المنسق لشئون الدعاية • لقــد كانت كل ادارة تسير فى طريق خاص بها ، وكان التعاون الرسمى الوحيد بينها يتم عندما ينعقد المؤتمر الصحفى الذى يتم مرتين أو ثلاث مرات فى كل أسبوع • وكان يشترك فى المؤتمر ممثلو وزارة الحرب وهيئة أركان الحرب وادارة البحرية والسلطات العسكرية ووزارة المستعمرات وهيئة البريد ووزارة الداخلية ووزارة الخزانة ووزارة التموين ووزارة الخارجية . وكانت رياسة المؤتمر تجىء بالتناوب ، كما اختار الصحفيون لجنة تتكلم باسمهم •

وكان على السلطات العسكرية أن تبنى عملها من الأساس • فعند بداية الحرب كان هناك موظف واحد يتصل بالصحافة • ولكن سرعان ما تكونت هيئة

ضخمة للصحافة لكتابة تقارير عن العمليات الحربية ولنشر صحافة الميدان وللرقابة على دخول الصحف المحلية ووصولها الى الجيش وللقيام بالدعاية ضد الأعداء ٠

وكانت وزارة الخارجية بطيئة فى عملها ولكن عندما وقعت موقعة المارن فى اكتوبر ١٩١٤ وظهر أن الصلح بعيد الوقوع تكون مكتب نشط كان يصدر كميات ضخمة من مادة الدعاية ٠

وعندما تطورت الحرب زاد الصراع حدة بين السلطات العسكرية والسلطات المدنية ٠ لقد ثار غضب العسكريين عندما عرض « أرزبرجر » Erzeberger اقتراحا فى عام ١٩١٧ لعقد الصلح ، كما سبق أن ثاروا عندما تقدم « بثمان هولويج » Bethmann Hollweg بغصن الزيتون عام ١٩١٦ ٠ لم يكن العسكريون يطيقون صبرا عند ذكر كلمة السلام أو الصلح ٠ كانوا يريدون صلح المنتصر الذى يملى الشروط ٠ لقد عرض لودندورف هذه الآراء على صحافة برلين لتعرض على الشعب ٠ وفى الحال قبل اليساريون والوسط التحدى وشنوا هجوما على العسكريين لمحاولتهم التدخل فى السياسة ٠ وحتى يتجنب المستشار الوقوع بين نار الحزبين ــ كما حدث لسلفه ــ رفض أن ينشىء وزارة مستقلة للدعاية ٠

لقد اقترح العسكريون ذلك فى مناسبات ثلاث مختلفة لأنهم كانوا قد بدأوا يشعرون بتأثير دعاية الحلفاء ٠ وأخيرا أنشأت القيادة العامة هيئة صحافة كى تصل بها الى قلوب الشعب ٠ ونجحت هذه الهيئة بالرغم من معارضة الصحف الكبرى ، وبتوجيه من الجنرال لودندورف رسمت خطة مفصلة لاثارة وطنية المدنيين والمقاتلين فى ٢٩ من يوليو ١٩١٧ ٠

أما الفرنسيون فقد عهدوا بدعايتهم الى الهيئات الدبلوماسية والهيئات العسكرية والهيئات البحرية ، ومن آن لآخر كانوا يستكملون هذا العمل فى الخارج بايفاد مندوب سام يجمع بين مهمة الدعاية وسواها من المهام الاقتصادية وغيرها ٠ وكان لبيت الصحافة(١) عملاء ملحقون بالسفارات فى الخارج ٠

---

(١) لجنة شكلت عام ١٩١٨ للاشراف على الدعاية الأدبية والفنية خارج البلاد ، تحت اشراف وزير التعليم والفنون الرفيعة ٠

وبالرغم من أن مشكلة تنظيم حملات الدعاية لم تحل حلا مرضيا فى الحرب الاخيرة فان تجربة الحلفاء فى بعض المشروعات كانت كاملة لدرجة أسفرت عن مبادىء سليمة فى الادارة •

ويقترح سير أرتر سولتر(١) تنظيما يرى أنه حل مناسب لمشكلة الادارة :

« ليس هناك شيء عديم الاثر مثل وجود لجنة تتألف من أشخاص ليس لكل منهم دور معين أو سلطة تنفيذية شخصية ومع ذلك يحاول أن يوجه العمل التنفيذى • ولكن اذا كان هناك عدد من الاشخاص ــ لكل منهم سلطة تنفيذية مباشرة يستمر فى ممارستها فى مجاله الخاص ــ فانه يمكنهم أن يجتمعوا من وقت لآخر لدراسة اجراءاتهم المشتركة وتعديلها وفقا لخطة مشتركة • ثم يرجعون بعد ذلك الى وزاراتهم لتنفيذ ما اتفقوا عليه ، عند ذلك تصبح اللجنة ادارة مؤثرة للعمل التعاونى » •

فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها :

والآن ننتقل لدراسة تنظيمات الحرب النفسية لثلاث دول كبيرة تختلف كل منها عن الأخرى اختلافا كبيرا فى نظامها السياسى والعقائدى والاجتماعى بأمل أن نبين نظرة كل منها الى الحرب النفسية ومدى أثر ذلك على منظماتها •

التنظيم الألمانى :

بعد أسبوع من استيلاء النازى على الحكم حصل هتلر على مرسوم بتوقيع هاندنبرج بانشاء وزارة الدعاية وكان ملخص خطة التنظيم النازى للدعاية هو :

« يجب أن تتركز السيطرة على أنشطة الدعاية ، وسوف تتساوى مهمة الدعاية من حيث الأهمية مع أى مهمة حكومية أخرى • ويجب أن تتاح للقائمين على شئون الدعاية فرصة الحصول على كل المعلومات وكل الخطط الخاصة بالهيئات

---

(١) J. H. Salter, Irter - Allied Shipping Control (Sic) P. 257.

الأخرى وسوف تستقل هيئة الدعاية كل فرص الدعاية • ويجب ألا يسمح لهيئة أخرى بالعمل المستقل فى هذا الميدان • وسوف يشغل وظائف الدعاية ذات المسئولية أكثر الناس اخلاصا للحركة وأكفؤهم من الناحية الفنية • ويجب أن يتم احتكار السيطرة على كل أجهزة الأعلام الجماهيرية ويشمل ذلك الموسيقى والفن والمسرح والمعمار والكتب والتجارة السياحية والاسواق والمعارض والمدارس وغيرها • وعلى قدر الامكان يجب أن تتم السيطرة على هذه الأجهزة بشكل لا تبدو فيه الرقابة على أنها مباشرة » •

ونتيجة لذلك أصبح رجل واحد ـ هو جوزيف جوبلز ـ مديرا للدعاية . ولكونه وزيرا فى الحكومة كان مسئولا أمام هتلر فقط • وهكذا أصبح جوبلز صاحب النفوذ الأول فى هيئات الدعاية الثلاث : وزارة الحرب وادارة الدعاية فى الحرب وغرفة الرايخ للثقافة • وكرئيس لكل من هذه الهيئات كان مسئولا فقط أمام هتلر •

وكان منصب جوبلز كثالث رجل فى النازى يعنى أن وزارته كانت قوة كبيرة فى الحكومة ، وكانت الحكومة تبدو كما لو كانت تعمل كأنها قسم متفرع من وزارة الدعاية • فكانت السياسات تنفذ أو تنبذ حسب تأثير رجل الدعاية • ولم تكن قوة الوزارة نتيجة لمكانة جوبلز المباشرة عند هتلر ، بل كانت ترجع لمعرفته بخطط الوكالات الحكومية الأخرى • وكانت مفكرة جوبلز تحتوى على أمثلة كثيرة عن استخدامه للخطط وغيرها ، فكتب فى احدى المناسبات يقول :

« كنت أناقش تكتيكاتنا بالنسبة للوزارات الاخرى . وانى أعتبر أن واجبى يقتضى أننى لا أقتصر على أن انظم وزارتى فحسب ، بل كذلك أحارب الانهزامية التى كانت شائعة فى دوائر برلين الحكومية » •

وقال فى مجال آخر :

« انى أتساءل ما اذا كان من الواجب أن أرسل رفاق الحزب كى يكونوا مخبرين أو مراقبين فى المحاكم المختلفة حتى أستطيع أن أقف على كل شىء بهدوء ، وأتمكن من اتخاذ الاجراءات ضد الاحكام التى لا تتمشى مع الوقت » •

وتدفقت التقارير السرية من كل الهيئـــات الى الوزارة ، وكانت وزارة الدعاية على اتصال بموقف الحزب كما كانت على علم بالأحداث الطيبة وغير الطيبة. وكانت حالة الرأى العام لا تحددها التقارير الواردة من الفروع المختلفة التابعة لوزارة الدعاية فحسب بل كذلك بواسطة الهيئات الاخرى مثل الجستابو التى كانت تتخصص فى عمل مسح للرأى العام • والى جانب هذه المصادر كانت هناك وكالات مخابرات تغذى الوزارة بالمادة السياسية •

ومن بين المنظمات التى كانت تضطلع بهذا العمـل « معهـد الجغرافيـــا السياسية » و « مكتب رينتروب » و « مؤسسة النشاط الالمانى فى الخـارج » و « الأكاديمية الالمانية » و « الجماعة العاملة فى الهندسة السياسية » و « الهيئة الاكاديمية للتبادل الاكاديمى » •

وحاولت وزارة الدعاية أن تنفذ مبـدأ السيطرة الواحـدة على الدعاية ، ولكنها لم تنجح فى ذلك النجاح الكامل • ففى وقت من الأوقات كانت لوزارة الدعاية السيطرة على الدعـاية الدبلوماسية • وقد نجح جوبلز فى وضع ملحقين للدعاية تحت اشراف وزارة الدعاية فى كل منصب خارجى وفى الوظائف الصغرى حيث لم تكن الخبرة الدبلوماسية أو الحذق ضرورية كان الوزير هو ملحق الدعاية وكان التدريب فى ميدان الدعاية أكثر من التدريب الدبلوماسى • وقامت هيئـات حكومية أخرى باستخدام وزارة الدعاية كوسيلة للاعلان عن نفسهـا ، وسلمت هذه السلطات رسميا الى وزارة الدعاية حال انشائها •

وقد نظم جوبلز وزارته على أساس أن تكون نواة لرجال الدعاية من الصفوة المختارة • وقد اختار هؤلاء من بين رجال الدعاية فى الحزب النازى الذين برهنوا على كفاءتهم فى الايام الاولى للنضال ، ووضع فى المناصب الادارية الصرفة الموظفون المدنيون ذوو الخبرة •

ويمكننا أن نلمس السبب فى موقف جوبلز ، ففى خطاب ألقاه فى قصر الرياضة قال :

« مادمنا نحن الاشتراكيين الوطنيين مقتنعون بأننا على صواب فلا يمكن أن نسمح لاحد غيرنا أن يدعى أنه على صواب كذلك ، فاذا كان على صواب فلابد أن يكون اشتراكيا وطنيا ، ولكنه اذا لم يكن اشتراكيا وطنيا فلا يمكن أن يكون على صواب ! » ٠

لقد كان جوبلز متعصبا ، وكتب يقول أثر اجتماع له مع هتلر : « هناك فى السماء يظهر سحاب يأخذ شكل الصليب المعقوف ٠ انه ضوء يسطع فى كبد السماء ٠ لقد أوضحت لى هذه الايام الطريق والاتجاه ٠ لقد اختفت آخر شكوكى. سوف تعيش ألمانيا ٠ فليعش هتلر ! » ٠

وكانت وزارة الدعاية تدير كلية سياسية لتدريب رجال الدعاية ٠ كذلك تولت الوزارة ادارة المعهد الالمانى للشئون الدولية وجعلته مدرسة لتدريب النازيين الذين تسند اليهم مناصب فى الخارج ٠ ولكى نأخذ فكرة عن التدريب يمكن أن نلقى نظرة على تخريج المتحدثين والخطباء الذين كان تدريبهم ينقسم الى قسمين : أيديولوجى وفنى ، وكان منهج الدراسة يشمل دراسة كتب مثل « كفاحى » و «الطبيعة تأليف روزنبرج» و «مبادىء وأهداف الاشتراكية الوطنية» « وكفاح فى برلين لجوبلز » و « كتاب فى نظرية الاجناس تأليف جنتر » ٠ وكان الامتحان النهائى يعقد أمام لجنة مكونة من مندوبى ادارة الدعاية ومكتب التدريب الايديولوجى وكلية التدريب التابعة للحزب ٠

وحالما تكونت وزارة الثقافة العامة والدعاية تولت أمور الدعاية الخارجية ٠ وتدل أقسام الوزارة على مدى سيطرتها : قسم الخارج ، قسم الترفيه ، قسم الافلام ، قسم الموسيقى ، قسم المسرح ، قسم الفنون الجميلة ، قسم الادب ، قسم الإذاعة ، قسم الصحافة المحلية ، قسم الصحافة الاجنبية ، قسم السياحة ، قسم تنسيق الدعاية ٠

وبالاضافة كان جوبلز رئيسا لادارة الدعاية بالحزب ، وأصبح بعد ذلك رئيس قسم الثقافة بالرايخ ، وكان الاخير قد أنشىء للاشراف على الانتاج ، وكان مقسما الى سبعة فروع تقابل النقابات المهنية للفنانين والعاملين فى ميدان الفكر ٠

ولم تقم وزارة الدعاية بحركة سـافرة للاستيلاء أو السيطرة على أجهزة الاتصال فيما عدا نظام الاذاعة الذى كانت تملكه الحكومة من قبل ، أما الصحف والمجلات فقد تركت فى يد أصحابها السابقين ، ولو أن الحزب قام بشراء بعض الصحف وجعلها من أجهزته •

وكان الضغط الاساسى لتوحيد الانتاج يتم عن طريق السيطرة المحكمة على مصادر المعلومات • ولما كان كل شىء يتم عن طريق وزارة الدعاية فقد أصبحت هذه ، المكان الوحيد الذى يمكن أن تستقى منه المعلومات •

ولقد نفذت الرقابة تحت ستار تهديد لا يكاد يكون مستترا ، فلقد كان شبح معسكرات الاعتقال والمصادرة تجعل أى محرر صحفى أو منتج فيلم يسير فى الصف مع القافلة •

وكانت غرفة الثقافة التابعة للرايخ هى التى تسيطر على ميدان الفنون • ولما كان لزاما على كل من يريد أن يعمل فى حقل الفنون أو فى حقل الاعمال الفكرية أن ينتمى الى غرفة الثقافة ، فقـد كانت هذه الغرفة ـ بدلا من وزارة الدعاية ـ هى التى توجه الاعضاء وترشدهم الى الطريق المطلوب •

ويعالج كتاب هادا موفسكى عن الدعاية مناقشة كيفية استخدام الشعارات الصحيحة والتفسيرات التى كان النازى يصرون عليها • لقد كان النازى ينادى باستخدام « المنظمات العامة » و « التعاونيات » الى أقصى حد • وكانت هذه تبدو كما لو كانت معقدة بينما هى فى الحقيقة تتفق مع الاحوال المعيشية المختلفة • وكانت طرق الدعاية الرسمية التى تتبعها تتفق مع الاهـداف الرئيسية لحياة كل الامة ، وكانت قوة الدولة التنفيذية تجعل من المستحيل القيام بأية محاولة ـ سلبية أو ايجابية ـ لعبور هذا الخط وتعدى هذه الاهداف ! وكان يؤكد رسالة هذه المنظمات احتكار أجهزة الاعلام الجماهيرية والتعاون الكامل من جانب المدارس،

وقال : ان المدارس الالمانية يجب أن تقلع عن « ولائها لمبدأ الحرية والفردية • ويجب في المستقبل أن تكون المهام العامة للدعاية القومية متضمنة تحديد المادة التى تدرس فى المعاهد التعليمية طالما هى متعلقة بأى شىء سياسى » •

وهو يحذر الاجهزة من عواقب عدم التعاون تعاونا كليا مع الحركة « فاذا رضيت النخبة الممتازة بمحض ارادتها عن وضع أنفسها فى خدمة قضية أمتنا بكل اخلاص وعاطفة فلن تكون هناك حاجة لان ننتقص من حرية الصحافة عن طريق الرقابة او التشريع. بل سوف يكفى أن نتيح الفرصة من الناحية التشريعية أمام الجماعات المهنية كى تطهر أنفسها من العناصر غير المرغوب فيها وتوقف نشاطها » •

منظمات الحرب النفسية الأمريكية فى الحرب العالمية الثانية :

عندما دخلت أمريكا الحرب فى ٧ من ديسمبر ١٩٤١ كانت مهمة نشر الدعاية فى الخارج يتولاها كل من مكتب تنسيق الشئون الامريكية الذى كان يقصر نشاطه على أمريكا اللاتينية ، ومكتب تنسيق الاستعلامات الذى كان يعمل فى باقى العالم •

وكان قد أنشىء فى ١٦ من أغسطس ١٩٤٠ مكتب تنسيق الشئون الأمريكية تحت ادارة نيلسون روكفلر للاضطلاع بمهمة تنمية العلاقات الطيبة بين الشعوب الامريكية • وكانت النظرة الى نواحى الاستعلامات المختلفة مثل الصحافة والاذاعة والسينما هى أنها جزء مكمل لبرنامج العلاقات العامة الثقافية والتجارية الذى كانت تقوم به متعاونة تعاونا وثيقا مع وزارة الخارجية •

وعندما أعلنت الحرب ساعد مكتب تنسيق الشئون الامريكية على اقناع شعوب أمريكا اللاتينية بضرورة قيام تضامن فى نصف الكرة الغربى حماية لمصالح هذا الجزء من العالم •

تنسيق المعلومات :

وفى ١١ من يوليو ١٩٤١ أنشىء مكتب تنسيق الاستعلامات بمقتضى أمر عسكرى أصدره الرئيس روزفلت ، وأسندت اليه مهمتان : الأولى تنسيق جمع المعلومات من جميع المصادر وتحليلها بما فى ذلك القوات المسلحة ، والأخيرة اذاعة المعلومات فى الخارج فى مناطق خارج أمريكا اللاتينية .

وكانت المهمة الثانية غير واضحة فى الامر الخاص بانشاء المكتب ، لكن كان مفهوما عند كل من رئيس الولايات المتحدة ورئيس مكتب التنسيق جنرال وليم دونوفان انه من الضرورى أن تنشا هيئة استعلامات خارجية كجزء مكمل لمكتب تنسيق الاستعلامات . وكان الرئيس قد أصدر توجيهاته ألا تشترك هذه الهيئة فى نشاط الاستعلامات المحلية .

وقام الجنرال دونوفان وكان كولونيلا فى ذلك الوقت بتعيين روبرت شيروود مديرا لهيئة الاستعلامات الخارجية F I S ، ومقرها مدينة نيويورك .

كانت هذه الهيئة ذات الاستقلال الذاتى تضطلع بترويج مبادىء الديمقراطية ونشر قضية الامم المتحدة وشرح أهداف الولايات المتحدة فى جميع أنحاء العالم فيما عدا أمريكا اللاتينية . وطبقا لتوجيهاتها كانت هيئة الاستعلامات الخارجية تشرح خططها ومشروعاتها الخاصة بسياسة الولايات المتحدة الخارجية والعسكرية بالاشتراك مع وزارات الخارجية والحرب والبحرية ، كما حاولت أن تحقق أهدافها الخاصة بعملياتها بالتعاون الوثيق مع الحكومة البريطانية .

وكانت هيئة الاستعلامات الخارجية تعمل على أساس افتراض أن الحكومة الديمقراطية لا يمكن أن تقوم بدعاية كاذبة فى الخارج كتلك التى كان يقوم بها جوبلز ، وان الاساس السليم الوحيد هو الصدق . وطبقا لهذا حاولت أن تقوم ببرنامج للدعاية تكون فيه الاخبار اليومية العنصر الاساسى .

وعندما دخلت أمريكا الحرب فى ديسمبر ١٩٤١ كان مكتب تنسيق الشئون الامريكية وهيئة الاستعلامات الخارجية يقدمان برامج على الموجة القصيرة ، ولكن

لم تستخدم فى البرامج الموجهة الى ما وراء البحار الا لغات قليلة ، فمثلا لم يوجه برنامج باللغة اليابانية على الموجة القصيرة الى الامبراطورية اليابانية الا بعد مرور ساعات من الهجوم على بيرل هاربور • وكانت محطات الارسال التابعة لهيئة الاستعلامات الخارجية مثبتة على الساحل الغربى للولايات المتحدة •

وبالرغم من استخدام الحرب النفسية على المستوى الاستراتيجى والمستوى التكتيكى فى الحرب العالمية الاولى فان الامريكيين بدأوا عمليات مشابهة فى الحرب العالمية الثانية دون الاستفادة من درس الحرب الاولى • وبالاضافة الى ذلك كان قادة القمة من الرئيس الى من هم أقل منه مشغولين فى المشكلات الاستراتيجية العامة العسكرية والسياسية من جهة ، ومن جهة أخرى لم يتفهموا امكانيات الحرب النفسية فى النضال العالمى ضد النازى وضد اليابانيين • وكانت النتيجة أن التفكير فى نوع التنظيم الذى تحتاج اليه عمليات الحرب النفسية لم يكن واضحا ولا ثابتا ، وكانت النتيجة العامة أن سادت الفوضى هذا المجال فى أثناء الشهور الستة التى أعقبت الهجوم على بيرل هاربور •

وقد أدى الارتباك الذى حدث بشأن كيفية تحقيق برنامج الدولة الخاص بمعلومات الحرب ـ فى الداخل وفى الخارج ـ الى تقديم عدة مقترحات عن كيفية اعادة تنظيم هذا المجهود • وكانت كل خطط اعادة التنظيم تشترك فى المظاهر المختلفة الآتية :

« لقد اعترف الجميع بأن الموقف الحالى ليس طيبا ، واقترح الجميع أن خطوط المسئولية الادارية يجب أن تحدد بوضوح ، وطالبوا بتخطيط أفضل وبنظام لتنسيق الانتاج » •

مكتب معلومات الحرب :

وفى ١٣ من يونيو ١٩٤٢ صدر أمر تنفيذىرقم ٩٦٨٢ بانشاء مكتب معلومات الحرب • وكان هذا الامر قد صدر بناء على مقترحات وردت فى مذكرة خاصة باعادة تنظيم خدمات معلومات الحرب التى قدمها رئيس الميزانية الى رئيس الولايات

المتحدة في ٧ من مارس ١٩٤٢ • ولكن نيلسون روكفلر رئيس مكتب تنسيق الشئون الأمريكية قاوم الحاق مكتبه في هيئة خاصة بالمعلومات الخارجية • وكانت النتيجة أن ترك الأمر الخاص بانشاء مكتب معلومات الحرب مكتب تنسيق الشئون الأمريكية خارج التنظيم الجديد •

وقد أنشيء مكتب معلومات الحرب بأن نقل اليه عدة خدمات خاصة بالمعلومات سواء الداخلية منها والخارجية • ومن بين الهيئات أو الخدمات التى ضمت الى مكتب معلومات الحرب الهيئات الآتية : مكتب الحقائق والارقام ، مكتب التقارير الحكومية ، نشاط المعلومات العامة الخاصة بمكتب ادارة الطوارىء ، هيئة المعلومات الخارجية التابعة لمكتب تنسيق المعلومات •

والواقع أن هيئة المعلومات الخارجية التابعة لمكتب تنسيق المعلومات ونشاطها هما ما يهم دارس الحرب النفسية ، فحينما ضمت الى مكتب معلومات الحرب أصبحت هيئة المعلومات الخارجية فرعا له فيما وراء البحار • أما الفرع المحلى لمكتب معلومات الحرب فكان يتألف من الموظفين الذين نقلوا اليه من مكتب الحقائق والارقام ومكتب التقارير الحكومية ومكتب ادارة الطوارىء ، وهذا لا يهم فى كثير دارس الدعاية الخارجية والمعلومات الدولية •

أما بقية مهام مكتب تنسيق المعلومات الخاصة بجمع البيانات والمعلومات عن المناطق الخارجية فقد نقلت الى هيئة جديدة « مكتب الخدمات الاستراتيجية » تحت ادارة الكولونيل دونوفان ، ثم حول مكتب الخدمات الاستراتيجية بعد ذلك الى هيئة تابعة للهيئة المشتركة لرؤساء هيئة أركان الحرب •

ولم يقسم الامر الصادر بانشاء مكتب معلومات الحرب المسئولية بينه وبين مكتب الخدمات الاستراتيجية فيما يخص الحرب النفسية •

وفى السنة الاولى من وجود مكتب معلومات الحرب كان نشاط المعلومات المحلية هو السائد. وقد ظل فرع ما وراء البحار يؤدى عمله حتى آخر ربيع أو صيف عام ١٩٤٣ كما ظل وحدة قائمة بذاتها • وفى المدة منذ انشاء مكتب معلومات

الحرب فى يونيو ١٩٤٢ حتى ٩ من مارس ١٩٤٣ كانت هناك ثلاثة عوامل ذات أثر على طبيعة التنظيم جاءت نتيجة خبرة الحرب : الاول كان نشاط ما وراء البحار الخاص بمكتب معلومات الحرب ومكتب الخدمات الاستراتيجية غير محدد • الثانى كان تنسيق العمل بين مكتب معلومات الحرب ومكتب الخدمات الاستراتيجية ومكتب تنسيق الشئون الأمريكية تمزقه الخلافات • الأخير بالرغم من أن المجهودات الكبرى للقادة الكبار كانت خاصة بالبرامج المحلية فان مكتب الخدمات الاستراتيجية تحت القيادة الديناميكية للجنرال دونوفان كان يقوم برسم خطط بعيدة المدى خاصة بالحرب النفسية وعلاقتها بالحملات العسكرية المقبلة •• وكان لا يتقبل هذه الخطط روبرت شيروود رئيس فرع ما وراء البحار أو المر دافيز مدير مكتب معلومات الحرب •

ولقد حاولت الهيئة المشتركة لرؤساء أركان الحرب فى ديسمبر ١٩٤٢ فى أثناء العمليات العسكرية الامريكية فى الحرب العالمية الثانية أن تفض النزاع الذى كان قائما بين مكتب الخدمات الاستراتيجية ومكتب معلومات الحرب ، وذلك باصدار أمر يخول لمكتب الخدمات الاستراتيجية السلطة التامة لتخطيط البرنامج العسكرى للحرب النفسية وتنفيذه وتنسيقه • وقد ثبت بعد ذلك أن اصدار هذا الامر لم يكن مفيدا ، فلم يتغلغل الامر ليصل الى أساس المشكلة وهو عدم وجود تنسيق •

واستمرت منافسة الهيئات بعضها مع بعض ، وأدى ذلك الى أن أصبحت كل هيئة لا تعرف ما تخططه أو تفعله الهيئات الاخرى • وثبت أن منشور الهيئة المشتركة لرؤساء أركان الحرب لم يكن فيه حل للمشكلة ، لأنه لم يركز كثيرا على الفلسفة الأمريكية السائدة أو المفهوم السياسى السائد ، وهو أن الدعاية ـ ان لم تكن الحرب النفسية كلها ـ يجب أن تكون أولا وأخيرا مسئولية المدنيين .

ونتيجة لذلك تقدم مستر دافيز رئيس مكتب معلومات الحرب ومستر روكفلر رئيس مكتب تنسيق الشئون الامريكية باحتجاج الى الرئيس ضد اغتصاب العسكريين للسلطة •

وعقب هذا الاحتجاج المقدم للرئيس صدر أمر تنفيذى رقم ٩٣١٢ بتاريخ ٩ من مارس ١٩٤٣ حدد بوضوح مسئولية مكتب معلومات الحرب فى قيادات ما وراء البحار • وجاء فى الامر الجديد أن مكتب معلومات الحرب هو الهيئة المسئولة عن عمليات المعلومات والدعاية السافرة فى الخارج •

ولكن لم يوضح الامر تماما مهام الحرب النفسية التى يحتفظ بها مكتب الخدمات الاستراتيجية ، فمثلا لم يذكر الامر ما اذا كان مكتب معلومات الحرب أو مكتب الخدمات الاستراتيجية له سلطة على نشاط الثوار أو فى حملات الدعاية المستترة • ولم يغفل الأمر كثيرا نحو حل المشكلات الخاصة بتنسيق العمل بين الهيئات المنفصلة • ومع ذلك فقد كان تقدم الحرب هو الذى عمل على حل أو تخفيف حدة هذه المنازعات بين الهيئات •

هيئات الحرب النفسية داخل المنشئات العسكرية :

وفى أوقات مختلفة فى أثناء سير الحرب كانت الهيئات العسكرية فى واشنطون تظهر اهتماما عاديا بعمليات الحرب النفسية • فأنشأت وزارة البحرية بصفة سرية فرع الحرب الخاص داخل نطاق مكتب المخابرات البحرية لتخطيط العمليات الخاصة بمنطقة الحرب النفسية والميادين المتصلة بها • وكان كابتن زاخارياس أحد الشخصيات المحركة لهذه الهيئة • فبالاضافة الى النداءات التى وجهها زاخارياس لليابان عام ١٩٤٥ فان من أهم الاعمال المتصلة بالحرب النفسية التى قام بها موظفو البحرية كانت النداءات التى وجهت الى غواصات النازى •

أما فى وزارة الحرب فلم يكن تأييد الحرب النفسية بنفس قوة وزارة البحرية • وقد تألفت جماعة الدراسات الخاصة قبل نشوب الحرب فعلا ، ولكن كانت هذه الجماعة جماعة استراتيجية على مستوى عال أكثر منها هيئة تخطيط للحرب النفسية • وفى أثناء عمرها القصير نسبيا اقتضى نشاطها انشاء حلقة اتصال مع مكتب معلومات الحرب ومكتب تنسيق الشئون الامريكية لتزويد

هذين المكتبين بالمعلومات العسكرية التى تساعد على اظهار الولايات المتحدة فى ضوء أفضل للعالم • ومن بين أعمالها الكبرى انشاء لجنة الحرب النفسية المشتركة داخل الهيئة المشتركة لرؤساء أركان الحرب •

ولجنة الحرب النفسية المشتركة عبارة عن هيئة عسكرية وتتكون عضويتها من موظفين عسكريين ، وقد حددت مهامها على النحو التالى :

« تبدأ وتشكل خطط الحرب النفسية ، وتقوم بتوجيه من اللجنة المشتركة لرؤساء أركان الحرب بتنسيق الحرب النفسية الخاصة بهيئات الولايات المتحدة الحكومية والتعاون مع الامم المهتمة لتحقيق الهدف الذى يتفق مع استراتيجية الحرب النفسية » •

لقد كان هذا عملا فيه طموح بالنسبة لجماعة عسكرية نظرا للبرامج العدائية التى كانت تمولها الهيئات المدنية والتى كانت تنال تأييد البيت الابيض وطبيعى أن لجنة الحرب النفسية المشتركة لم تقم بعمل كبير • وبعد انشاء مكتب معلومات الحرب رفض هذا المكتب أن يتعاون مع لجنة الحرب النفسية المشتركة • وأعادت الهيئة المشتركة لرؤساء أركان الحرب تنظيم لجنة الحرب النفسية المشتركة التى كانت مشغولة جدا بحل كثير من المشكلات الادارية الخاصة بمكتب الخدمات الاستراتيجية . وفى أواخر عام ١٩٤٢ توقف نشاط لجنة الحرب النفسية المشتركة وعطلت نهائيا بواسطة الهيئة المشتركة لرؤساء أركان الحرب • وبعد هذه الحركة لم تحاول أى لجنة من لجان الهيئة المشتركة لرؤساء أركان الحرب أن تمارس أى مسئولية دائمة لها صلة بعمليات الحرب النفسية •

منظمات الحرب النفسية فى القيادات العسكرية فيما وراء البحار :

كان الأمر رقم ٩٣١٢ بتاريخ ٩ من مارس ١٩٤٣ الذى أعاد تحديد مهام كل من مكتب معلومات الحرب ومكتب الخدمات الاستراتيجية مسئولا الى حد كبير

عن طبيعة منظمات الحرب النفسية التى أنشئت فى أثناء الحرب فى القيادات الموجودة فيما وراء البحار . كان هذا الجزء من الامر الذى نص على ضرورة الحصول على موافقة قائد الميدان معمولا به بدقة ، وكان ذا تأثير كبير على مدى العمليات التى كانت تتم وعلى نوعها .

كان تنظيم عمليات الحرب النفسية فى كل مكان يتم على أساس ارتجالى . لم يكن هناك تبادل كبير للمعلومات بين القيادة العسكرية الكبرى والقيادات الأخرى . ولهذا لا يمكن لانسان أن يصف بجرة قلم واحدة خصائص التنظيم الذى كان موجودا فى الجيش لسير عمليات الحرب النفسية فى الميدان . كانت هناك اختلافات هامة فى التركيب أو التشكيل بين كل قيادة والقيادة الاخرى .

وكانت المنطقة التى بدأت فيها الولايات المتحدة القيام بمجهود عسكرى فى الحرب النفسية فى الحرب العالمية الثانية هى شمال أفريقيا . لقد كانت طبيعة العملية « انجليزية أمريكية » وشخصية القائد « جنرال أيزنهاور » هى التى حددت لون التنظيم الذى كان ينفذ هذه الحملات فى القارة فى المدة من ١٩٤٣ حتى ١٩٤٥ ، وكان مفهوم جنرال أيزنهاور الخاص بالتنظيم العسكرى يتطلب انشاء هيئة موظفين عسكريين لتخطيط عمليات الحرب النفسية والاشراف عليها : وكانت هذه العملية قسمة مشتركة بين الامريكيين والبريطانيين .

وكان مفهوم التنظيم طبقا لقيادة الجنرال أيزنهاور أن يحقق التضامن بين المواهب الامريكية والبريطانية ، كما يهدف التنظيم الى استخدام الموظفين الذين يشغلون وظائف ذات مسئولية كبرى ، على حسب قدراتهم الفردية بغض النظر عما اذا كانوا ينتمون الى هيئات عسكرية أو يتبعون هيئة مدنية . وكانت نتيجة ذلك فى قيادات جنرال أيزنهاور فى شمال أفريقيا ١٩٤٣ ، وفى قيادة شمال غربى أوروبا ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ أن أسند أكبر منصب فى الحرب النفسية الى قائد أمريكى .

قسم الحرب النفسية « القيادة العليا لقوات الحلفاء » :

ولقد اسندت مهمة تخطيط واستخدام الحرب النفسية والتنفيذ الفعلى للعمليات فى منطقة قارة أوروبا الى قسم الحرب النفسية التابع للقيادة العليا لقوات الحلفاء . وكان هذا القسم جزءا خاصا من أجزاء القيادة العليا لقوات الحلفاء . وعلى خلاف أقسام القيادة الاخرى كان هذا القسم يسند اليه مهمتا تخطيط الافراد والعمليات .

وكانت مهام قسم الحرب النفسية هى :

- شن الحرب النفسية ضد العدو .
- استخدام كل الأجهزة الممكنة الخاصة بالحرب النفسية وحفظ الروح المعنوية للدول الصديقة التى كان يحتلها العدو واقناع شعوب البلاد بالانصياع لرغبات القائد الاعلى .
- القيام بعمل دعاية متضامنة فى البلاد الصديقة المتحررة .
- السيطرة على خدمات المعلومات فى الجزء الذى يحتله الحلفاء من ألمانيا .

وكان يساعد رئيس قسم الحرب النفسية أربعة نواب وقد أسند اليهم الاشراف على الفروع الآتية :

- الخطط والمنشورات .
- المخابرات .
- الاذاعة .
- النشرات .
- الصحافة .
- الأفلام .
- المطبوعات .
- العمليات الخاصة .

وفى الأقسام المستقلة والأقسام الفرعية لقسم الحرب النفسية كان يتولى بعضها بريطانيون والبعض الآخر أمريكيون • وعندما كانت الرياسة فى يد بريطانى كان نائب الرئيس الأقدم أمريكيا والعكس بالعكس • وكان هذا الاجراء يدفع المجموعة الى أن تفكر وتخطط وتعمل معا كفريق واحد أكثر من العمل كممثلين للهيئات المدنية أو الهيئات العسكرية لهذه الدولة أو تلك •

التنظيم السوفييتى للحرب النفسية :

انتشرت فى المحافل الغربية أسطورة تقول : أن الشيوعيين قد اكتشفوا قوة غامضة للكلمات ، ولكن هذه الفكرة تعتبر الى حد كبير غير دقيقة ، بل تعتبر فكرة خاطئة مضللة •

والواقع أنه لم يعد هناك غموض ولا ابهام فى العمليات النفسية عند السوفييت ، فقد توافر الآن الكثير من المعلومات التى أزالت الغطاء عن النظرية السوفييتية • فهناك كتابات لنين (١ ـ ٣) وستالين (٤ ـ ٥) ، وكذا اجراءات ومناقشات مجلس السوفييت الاعلى وغيره من الهيئات التى تناقش فى اجتماعاتها هذه العمليات ، كما تتوافر أيضا على سبيل المثال الكتيبات المعدة لتعليم الدعاة ، والكتب الدراسية لمدارس تعليم الشيوعية، والدوريات والنشرات التى تستخدم لنشر الدعاية وتقديم المعلومات للدعاة الذين يقومون بهذه الدعاية ، وغير ذلك من المراجع التى يمكن الاعتماد عليها •

على أن هذا ليس كل شىء فهناك دراسات كثيرة عن الدعاية السوفيتية ، كما أن هناك حصيلة تتزايد عن المعلومات المستقاة من أولئك الذين يفرون من

---

(١) Vladimir I. L, A Training Pamphlet , 1920.

(٢) , , , , Selected Works International Publishers Co, New York, 1935.

(٣) , , , , Collected Works, International Publishers, New York, 1927, 1 : 226.

(٤) Joseph Stalin, Problems of Leninism, Foreign Publishing House, Moscow, 1940, P. 211.

(٥) Joseph Stalin, Works State Publishing House, Moscow, 1946 - 1952.

الجانب السوفييتى « المرتدين » Defectors وغير هذا من المصـادر من داخل الفلك السوفييتى نفسه • ولذا فمن الصعب ـ فى ضوء معلومات كهذه ـ أن يكون من الصحيح أو الدقيق أن نقول عن النظرية السوفييتية للعمليات النفسية : أنها مبهمة غامضة •

على أنه من جهة اخرى من المضلل أن نفكر فى هذه العمليات السوفييتية على أساس الكلمات فالكلمة لا تقف وحدها فى التخطيط السوفييتى ، ومن البداية قيل للشيوعيـين بوسـاطة قادتهم : أن الـكلمات ليست كافيـة وانهـا يجب أن تندمج فى الأفعال ، وأن تنغمر هى والأفعال معا فى « التنظيم » ، والحقيقة الواضحة على ما يقول هارولد لاسويل Harold Lasswell (١) وكما أشار غيره : ان الشيوعيين لا يخوضون المعركة اطلاقا من أجل السـيطرة على عقـول الرجال عامة اللهم الا فيما هو ضرورى لـكسب عدد معين من عقول الرجـال بقصد اكتساب المصادر المادية لقوة يظن أن عقول الجماهير تتأثر بها وتعمـل بوحيها •• أى بمعنى آخر أن المعركة تهدف الى اكتساب عقول الزعماء والقادة •

ولهذا فاننا عندما نحـاول أن نصف العمليات السيكولوجية السوفييتية فاننا لا نكون فى الواقع متحدثين عن « سلاح الكلمات » بقدر ما نكون متحـدثين عن « سلاح خاص بالتنظيم » Organizational على ما يطلق عليه سلزنيك(٢) •

واذا كان السوفييت قد اكتشفوا أى شيء جديد فليس هو « قوة الكلمة » بل قوة الحزب المنظم والمكرس للقتال •

---

(١) Harold D: Lasswell, « The Strategy of Soviet Propaganda » Proceedings of the Political Science 1951 24: 66 76.

وقد اعيد نشرها فى كتاب :

The Process and Effects of Mass Commumications Unversity of Illinois Press, 1954 PP. 537 - 547.

(٢) Philip Cleznisk, The Organizational Weapon Study of Bolshevik Strategy and Tactics McGraw - Hill Cy, New York 1952.

والحق أن هناك فكرة مجردة عن « حزب يعمل كله » مع استخدام الكلمات والأفعال فى تجمعات وطوابع تبعا للحاجة فى السلم أو فى الحرب لمناصرة وتعضيد أهداف الحزب ٠

ولهذا فان الطريق الى تفهم الحرب النفسية عن السوفييت انما يجىء عن طريق تفهم هذا الحزب المقاتل ٠٠ تفهم معتقداته واهدافه ووجهات نظر الحزب على النطاق العالمى وتنظيمه ثم تفهم عقيدته التكتيكية ، وهذه كلهـــا تتحكم فى التنظيم السوفييتى للحرب النفسية ٠

نواة التنظيم :

والخطوة الأولى فى الطابع الشيوعى هى بناء نواة تنظيم مقاتل منظم عنيف صلب ، ونجد هذا موضحا بعناية فى وثائق الحزب ، وقد جاءت هذه السطور فى احدى دراسات المؤتمر الدولى الثانى لسنة ١٩٢٠ :

« يجب أن يكون الهدف الأســاسى فى العمـل مجموعا بوســاطة الحزب الشيوعى أو بوساطة الافراد الشيوعيين ، هو ايجاد النواة الشيوعية فى كل مكان يمكن أن تتوافر فيه بروليتاريا أو شبه بروليتاريا حتى ولو بأعداد قليلة » ٠

والمشكلة فى هذه المرحلة هى الحصول على أنصار ومشايعين لتحويلهم من مجرد « مشايعين يناصرون بالموافقة ما يقــال لهم الى عقائديين يمكن مطالبتهم بالموافقة التامة على كل ما يلقى عليهم » ، ولهذا فان الدعاية الموجهة لهذا الغرض يجب أن تشتمل على محتوى عقائدى عالى الدرجة ، كما يجب الاعتماد تماما على مدارس التوعية فى الحزب ٠

ولقد أدت التوجيهات الماركسية بالبولشفيك الى أن يركزوا جهــدهم على الطبقة العاملة ، ويقول لنين فى كتيبه الصادر سنة ١٩٢٠ :

« يجب أن نكون قادرين على أن نصمد ازاء هذا كله وأن نتحمل أى تضحية بل نلجأ ـ لو قضت الضرورة ـ الى القيام بأى خدعة أو حيلة أو أى عمل غير

قانونى مهما كانت صورته ، والى اى مراوغات وحيل كى ننفذ الى داخل اتحادات العمال وأن نبقى داخلها ثم نتابع القيام بعملنا الشيوعى داخل هذه الاتحادات بأى ثمن » .

والواقع أن ذكره لاتحادات العمال بدلا من جماهير الطبقة العاملة يوضح نية البولشفيك فى تعبئة التنظيم القائم الموجود ، وقد جاء فى المؤتمر الدولى الثانى : « ولا يخشى الشيوعيون منظمات العمال الكبيرة التى لا تتبع أى حزب حتى ولو كانت رجعية الطابع ، فان الحزب الشيوعى يتابع عمله داخل مثل هذه المنظمات ويقوم بتعليم العمال دون كلل أو ملل » .

وعندما حولت المنظمات الشيوعية انتباهها من حافات أوروبا الى آسيا والبلاد الاقل اتجاها للصناعة بدأ الجهد الذى يبذل فى التنظيم يتحول نحو جماعات أخرى مثل العمال الزراعيين ، ففى الصين مثلا كان مركز الثقل للحركة الشيوعية فى المزارع لا فى المصانع ، ولكن كانت هذه تمثل المصادر المتوافرة للتوتر الذى تثيره الجماهير ، وتمثل القوة الخفية الكامنة ، ومن ثم فانه كالعادة كانت المناورة الأولى بناء القوة داخل الجماعات الاحتياطية القائمة وغير الراضية عن حالها .

وفور أن ينفذ أعضاء الحزب الى مراكز أعصاب المجتمع فانهم يبدأون المناورة بموافقة الحكومة نفسها ، وهم فى هذه المرحلة يكونون أقوياء بالقدر الذى يمكنهم من العمل كأحزاب وكاتحادات .. الخ ، كما أنهم يستطيعون عقد تحالفات مع جماعات أخرى ذات قوة .

يقول ستالين عن هذا :

« ان أولئك الذين لايثقون بانفسهم هم وحدهم الذين يخافون أن يقوموا بتحالفات موقوتة مع الناس الذين لا يوثق بهم ولا يعتمد عليهم » .

ولكن ستالين والزعماء الآخرين حذروا الحزب من الاستخدام السيىء لأى تحالف ، دون أن يغض النظر لحظة واحدة عن حقيقة أن هذا الحليف الموقوت هو عدو المستقبل .

فان الحزب اذا ما دخل فى علاقات غير العداء العلنى مع أى جماعة خارجية أخرى فانه يجب أن « يستخدم الحزب هذه الجماعة » والا « استخدمته هى » ، ولا يجوز بحال ما الاعتماد على معونة أى جماعة خارجية الا فى حالة التحالف الموقوت ، وتعتبر هذه التحالفات علاقات عابرة زائلة يمكن الدخول فيها بحرص وحذر ، واستخدامها كخطوات للوصول الى قوة أعظم •

الكلمات والأفعال :

ولقد عرف ستالين الزعامة السياسية بأنها :

« القدرة على اقناع الجماهير بصواب سياسة الحزب » ، وقد قال أيضا : « لو أن دعاية حزب صارت بسبب ما عرجاء ركيكة فلا معدى من أن يضعف عمل حزبنا ودولتنا » •

وقال لنين : « ان للدعاية أهمية قصوى للانتصار النهائى للحزب » •

ولكنه أضاف فى فرصة اخرى « لقد حققت ديكتاتورية البروليتاريا نجاحا بسبب أنها عرفت كيف تقرن الاكراه والالزام بالاستمالة والاقناع » فان الكلمات لم تكن كافية •

ولقد أشار الزعماء دون تغيير وتباين فى المعانى وان تباينت أو اختلفت فى الالفاظ الى أن ملايين الدعاة لايستطيعون وحدهم أن يحققوا نصرا ، فقال لنين[1] « لما كانت المسألة ـ ولا تزال حتى الآن ـ مسألة اكتساب طليعة البروليتاريا الى الشيوعية فان الدعاية ـ الى هذا الحد ـ تحتل مكان الصدارة ، وتعتبر دوائر الدعاية حتى مع كل ما فيها من نقص ذات نفع تحت هذه الظروف وتجىء بنتائج لها ثمارها ، ولكن عندما تكون المسألة مسألة الدور العملى للجماهير أو دور التنسيق والتدبير او كانت لتشكيل قوى الطبقات فى مجتمع معين للمعركة

---

(١) سلزنيك فى كتابه « السلاح التنظيمى » ص ٩ •

النهائية الحاسمة ، فان الدعاية والتى هى مجرد تكرار لحقائق الشيوعية الخالصة لا تكون ذات نفع ، وتكون وظيفة الدعاية اذ ذاك حث الطليعة واجتذابها ، ولكن واجب مناورة الجماهير فى المعركة ضد الراسماليين ليس هو بالامر الذى يمكن أن يتولاه رجل الدعاية وحده » .

ولقد قال لنين « يجب أن تكون كل خلية او كل لجنـــة من أفراد الحزب بمثابة قاعدة تعضد أعمال الاثارة والدعاية والتنظيم بين الجماهير ، اى يجب أن يذهب أفراد الخلايا واللجان الى حيث تكون الجماهير ، ويجب أن يوجهوا وعيهم فى كل خطوة نحو الشيوعية ، ويجب أن يربطوا بين كل مســألة خاصة وبين واجبات البروليتاريا ، ويجب أن يستخدموا كل محاولة لزيادة تدعيم قضـــية الطبقة ـ يقصد قضية طبقة البروليتاريا ـ وأن يستطيعوا بنشاطهم وبتاثيرهم المعنوى أن يحصلوا على الزعامة والقيادة فى كل منظمة قانونية للبروليتاريا » .

ولقد كان بلخانوف Plekhanov (١) هو الذى وضع التوضيح الشهير الذى يفرق بين « الدعاية » وبين « الاثارة » فقال :

« ان رجل الدعاية يقدم آراء كثيرة لفرد واحد أو لعدد قليل من الافراد ، ولكن المثير الذى يقوم باشعال الفتن يعرض رأيا واحدا أو أراء قليلة لجمع غفير من الناس(٢) .

كما قال لنين فى تعليقه على هذه التفرقة وصورة التباين بين « الدعاية » وبين « الاثارة » على ما يذكره بلخانوف :

« يثبت المثير انتباهه على ظلم أو جور ثابت معين يوجده أو يولده التضارب أو التناقض المتوارث فى الراسمالية ، ثم يعمل تبعـا لهذا على اثارة عدم رضا

---

(١) J. Peters, The Communistparty, A Manual on Organization, Workers Library, New York, 1935, P. 202.

(٢) G. Plekhanov, Sochineniya (Works), Gosudarstvennoe Gzdatel, Stvo, Moscow, 1927.

الجماهير وسخطها ضد هذا الظلم الصارخ تاركا لرجل الدعاية مسئولية اعطاء توضيح كامل للتناقضات ، وهذا هو السبب فى أن رجل الدعاية يعمل عن طريق الكلمة المكتوبة على حين يعمل المثير على أساس الكلمة الشفوية » .

ولهذا ففى التفكير الشيوعى لا يوجد حد فاصل بين رجل الدعاية وبين المثير ، فكلاهما تتطلبه الحاجة فى الحزب المقاتل ، وتتكيف كلمات كل منهما واعماله ضمن ألوان النشاط التنظيمية المختلفة للحزب .

التنظيم للقتال :

وليس من الضرورى أن نذكر هنا الكيان الكامل للحزب ، ولكن قد يكون من المرغوب فيه أن نوضح العلاقة بين « الدعاية » و « الاثارة » وبين الكيان الكامل للحزب .

ان أبرز النقاط التى يجب توضيحها هى أن السيطرة على نشاط الدعاية والاثارة انما يتم فى أعلى مراتب ودرجات رياسة الحزب ، وادارة الدعاية Agtiprop (١) واحدة من الادارات السبع فى اللجنة المركزية للحزب ، ولكنها لا ترسم السياسات الاساسية للدعاية فان هذا حق اللجنة المركزية نفسها ، ولا تتولى هذه الادارة أيضا ادارة برنامج الدعاية والاثارة وما الى هذا من نشاط مماثل ، فان مسئولية العمليات الجارية فى البرنامج تتولاها الوكالات الحكومية المعنية ، ولكن هذه الادارة فى الواقع تجمع وتحلل المعلومات التى يمكن على أساسها أن تقرر اللجنة المركزية كل ما يختص بالسياسات النفسية Psychological Politics وبعد ذلك تقوم اللجنة بتفسير هذه القرارات وتقسيمها ، ثم عن طريق فروعها وعن طريق وحدات الحزب المماثلة فى المناطق والنواحى ، تطمئن الادارة المركزية الى أن كل الآلة تسير بانتظام دون أى معوق .

---

(١) Agitprop اختزال الاسم قسم الدعاية والاثارة Propaganda and Agitation Section فى اللجنة المركزية للحزب .

وقد يمكن تصوير مدى أو مجال هذا اللون من نشاط الحزب بأن نوضح الاقسام والفروع التى فى الادارة المركزية للدعاية والاثارة (١) :

- قسم أو قطاع يتولى تعليم أعضاء الحزب كما يتولى تعليم المثقفين من غير أعضاء الحزب Non-Party Intelligentsia العقيدة الشيوعية .

- قسم لأعمال الاثارة يعتبر مسئولا عن التعليم السياسى للجماهير وعن تعبئة كل أفراد الشعب للقيام بما يريده الحزب .

- قسم مركزى للصحافة يشرف على صحف موسكو التى توزع فى كل انحاء الاتحاد السوفييتى ، ويجمع كل رؤساء التحرير ليصدر لهم التوجيهات ولنقد كل ما ينشر فى الصحف .

- قسم محلى للصحافة من واجبه اصدار التوجيهات Directives للسبعة الآلاف جريدة المحلية التى تصدر فى الاتحاد السوفييتى . ويعقد مؤتمرات أقليمية لرؤساء التحرير فى كل اقليم ويفحص بين حين وآخر ما ينشر فى هذه الصحف .

- مع أن الاذاعة والسينما تتولاهما ادارات حكومية مختصة فثمة قسمان للاذاعة وللسينما لمراقبة النشاط فى هذين المجالين وتوجيهه .

- قسم يعنى بما ينشر من دراسات أدبية اذ يقول لنين : « يجب أن تتمشى الآداب مع اتجاهات الحزب » .

- قسم للاشراف على الشئون الفنية : الموسيقى ، المسرح ، الرسم ونحو هذا .

- قسم علمى يشرف على التثقيف العلمى وعلى استخدام العلماء .

- قسم مدرسى لشرح سياسات الكرملين ولجمع المعلومات عن الموضوعات والمشكلات التى تتطلب توجيهات جديدة .

---

(١) Louis Nemzer, The Kremlin's Professional Staff : The Apperatus of The Central Committee, Communist Party of The Soviet Union, A. P. Review 44 : 46-63, 1950.

• وأخيرا قسم ثقافى للتوعية لتوجيه نشاط المنتديات واتحاد العمال وغرف المطالعة العامة والمراكز الثقافية الأخرى فى كل جمهوريات الاتحاد السوفييتى •

هذا التنظيم هو ما يطلق عليه دوميناش Domenach اسم « البرنامج الشامل » (١) فى المقال الذى كتبه عن « دعاية لنين » ذلك لأن كل حياة المواطن تكون غرضا لهذا البرنامج ، فالمدارس ابتداء من المرحلة الابتدائية تكرر على آذان الطفل سياسة الحزب وتعاليمه ومخططه ، والصحف على ما قال لنين لا تكون وسيلة للدعاية الجماعية ولا تكون عاملا للاثارة الجماعية فحسب بل تقوم أيضا بدور التنظيم الجماعى • والعلم والموسيقى ، والفن ، والسينما والآداب يجب أن تعبر كلها على ما قال زدانوف عن رغبة الحزب وارادته ، وفى كل مكان نجد « المراقبين » Observers و « المثيرون » Agitators وهؤلاء على ما يقول ديمتروف : « يجب أن يعارضوا دون مسالمة أو هوادة أى انحراف عن الاتجاه البولشفى •

هذا عن العمليات الشيوعية السيكولوجية داخل الفلك السوفييتى حيث توجه الدول الشيوعية ٩٠٪ من جهدها الخاص بالدعاية • أما خارج حدودها فالصورة تختلف وان كان هذا الاختلاف هو فقط فى الدرجة والتوقيت ، فالحزب المقاتل يعمل فى كل مكان ، ويستخدم نفس الاسلحة التنظيمية ويستجيب لنفس السيطرة الصلبة الجامدة •

أثر التنظيم فى الحرب النفسية :

الواقع أن روسيا السوفييتية هى أول دولة فى العالم استطاعت أن تخلق تنظيما شاملا لدعاة واداريين ومنظمين يعملون كل الوقت لخدمة الحزب كما أنها أول دولة فى العالم استطاعت أن تكرم وتكافىء هذه المجموعة الكبيرة من الناس الذين يعملون من أجل الحزب •

---

(١) Jean - Marie Domenach, «Leninist Propaganda» Public Opsinion Quarterly, 15; P. 272, 1951.

وبالاضافة لذلك فانه يسـاند هذا البنيان عون آخر للحرب النفسية ، ذلك هو الحجم الكبير والتباين الواسع لموارد القتال المتوافرة • فالحزب يشمل عددا كبيرا جدا من الاعضاء ، اذ يصل عدد اعضاء الحزب الشيوعى السوفييتى الى ستة ملايين عضو ، وقد لا نكون مغـالين اذا قلنـا ان كل عضــو من هؤلاء الاعضاء ـ الى حد ما ـ داعية مدرب •

كما ان كل وسائل الاتصال في العالم الشيوعى توجه لخدمة الحزب ، وكذلك فان الجهاز كله حتى فى أوقات الفراغ يعتبر دائما فى خدمة الحزب ، ويقوم الحزب فى كل مكان من العالم باداء واجباته مستخدما أى وسيلة وافق عليها الحزب وارتضاها وأقرها ، ولا شك أن هذا كله يشــكل قوة مقـاومة صلبة عنيفـة لا مثيل لها •

ولقد أعد الحزب البرامج بحيث تمس المواطن فى كل مرحلة من مراحل حياته ، فهو يسيطر على الاغانى التى ينشدها والالعاب التى يمارسها وهو فى المرحلة الأولى من دراسته ، ثم يسيطر على المسرحيات التى يشاهدها وعلى الكتب والدوريات التى يطالعها والموسيقى التى يسمعها فى شيخوخته ، كما أن البرنامج هو الذى يحدد أنواع المنظمات التى يسهم فيها •

وبالاضافة الى هذا البرنامج الشامل توجد أسلحة الحث والاقناع والاصلاح والتهذيب ، فهنـاك التعليمـات والاوامر ، وكذا الدعـاة وقوميسرية الشئون الداخلية (١) NKVD •

على اننا نود أن نشير هنا الى ما سبق أن ذكرناه وهو عدم فصل السوفييت بين « الكلمة » و « الاجراء » فى عمليات الحرب النفسية ، ولذا فانهم لا يواجهون الا أقل المتاعب فى تكييف عمليات الحرب النفسية •

---

(١) NKVD هى Narodnii Kommissariat Vnutrennikh Del اى قوميسرية الشعب للشئون الداخلية •

الفصل الثانى

مؤهلات الأفراد

يلعب العامل البشرى دورا كبيرا فى عمليات الحرب النفسية التى يجب أن نعترف بأنها ليست نشاطا عاديا متجانسا ، ولهذا لا يمكن أن نحدد فى كلمات قليلة المؤهلات التى يجب أن تتوافر فيمن يعمل فى هذا النوع من النشاط •

وبالرغم من أننا قد نوافق على أن أعمال الدعاية تحتاج الى نوع فطرى من الذكاء ، فان كثيرا من المعلومات التى يحتاج اليها الشخص يمكن أن تكتسب • وفضلا عن ذلك فاننا فى حاجة الى مجموعة من المعايير نستطيع بواسطتها أن نميز الكفاءات والمهارات فى ميدان الدعاية ، وبمعنى آخر ما العوامل المهيئة لفرص النجاح التى يمكن أن نلمسها عند اختيار من سيعملون فى ميدان الحرب النفسية ؟

لقد كتب بالتفصيل عن مؤهلات العاملين فى الحرب النفسية سير روبرت بروس لوكهارت ، وهو من أقدر من عملوا من البريطانيين فى مجال الدعاية فى ربع القرن الماضى • وقد استقى كلامه من خبرته فى العمل فى ادارة المخابرات السياسية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية ومن عمله كمدير عام للادارة التنفيذية للحرب السياسية ، وذلك خلال الحرب العالمية الثانية •

ويقول لوكهارت فى هذا الصدد (١) :

« لا يمكننى أن أقول أن الادارة التنفيذية للحرب السياسية كانت عبارة عن فريق سهل • لذا يجب على كل عامل فى ميدان الدعاية أن تكون له صفات

(١) Lockhart Robert H. Bruce, Political Warfare, Journal of The Royal United Services Institution 95, 1950.

« البريمادونة » أى الممثلة الاولى ـ كما قال ذلك أرنست تولر ـ يجب أن يولد بعين واحدة . كانت الادارة تتكون من موظفين مؤقتين يتصفون بروح الجماعة ولكن كانت تعوزهم معرفة الاجراءات الرسمية . لم يكن ينقصهم العقل وبخاصة فى التنظيم الذى كان موجودا فى ووبرن حيث جمع ركس ليبر مجموعة متنوعة من المواهب ودربهـا ، وهى التى أعطت الشـكل لسياسـة الدعاية التى اتبعت فيما بعد .

« كان تشكيل الادارة التنفيذية للحرب السياسية متنوعا تنوعا غير عادى. كانت تضم حفنة من العسكريين المحترفين ومن الموظفين المدنيين، أما البقية فكانوا من جهات شتى مثل الصحفيين ورجال الاعمـال وخبراء الاعلانات والمدرسـين والمؤلفين ورجال الادب والفلاحين والقضاة ورجال البورصة وعلماء النفس وعمداء الجامعات . وانى لا أعتقد أن مهنة معينة لها ميزة خاصة عند التدريب . فرجل الدعاية يولد ولا يصنع . ومما لا شك فيه أن الصحفيين كانوا أفضل من غيرهم فى ميدان الدعاية . كانوا يكتبون أحسن النشرات . كانوا أكثر الناس فهما لقيمة الكلمة الشفهية والكلمة المكتوبة . وفى ادارة كانت تتطلب دائما السرعة الفائقة كان الصحفيون وحدهم هم الذين لديهم الشعور بضرورة السرعة . ولما كانوا قد اعتادوا على العمل السريع الزوال فانهم يتفوقون فى مجال السـياسة ، وكانوا يشعرون أحيانا بخيبة الأمل عنـدما يواجهون ضرورة العمل الـدائم . وكان المدرسون ممتازين ، وكان العمداء يتمتعون بعقول ممتازة ولكنهم كانوا يميلون الى عدم تقبل النقد . وباستثناء حالة واحدة كان خبراء الدعاية سببا فى خيبة الامل . ولى رأى صريح فى رجال علم النفس . كنا نستخدم ثلاثة منهم ، وأحدهم على الاقل قام باداء عمل مفيد فى القسم الالمانى . وللتحليل النفسى دور أكيد فى الحرب السياسية ولكن لم يجر اختبار له فى الحرب حتى نستطيع استخلاص نتائج محددة . ومن وجهة نظرى الشخصية الخاصة بالدعاية أقول أن دورهما من الخبرة الخاصة عن بلد من البلاد أفضل من طن من المعلومات النظرية . ولا تنطبق هذه النظرية على علماء النفس فحسب ولكنها تنطبق أيضا على كل رجال الدعاية الذين استخدمناهم » .

ووصف لاينبارجر طبيعة العمل الجماعى فى ميدان الحرب النفسية بالنسبة للتخطيط والعمليات ، بقوله[1] :

« تتطلب الحرب النفسية المؤثرة أن يجمع الفرد الواحد أربع مهارات :

١ ـ معرفة عملية بتنظيم الحكومة وسياستها حتى يستطيع أن يفسر أغراض الحكومة وخططها تفسيرا سليما ٠

٢ ـ معرفة جيدة بالاجراءات العسكرية والبحرية والعمليات الحربية مع فهم كاف لفنون الحرب ـ البحرية منها وغير البحرية ـ وذلك حتى يكيف التصريحات الخاصة بالدعاية مع المواقف ومع عمليات الدعاية العملية ٠

٣ ـ معرفة مهنية بوسائل الأعلام أو على الأقل باحداها « نشر الكتب والمجلات والصحف ، والاذاعة ، الاعلان بفروعه المختلفة » او بمجال متصل بذلك اتصالا وثيقا كتسقط الاخبار السياسية ، والتعليم البصرى ٠

٤ ـ فهم وثيق على المستوى المهنى لمنطقة معينة مبنية على معرفة شخصية ومعلومات عن اللغة والتقاليد والتاريخ والسياسة العملية والعادات٠

وفوق هذا فهناك مهارة خامسة تجعل من الشخص عاملا كاملا فى هذا الميدان ٠

٥ ـ فهم لعلم النفس وعلم الاجناس وعلم الاجتماع والتاريخ والعلوم السياسية » ٠

---

(١) Linebarger, Paul M. A., Psychdogical Warfare, 2d ed, Combat Forces Press, Washington, D. C., 1954, PP. 99-103.

ويعلق لاينبارجر على ذلك بخبث قائلا :

« ان الرجل الذى يتقدم ليقول أنه تتوافر فيه كل هذه المؤهلات الخمسة اما أن يكون منافقا واما عبقريا واما كليهما » •

ثم يعود فيقول :

« ••• وليس هناك محارب نفسى كامل • ومع ذلك فكل فريق من فرق الحرب النفسية يمثل كل هذه المهارات مجتمعة • قد تتوافر اثنتان أو ثلاث منها فى بعض الاعضاء وقد لا تتوافر واحدة منها فى الاعضاء الآخرين • ولكن كل العاملين فيما عدا العاملين فى أعمال معينة يمزجون كل هذه المؤهلات بعضها ببعض •

« ويجب على رجل الاعلان أو الصحفى الذى يقصد الحرب النفسية أن يتعلم شيئا عن الجماعات المعادية أو المحايدة أو الصديقة التى يخاطبها ، ويتعلم شيئا عن اجراءات حكومة الولايات المتحدة المدنيــة ، ويتعلم تنظيم الجيش والبحرية وعملياتهما ، ويتعلم شيئا عن علم النفس أو علم الاجتماع أو علم الاقتصاد حسب موضوع عمله » •

ويرفض دانيال ليرنر وجهة النظر التى تقول أن رجل الدعاية موهوب لا مصنوع ، بل يؤمن بالرأى القائل بامكان خلق المهارات فيه :

« ••• ويمكننا أن نبدأ من وجهة النظر التى تقول أن الذكاء هو عنصر لا غنى عنه ، ولما كان هذا المؤهل ضروريا فى كل العمليات الفكرية فانه لا يبين لنا الخصائص المميزة لرجل الدعاية •

« ••• ويؤكد مستر كروسمان عاملين : القدرة على فرض النفس على تفكير المستمعين ، والقدرة على معرفة اللحظة المناسبه للكلام بقصد الحصول على اقصى تاثير » •

وفيما يلى بيان بالمؤهلات الأساسية اللازم توافرها فى رجل الدعاية :

١ ـ المعرفة الوثيقة بالمستمعين : تاريخهم ، لغتهم ، أساطيرهم ، معاهدهم، عاداتهم ، تركيبهم الاجتماعى ، سياستهم •

٢ ـ المعرفة التفصيلية بتطورات المستمعين : معتقداتهم التى تهدف الى التوحيد ، ما يشتكون منه ، معتقداتهم التى تهدف الى انقسامهم ، هواياتهم الشائعة فى الملابس والكلام ، تاريخ دعايتهم •

٣ ـ فكرة منظمة عن سياسية عملية الدعاية ، وتتطلب هذه ادراكا دائما بأن غرض الحرب النفسية هو استخدام آمال الهدف والمخاوف والرغبات فى استعمال العبارات لتحقيق أغراض السياسة •

٤ ـ فكرة منظمة عن عملية الثقافة النفسية الخاصة بتشكيل الآراء ، وتتطلب هذه ادراكا بأن الحرب النفسية تعمل داخل بيئة متسعة • واى عنصر من عناصر البيئة كفيل بأن يؤثر على بناء أى هدف • وتكمن مهارة عامل الدعاية فى قدرته على اكتشاف العناصر المؤثرة الحاسمة فى أى هدف وكيف يمكن استغلالها •

٥ ـ « أنف فى السياسة » وهذه الصفة صعبة فى التحديد • لا يهم أن يفتح رجل الدعاية خياشيمه عندما يثار موضوع سياسى ، ولكن المهم أن يشم أو يحس العواقب السياسية لأى موضوع سواء كان الموضوع يعالج عبارات عقائدية عالية أو يعالج عبارات أولية للحياة بين جماعة من الناس •

٦ ـ فصاحة التعبير ، اذ يجب أن تكون لديه المقدرة على قوة التعبير ولكن تحت السيطرة • ان سهولة التعبير وطلاقته هى مهارات غير شائعة، كما هى الحال فى اللغات الاجنبية •

وليس المقصود مما تقدم أن نضع قائمة شـاملة بالصفات اللازمة لرجل الدعاية ، ولكن المقصود هو الاشارة الى أنواع المواهب والاهتمامات التى يمكن لرجل الدعاية أن يحصل عليها بالخبرة والتعليم والتى يمكنه أن يحولها الى مهارات تلاستعمال •

وهناك مهارات أخرى معينة لازمة فى مهام معينة • فواضع الخطط يجب أن يعرف كيف يحول سياسة الاغراض السياسية التى يخدمها الى دعاية ، وكاتب النشرات يجب أن يعرف كيف يمكن تحويل سياسة الدعاية الى نصوص تقع تحت عين القراء ، والمذيع يجب أن يعرف نفس الشىء بالنسبة لتحويل سياسة الدعاية الى مادة تؤثر فى أسماع العدو ، ورجل المخابرات يجب أن يعرف كيف يختـار ويراقب ويسجل كل البيانات التى يعتمد عليها كل أعضاء الدعاية •

على أن هذه المهارات والصفات الطبيعيــة التى يجب أن تتوافر فى رجل الدعاية لا تكفى وحدها لنجاحه ، فبدون التدريب الذى يستهدف استمراره لعدة سنوات لا يمكن للقائمين بعمليات الحرب النفسية من أن ينفذوها على أكمل وجه • وحتى ولو كان رجل الدعاية ذكيا بالفطرة ، فانه لا يستطيع أن يصبح بارزا بدون هذا التدريب السابق • ان معرفة الهدف المعين ـ عن طريق الخبرة والتعليم ـ هى أساس تدريب رجل الدعاية الناجح •

كما أن من المؤكد أن التدريب سيسفر عن مستوى عال من رجال الدعاية ، مما يسهل اكتشاف أنبه الأفراد أثناء التدريب ، وربما كان أهم من ذلك اكتشاف الجماعات التى يمكن أن تعمل معا كفريق » •

ولننتقل الآن الى مناقشة المؤهلات المطلوبة فى العـاملين بميـدان الحرب النفسية حسب التقسيم الوظيفى لهم :

رجال الأفكار :

ان النشرات العامة التى تصدرها الادارة التنفيذية للحرب النفسية ، يجب أن تفسر فى ضوء أهداف الدولة قبل أن تترجم الى دعاية • ويقوم بهذه المهمة رجال الافكار ، فهم الذين يعطون الشرارة التى تخلق الدعاية السليمة •

ان عبارة « رجل دعاية موهوب » لا تحل مشكلة الوصول الى معيار لاختيار رجال الأفكار فى المستقبل • ومن الواضح أيضا أن الخيال الذى يتيح رؤية العدو من الداخل يجب أن يستند الى معرفة بالعدو • وبعبارة أخرى بينما يمتلك رجل الدعاية ذو الافق الواسع بعض صفات غير محسوسة كالخيال والاحساس والادراك بدرجة تفوق ما عند الناس الآخرين ، فان هذه القدرات يكملها معين من الخبرة والمعرفة والتصرفات ، وهذه المؤهلات الاخيرة يمكن على الاقل ان تحدد وأن تبوب•

١ ـ يجب أن تكون لديه معرفة شخصية وثيقة بالشعب الهدف ، فلكى يربك العدو يجب أن يعرف الشىء الكثير عنه •

وتعتبر المعرفة الوثيقة بالجماعة الهدف هى الصفة المميزة لرجال الافكار بصفة عامة • وقد لخص الرجل الذى كان مسئولا عن عمليات راديو الميدان فى الجيش الأول الأمريكى المؤهلات المطلوبة فى رجل الأفكار فى الحرب النفسية يقوله :

« اعتقد أنه يجب أن تكون لديه معرفه واسعة بالناس والمنطقة التى سوف يعمل فيها • فاذا كان قد جاب هذه المنطقة قبل ذلك أو كانت لديه فرصة التعلم فيها فان ذلك يساعد كثيرا على تفهم الصفات النفسية لأهلها وتقاليدهم ومستوياتهم العامة الفنية والتربوية وموقف البلاد الاقتصادى بصفة عامة • أن الرجال الذين تفوقوا فى عملهم كانوا أولئك الذين عرفوا المنطقة أو كان لهم بها اهتمام خاص أو كان لهم فيها أقارب او سافروا اليها أو تعلموا فيها أو أولئك الذين عرفوها جيـــدا » •

٢ ـ يجب أن يكون رجلا مثقفا جدا • وقد ثبت من خبرة الحرب العالمية الثانية أن الذين نالوا قسطا من الثقافة أعلى من المتوسط هم الذين كانوا أقدر من غيرهم على امتصاص المعلومات الضرورية عن البـــلاد الأجنبية • على أن الخبرة الناتجة عن المعيشة فى البلد الأجنبى لا تعد ضمانا بأن الفرد يهضم الاشياء اللازمة لمن يعمل فى ميـــدان الحرب

النفسية • وقال أحد الرجال وكان قد عمل ضابط اتصال فى عملية خاصة بالحرب النفسية : « ان الرجل الأكاديمى بأساسه الثقافى والتاريخى يستطيع أن يفهم هؤلاء الناس فهما كاملا حقيقيا أكثر بكثير من الشخص الذى أمضى هناك فترة من الزمن يعمل فى شركة تجارية ولكنه يفتقر الى هذا الاساس الثقافى » •

كما يرى الكثيرون من ذوى الخبرة أن الفئة التى لها هذا الاساس الثقافى المطلوب قد توجد بين الصحفيين ، ويبنون هذا الرأى على أن حقيقة الشخص الذى يعمل فى مجال الصحافة وله نفس المؤهلات التى يتمتع بها الاكاديمى ، يتيح له عمله الصحفى أن يعرف ما فيه الكفاية عن ثقافة الشعب الهدف وتاريخه وهذا بدوره يجعله يدرك أحاسيسهم ومشاعرهم الحقيقية •

٣ ــ يجب أن يكون لديه ادراك سياسى . فقد يضع التعليم العالى الشخص فى موقف طيب ولكن الدراسة والاهتمام لهما قيمتهما الكبرى اذا وجها وجهة معينة • وقال أحد العاملين فى حقل الحرب النفسية وكان يحمل شهادة الدكتوراه فى العلوم السياسية « ان الحرب النفسية فى جوهرها هى السياسة • انها ليست علم نفس • انها سياسة • انها سلوك سياسى • انها عبارة عن مواقف الافراد ومواقف البلاد ومواقف الجماعات وكيف تتغلغل فيها ! » •

وعلى أساس هذه النظرية يواصل المتحدث كلامه فيقول :

« يجب أن يكون لديه وعى سياسى • يجب أن تكون عقليته سياسية • ان الرجال الذين يعملون فى هذا الميدان يجب أن تكون لديهم حاسة السياسة التى يولد بها بعض الناس . لا يمكنك أن تفعل ذلك بعد قراءة كتاب عن السياسة. يجب أن تكون مهتما بكل عواطفك بالسياسة وبالشئون العالمية » •

٤ ــ يجب أن يلم بلغة الدولة الهدف • فالرجل الذى عاش فى البلد الأجنبى وقتا طويلا وفى نفس الوقت يكون من الرجال ذوى الفكر

فانه يلم عادة بلغة القوم الذين عاش بينهم ، وهذا يساعده على تفهم كثير من العبارات الدارجة التى يستخدمها هؤلاء القوم والتى يكون لها تأثير عكسى لو استخدمت بطريقة غير صحيحة .

ويقول البعض : أن اللغة ليست لازمة لزوما تاما ، ولكن اذا كنت تقوم بطبع نشرات أو تدير محطة اذاعة فالواجب أن تستخدم خبراء لهذه العملية فى اللغات .

والواقع أن الحديث عن الاهمية البالغة للغة مغالى فيها . ان المهم هو معرفة الطابع والسلوك القومى والاساس الذى يقومان عليه .

٥ ــ يجب أن يشعر ببعض الميل نحو الشعب الهدف . وحتى يعرف ويفكر فى الطريقة التى يهاجم بها هيكل العدو المعنوى ، يجب أن يفهم عمليات تفكير العدو وانماط سلوكه وتصرفاته ومنطقه ، ثم يحاربها .

ويقول بعض الباحثين أن الكراهية حاجز يحول دون تحقيق ذلك . ويؤكد هذه الحقيقة القول الآتى :

« أن أحسن من يقوم بالدعاية هو رجل لا يعرف الحقد . فأنت اذا حقدت كنت متحيزا ، ويجب ألا تكون متحيزا . أما اذا لم تكن متحيزا فقد توافر لديك الفهم . فأولا يجب أن تفكر فيما تريد أن تفعله . يجب أن تحدد رد الفعل الذى تريد أن تحققه . وأنت لا تستطيع أن تفكر بوضوح فى رد فعل هؤلاء الناس طالما أعمت الكراهية بصرك. يجب أن تخطط عملك على وجهة نظر واضحة وضوحا كاملا ليس فيها غموض . يجب أن تقول لنفسك : « لو أن س من الناس سيكون له رد فعل من نوع خاص ، ولو كان رد الفعل هذا ليس المطلوب فانه يجب أن أستمر فى البحث حتى أصل الى رد الفعل المطلوب حقيقة . ان الرجل الذى يكره لا يستطيع أن يفعل هذا ! » .

وقد يكون رجل الأفكار فردا قويا ولكن ليس من اللازم أن يكون محبوبا من الجميع . ان الشخصية المحبوبة والقدرة على التعامل فى يسر مع كل أنواع

الناس هى من العناصر الهامة فى عمل الحرب النفسية ولكن ليس من الضرورى أن يحتاج رجال الافكار الى هذه العوامل ٠

ان الرجال الذين يستطيعون التفكير فى الحيل القذرة الخاصة بالحرب النفسية هم فى العادة أقوياء الارادة ومن ذوى الرأى ٠ انهم يحظون بالاعجاب ولكنهم قد يثيرون العداوة أو عدم الرضا ٠ هكذا كان الحال مثلا مع ريتشارد كروسمان ٠ الذى كان يعتبر رجل دعاية من الطراز الاول ٠ كان كروسمان يوصف بأنه شخصية محبوبة ولكن من النوع الخطر ، وكان معظم الناس يقولون له هذا فى مواجهته ٠

وكان زملاء كروسمان يرونه خطرا لأنهم لم يكن فى استطاعتهم التنبؤ بما كان يفعله شخصيا أو سياسيا ٠ ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يعترفون أن هذا ما خلق منه رجل دعاية ممتازا ٠

وبالاضافة لذلك فان رجل الافكار يجب أن تتوافر فيه الشروط الآتية :

١ ـ أن يتصف بعدة مميزات اضافية كأن يكون عاش فى البلد الأجنبى وتشبع بروح أهله ، وكان حب استطلاعه كفيلا بأن يجعله يتعلم تاريخه الثقافى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى ٠

٢ ـ أن يكون لديه الاساس الكافى الذى يعينه على تفسير هذه المعرفة ٠

٣ ـ ألا يكره شعب هذه البلاد بدرجة تجعل كرهه يتدخل فى حكمه السياسى وحكمه الدعائى ٠ أمثال هذا الشخص يوجدون فى الغالب فى الدوائر الاكاديمية والدوائر الصحفية ٠

ان العثور على أشخاص تتوافر فيهم كل هذه المؤهلات ليس بالأمر اليسير ، فهذه العبقرية غير المحدودة نادرة ، ولكننا لحسن الحظ لسنا فى حاجة الى كثير من هؤلاء الناس فى الحرب النفسية ٠ وقد أوضح أحد كبار الاداريين الامريكيين ذلك بقـــوله :

« الحقيقة أننا لا نحتاج الا الى عدد قليل جدا من رجال الدعاية الحقيقيين • ويكفى جدا أن يكون فى المنظمة ستة من رجال الدعاية المحترفين » •

وذهب بعضهم الى القول أن كثرة العقول قد يفسد جو المنظمة الخاصة بالحرب النفسية •

وقال ادارى آخر : أنه اذا استحال العثور على شخص يجمع كل هذه الصفات فانه يمكن آن نعثر على رجلين أو ثلاثة تكون لديهم كل هذه الصفات بالتضامن :

« يحدث أحيانا الا تستطيع أن تجد من يجمع بين هذه المؤهلات فى ميدان الدعاية ، أى شخصا يعرف الكثير عن الناس الذين يخاطبهم ويتحدث عنهم ، ويعرف فى نفس الوقت كيف يتكلم ليحقق الغرض من كلامه • ولذلك تجد نفسك مضطرا الى أن توفق بين طلباتك • فتوجد الشخص المتخصص فى المنطقة وتوجد الصحفى أو الكاتب وهكذا • ويستمر هذا الوضع حتى يأتى الوقت بعد عدة شهور عندما يكون الصحفى أو الكاتب قد التقط وعرف الأشياء ذات المعنى بالنسبة للمنطقة ويقوم بها بنفسه » •

الاداريون :

ليس هناك عمل تجارى أو صناعى كبير يقلل من شأن الحاجة الى رجال لادارة أجهزة التنظيم وتنفيذ الخطط • وبالرغم من ذلك فطبقا للتقارير التى قدمها كبار المسئولين والتقارير المكتوبة عن عمليات الميدان المباشرة حدث فى خلال الحرب الماضية أن أهمل تدريب الاداريين للحرب النفسية • وقال ادارى مدنى عمل فى فرع الحرب النفسية التابع لقيادة الحلفاء الافريقية ، « انه كان من الصعب العثور على مثل هؤلاء الضباط » •

وكان هذا النقص نتيجة تخطيط خاطىء ، ومن ثم كانت الحاجة الى أشخاص لهم مؤهلات خاصة فى المجالات الادارية الصرفة • ولكن لا يكفى ـ كما قال

أحدهم ـ فى مجال الادارة أن نقول أن القدرة الادارية هى صفة مطلوبة • وهنا يثار سؤال : ما الذى يجعل من الشخص اداريا فى الحرب النفسية ؟ فمثلا هل الشخص ذو الخبرة الادارية صالح لأن يدير عملية للحرب النفسية ؟ هل احتياجات المهارة الخاصة بالادارى الذى يخدم فى نفس الميدان مثل المهارات المطلوبة من الادارى الذى يعمل على مستوى السياسة أو تختلف عنها ؟ •

ونجد الاجابة عن بعض هذه الاسئلة اذا درسنا أساس بعض الرجال الذين يعتبرهم زملاؤهم اداريين ممتازين فى مجال الحرب النفسية فى أثناء الحرب العالمية الثانية واذا تصفحنا ردود الذين كانوا يبحثون مشكلة الادارة • وفى ضوء هذين النمطين من البيانات يمكن أن نستخلص ما يأتى عن ادارى الحرب النفسية المثالى :

١ ـ هو منفذ ذو خبرة ، فبالرغم من أن الاداريين قدسحبوا من ميادين متنوعة فان الرجال الذين نجحوا فى تولى المناصب الادارية فى عمليات الحرب النفسية فى أثناء الحرب الماضية هم أولئك الذين كانت لهم خبرة فى تشكيل المنظمات الواسعة وادارتها • لقد كانوا رجالا تحملوا المسئولية وكانت لديهم روح المبادأة • كانوا قد تعودوا على الاعمال الروتينية ومراعاة التفاصيل • والأهم من ذلك كله أنه توافرت فيهم القدرة على معاملة المرءوسين • كل هذه الصفات هى عناصر لازمة فى ادارى الحرب النفسية •

وقد أكد أحد الاداريين بمكتب معلومات الحرب الامريكى القدرة على اختيار المسئولين بقوله :

« عندما بدأت عملى فى المجلة الالمانية ـ التى كان ماك كلور مسئولا عنها ـ ذهبت لمقابلته وقلت له : المفروض أن أدير هذه المجلة بناء عن تكليف من لندن لأنى كنت أدير مجلات أخرى بها ، وأنت مسئول عن عملى • فكيف ستتولى الاشراف على ، لأن الواجب أن تشرف على بطريقة ما ؟ فرد على قائلا : هناك طريقة واحدة للاشراف عليك ، فأنت مسئول عن المجلة • فاذا كانت مادتها

رديئة فستذهب الى سلة المهملات • لقـد كان يعرف كيف يكلف من يضطلع بالمسئولية • لقد كان يعرف أن هناك أشياء لاخبرة له فيها ، كذلك كان يعرف أن هناك أشياء تفوق معرفته لها معرفتنا !

ويضيف آخر صفة ثانية للادارى بقوله :

« ان الصفة الأساسية فى القائد هى استعداده لان يضع تحقيق المهمة فوق اعتبارات الشعبية الشخصية • فانت لا يمكن أن تكون شعبيا ومؤثرا فى نفس الوقت » •

هذه هى الصفات الاساسية التى يجب أن تتوافر فى الادارى الناجح • وهى لا تجعله مختلفا عن رجال الاعمال • ولكن هناك مواقف تقابل ادارى الحرب النفسية مما يحدد أمامه المجال عند اختيار موظفيه •

٢ ـ انه يقوم بأعمال من شأنها أن ترهف حاسته من جهة ردود الافعال العامة • ولما كان عمله متصلا بمواقف سريعة التغير فعليه أن يكون شخصا مرنا ذا حساسية بالنسبة لردود أفعال الناس الذين يتعامل معهم ، ويجب الا يكون متحيزا فى نظرته الضيقة ، لانه يجب أن يدرك معنى قراراته الخاصة بالناس الذين لهم أساس يختلف عن أساسه •

وقال أحد المدنيين الذى كان يرأس المطبوعات فى مكتب معلومات الحرب الأمريكى فى الشرق الأوسط عن موضوع حاجة الادارى الى النظرة الواسعة :

« ومن ناحية الشخصية فاهم شيء هو قدرته على أن يساير الناس فى المجالات التربوية والاجتماعية والقومية ، ويجب أن يحظى باحترامهم » •

وقال آخر ـ وهـو ادارى كبير فى فرع الحرب النفسـية التابع للقيادة الافريقية للحلفاء « ان ادارى الحرب النفسية يجب أن يكون رجلا سبق له أن تعلم كيف يكيف نفسه طبقا للظروف الاجنبية والاشخاص الاجانب » •

ويقول نفس الشخص « ان مديرى الصحف يصلحون لتولى الأعمال الادارية فى الحرب النفسية فيما يختص بالكتابة والنشر وتوزيع المادة المكتوبة أو برامج الاذاعة بسبب ما لديهم من خبرة سابقة » •

٣ ـ انه يعرف شيئا عن الاجراءات العسكرية • ولما كانت الحرب النفسية فى زمن الحرب تسير جنبا الى جنب مع العسكريين فمن المهم أن يكون الادارى ملما بالاجراءات العسكرية • كما يجب أن يفهم العلاقة بين الحرب النفسية وبين العمليات العسكرية الشاملة •

لقد كان عدم الالمام باجراءات الجيش عقبة كئودا أمام كثير من العاملين فى الحرب النفسية فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وقال أحد العاملين الذين اشتركوا فى عمليتى التخطيط والادارة :

« ان نقطة الضعف أمام كثير من أفراد الحرب النفسية هى أنهم وجدوا من الصعب عليهم أن يكيفوا أنفسهم حسب متطلبات الجيش وأعماله الكتابية » •

٤ ـ يجب ألا يكون متخصصا • لقد أجمع الكل على أن الرجل الذى يوضع لتولى الشئون الادارية يجب ألا يكون متخصصا فى نوع واحد من العمليات • ويقتضى عمل الادارى أن يكون لديه المام واضح بهدفه وأن يكون قادرا على ان يظفر بمعاونة رجاله الكاملة فى تحقيقه • أما الاعمال الفنية فيمكن أن توكل الى متخصصين •

٥ ـ يجب أن يكون متفهما لعمليات الحرب النفسية المختلفة ، ولكى يكون اشرافه على الرجال الذين يعملون تحت امرته ذا فاعلية يجب عليه أن يتفهم العمليات المختلفة التى يكون مسئولا عنها ، وهذه المعرفة تتضمن المامه بالجانب الفنى والجانب الابتكارى لعمله •

وبالاختصار فان الادارى الناجح هو الذى يعرف كل شىء ويكون لديه أساس وخبرة وتنفيذية بالاعمال العامة ، كما يجب أن يملك الشخصية التى تتيح له التعامل فى يسر مع كل من المدنيين والعسكريين •

والواقع أن القيادة هى أهم من أى شىء آخر فى عمليات الحرب النفسية ٠ ففى مقدورك أن تصادف الاشخاص الذين يعرفون المنطقة جيـدا ، أو الفنيين الناجحين أو الكتاب النابهين ، كما يمكنك أن تستأجر كل هؤلاء ٠ ولكن القيادة والادارة هى أهم شىء لانجاز أى عمل من الأعمال ٠

رجال الاتصال :

وحتى تحقق الحرب النفسية أغراضها ـ ولا سيما فى الناحية التكتيكية ـ يجب أن تعتمد على التعاون بين هيئات كثيرة ٠ فمثلا اذا كان الهدف هو الحصول على معلومات تكون أساسا لمادة النشرات أو اذاعات الراديو أو نداءات بمكبرات الصوت فالواجب أن تتصل بأسرى الحرب وتطلع على تقارير المخابرات ٠ هذا يتطلب العمل الوثيق مع قسم المخابرات ، أما توزيع النشرات فيتطلب خدمات المدفعية وسلاح الطيران ٠

ومن ثم فان الحرب النفسية تحتاج الى بعض العاملين القادرين على تعبيد الطريق بالتعاون مع المنظمات والأفراد الذين لا يعملون فى الحرب النفسية وهؤلاء الافراد يسمون « ضباط الاتصال » ٠ ولاهمية العمل الذى سيقومون به ، فانه لا بد أن تتوافر فى كل واحد منهم مؤهلات وصفات معينة يمكن أن نذكر أهمها فيما يلى :

١ ـ يجب أن يكون قادرا على أن يساير كل أنواع الناس ٠ وقد أجمع الكل على أن العلاقات الناجحة مع غير العاملين بالحرب النفسية تسفر عن علاقات شخصية طيبة كان من العسير أن تتم ٠

ان طبيعة الانواع المختلفة من الجماعات التى يجب أن يتصل بها ضابط الاتصال تساعد على تحديد الصفات التى يجب أن تتوافر فيه ٠ ان أهم صفتين يجب أن يتمتع بهما هما النظام وتفهم البشر ٠

٢ ـ يجب أن يتمتع بصفة المبادأة • وقال أحدهم ، وعلى الرغم من أنه لم يكن فى يوم من الأيام ضابط اتصال فقد كلف باقامة محطات راديو كلما توغل جيش الحلفاء فى أراضى الأعداء ـ يصف كيف كانت العلاقات تتوطد حالما يظهر عامل الحرب النفسية اهتماما فى مساعدة الجيش :

« عندما كنا نحاول أن نعرف ما كانوا يحتاجون اليه كان حبهم لنا يزداد • فعندما اعترضتهم مشكلة عبور الراين وعمل كوبرى من القوارب قمنا نحن بتكرار الاذاعة ثمانى مرات فى اليوم عن مستويات فيضان نهر الراين ، وهكذا تمكن مهندسوهم من أن يضعوا قواربهم عند المستوى المناسب ، وكان هذا ذا أثر كبير بالنسبة لعلاقاتهم بنا • فهنا اشتركنا فعلا فى عمل عسكرى معاون لهم ما كان فى استطاعتهم أن يقوموا به بمفردهم • وقد قدروا هذا العمل ، وكان هذا رائعا منا ! » •

٣ ـ يجب أن يكون شجاعا ، فقد يتطلب الموقف لياقة بدنية على مستوى عال • ان هذا القول يصدق على الأخص على الرجال الذين كانوا يعملون مع سلاح الطيران • وقد أكد ضابط مخابرات كان يعمل فى فرع الحرب النفسية التابع للقيادة العامة للحلفاء الحقيقة التى تقول ان رجال الاتصال فى السلاح الجوى يجب أن يعملوا مع الطيارين ورجال القوات الجوية ، ويجب الا يجفلوا من خروجهم فى مهمة لالقاء النشرات على العدو •

٤ ـ يجب أن يكون ملما الماما كاملا بالحرب النفسية • لقد أكد كثيرون من ذوى الخبرة قدرة ضباط الاتصال فى كسب الاصدقاء والتأثير على الناس • ومع ذلك فقد اعترف معظمهم أن الجاذبية وحدها لا تكفى • وقال احدهم وكان قد سبق له العمل فى بورما :

« ان ضابط الاتصال الذى يتعامل مع العسكريين يجب أن يعرف ما يتحدث عنه • يجب ألا يسالهم عما يفعلون بل يجب أن يخبرهم عن الحرب النفسية ويجب أن يقيم الدليل على كل ما يقول » •

ان ضابط الاتصال الخبير بعمليات الحرب النفسية قادر على أن يؤدى عمله أكثر من غيره ، وحتى يظفر بتعاون الجماعات الاخرى يجب أن تكون معلومات رجل الاتصال تامة عن عمله • يجب أن يفهم أهدافه • يجب أن يعرف ما فيه الكفاية حول العمليات الفعلية حتى يستطيع أن يقيم المواقف العسكرية مع المواقف السيكولوجية ، كما يجب أن يلم الماما كافيا بالعمليات السابقة حتى يمكنه أن يستشهد بالخبرات السابقة ويقيم الدليل على كفاية الحرب النفسية فى المواقف المشابهة •

٥ ــ يجب أن يفهم تنظيمات العسكريين وقدراتهم ، ويعرف كيف يعملون حتى يتجنب عداوة الناس الذين يسعى الى كسب تعاونهم •

ان المام ضابط الاتصال بعمل العسكريين ــ الى جانب أنه يساعده على تجنب الأخطاء ــ يفيده فى كل المناقشات التى يدخل فيها عن كيفية التصرف فى الحرب النفسية • لقد قال ضابط الاتصال فى المدفعية أن من الضرورى على ضابط اتصال المدفعية أن تكون لديه المهارة التى يحتاج اليها كل من يدرب ليكون رجل مدفعية ! كذلك اقترح بالنسبة للرجل الذى يصبح حلقة اتصال بين قادة الحرب النفسية وبين القوات الجوية فى شمال أفريقيا أن يكون فاهما للمشكلات التى قد تعترض العسكريين ، وقال « ان مهمته ليست أن يفضى الى القوات الجوية بما تريده منهم بل أن يعمل مع قيادة القوات الجوية ويكتشف ما عندها من امكانيات » •

وقد نمت الاحتياجات المطلوبة فى رجل الاتصال نتيجة للمواقف الغريبة للحرب النفسية فى أثناء الحرب العالمية الثانية • كانت مهام رجل الاتصال فى ذلك الوقت ذات شقين : كان عليه أن يكسر مقاومة الحرب النفسية من جانب العسكريين ، كما كان عليه أن يقوم بدور الوسيط بين المدنيين والعسكريين الذين كانوا فى أغلب الاحيان يتبادلون مواقف العداء •

ولما أصبحت الحرب النفسية تشكل موقفا أقل غموضا من ذى قبل تجاه المنظمات العسكرية أصبح فى الامكان تبسيط المؤهلات الواجب توافرها فى رجل الاتصال الذى يعمل فى الميدان •

ومما لا شك فيه أن رجل الاتصال يجب أن يتمتع بشخصية جذابة وبذكاء ظاهر وأن يكون منتظما ، كذلك يجب أن يكون متخصصا فى بعض الأنواع بالمنطقة التى تمارس فيها الحرب النفسية وحيث يعمل العسكريون • ومع ذلك ففى المستقبل لن يحتاج رجل الاتصال لان يتنقل بقاذفة القنابل التى تحمل المنشورات ، ولن يحتاج الى أن يجد حلا للمشكلات الفنية التى تنشأ فى كلا الجانبين اذ أنه سد الهوة التى كانت تفصل بينهما ، ولن يحتاج الى تقديم الرشوة الى العسكريين الذين ليس لديهم الاستعداد للايمان بقيمة الحرب النفسية •

٦ ـ يجب أن يعرف الجماعة الأجنبية التى يعمل معها • وعلى سبيل المثال : كان الرجل الأمريكى الذى يشغل وظيفة رجل الاتصال للحرب النفسية مع جماعة الراديو الفرنسية قد قضى بعض الوقت فى الدراسة كطالب فى فرنسا • كان يعرف الفرنسيين كما كان يعرف الأمريكيين • ونتيجة لهذا كان فى مقدوره أن يتعامل جيدا مع الفرنسيين وكان صالحا وناجحا حينما كان يقوم بدور المهدىء اذا ما تطور الأمر وأدى الى احتكاك •

٧ ـ يجب أن يعرف لغة الجماعة الأجنبية التى يتعامل معها • ان الطلاقة فى استخدام اللغة الخاصة بالجماعة الأجنبية التى يتصل بها أمر مفروغ منه بالنسبة للرجل الذى يعرف الأجانب وثقافتهم •

فاذا استطاع ضابط الاتصال أن يوطد صلته عن طريق اللغة مع الجهة المعارضة فانه يكسب المعركة • ويبدو أن المقدرة على التحدث باللغة حتى ولو لم تكن مصحوبة بالفهم التام للناس وثقافتهم تخدم عملية الاتصال خدمة جليلة •

٨ ـ يجب ألا يكون محدود التفكير فى موقفه تجاه الأجانب • من المهم جدا أن الرجل الذى تختاره للتعامل مع الحلفاء أو الأجانب يجب ألا ينظر باحتقار نحو الأجانب • ويجب أن يكون قادرا على التعاطف مع الشعوب الأجنبية ، أما من الناحية المثالية فيجب أن يكون شخصا تتضمن خبرته معرفة وثيقة بالأجانب نتيجة لمعيشته فى الخارج •

الرجال المبتكرون :

يحدد الرجال المبتكرون شكل رسالة الحرب النفسية ومادتها ولذلك يعتبرون لب العمليات الخاصة بالحرب النفسية • انهم الرجال الذين يترجمون السياسات والافكار النابهة ويحولونها الى نشاط يومى ، وهم يقومون فى كل يوم بابتكار أفكار خاصة للنشرات وبرامج الراديو والاذاعة بمكبرات الصوت • وهم فى أغلب الأحوال اما كتاب واما فنانون، والفئة الأولى أكثر من الفئة الأخيرة ، يجب أن تتوافر فيهم على الأقل بعض المؤهلات الخاصة برجال الافكار ، ولكن الحرب العالمية الثانية أثبتت أنهم يستطيعون العمل بكفاية دون حاجة منهم الى هذه الشرارة الاضافية التى كانت تميز ريتشارد كروسمان وغيره من عباقرة الدعاية فى الحرب العالمية الثانية •

وفيما يلى بيـان بالمؤهلات التى يجب أن تتوافر فى الكاتب الذى يساهم مساهمة فعالة فى الحرب النفسية سواء كان يكتب من مكتبه بمقر القيادة أو كان يعمل فى مكتب متنقل بالسيدان :

١ ـ يجب أن يعرف هدفه معرفة تامة • ان جزءا من عمل الكاتب هو تفسير الهدف ومعرفة السياسة العامة ولذا فان الصفة الأساسية المطلوبة فى الكاتب هى أن يعرف هدفه معرفة كاملة

ان الكاتب ـ مثله مثل رجل الأفكار ـ يجب أن يكون قادرا على أن ينظر الى العالم بعيون الهدف ، وذلك حتى يستطيع أن يتنبأ بالطريقة التى سوف يفسر بها الهدف مضمون نشرته أو اذاعته ولقد مس ضابط فى الجيش كان يعمل فى حقل الحرب النفسية فى منطقة وسط الباسفيك هذا الموضوع بقوله :

« انى أعتقد أولا أن الرجل يجب أن تتوافر لديه معرفة أساسية أو فهم للناس الذين يعمل ضدهم • يجب أن يفهم كيف يفكرون وكيف يتصرفون لان الرجل قد يقوم بعمل جليل بكتابة نشرة ضد الالمان ، ثم يكرر نفسه محاولا أن يفعل نفس الشىء ضد اليابانيين فيبوء بالفشل • ففلسفة الالمان وأعمالهم وردود

أعمالهم وتصرفاتهم نحو أشـياء معينة تختلف كل الاختـلاف عن ردود أفعال الآسيويين فى نفس الاشياء • ولهذا أعتقد اعتقادا جوهريا أن أى رجل يحاول أن يقوم بدعاية أو بدعاية مضـادة يجب أن يعرف النـاس الذين يوجه دعايته نحوهم •

ويبدو أنه من المتفق عليه أن الاقامة فى نفس المنطقة هى أفضل وسيلة بالنسبة للكاتب كى يحصل على المعلومات التى يريدها • وقد أوضح أحد كتاب النشرات الذين عملوا فى مكتب معلومات الحرب الامريكى باسام احدى مزايا المعيشة فى البلد الاجنبية فقال :

« اذا أنت عشت فى البلد الأجنبى يمكنك أن تضيف الى النشرة المرسلة الى الشخص العادى هذه اللمسة الخفيفة التى تشعره أنك متصل به اتصالا وثيقا • بعبارة أخرى ان خبرة الحياة فى البلد الأجنبى ذات قيمة » •

٢ ـ يجب أن يكون طلقا فى استخدام اللغة الاجنبية • ولما كان الرجال المبتكرون يتعاملون مباشرة بواسطة اللغة المكتوبة أو اللغة المسموعة كان الالمام الكامل باللغة اهم لهم أكثر من رجال الافكار ولا يعنى هـذا دراسة الكتب المدرسية • فكتابة النشرات أو اعداد الاذاعات تحتاج كى تكون مؤثرة الى معاملة اللغة فى شكلها الحى الدارج •

وحتى يكون عمل الدعاية الذى تقوم به بالنسبة للعدو مؤثرا يجب أن تعرف اللغة مائة فى المائة • والا فالأفضل ألا تقوم به • فانت مثلا اذا كتبت نشرة واحتوت على غلطة هجاء واحدة فالأفضل لك أن تحرق النشرة كلها • ان أعظم سلاح يتسلح به هو أن يرى الجانب الآخر أنه يعرف كل شيء عنهم • ان سهولة التعبير بلغتهم أمر حيوى !

٣ ـ يجب أن تكون لديه القدرة كى يعبر عن نفسه بوضوح وبدقة • لقد أشار كثيرون الى أن الحرب النفسية تتطلب كتابا كبارا أو فنانين عبقريين • ان مهمة الكاتب او الفنان هى أن يعيد مادة النشرات بشكل له معنى للمستمعين

وهذا يتطلب أقل ما يمكن من الكفاية ككاتب أو كفنان • وقد اكتشف عضو فى الفرقة الرابعة فى راديو لوكسمبورج أن الروائى المحترف لا تناسبه هذه الألوان من النشاط :

« هناك شاب كان كاتبا نابها • ولكنه كان كاتبا صرفا • كان يريد أن يكتب ما يشعر به • والكتاب الكبار أنانيون • انهم يحبون أن يكتبوا ما يرونه وما يشعرون به • انهم يحبون أن يختاروا موضوعاتهم • ان من نحتاج اليهم هم أناس لهم القدرة على أن يعبروا عن أنفسهم ببساطة وسهولة عن طريق الكتابة أو الكلمة المسموعة » •

وقد قال أحدهم ممن كانوا يقومون بتدريس أساليب الدعاية للرجال الذين يهيأون للعمل فى الشرق الأقصى ، وكان هو نفسه فى حياته المدنية روائيا معروفا :

« ليس للمهارة الأدبية أى صلة مطلقا بكتابة النشرات • وعندما بدأنا نجند الناس لكتابة النشرات اتجهنا بطبيعة الحال الى الكتاب سواء كانوا كتاب القصص الخيالية أو كتاب الصحف ، أو كتاب الاذاعة وغيرهم • وبينما أثبت كثير منهم كفايتهم ككتاب للنشرات فانه لم يكن مرجع ذلك الى مهارتهم الخاصة فى استخدام الكلمات • ان ما كانوا يحتاجون اليه فعلا هو الذكاء الاساسى — وانى أقول أن هذه هى الحاجة الجوهرية فى كل ميدان تقريبا — وذلك حتى يمكن للرجل أو المرأة أن تفهم بسرعة ما عناصر النشرة • ان المقدرة على الكتابة ليس لها علاقة بهذا ، ان المهم هو القدرة على فهم ضرورة التعبير عن الشىء باختصار حتى ولو كان بطريقة بها أخطاء فى النحو » •

وقال رئيس سابق بقسم النشرات فى فرع الحرب النفسية التابع للقيادة العامة للحلفاء :

« اذ لم يكن فى استطاعة الانسان أن يعبر عن نفسه بالكتابة فانه لا ينبغى أن يتوقع ممن يقرأ كتابته أن يعرف ما يتحدث عنه ، كما يجب أن يكون قادرا على التعبير عن نفسه بوضوح بالكلام • فقد تسنح له الفرصة كى يوجه حديثه الى الاعداء بواسطة الراديو أو بوسيلة أخرى •

واذا لم يكن لدى العامل المبتكر القدرة السهلة فى استخدام لغة الجماعة الهدف فانه يجب أن تكون لديه القدرة على أن يعبر عن نفسه بدقة وبفهم وبوضوح » ٠

٤ ـ يجب أن يكون لديه وعى سياسى ٠ والكتاب كرجال الافكار لانهم يتعاملون مع مواقف حية ومتغيرة . يجب أن يكونوا رجالا لديهم الحاسة لفهم المغزى السياسى لما يقومون به ٠

ان النظرة الشاملة الى ما هو حادث أمر أساسى بالنسبة للرجل المبتكر فى الحرب النفسية ٠ يجب أن يكون لديه أساس ثابت من الناحية السياسية ٠

٥ ـ يجب أن يكون متزنا من الناحية العاطفية وسهل التكيف ٠ وهناك عوامل متنوعة فى بيئة عمله تتطلب من العامل المبتكر فى الحرب النفسية أن يكون ثابتا ومرنا فى نفس الوقت ٠

ولقد قال أحد مدرسى الحرب النفسية السابقين « هناك أشياء كثيرة تجرى وراء المسرح وعلى مسافات بعيدة تؤثر فى النهاية فيما تفعل لدرجة تتطلب منك عقلية فلسفية من ناحية قصور الناس الذين يتولون توجيهك أو الناس الذين تتعامل معهم ، وتحصل منهم على البيانات مما قد يجعلهم يبدون لك كما لو كانوا غير عقلاء او غير أذكياء أو يعوزهم التوجيه » ٠

ان الرجل المبتكر يجب أن يتمتع بحب النظام لدرجة تجعله ينفذ ما جاء فى المنشور سواء كان يوافق على محتوياته شخصيا أو لا يوافق . كما يجب أن يكون قادرا على التعامل فى يسر مع زملائه العاملين الذين لهم أساسات متباينة تماما ، وأخيرا فانه يجب أن يكون قادرا على أن يكيف أسلوبه وتكتيكه حتى يتفق مع ذوق مستمعه أو قارئه ٠

ومما لا شك فيه أن بعض الرجال المبتكرين الذين يعملون فى عملية خاصة بالحرب النفسية قد يعملون فى منطقة قتال أو منطقة قريبة من مناطق القتال ٠

ولذلك يجب على من يعملون فى الخارج أن يكون لديهم الاســتعداد لمواجهة هذه الحقيقة التى تقول ان الظروف المعيشية التى يقابلونها ستكون مختلفة عن تلك التى اعتادوا عليها . أما بالنسبة للرجل المبتكر الذى يعمل فى منطقة قتال فانه يجب أن يكون قادرا ومستعدا على تحمل أخطار هذه الحياة دون تذمر أو تململ .

٦ ــ يجب أن يكون فى حالة جسمانية طيبة وأن تكون لديه اللياقة البدنية. فحتى يستطيع الرجال الموجودون فى الخطوط الامامية من الجبهة مقاومة متاعب الحياة يجب أن يتمتعوا بأحسن صحة ٠ فالشخص الذى هــو دون الكمال من الناحية الصحية لن يكون عقبة فى اتمام العمليات فحسب بل قد يعرض صحته للتدهور أيضا . وعندما يعمل الرجل المبتكرفىجبهة المعركة فلن يقل تعرضه لخطر الرصاص وشظايا القنابل عن الخطر الذى يتعرض له أحد جنود المشاه ٠ ولذلك وحتى يســتطيع أن يؤدى العملية المطلوبة منــه يجب أن يكون لديه شــجاعة شخصية ٠

٧ ــ يجب أن يكون لديه أساس فى الأمور العسكرية ٠ وهنــاك سببان يجعلان من الضرورى على الرجل المكلف بعمل ابتكارى فى الجبهة أن يكون على خبرة فى القتال وأن يكون قد تلقى تدريبا عسكريا ٠ فأول كل شىء عليه أن يكون قادرا على أن يحمى نفسه اذا تعرض لخطر ، كما يجب أن يعرف كيف يحفر الخنادق وماذا يفعل لو تعرض لقنابل العدو ٠ واذا اشتبك مع العدو فى قتال تستعمل فيه الأسلحة الخفيفة فانه يجب أن يعرف كيف يستخدم الأسلحة ٠

٨ ــ يجب ان يكون قادرا على التفكير بسرعة ٠ ففى منطقة القتال قد يتغير الموقف بسرعة ، وقد تبدو مادة الحرب النفسية كما لو كانت عتيقة لا تصلح للتوزيع ٠ ولذلك يجب على الرجل المكلف بعملية الاذاعة أن يكون قادرا على اعادة كتابة مادته فى الحال ، وقد قيل فى ذلك :

« يجب على العاملين فى الحرب النفسية أن تكون مواردهم كبيرة ، بمعنى أنهم يجب أن يكونوا قادرين على أن يفكروا فى آراء جديدة فى الحال لان الوقت

لا يتسع • فأنت لا تعرف ما يفكر فيه عدوك • ولذلك عليك أن تبتكر فى الحال وأن تستفيد أكبر فائدة ممكنة من كل موقف لان الاشياء لا تتم دائما وفق الخطة التى تضعها » •

ونوجز ماسبق فنقول ان العمل الابتكارى بالنسبة للحرب النفسية يتطلب من القائمين به معرفة تفصيلية بجماعة الهدف ، وأن يتمتع بطلاقة فى اللغة ، وقدرة على الكتابة والكلام بوضوح وبايجاز ، كما يجب أن يكون لديهم وعى سياسى وأن يخضعوا للنظام وأن يكونوا مرنين ، وكلما قربوا من الجبهة تطلب الأمر أن يكونوا فى حالة جسمانية لائقة • كما يجب أن يكونوا على أســاس من ناحية الأمور العسكرية وقادرين على التفكير فى التو واللحظة •

الباحثون :

هناك جزء مكمل لعملية الحرب النفسية وهو الخاص بجمع الانباء وتقييمها ، وعلى أساسها يستند جزء كبير من الدعاية •

ويشمل ذلك الاستماع الى اذاعات العدو وقراءة دعايته المكتوبة والاطلاع على الوثائق المضبوطة واستجواب أسرى الحرب وتقييم كل المعلومات الواردة من كل هذه المصادر •

ويجب أن يكون الرجال الذين تسند اليهم هذه المهام مؤهلين تأهيلا عاليا فى نواح كثيرة • وفى بعض الاحيان تشبه مستويات اختيار الباحثين مستويات العاملين فى المجال الابتكارى • وعلى العموم يجب أن يكون الباحث من الطراز الممتاز سواء كان ذلك من ناحية الاساس أو من ناحية الشخصية :

١ ــ يجب أن يكون خبيرا فى لغة الجماعة الهدف • ونحن نذكر اللغة على أنها من أول المؤهلات التى يجب أن تتوافر فى الباحث • فعلى خلاف رجل الأفكار أو الكاتب لا يمكن للباحث أن يقوم بمهمته بدون ذلك •

فالمستجوب مثلا يشعر بالحيرة ما لم يكن فى مقدوره التحدث بحرية مع الاسير الذى يستجوبه • وهذا يعنى أن المستجوب « يجب الا يكون رجلا يتكلم اللغة من الناحية الاكاديمية فحسب بل يجب أن يتكلمها كما لو كان أحد أبنائها• ونفس هذه المهارة اللغوية يجب أن تتوافر بطبيعة الحال فى الشخص الذى يستمع الى اذاعات العدو ويقيمها والشخص الذى يتتبع ما تكتبه صحافة العدو •

٢ ــ يجب أن يعرف الشعب الهدف • وحتى يستطيع الباحث أن يقيم المادة التى يجمعها من أجهزة الاعلام الجماهيرية ومن العلاقات المباشرة بجنود العدو يجب أنْ يفهم الاحداث الجارية المختلفة والافكار الخاصة بالعدو ، ويأتى هذا الفهم نتيجة معرفة الشعب الهدف وثقافته •

٣ ــ يجب أن يتسم المستجوب بالمهارة مع النــاس ، كما يجب أن يكون ناضجا من الناحية العاطفية • وحتى يستطيع أن ينجح مع أسير الحرب ويحصل منه على المعلومات المطلوبة يجب على المستجوب أن يكون قادرا على أن يقيم صلة بينه وبين الاسرى كلهم ويتكلم معهم على مستواهم ، لكى يجعل كلا منهم يصب كل ما فى قلبه له كما يفعل الاخ نحو أخيه الاكبر • ويجب ألا يتعالى عليهم لانه بتعاليه لا يحصل على ما يريد . وقد يكون هذا مجديا من الناحية التكتيكية ــ مثلا عندما يريد معرفة موضع مدفع ــ ولكن اذا كان يريد معرفة معلومات غير عادية ، فانه يجب عليه أن يكون كلامه له فى مستوى الند للند •

على أن أهم ما يجب أن يتوافر فى المستجوب هو ان يكون ناضجا ، ويجب ألا يختار شــاب صغير لاســتجواب كبار السن من الاسرى اذ أنه لن يســتطيع ان يؤثر عليهم •

٤ ــ يجب أن يكون للمحلل أساس من العلوم السياسية • وكان هناك اتفاق على ضرورة وجود تدريب أكاديمى كبير خاص بكل نمط من أنماط التقييم الذى يحتاج اليه محلل الدعاية • فالباحث الذى من طبيعة عمله تحليل نتاج

دعاية العدو يجب أن يكون شخصا درس العلوم المتصلة بالعلاقات الانسانية والتاريخ والعلوم السياسية والاقتصـاد وعلم النفس وعلم الاجتماع والرأى العام والدعاية ٠

ان رجلا تتوافر فيه هذه الشروط هو أفضل من يقوم بمهمة التحاليل ، ان هذا الرجل ـ طبقا لرأى احد رجال المخابرات الذين كانوا يعملون فى مكتب الخدمات الاستراتيجية الأمريكية ـ يستطيع أن يفهم بسرعة ، وعندما يقرأ فانه يعرف معنى ما يقرأ ٠ وهو يستطيع أن يميز بين الشائعة والحقيقة ، بين المعلومات الجوهرية وغير الجوهرية ٠

وبالرغم من أن العامل فى ميدان البحث يحتاج الى نفس المعلومات عن نفس المنطقة مثل « رجل الأفكار » ومثل الكتاب فانه الى جانب ذلك يجب ان تكون عقليته تحليلية أكثر منها مبتكرة ٠ فبدلا من أن يبنى شيئا من معلوماته نجد أن مهمته هى تحطيم المادة التى تمر بين أصابعه كى يقيمها ، كذلك نجد أن الرجل المبتكر ربما يكون قد حصل على مهارة نتيجة خبراته فى أمكنة متنوعة ، أما محلل الدعاية فعلى العكس قد حصل على مهارته نتيجة وجوده فى بيئة أكاديمية ٠ وبالاضافة الى ما تقدم ، يجب أن يعرف الباحثون لغة البلاد كما يعرفها أهلها ٠

الفنيون :

ان العمود الفقرى للحرب النفسية هو الرجال الذين يديرون المطابع وأجهزة الارسال الاذاعية ، ويقدمون كل الوسائل الميكانيكية التى تعمل على نشر ما صاغه المبتكرون من دعاية ٠ وهم ليسوا مهمين للحرب النفسية فقط ولكنهم يكونون أغلبية موظفيها ٠ وقال ادارى سابق كان يعمل فى قسم الحرب النفسية التابع للقيادة العليا لقوات الحلفاء فى الميدان الغربى : « أنت فى حاجة الى ٩٠٪ من الرجال ذوى المهارات المكيانيكية المنظمة » ٠

وهناك نفر قليل ساعدتهم خبرتهم على دراسة الرجل الفنى بتفصيل أكثر . ويمكننا من مجموع التعليقات أن نرسم صورة تبين المهارات أو الصفات التى يجب أن يتصف بها الفنى حتى يكون عمله مؤثرا فى الحرب النفسية • يجب أن تتوافر فى الرجل الفنى الخصائص التالية :

١ ـ معرفة عمله ، فمما لا شك فيه أن الرجل الذى يعهد اليه بآلة الطباعة يجب أن يعرف كيف يديرها . قد يصادفه نقص فى القطع او قد يحتاج الى ان يحل قطعا محل قطع مكسورة • ولذلك فالرجل الفنى المؤهل لكى يتغلب على عقبات من هذا النوع يجب ان يعرف آلاته بدرجة تتيح له أن يتلافى مثل هذه الازمات بدل أن يستسلم •

٢ ـ اتزانه من الناحية العاطفية • ولما كان يعمل فى الغالب تحت ظروف غير مواتية يتعرض فيها لأوجه نقص خطيرة فانه يجب أن يكون الرجل الفنى ذا طبيعة معتدلة •

وليس من المستحيل بالنسبة للرجل الفنى الذى حصل على المهارة المطلوبة أن يحصل أيضا على الطبيعة التى تجعله يثبت للفشل الذى قد يصادفه فى العمل فى منطقة القتال • ويعتقد أحد الرجال الذين عملوا فى الاشراف على آلات للطباعة : « ان من يعمل فى مثل هذا العمل الانتاجى يجب أن يتمتع بقدر كبير من الصبر » يجب أن يتذرع الشخص بالصبر التام عندما يتعرض للظروف التى يتعرض لها من يعمل فى هذه الظروف •

والى جانب كونه خبيرا ميكانيكيا ، يجب على الرجل الفنى الذى يعمل فى مجال الحرب النفسية أن تكون له شخصية ثابتة • أى أنه يجب ألا يهتز نتيجة مصادفته لمواقف لم يتنبأ بها •

٣ ــ يكون اهتمامه بالأفكار معادلا لاهتمامه بالآلات ، وقد لاحظ كثيرون أن الموظفين الفنيين لا يستلزم عملهم أن يكونوا خبراء فى اللغات أو فى المنطقة • ولكن حتى يستطيعوا القيام بأعمالهم بكفاية داخل المنظمة يجب أن تكون لديهم فكرة على الاقل عما تحاول الحرب النفسية أن تفعله •

ولكن مثل هذا التدريب قد لا يجدى مع الاشخاص الذين ليس لهم ميل الى الافكار ، ومن جهة أخرى فان الاستعداد العقلى وان كان مفيدا بالنسبة للرجل الفنى لا يمكن أن يكون بديلا للاستعداد الفنى والالمام بالعمل •

موظفو الخدمات :

يقول الرجال الذين كانوا يتولون اختيار موظفى وحدات الحرب النفسية فى الحرب العالمية الثانية : ان أى رجل يمكنه أن يقود سيارة نقل أو يطهو وجبة أكل ويركب ايريال يستطيع أن يؤدى نفس هذه المهام فى منظمة الحرب النفسية• ولكن التجربة اثبتت أن هذا الكلام ليس صحيحا •

فقد شكا كثيرون من حدوث الاحتكاكات ــ وأحيانا الاعمال العدائية ــ بين من يقومون بالعمل الفكرى ومن يؤدون أعمالا فى مستوى اعداد الطعام أو قيادة السيارات ونحو ذلك •

ان جماعة الحرب النفسية من وجهة نظر الكفاية يجب ألا تكون مكانا لمن لا يصلحون • وتفصح التقارير التى كتبت عن الصعاب التى كان يلاقيها المسئولون على مستوى مرتفع فى الحرب العالمية الثانية عن ضرورة توافر شرطين فى رجل الخدمة :

١ ــ يجب أن يكون متوسط الذكاء • وبالرغم من أن عامل الخدمة لا يطلب منه أداء أعمال فريدة فى الحرب النفسية فانه يجب أن يفهم معنى الحرب النفسية ودوره فيها •

وبالرغم من أن تلقين رجال الخدمة هو موضوع يمكن العناية به فانهم يجب أن يكونوا قادرين على أن يعرفوا أهمية الحرب النفسية بشتى صورها ٠

ان فهم الحرب النفسية أمر ضرورى لا لضمان التعاون من جانب العاملين فى حقل الخدمة ولكن لاتقاء شر الشعور بالعبث الذى يسيطر عليهم ، وهم بذلك يشعرون بالفرق بين الحرب عن طريق العبارات والحرب باستخدام المدافع ، كما يشعرون بالفرق بين نوع العمل الذى يؤدونه ونوع العمل الذى يؤديه المبتكرون ٠

٣ ـ يجب أن يكون موظفو الخدمة من النضوج بحيث يقدرون العمل وينسجمون مع الناس ذوى الطبائع التى تختلف عن طبائعهم ٠

ان احتمال استخدام رجال كانت خبرتهم قد هيأت لهم الاتصال بأفراد من اجناس مختلفة يفيد فى عمليات الحرب النفسية ، اذ يكون لديهم خبرة وتجربة فى نطاق الاعمال ٠

كما يجب أن يكون الرجل الذى يحتمل أن يعمل فى منطقة القتال ـ بغض النظر عن وظيفته ـ فى حالة بدنية طيبة ٠ وقد كان هذا المؤهل أمرا بديهيا فى رأى ذوى الخبرة لأن رجال الخدمة فى الحرب الماضية كانوا يؤخذون من الجيش وهذا يعنى أن الرجال قد اختيروا وفق مستويات بدنية معترف بها ٠ وخلاصة القول ان عامل الحرب النفسية يجب أن يحب مهنته ، ويعيش فيها ، ويعطى نفسه كلها لمهنته ٠

* * *

وعندما يأتى موضوع الاختيار الفعلى للموظفين فان المستويات السابق بيانها لا ينبغى مراعاتها مراعاة حرفية ٠ فالانتاج فى الحرب النفسية يمثل المجهودات المجتمعة لعدد كبير من الناس ٠ انه نتيجة عمل فريق ٠ وهذه الحقيقة تفسح مجالا للمرونة فى اختيار الموظفين اللازمين لمعظم عمليات الحرب النفسية ٠

ان المعايير السابق ذكرها ليست الا دليلا نستعين به فى اختيـــار مجموعة الافراد القادرين على تأدية عملية الحرب النفسية بعملهم معا • والمهم ــ من ناحية التجنيد ــ أن نختار الأفراد الذين ينسجم كل منهم بيسر ضمن الوحدة التى يعمل فيها ، والذين يؤدى كل منهم دورا تحتاج اليه الوحدة مهما كان هذا الدور صغيرا فى عملية المهارات المطلوبة • ان هذا أفضل من أن نحاول التوفيق بين الأفراد الذين تتوافر فيهم مجتمعين المؤهلات الوظيفية المطلوبة •

الباب الثالث

التخطيط والعمليات

الفصل الأول

مشاكل التخطيط

الفصل الثاني

أهداف العمليات

الفصل الثالث

الحرب النفسية الدفاعية



الفصل الأول

مشاكل التخطيط

فى الحياة العادية يقوم الفرد غريزيا بعمل خطة سريعة لاى مشكلة ولو يسيرة تواجهه فى حياته اليومية ٠ ان مجرد تفكيره فى عناصر هذه المشكلة ومحاولته التمعن فى الطرق المفتوحة أمامه يوصلانه فى النهاية الى اتخاذ سبيل معين يحقق له التغلب على هذه المشكلة ، وهذا هو التخطيط فى أبسط صوره ٠

وفى الجيش حينما يقوم ضباط التشكيلات بوضع الخطط العسكرية لوحداتهم ، لا يستطيعون القيام بذلك قبل دراسة كمية من المعلومات المتعلقة بالمسالة دراسة دقيقة مستفيضة ٠ فاذا انتقلنا الى صورة أكبر نجد أن ضباط الاركان المسئولين عن التسليح فى الجيش لا يمكنهم أن يضعوا خطط التسليح قبل قيامهم بدراسة واسعة تفصيلية لعديد من المسائل التى تتحكم فى خطة التسليح ، فمثلا لا يستطيع من يضع الخطة أن يحدد نوع السلاح المناسب لجندى المشاه قبل أن يسأل نفسه مرارا عن نوع الغذاء الذى يتناوله هذا الجندى وما الكميات التى تصرف له وما السعر الحرارى الذى يجب أن تعطيه الوجبات اليومية بحيث تمكنه من المحافظة على لياقته البدنية ، كما يجب أن يعرف قدرة هذا الجندى فى تحمل قطع المسافات المختلفة حاملا السلاح المناسب ٠

ولكن الامر ليس بهذه البساطة حينما توضع الخطط الاستراتيجية أو حينما يبدأ المختصون فى اعداد التخطيط القومى الكامل للدولة ٠ ان الأمثلة

السابقة لتبرز لنا كمية المعلومات الدقيقة المطلوبة وتوضح لنا عدد الأسئلة الهائلة التى تطرح عادة للمناقشة عند التخطيط لمثل هذا العمل الضخم ٠

فاذا ما ألقينا نظرة على تسلسل اجراءات التخطيط للعمليات الحربية نجد أنه يهبط متدرجا من أعلى قمة الهرم الى قاعدته ، اذ بعد أن تعين القمة ـ السلطة العليا ـ الهدف الاستراتيجى يبدأ التخطيط للعمليات الحربية فى المستويات المختلفة حتى تصل الى القاعدة فى أدنى مستوياتها ٠ وفى هذه الصورة نجد أن من يقوم بالتخطيط فى جميع هذه المستويات يستطيع أن يحدد احتياجاته مقدما، وأن يعين بالتفصيل مسئولية كل فرد فى العملية بل يستطيع أن يضع برنامجا زمنيا لتحقيق المراحل المختلفة من الخطة ٠

ولكن الأمر يختلف اختلافا بينا فىالتخطيط للحرب النفسية، فعلىالرغم من أنه قد يكون منالمستطاع أن تحدد الاهداف وعلىالرغم من أنالاحتياجات العامة قد تكون واضحة لمنيقومون بالتخطيط للحربالنفسية ، فمن جهة أخرى لاتستطيع الخطة أن تضع الحدود الزمنية التى يمكن تحقيق هذه الاهداف فى مداها ، ولا يمكنها ـ كما فى الخطط الحربية ـ أن تبرز العلاقة بين الاهداف المختلفة فى شكل واضح دقيق مقدما . وقد يكون من الميسور أن تحدد المسئوليات والواجبات لمن يقومون باعداد الحرب النفسية وتنفيذها ، ولكن نظرا لاختلاف طبائع الافراد الذين يشتركون فى تنفيذ الخطة ، والتناقض الوظائفى بينهم كما ظهر سابقا ، فان العامل البشرى يتحكم فى التخطيط الى مدى بعيد ٠ اذ تشترك فى هذه الحرب عناصر بشرية متباعدة التفكير والسلوك وادارات مختلفة غالبا ما تسيطر عليها عقدة الكرامة الوظائفية ٠

وعلاوة على ذلك فان الحرب النفسية مرتبطة ارتباطا وثيقا بسير العمليات الحربية ، ويتوقف نجاحها أو فشلها الذى لا يمكن ادراكه أو الاحساس به على المواقف السياسية والعسكرية المختلفة ٠ ان نجاح الحرب النفسية أو فشلها لا يظهر الا بعد مدى طويل ، وبصرف النظر عما تدعيه دعاية العدو وتزعم لنفسها أنها هى التى أدت الى نتيجة الحرب النفسية ، غير أنه فى الحقيقة لا يمكن ادراك

ذلك الا بنتائج العمليات الحربية التى تحقق النصر أو الهزيمة • ولنضرب مثلا بما حدث فى الحرب العالمية الثانية من ادعاء كثير من النقاد بأن الانفجار الذرى الذى حدث فى هيروشيما هو الذى أنهى الحرب ، ولكننا فى الحقيقة اذا تعمقنا الدراسة نجد أن اليابان قد بدأت فى محاولات الصلح قبل القاء هذه القنبلة بوقت طويل • ونعتقد أن الحرب النفسية هى التى كان لها الدور الفعال فى استسلام اليابان • أن اذاعات زخارياس (١) السرية التى حولت فكر اليابانيين من الاستسلام الى فكرة التسليم والوسائل النفسية التى استخدمها الامريكيون للتمهيد بضرب هيروشيما يعتبران العاملين اللذين لعبا دورا فعالا فى تحقيق النصر العسكرى •

ففى الخطة الاستراتيجية الامريكية التى وضعت فى سنة ١٩٤٥ لتنفيذ احتلال اليابان تقرر هدف واضح هو شن حرب نفسية مشددة الغرض منها تحقير القيادة العليا اليابانية فى نظر الشعب اليابانى ، والحط من شأن أفرادها ، وبذلك يقل نفوذها بسبب ترددها وما يقوم بين أفرادها من النزاع الداخلى •

وكان القرار الذى اتخذته الولايات المتحدة للقيام بهذه الحملة النفسية يعنى أن يقوم بهذه المسئولية متحدث رسمى فى منصب كبير للتعجيل بتسليم اليابان دون قيد أو شرط وبلا حاجة الى النزول فى الاراضى اليابانية ومواجهة المقاومة العنيفة ، وأسندت هذه المهمة للقبطان زخارياس •

وقد ذكر لنا زخارياس فى كتابه « مهمة سرية » Secret Mission مشروعا لاسلوب التطبيق العملى الذى شملته هذه الخطة لتحقيق الغرض المنشود. ونحن نضعه أمام القارىء كما جاء بالنص :

---

(١) القبطان ايليس زخارياس من البحرية عمل بالمخابرات الأمريكية ما يزيد على ربع قرن واختير عام ١٩٤٥ ليكون المتحدث الرسمى للحكومة الامريكية للتعجيل بتسليم اليابان دون قيد أو شرط • وقد قدم مشروعا للسلطات المختصة ببدء الحرب النفسية ضد اليابانيين ، وكان لاذاعاته الناجحة أثر كبير فى استسلام ألمانيا ، وفى كتابه مهمة سرية اصدار شركة « ج ب » بوتمان وأولاده بنيويورك نص لأربع عشرة نشرة اذاعية •

تلقى على المتحدث الرسمى مسئولية :

١ ـ وضع أسس التطبيق الذى يتبعه بأن يخاطب شخصيا زعماء البحرية والعسكرية والدوائر السياسية والاقتصادية فى أحاديث ودية مباشرة وواقعية ، وأن يستغل تجاربه الماضية فى معرفة ما يؤثر على عقولهم ويستلفت أنظارهم • ثم عليه أن يناقش ـ بعناية ـ مكاسبهم وخسائرهم لكى يشد أزر الراغبين فى السلام والحط من شأن أولئك الذين يتولون زمام الامور ويحبذون فكرة استمرار الحرب •

٢ ـ استغلال الهيئات وجماعات الصفوة داخل القيادة العليا والذين يشعرون بأن الحرب خاسرة لا محالة أو من يعارضون الاستراتيجية الحالية •

٣ ـ يوضح فى تفصيلات وافية وعلى أسس سليمة موقف اليابان وما يعتريه من عوامل اليأس ، وان الاستمرار فى المقاومة لا جدوى منه •

٤ ـ استغلال اعتراف اليابانيين بضعفهم واختلال صفوفهم واستحالة وجود شىء لعلاج هذا الوضع •

٥ ـ استغلال خسائر القوات البحرية وعلاقتها بأرض الوطن ويضيف الى ذلك اندحارهم برا وبحرا •

٦ ـ يؤكد فى قوائم مفصلة الخسائر فى السفن والارواح ـ تلك الخسائر المتعاقبة ـ التى تؤدى الى انهيار القوة ومعدات القتال بوجه عام •

٧ ـ يؤكد تلك القوة الهائلة التى تضاف الى القوات الضخمة الموجهة الى الاراضى اليابانية أثر انهيار ألمانيا •

٨ ـ استغلال تنحى حليفهتم ايطاليا وعودة فرنسا كعامل قوى فى الحرب وهدفها واهتمامها بالمناطق التى تشرف عليها اليابان •

٩ ـ استغلال عدم توفيق اليابانيين فى تقدير موقف الروس فى الحرب وخاصة تلك الاحداث المذهلة والتى سبقت دخول اليابان فى الحرب مباشرة ٠

١٠ ـ استغلال الاحتكاك الموجود فعلا بين اليابان وألمانيا فى جميع النواحى ٠

١١ ـ استغلال خوف اليابانيين من الفوز ، ويتضح ذلك من تهويلهم ومبالغتهم حول التدابير التى تتخذ للدفاع عن أرض الوطن « ويعيد ذكرى بيانات قادة الجيش والبحرية الألمانية قبل النزول فى نورماندى » ٠

١٢ ـ يوضح أن التسليم غير المشروط لا يعنى أكثر من وقف الاعمال العدوانية نهائيا ، والتخلى عن الاسلحة طبقا لبيان الرئيس روزفلت الذى قدمه للكونجرس(١) ثم عليه أن يضرب أمثلة بألمانيا وغيرها من المناطق المحتلة بما فيها المناطق اليابانية التى سبق الاستيلاء

---

(١) استغل زخارياس اجزاء من بيان الرئيس الامريكى فى الكونجرس بخصوص اليابان فى حملته الاذاعية وكان يكررها فى اذاعاته للتأثير على تفكير الشعب اليابانى للتعجيل بالتسليم ٠ وكان نص البيان كما كان يذيعه وينسبه للرئيس الامريكى هو « لقد اندحرت المانيا النازية ٠٠ وشعر الشعب اليابانى بوطأة هجماتنا من البر والبحر والجو ٠ وطالما قرر قادة قواتهم المسلحة مواصلة الحرب ، فان قواتنا الضاربة وضرباتنا القوية المتلاحقة سوف تسبب تدميرا شاملا للانتاج الصناعى فى اليابان ولوسائل الشحن ولكل شىء من شأنه تدعيم النشاط العسكرى ٠ وكلما طالت فترة الحرب كلما ازداد شقاء الشعب اليابانى دون جدوى ـ ولن تتوقف ضرباتنا حتى تلقى القوات العسكرية البحرية اليابانية أسلحتها وتذعن للتسليم غير المشروط ٠

ماذا يعنى التسليم غير المشروط بالنسبة للشعب اليابانى ؟

معناه نهاية الحرب ٠٠ معناه نهاية نفوذ القادة العسكريين الذين جلبوا اليابان الى حافة الكارثة ٠٠ معناه عودة الجنود والبحارة الى عائلاتهم ومزارعهم وأعمالهم ٠٠ معناه وضع حد لهذه الآلام والشقاء الذى تعانيه اليابان بأمل يائس فى احراز النصر ٠

التسليم دون قيد أو شرط لا يعنى ابادة أو استعباد الشعب اليابانى ٠

عليها لكى يثبت عدم استخدام العنف ضد أى فرد فى تلك المناطق الا اذا أدانته قانونا لجنة جرائم الحرب • ويؤكـد بصورة قاطعة الامور التى سوف نتجنبها ولكن لا يذكر أى التزامات من ناحيتنا لكى تكافح تنبؤات اليابانيين الحالية التى توحى بالاعمال الوحشية .

١٣ ـ استغلال ما قد يلحق باليابانيين من الاحـداث ويربط بها حالة اليأس الذى لحق بزعامة النازى فى ألمانيا •

والحق أن المشروع السابق ذكره يقدم لنا صورة واضحة عن الاصول التى يجب أن تراعى عند كتابة مخطوطات الاذاعات ، وكيف يجب أن تعضد السياسة والتوجيهات القائمة ، كما يجب ألا تكشف عن شيء يعرض اجراءات الامن للخطر .

كما أنه يوضح لنا أهمية التأثير الزمنى والسيكولوجى للدعاية ، وضرورة تجنب اغضاب جانب من العدو ، واستغلال الخلافات الداخلية والخارجية للتفرقة والانقسام •

كما أن خطة الحرب النفسية التى وضعها الامريكيون ضد اليابان أتت ثمارها ولعبت دورا كبيرا فى استسلام اليابان •

وعلى الرغم من أن أثر القاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكى استولى على خيال العالم أجمع وجعله يعتقد أن اليابانيين لم يلجأوا الى التسليم الا نتيجة هذه القنبلة ، فان الحقيقة غير هذا . ان القنبلة الذرية كان لها أثر مخيف وصدمة رهيبة فى أذهان البشر ، كما كان لها أثر فى وضع حد للحرب بصورة مروعة ، الا أن الحرب النفسية التى شنت ضد اليابان قبل قذفها بالقنابل كان لهـا أثر فعال فى تهيئة اليابانيين ودفعهم الى اصدار قرار الاستسلام •

على أنه يجب ألا ننسى أن الحرب النفسية تختلف اختلافا جوهريا عن الحرب الفعلية من ناحية الشكل والاهداف ، فهى ليست الا مجرد سلاح مساعد لتحقيق أهداف العمليات الحربية وقت الحرب ، وتحقيق أهداف سياسية وقت السلم ،

علاوة على أن الذين يقومون باعـدادها وتنفيذها منتشرون بين أجهزة وادارات عديدة غير مرتبطة ببعضها البعض لا فى التنظيم ولا فى المسئوليات التى تقوم بها . ولذا يكون أمام من يقومون بوضع خطة الحرب النفسية مشكلات رئيسية تواجههم عند وضع الخطة العامة ، منها :

١ ـ الاستراتيجية الكبرى للدولة والى أى مـدى تتمشى خطـة الحرب النفسية لتحقيق أهداف الخطة الكبرى ٠

٢ ـ قيود الأسلحة المختلفة التى ستعاون فى تنفيذ الخطة ، ونعنى بها فى هذا المجال المواد والاحتياجات المطلوبة ٠

٣ ـ العامل البشرى ٠

٤ ـ الدعاية المضادة ٠

٥ ـ التوجيهات المكتوبة ٠

الاستراتيجية الكبرى :

نلاحظ فى أثناء الحروب أنه بالرغم من أن العلاقات الدبلوماسية تعتبر مقطوعة بين الدول المتحاربة ، فاننا نجـد أن للسياسة نفوذا كبيرا على محتوى الحرب النفسية ٠ ففى الحقيقة تنشأ علاقات بين هذه الدول يكون لها صفة خاصة من ناحية التوتر والحساسية والعنف ، ويزداد تخطيط نشاط كل جانب فى محاولة التعرف على نقاط ضعف الآخر ٠ فمثلا اسـتطاعت القوات المسلحة الامريكية وكذلك حكومة الولايات المتحدة أن تعرف عن اليابان فى الحرب العالمية الثـانية أكثر مما كان يمكن معرفته بالدراسة لمدة عشرين عاما وقت السلم ٠

ومن جهة أخرى نجد أن كل دولة فى زمن الحرب تحاول أن تصل الى نوايا العدو ومعرفة ما يهتم به فعلا ، وهى فى هذا الميدان تحاول أن تستغل نوايا العدو لصالحها ، وهنا يلعب رجل الدعاية دورا كبيرا فى جعل العدو فى حالة شك دائم فيما يرسمه من سياسة ٠

على أن الاستراتيجية الصحيحة للدعاية تعتمد على الاطار العام للسياسة وعلى الظروف التى تحقق النجاح أو تعرقله • ان الغرض الأساسى للسياسة يمتد من اعادة بناء المجتمع الى موضوعات محلية عاجلة كما يتضمن الاعتماد الكامل على الاقناع والقضاء التام على الدعاية •

فلو فرض مثلا أن هناك خطة شاملة للتغير الاجتماعى عن طريق الوسائل السلمية ، فان المشكلة الأساسية للتخطيط الاستراتيجى تكمن فى التوازن بين تحقيق نجاح سريع والاستغناء عن بعض التفاصيل ، وعلى سبيل المثال فقد ارتدى الجزويت فى الصين ملابس العلماء المحليين كوسيلة لتعديل غرابة طريقة الحياة المسيحية •

وفى التخطيط الاستراتيجى للدعاية لابد من أن يراعى تمشيها مع السياسة القومية للدولة ، فمثلا نجد فى ألمانيا الهتلرية أن استراتيجية الحزب الاشتراكى الوطنى قبل الاستيلاء على السلطة فى ألمانيا كانت تهدف الى منع تجمع الاشتراكيين والشيوعيين والمحافظين الذين كانوا بمثابة حجر عثرة أمام الحزب ، ولكن بمجرد أن استولت الاشتراكية الوطنية على الحكم ، انتقلت المشكلة الى نطاق السياسة الدولية وأصبح هدف الاستراتيجية منع الشرق أو الغرب من اتخاذ خطوات ايجابية ، بينما قامت ألمانيا باحتلال الراين واستيعاب النمسا وتقسيم تشيكوسلوفاكيا ثم أعلنت الحرب على بولندا • وبعد فسخ ألمانيا علاقتها مع الاتحاد السوفييتى أصبح الغرض الاستراتيجى الاساسى هو الفصل بين الشرق والغرب حتى يمكن تجنب القتال فى جبهتين •

وهنا تظهر مشكلة كبيرة ، اذ يشعر رجل الدعاية أحيانا بالامتعاض اذا ما فاتته فرصة مواتية للدعاية نتيجة القيود التى تفرضها عليه السياسة القومية لدولته ، فهو ينظر فى تلك الحالة للموضوع نظرة حرفية بحتة ، غير مقدر المسئولية الكبرى لاهداف دولته القومية • وقد يؤدى اصراره على هدفه الدعائى الأصغر الى عدم نجاح الخطة الاستراتيجية الكبرى •

ففى الحرب العالميــة الثانية لاحظ الاذاعيون الألمان الذين كانوا يوجهون برامجهم الى أوروبا الشرقية محاولين ابراز الاشتراكية الوطنية الالمانية فى صورة مضادة للرأسمالية أن الاذاعة البريطانية كانت تسرع فى نقل أغلب البيانات المضادة للرأسمالية التى كان يذيعها الالمان لتعيد اذاعتها على دول غرب أوروبا حيث كان يزعم الالمان لتلك الشعوب أنهم يعادون الشيوعية ويدافعون عن مبدأ الملكية الخاصة ٠

وفى الواقع يكون من الصعب المحافظة على التوازن بين سياسات الجبهة الداخلية والحرب النفسية فى الميدان ، فأحيانا تكون العبارات التى توجه للعدو فى جبهة القتال بنجاح عامل مضايقة للشعب فى أرض الوطن ، وفى مثل تلك الحالة لابد للعدو من استغلالها باعادة ارسالها لتوجه الى شعب الجانب الآخر هادفة من ذلك التأثير على الاوضاع الداخلية لديه ٠ وعلى العكس فقد تسبب الدعاية الداخلية أحيانا أضرارا بالغة فى مسارح القتال اذا ما تسربت معلومات عن الجبهة الداخلية تؤثر على معنويات الجنود فى الميدان ، ومثال لذلك :

« لو فرضنا أن احدى الدول التى يعانى شعبها نقصا فى الغذاء والكساء قد وعدت جنود العدو فى اذاعتها بالغذاء الجيد والثياب الملائمة ــ اذا تركوا صفوفهم وهربوا ــ واستطاع الجانب الآخر أن يلتقط هذه الاذاعة ويعيــد توجيهها الى المدنيين فى الدولة التى وجهت هذا النداء ، فان النتيجة الحتمية أن هؤلاء المدنيين سوف يتأثرون تأثيرا بالغا من حــكومتهم التى تحرمهم مطالب الحيــاة الضرورية لاعطائها للعدو المعتدى » ٠

ان الحرب النفسية الصحيحة السليمة يجب أن تضع فى الاعتبار حقيقة واضحة ، هى جعل هدفها النهائى انهاء الحرب بنجاح ٠

وهناك صلة هامة بين السياسة وبين الدعاية فى وصف طبيعة العدو ٠ وفى عمليات القتال يسهل فى أغلب الاوقات معرفة من هو العدو ، فهو الرجل الذى يرتدى كسوة عسكرية تخالف الكسوة العسكرية التى يرتديها جنودنا ، وهو

الذى يعمل مع أى قوة معادية ، ولكن الامر ليس بهذه السهولة بالنسبة للحرب النفسية • فهى تحاول أن تجعل جنود العدو يعتقدون أنهم ليسوا أعداء بل العدو المقصود عناصر أخرى مثل الملك أو الحاكم أو حزب سياسى أو نظام أو مذهب معين ، ولكن من جهة أخرى لا يكون هناك جدوى لمثل تلك المحاولة بعد عملية تدمير عنيفة بالطائرات أو المدفعية •

ومن النماذج الناجحة فى دعاية الحرب العالمية الثانية تلك التى قدمها الاخصائيون السوفييت على هذا المنوال ، فقبل نهاية الحرب كان السوفييت قد استطاعوا أن يضموا الى جانبهم عددا كبيرا من الجنرالات الألمان المقتنعين بأن هتلر الذى لا يعرف أى شىء عن حرفة الحرب يدمر الجيش الالمانى العظيم فى عمليات عدوانية كحملات الهواة ، وأعطت كلمات ستالين : « فلتعش الدولة الالمانية وليعش الشعب الالمانى » ثغرات للدعاة السوفييت يخرجون منها بمزاعم بأن ألمانيا ليست هى العدو بل أن العدو هو النازيون والنازيون فقط • ويعتبر ذلك حربا نفسية ذات مستوى عال لان السوفييت أقاموا بدعايتهم فكرة أن العمال والفلاحين الالمان نظرا لولائهم لطبقتهم انما يقفون آليا الى جانب الاتحاد السوفييتى موطن العمال ، وبذلك استطاع السوفييت أن يضموا الى جانبهم عددا كبيرا من شعب العدو •

واذا ما كانت حملة الحرب النفسية تدار لغرض سياسى محـدد تصبح السياسة عاملا مساعدا أكثر من أن تكون قيدا معطلا ، ويستطيع القائم بأعمال الحرب النفسية أن يصف النظام السياسى لبلاده فى ضوء لامع ويستطيع أن يعلق ببعض أشياء للمجاملة عن زعماء العدو أو عن الاحزاب السياسية فى بلاد العدو مما قد يحقق النجاح باجتذابهم ، ولكن يجب ألا تصل هذه المجاملة الى ما يوصف « بقبلة الموت » على مثـال ما تقوم به دعاية الدول الاستعمارية والرجعية فى الافاضة بامتداح الخونة وعملائها فى الدول المتحررة •

فاذا كانت السياسة سياسة دفاعية ليست واضحة الاتجاه وجب أن تتجنب الحرب النفسية الاخطاء اللفظية ، ففى الحرب العالمية الثانية لم يكن الامريكيون

يستطيعون أن يقولوا أنهم ضد الحكومات ذات الحزب الواحد لان حليفتهم الكبرى كانت دولة ذات حزب واحد ، ولم يكونوا يستطيعون أن يهاجموا المشروعات المتحررة للحكومتين الالمانية أو اليابانية لانه كان بين الحلفاء دول اشتراكية ، ولم يستطع الامريكيون اثارة مسألة التفرقة العنصرية لان تكوين الولايات المتحدة يجعلها معرضة لهجوم قاسي من هذه الناحية .

وعموما فان التخطيط يواجه مشكلة كبيرة تكمن فى طيات الاستراتيجية القومية للدولة ، حيث تتشعب العناصر المتعددة فى جمع فروع أجهزتها ، وحيث تتشابك الأهداف السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها. ولذا فان لم تتمش خطة الحرب النفسية مع أهداف هذه الاستراتيجية ومراحلها نجم عن ذلك كثير من الصعاب التى قد تؤدى فى بعض الاحيان الى أزمة بين الدول لا سيما فى فترات ما قبل الاعمال العدائية ، بل قد تضع الدولة فى موقف دولى فاضح . ولنضرب لذلك مثلا ما قامت به الولايات المتحدة عام ١٩٥٥ بارسال انذار للجمهورية العربية على لسان جورج الن - مبعوث دالاس - حينما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى سبتمبر عام ١٩٥٥ كسره احتكار الغرب للسلاح . وقد كان رد الرئيس على هذا الضغط السياسى السيكولوجى من جانب الولايات المتحدة أن واجه هذا التحدى السافر باعطائها درسا قاسيا فى آداب السلوك الدولى .

ويمكن أن نتساءل كم كان تأثير هذا التصرف من الحكومة الامريكية الذى اتسم بالرعونة لا على الرأى العام الدولى فحسب ، بل كذلك على الرأى العام لشعب الولايات المتحدة . ان هذا مثل حى لعديد من الضغوط السياسية وأعمال التآمر التى كانت تمارسها وكالة المخابرات[1] المركزية الامريكية على الشعوب المتحررة التى تنشد التقدم والتى تعمل على تحقيق رفاهية مجتمعاتها بعيدة عن أى نفوذ أجنبى .

---

(١) راجع كتاب الحكومة المستترة بقلم ديفيد وايز وتوماس روس .

ان الأزمات الدولية قد تفرض على أى دولة أن تضع تخطيطا سابقا للعمليات العدائية ولكن من الضرورى قبل الوصول الى هذه المرحلة أن يقدر الموظفون المسئولون الذين يعملون فى ميدان الحرب النفسية الى أى مدى يستطيعون تحقيق التعاون بين جميع الهيئات فى حالة حدوث طارىء حقيقى ٠

القيود المختلفة :

مما لا شك فيه أن الحرب النفسية كأى نوع من الحرب لها قيود تؤثر على التخطيط ، فهناك قيود اجراءات الأمن التى سنشرحها بالتفصيل فى فصل قادم ، كما أن هناك القيود ووسائل الاعلام التى سنبحثها الآن ٠

الواقع أن هذه القيود يجب أن تكون محل اعتبار لدى كل من يعمل فى ميدان الحرب النفسية ، فمثلا لا يجوز أن تستخدم الحرب النفسية الاذاعة فى المناطق التى لا تعرف أجهزة الراديو ، ولا يجب أن تسقط الهيئة التى تتولى الحرب النفسية الكتيبات والنشرات على الناس الذين لا يعرفون القراءة والكتابة٠ ان هاتين القاعدتين تبدوان واضحتين ولكنهما مع هذا لا تراعيان فى كثير من الاحوال ٠ ولا ينبغى أن تفترض الحرب النفسية أن الانباء الشاملة أو الحملة التى توجه للتأثير على الروح المعنوية يمكن أن تحقق النتائج المرجوة ما لم تكن المعلومات الموثوق بها هى أساس الدعاية التى تلقى قبولا ممن توجه اليهم ٠

ومن السخف أن ترسل الاذاعات للجماهير عندما يكون معروفا أن الجماهير ليس لديها أجهزة استماع ، ولقد حدث هذا فى الاذاعات التى وجهتها هيئة الاستعلامات الأمريكية الى اليابان فى الجزء الاول من الحرب على الموجة القصيرة برغم التقارير التى تقول ان أجهزة الاستقبال على الموجة القصيرة غير معروفة خارج الدوائر الحكومية اليابانية أو خارج دوائر الأثرياء أصحاب الأعمال . وكان المعروف أن الحكومة اليابانية نفسها كانت تتسمع وأن محتويات الاذاعات الأمريكية كان يعاد ارسالها بواسطة محطات الاذاعة للجيش اليابانى ٠

ولقد اقترح فى صيف سنة ١٩٤٢ أن تذيع محطة اذاعة سان فرانسيسكو دعوة من « محبى الفنون الامريكية » تطلب من اليابانيين أن ينقلوا من مدنهم

الكبيرة كتبهم وآثارهم الفنية التى لا يمكن أن تقدر بمال قبل أن تقوم الطائرات الامريكية باغاراتها الفتاكة ، واذاعت محطة سان فرانسيسكو الرسالة ولكن لم يسمع اليابانيون شيئا عن ذلك من مصادر يابانية • وبعد أربعة أيام أذاع راديو لوكسمبرج الخاضع للألمان رسالة لليابانيين تخبرهم أن وزارة الجو الامريكية التى تجمع الوحوش الضارية اعتزمت تدمير الآثار الثقافية ، وقد أضاف المعلق الالمانى أن هذا ليدل على أعمال الامريكيين غير المتحضرين • وقد التقطت محطة نيويورك هذه الاذاعة الالمانية • واستمتع الكاتب الامريكى بانتشار رسالته التى دارت حول العالم ، هذه المتعة الشخصية سببت من الناحية الواقعية ضررا بالغا لأنها أعطت النازيين موضوعا آخر يستغلونه فى الدعاية المضادة •

على أن قيود الاعلام يمكن التغلب عليها باستخدام الوسيلة الصحيحة فى الوقت الصحيح المناسب ، فالاذاعة يمكن استخدامها حينمـا يتيسر للمستمعين اجهزة الاستقبال ، كما أن المواد المكتوبة (١) تلقى فى المناطق التى يتوافر فيهـا بعض الناس الذين يعرفون القراءة على الاقل •

ومن الضرورى عند بحث استخدام الاذاعة حصر العدو الذى يحتمل أن ينصت لها على أن يراعى مدى اهتمامه بالرقابة على الاستماع للاذاعة ، ومعرفة عادات الاهلين ، والتوتر الذى يكون قائما بين جنود العدو أو بين المدنيين ، وكذلك بحث العوامل الأخرى التى يمكن أن تؤثر فى الموقف •

وفى بعض الاحوال تجتاز الوسيلة المستخدمة كل العوائق المتوقعة ، فلقد أسقط الأمريكيون والانجليز النشرات على برلين ، وكانت تعلو أركان النشرات رموز وأرقام لتوضح السلسلة التى تتبعها كل نشرة ، وبذلك يمكن أن ترتب كل

---

(١) أعدت ادارة استعلامات الحرب فى الصين بناء على طلب مركز رياسة القول الأمامى للحلفاء نشرات تحتوى على صور ، لسكان الجبال الذين يعيشون بين الصين والتبت لتخبرهم بانقاذ الطيارين الامريكيين الذين تسقط طائراتهم ، فلم تكن من فائدة للتحدث فى الاذاعة لهؤلاء الناس بل كانت الاذاعة بمثابة البصق فى المحيط الواسع كما انه لم يكن فيهم من يستطيع القراءة فكانت الصورة هى الوسيلة الوحيدة للارشاد •

سلسلة لتكمل بعضها البعض • وعلى الرغم من أن الالمان منعوا المدنيين من التقاط هذه النشرات وبعثوا بالجنود من الشباب الهتلرى لجمعها من الطرقات وحرقها ، فان الصبيان والفتيات قاموا بدورهم بلذة وسرور في جمعها • لقد أحرق الألمان الكثير من هذه النشرات ، ولكن جاء اكتشاف النازيين لهذه النشرات متأخرا جدا • ان أطفال المدارس كان لديهم الشغف بجمع هذه النشرات مستخدمين الرموز والارقام لاعداد سلاسل كاملة منها • وكان بعضها اندر من البعض الآخر ، ولهذا كان الأطفال يبحثون جادين عنها ويتبادلونها كما يحدث بين هواة جمع الطوابع وذلك لاعداد البومات طريفة • ان مالم يجسر الآباء والامهات على جمعه من الطرقات كانوا يجدونه كاملا عند أطفالهم الصغار ، وبالطبع فان الذين وضعوا تخطيط هذه الحملة لم يفكروا بحال ما فى مثل تلك النتيجة •

العامل البشرى :

يلعب العامل البشرى دورا كبيرا فى التخطيط للحرب النفسية ، فالحرب النفسية تتطلب أشخاصا فى مستوى الاحتراف ، ففيهم العامل «Operator» الذى يقوم بنقل مواد الدعاية سواء تم هذا بالمواصلات اللاسلكية أو آلات الطباعة وغيرها • هذا العامل غالبا لا يكون على مستوى عال من الامن ، وعلى الرغم من ذلك فهو يقوم بدور لا غنى عنه لاتمام أعلى استراتيجية فى الدولة •

وهناك الكاتب الذى يقوم باعداد المواد ، وعلى الرغم من أنه قد يكون مأجورا فمن الناحية النفسية لا تستطيع أن تحركه يمنة ويسرة كما تحرك صنبور الغاز ، اذ أنه مهما كان هذا الكاتب على أدنى مستوى فى حرفته ، فهو غالبا لا يستسيغ ان يتدخل فى تفكيره وآرائه الا بالدرجة التى قد تخدم قضية ما • ان الكاتب فى مثل تلك الحالة لا يحتاج الى أكثر من ارشاد وتوجيه • أما اذا قام المسئولون عن اعداد الحرب النفسية بالتدخل تفصيليا فى المواد التى يكتبها ، فان النتيجة التى لا مفر منها هو الخروج بمادة هزيلة ضعيفة لا حيوية فيها ، وبذا تفقد قيمتها التأثيرية على الذين ستوجه لهم •

وغالبا ما يحتاج الاعداد للحرب النفسية الى كثير من الفنانين والرسامين المهرة الذين قد يكون بعضهم موضع شبهة فى اتصالهم بالعدو ، أو قد يكونون من الاجانب المستوطنين الـذين يصلحون فى مثل تلك الحالة للعمل « كعميل مزدوج » Double Agent وهنا يجب ألا نغفل قيمة المعلومات السرية التى قد تتداول بين أيديهم (١) ٠

وعلى العموم فان أى عملية من عمليات الحرب النفسية يواجهها عائق فعال يفرضه عدم توافر الرجال ذوى الكفاية الخاصة فى هذا الميدان فالقائد العسكرى الذى يفترض أنه يحصل على معاونة جوية لمجرد رؤيته لبعض طائرات فى الجـو لهو قائد متسرع ، والميكرفون وحده لا يستطيع أن يحقق الاذاعة الناجحة ٠

ان الافراد الذين يستخدمون صوتهم فى عملهم يجب أن يجيدوا الحديث ، فان مجرد معرفة اللغة لا يكفى ، والذين يعملون بالكتابة يجب أن يكونوا فى مستوى الكتاب المحترفين ٠

على أنه من جهة أخرى يجب ألا يدفع الافراد المتوفرون عند القيام بواجبهم الى التغالى فى الاحتراف ، فكثيرا ما فشلت الدعاية لأن الذين كانوا يقومون بالعمل حاولوا القيام به على درجة عالية من الاحتراف (٢) ٠

وطالما سمح الموقف السـياسى العسـكرى فان الاجراء المعقول المنطقى أن يفحص انتاج الدعاية مع أشخاص من أسرى العدو العسكريين أو المدنيين ، ومن الممكن للمستجوب الحصيف النابه أن يدرك ما اذا كانت تعليقات هؤلاء الأسرى أمينة أو أنهم يقصدون الخديعة والتضليل ٠

---

(١) العميل المزدوج اصطلاح يطلق فى أعمال التجسس على العميل الذى يعمل لحساب منظمتين مختلفتين من منظمات المخابرات ، وغالبا ما يكون نشاطه معروفا لدى الطرفين ٠

(٢) عندما أراد المتحدثون اليابانيون أن يزعموا أنهم أمريكيون واستخدموا اللهجة العامية المهجورة التى كانت مستخدمة سنة ١٩٢٠ أثاروا من الاستخفاف والازدراء اكثر مما كان ممكنا أن يثيروه لو أنهم اسـتخدموا اللغـة الانجليزية الميسرة المسـتخدمة فى الكتب المدرسية ٠

وفى الحرب العالمية الثانية مكنت الاجراءات الجيدة للحرب النفسية فى كثير من الحالات من تحويل الاحتمالات الى مدخرات للاستغلال ، فكثيرا ما اضطرت جماعات الدعاية ـ لعدم وجود « أوركسترا عازفة » لديها ـ الى تسجيل برامج الموسيقى من محطات العدو ثم اعادتها مع تعليقات جديدة مذاعة بواسطة مذيعين من رجالها •

وقد يكون من العبث أن تحاول انشاء وفاق ومودة مع العدو مالم تكن تتكلم لغته باتقان ويسر ، والا فمن الأفضل أن نعترف بأنك أجنبى تحاول أن تحدثه بلغته • أن نفسية المستمع يروق لها صورة عدوه الاجنبى أكثر من هذا الشخص الذى تحاول أن تجعله يثق به ، وهو من وجهة نظره خائن لوطنه •

ان محاولة تكلم لغة العدو غالبا ما تكون أقل نجاحا من الاعتراض صراحة بالعائق الذى تواجهه ، وهذا يعنى فى الممارسة العملية حالتين :

أن يجيد المتحدث النطق بلغة العدو اجادة تامة ، أو لا يبذل أى جهد لاخفاء لهجته الأجنبية •

وعلى سبيل المثال وجد أن المستمعين الالمان يفضلون فى الاذاعات البريطانية الموجهة لألمانيا أن تكون فى أحاديث المذيعين نبرة انجليزية عند نطقهم الكلمات الألمانية ، وكان المستمعون النازيون نتيجة عدائهم للسامية لم يكونوا ينصتون للمتحدثين الذين تبدو فى لغتهم الألمانية لكنة يهودية مهما كانت فى اذاعاتهم من طرافة أو فى جدلهم ومناقشاتهم للموقف من أدلة واعية منطقية • ومن جهة أخرى كان المستمعون الألمان مستعدين للانصات الى انجليزى أصيل بل كانوا سيشعرون بخيبة أمل لو أن المتحدثين خاطبوهم بلغة ألمانية محكمة •

ويذكرنا هذا بأن البروتستانت الصينيين الذين يتبعون الكنيسة الصينية كانوا يفضلون سماع الوعظ من رجال الدين الامريكيين الذين ينطقون الكلمات الصينية بلهجة أمريكية ، حتى صارت هذه اللهجة الامريكية فى تقديرهم جزءا من

الدين . وكان من المدهش أن نجد الكنيسة مليئة بصينيين ينشدون الصلوات باللغة الصينية فى لهجة أمريكية تجعل بعض الكلمات خطأ فى معناها ، ولكنهم مع هذا يكررونها كما هى مثل ما يفعل الصينيون البوذيون عندما يتلون صلواتهم بلغة هندية لا يفهمون منها حرفا واحدا .

ومن جهة أخرى فان المتحدث الذى يجيد لغة العدو اجادة تامة يثير دائما السؤال التقليدى : « ماذا يفعل هذا الرجل هناك ؟ » والمواطن الخائن لا يستميل مستمعيه كما يستميلهم الاجنبى العادى الذى يخاطبهم بلغتهم بقدر ما يعرفها ، والمواطن الخائن يحتاج ناحية عاطفية قوية حتى يستطيع متابعة محاولاته ، فلقد كان لورد هاو هاو من هذا الطراز ، ولكن كانت له لهجة مسرحية أصيلة جعلت مستمعيه يقولون أنه يقف فى الجانب الخاطىء ولكنه يفعل هذا عن عقيدة على الاقل .

والمتحدث الذى يجيد اللغة سواء كان عدوا مرتدا أو صديقا من الثقات فى اللغة يواجه دورا صعبا فى بداية الحرب عندما تكون معنويات العدو لا تزال عالية وسكان بلاده لم يفكروا بعد فى أن يغيروا من موقفهم أو من الجانب الذى يعضدونه . ولكن عندما تقترب الحرب من نهايتها ويهبط المستوى المعنوى فان الفرصة تكون موانية لاستغلال هذا الموقف .

ان رجل الحرب النفسية الذكى النابه يجب أن يحاول أن ينظر الى رجاله كما يراهم العدو ، ويجب أن يضع نصب عينيه دائما العوامل المعطلة التى يتعرضون لها ، فهم ان تحدثوا لغة جيدة أمكن النظر اليهم على أنهم خونة وهم اذا تحدثوا بصورة سيئة يصبحون محل سخرية المستمع .

ومن ثم نجد أن اختيار الأفراد الذين يعملون فى فروع الحرب النفسية من أكبر المشكلات التى تواجه التخطيط ، ولقد سبق أن شرحنا فى الباب السابق المؤهلات التى يجب أن تتوافر فى رجال الحرب النفسية .

وعموما فان التخطيط الجيد يجب أن يجىء على أساس تقدير الافراد المتوافرين واعتبارهم عاملا فعالا فى تقدير الموقف . ولذا فان العنصر البشرى

يجب أن ينظر اليه فى خطة الحرب النفسية من أعلى القمة حتى القاعدة ، كما أن التنسيق بين الذين يشتركون فى هذه الحرب يجب أن يبنى على أساس أن يتفهم الجميع أن الهدف البعيد هو تحقيق أهداف الخطة القومية للدولة ٠

الدعاية المضادة :

تعتبر الدعاية أحد العوامل المعطلة فى الحرب النفسية وتحد من آثارها ، لان قوة العدو المحاربة لا تتقابل معها بدنيا كما يحدث فى الحرب الفعلية ٠

ومع ذلك فان هذه هى النقطة التى تختلف بها الحرب النفسية عن أى حرب أخرى ، ويجب عدم الاكتراث بدعاية العدو الا عندما تعتبر مدخرا للاستثمار أو عندما يطلق أكذوبة ضخمة أو يقص قصة مخادعة مضلله يمكن بالقليل من التنقيح استخدامها فى الدعاية المضادة ٠

ولكن أغلب الموضوعات والابحاث الخاصة بالعدو تعتبر ضعيفة التأثير وخاصة تلك التى تمس الحرب الايديولوجية ٠ وقد قام النازيون والسوفييت بدعاية جيدة ضد بعضهم البعض عندما نزلوا الى مستوى مناقشة مطالب الحياة ولم يوفقوا فى دعايتهم عندما كانوا يحاولون نسج خيوط نظريات تدور حول طريقة تفكير كل منهما ٠

ان التفنيد أو الدحض عملية ممتعة حقا ، وقد يكون من الطريف اجادة المناقشة والجدل للرد على خصمك وتفنيد مزاعمه ورد ما يقول ، ولكن أفضل دعاية هى التى تبنى على أساس استخدام أخطاء العدو واستغلالها فى الدعاية المضادة وذلك باقامة مخطط دعائى لا صلة بينه وبين ما يكون العدو قد حققه من دعايته ٠

ولكن هذا لا يعنى اغفال قيمة « تحليل الدعاية » ، فمن الضرورى أن يكون ضمن تشكيل وحدة الحرب النفسية جماعة مخابرات لخدمة العملية ٠

فاذا ما قال العدو مثلا أن الحلوى التى ألقاها طياروك على مدنه كانت مسمومة وأنه قد أثبت هذا باسقاط بعض هذه الحلوى ـ بعد أن يكون رجاله قد سمموها فعلا ـ فلا محل لأن ترميه بالكذب ذلك لأنك لن تعرف لبعض الوقت ما اذا كانت حلوى مسمومة قد أسقطت أم لا ٠

واذا كان قائد العدو قد عرض على جنوده بعض صور لأسرى قد أسرهم الجانب الذى تعمل فيه أنت، وان هؤلاء الأسرى قد ذبحوا بواسطة رجالك، فليس من المنطق أن تطلب من أفراد العدو الاستسلام قبل أن تلقى عليهم صورا لأسرى منهم يحصلون على رعاية كريمة ٠

ان الدعاية الجيدة لا تحس بقلق من الدعاية المضادة ، انها لا تفترض قط أن رجل الدعاية للعدو رجل شريف « جنتلمان » انه بالوصف الصحيح كاذب ، وانك أنت ومستمعوك الشرفاء الوحيدون على الارض ٠

التوجيهات المكتوبة Written Directive :

ليس هناك مشكلة تواجه كبار واضعى السياسة فى ادارة الحرب النفسية أشد اثارة وصعوبة من مشكلة التنسيق الناجح بين المجهود الدعائى لهذه الادارة ومجهودات الهيئات الاخرى بما فى ذلك كل الاجهزة التى تعمل فى تنفيذ المخططات السياسية والاقتصادية والعسكرية فى الدولة ٠

ولما كان تنسيق الانتاج الدعائى وملاءمته للتغييرات فى السياسة ومع تطورات المواقف والظروف التى تجد فى العلاقات الدولية أمرا لا غنى عنه ، كان على ضباط تخطيط الحرب النفسية أن يسعوا دائما فى منظماتهم الخاصة الى ايجاد الوسائل التى تمكنهم من تحقيق التنسيق الافضل للجهد الدعائى ، وهنا تكمن الأهمية الخاصة للتوجيهات المكتوبة لادارة أعمال الحرب النفسية ٠

وقد ينظر الى التوجيه الدعائى Propaganda Directive على أنه بيان خاص عن السياسة يهدف الى الارشاد عن مجموعة كبيرة من الخطوات الواجب

اتخاذها فى حملات الحرب النفسية • وقد يبدو الهدف الرئيسى للتوجيه المكتوب كأنه وسيلة للالتزام بالخط الدعائى العام الذى يعبر عن السياسة الرسمية تعبيرا صادقا وأمينا ، الا أن ذلك لا يشكل أكثر من نصف المهمة ، اذ لابد أن يحاول التوجيه أن يشجع القائمين بالتنفيذ من استغلال المصادر والامكانيات المتاحة لهم استغلالا كافيا ، بحيث تتفق مع توجيهات السياسة •

ان التنويع والتلوين فى التعبير أمر مطلوب لتجنب وطأة الملل والتكرار فى الانتاج الدعائى ، كما يجب أن يهدف التوجيه الدعائى الى تشجيع مرونة التعبير مع الالتزام بالخط الدعائى •

ولقد دفع الاعتقاد القائل بأن الحرب النفسية تتطلب تنسيقا دقيقا بالكثيرين الى استنباط خاطىء ، وهو أن التنسيق يستلزم تركيزا تاما فى اعداد التوجيهات المكتوبة ، ولكن اذا رجعنا الى الوراء نجد أنه فى الحرب العالمية الثانية نتج كثير من المشكلات فى حرب الدعاية للحلفاء نتيجة التنظيم المعقد المبنى على المركزية ، وكذا للفهم غير الواضح للسلطة من جانب الذين كانوا يتولون اعداد التوجيهات المكتوبة ، مما حدا بالكثيرين الى توجيه النقد عن ضعف مستوى دعاية الحلفاء اذا ما قورنت بالدعاية الالمانية •

الا أنه من هـــذا الضعف ، ظهرت قوة خاصـــة تنـــاسبت مع كثير من الدول الديموقراطية التى خاضت الحرب ، فدعاية الحلفاء لم تهبط مطلقا الى مستوى الملل أو التكرار الذى كان يميز جزءا كبيرا من انتاج ألمانيا الدعائى ، والذى كان يفقد حيويته وقوته نتيجة التكرار الممل وعدم التنويع •

وعلى النقيض فان التلوين الذى ظهر فى الانتاج الدعائى للحلفاء ، وزيادة التنويع المتبـــاين الذى اتسمت به المصـــادر الخاصة ، أدى الى اهتمام الجماهير والمستمعين • وبعبارة مبسطة فان التنويع كان أكثر فاعلية وتأثيرا من التماثل والتطابق ولا سيما للجماهير التى تعرضت طويلا للدعاية الدكتاتورية •

على أنه اذا كان التوجيه الدعائى ذا سمة عامة ، فانه قد يفقد قيمته ، واذا كان مليئا بالتفاصيل فقد يتحطم على صخرة الأحداث قبل أن يتم توزيعه •

وقصارى القول ، فان ادارة حرب نفسية على مستوى دولى - ولا سيما خلال فترات التغييرات السريعة - تستلزم شيئا أكثر من التوجيهات المكتوبة •

وهنا قد يكون من المناسب أن نشير الى ملاحظة هامة ، أبداها ريتشارد هـ• س• كروسمان ، وهو من كبار مستشارى الدعاية البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية ، اذ يرى أن خطب روزفلت وتشرشل كانت أفضل توجيهات تلقاها المنفذون خلال الحرب العالمية الثانية •

لم تكن هذه الخطب بالبيانات الرسمية التى تتحدث تفصيليا عن الخطوة التالية فى الحرب النفسية ، بل كانت فى جوهرها تعمل على تعبئة رجال الدعاية ، وبذل الجهود الملائمة للسياسات الأساسية للحلفاء •

يقول كروسمان : « ان خطب روزفلت وتشرشل على أهميتها ، كان من الممكن أن تنسى لو لم تتكرر موضوعاتها الأساسية وعباراتها الرئيسية فى كل وسيلة من وسائل الدعاية • ان الارشاد والتوجيه الذى أتاحه روزفلت وتشرشل لكبار رجال الدعاية من خلال الخطب الرسمية والاتصال الشخصى كان يتكرر بطبيعة الحال فى صور مختلفة من جانب الزعماء الأقل مرتبة الى الجيش الكبير من العاملين فى جهاز الحرب النفسية للحلفاء » •

كما أن الاتصال الشخصى والمؤتمرات والاتصالات المتبادلة الحرة بين المخطط والمنفذ كل ذلك ساعد على ضمان التزام الهيئات المختلفة للخط الدعائى وتمشيه مع توجيهات السياسة ، وفى نفس الوقت احتفظ بالقوة الحيوية اللازمة التى جعلته ذا تأثير كبير وفعالية قوية •

ولقد ظهر خلال الحرب العالمية الثانية تقييم جديد لهذه المشكلة نتيجة لأن للتوجيهات المكتوبة تحديدات معينة ، كما أنها تتطلب السرعة فى اصدارها وتغييرها تبعا للمواقف المختلفة •

ظهر هذا التقييم بشكل واضح بين من كانوا يقومون بأعمال التنفيذ • اذ يرون أن الوظيفة الاساسية التى يحققها التوجيه المكتوب ، هى اتاحة الفرصة أمام المنفذين لحمايتهم من التدخل الذى لا داعى له من واضعى السياسة •

ولقد ذكر كروسمان رأى هذه المجموعة على النحو التالى :

« كلما ارتفع مستوى المسئول كان أكثر رغبة فى الحصول على التوجيه ، وأقل نظرة فى تفحص الانتاج أو المضمون الدعائى الحقيقى » .

ولكن يظهر بين الفينة والأخرى ما يناقض ذلك ، فالمسئول الكبير غالبا ما يطلب رؤية النص الكامل للمنشور أو الحديث الاذاعى العادى بلغته الاصلية .

وحينئذ يصبح التوجيه لا قيمة له بالنسبة للمنفذ ، فاذا كان التوجيه قد صيغ صياغة بارعة ، فانه يوجد مبررا وسندا لمن يمارس العمل بأن يمنع تدخل واضعى السياسة ــ الذى يعتبر حرصهم وحذرهم المتناهى فى بعض الاحيان ، وتظاهرهم الشديد بالقوة فى أحيان أخرى ــ خطرا لا يمكن تجنبه على سلسلة العمل الجدى المستمر .

ثم ان التوجيه على ضوء هذه النظرة لا يحمى المنفذين فحسب حين تظهر احدى المشكلات ، بل ان هذا التوجيه يعمل أيضا كوسيلة نافعة أو أداة مفيدة لتهدئة الضغوط الخارجية غير ذات الموضوع التى يتعرض لها كل من منفذ الحرب النفسية وواضع سياسة الدعاية أو المخطط الدعائى .

وتحت وطأة الضغط الخارجي، فمن المحتمل أن يتذبذب الفرد بين نقيضين : أولهما الحذر والحرص ، وثانيهما الأفكار والآراء المتطرفة التى تتحدى كل خيال واسع وخصب ، وكلا النقيضين يعرقل دائما العمليات المؤثرة الفعالة .

ان التوجيهات المعدة اعدادا كافيا تعمل على التقليل من شدة هذه الاضطرابات أو ألوان الاختلال .

وعلى الرغم من هذه الملاحظات والمواقف تجاه « التوجيهات » فهى تظل دائما وبصورة واضحة الوسائل الاساسية فى ادارة حملات الحرب النفسية وتوجيه دفتها . الا أن التقدير الواقعى لفائدة هذه التوجيهات يحول بيننا وبين التعويل التام عليها لاداء المهام التى لا يحتمل أن تنهض بها أو تنجزها .



أهداف العمليات

قد يكون من السهل فى المعارك الحربية قتل جنود العدو وتدمير ممتلكاته وهذا الأسلوب من العمل العسكرى تتضح مظاهره وآثاره أمام الأعين ، ولكن الهزيمة الحقيقية تكمن فى عملية غزو العقل •

وقد يفكر بعض العسكريين فى الحرب على أساس العمل العسكرى فعلا ، جنود يتقدمون أو يتقهقرون ، اغارات بالقنابل على أرض العدو ، معارك بحرية وجويه •• الخ ، الا أن نجاح أغلب العمليات العسكرية يتوقف تماما على عوامل سيكولوجية ، ويتحقق النصر النهائى باستسلام جنود العدو ، ويخضع المواطنون فى النهاية لرغبات العدو الذى يقوم بالغزو •

لقد صد الجنود السوفييت فى الحرب العالمية الثانية فى معركة ستالينجراد هجمات الألمان العنيفة وقاوموا الحصار لمدة ثلاثة شهور متوالية ولم يستسلموا قط ، مع أن الجيش الألمانى تغلب بجهود أقل على مدن فى قوة دفاعات ستالينجراد ، ولكن فى ستالينجراد فشلت كل نيران المدفعية والقاذفات المنقضة لأنها لم تستطع أن تحطم روح الاقتتال لدى المدافعين •

والواقع أن كلا من الجندى والمدنى هدف للحرب النفسية ، كما أن العمل السيكولوجى هو الذى مكن فى النهاية من حرمان العدو من ارادته فى المقاومة ، وهو الذى يفسد الجندى كفرد ويجعله آلة قتال غير صالحة لأنه ينتزع منه الشىء

الوحيد الذى يجعل الجندى يقاتل بروح وهو الأمل فى النجاح ، فالجندى المقاتل يكون أشبه بالدبابة التى لا يعلوها مدفع اذا فقد الأمل •

واذا نظرنا الى الأمر نظرة فاحصة نجد أن كل الحروب عسكرية كانت أو اقتصادية أو سياسية انما هى حرب نفسية ، لأنها تهدف الى تغيير العقل وتقبل رغبات العدو •

ولكى نستطيع أن نتفهم العمليات السيكولوجية فى الحرب النفسية ، لابد لنا أن نتعرف على أهدافها التى تحاول أن تحققها •

ويمكن تصنيف الأهداف التنفيذية التى تستخدم من أجلها الحرب النفسية بطرق عديدة ، وسنحاول فى هذا الفصل أن نعالج هذا الموضوع تحت رءوس موضوعات ثلاثة :

١ ـ الأهداف التى يمكن اعتبارها أهدافا سياسية بحتة •

٢ ـ الأهداف التى يتعذر وضع خط واضح لتحديد ما اذا كانت سياسية أو عسكرية •

٣ ـ الأهداف العسكرية البحتة •

الأهداف السياسية :

مما لا شك فيه أن الحرب النفسية ترتبط ارتباطا وثيقا بالاهداف السياسية للدولة ، ونستطيع أن نؤكد أن أغلب العمليات النفسية التى تقوم بها دولة ضد دولة أخرى تهدف الى تحقيق أهداف سياسية •

ولما كانت الأهداف السياسية تختلف فى طبيعتها من ناحية عامل الزمن ، فهناك سياسة بعيدة المدى وأخرى قصيرة الأجل أو متوسطة وهذا له اعتبار كبير وارتباط بالعمليات النفسية التى تشن لتحقيق هذه الأهداف •

ولكى نستطيع أن نتفهم ذلك ، يجب أن نعالج هذا الموضوع بدراستين تبين أولاهما الاستخدام الفعال للحرب النفسية لتعزيز الأهداف السياسية قصيرة الأجل وتصور أخراهما استخدام أساليب الحرب النفسية من أجل هدف محدد بعيد المدى ٠

هدف سياسى محدود قصير الأجل :

لعبت جهود الدعاية الامريكية فى الانتخابات الايطالية عام ١٩٤٨ دورا كبيرا فى ابعاد الشيوعيين عن الحكم ٠ ففى ذلك الوقت كان الحزب الشيوعى الايطالى من أقوى الأحزاب العاملة فى الدول الغربية ٠ وبد أن الشيوعيين يسعون لكسب السيطرة على الحكومة بالحصول على أغلبية الأصوات فى الانتخابات ٠

وكان كثير من المراقبين الغربيين يخشون أن يتمكن الشيوعيين من الحصول على أغلبية أو ما يقرب من الأغلبية من مجموع الأصوات ، أى نسبة لم يسمع عنها فى الدول التى تأخذ بنظام تعدد الأحزاب ٠ لأن هذا يكفل لهم تمثيلا فى الوزارة ، ثم يمهد الطريق أمامهم للسيطرة على زمام الحكم ٠

وأصبحت ايطاليا ميدان المعركة الأساسى فى الحرب الباردة ومسرحا لصراع ايديولوجى كبير ، فقامت الولايات المتحدة من جانبها بتنظيم حملة دعائية شاملة لتعزيز أهدافها السياسية فى ايطاليا ٠

وكان أول ما قامت به الولايات المتحدة لمواجهة التهديد الشيوعى أن طبقت مشروع مارشال للمعونة الذى كان قد بدأ لتوه فى الوصول الى ايطاليا بكميات كبيرة ٠ وكان هدف الولايات المتحدة من وراء ذلك مساندة مرشحى الحزب الديمقراطى المسيحى فى الانتخابات ، بزعامة دى جاسبيرى De Gasperi ٠

كما بذل « جيمس س٠ دن James C. Dunn » السفير الأمريكى كل قدراته فى الاقناع للتأثير فى الناخبين الايطاليين لنبذ الشعارات والمؤثرات

الشيوعية ، اذ ألقى ما يقرب من أربعين خطابا بعد وصوله الى ايطاليا • وأهم هذه الخطب ما ألقاه لدى وصول سفن الغوث ، ولقد وصلت السفينة الستمائة قبل الانتخابات مباشرة •

وتضمنت هذه الخطب الجهود التى تبذلهـا الولايات المتحـدة لمسـاعدة ايطاليا ، والتضحية التى يتحملها الشعب الامريكى • كما أن بعض الخطب كانت تتضمن تحـذيرات غير مبـاشرة ، بأن المعونة الامريكية ستتوقف اذا انحـازت ايطاليا للشيوعية •

أما الخطب التى ألقاها السـفير الأمريكى « دن Dunn » بعد ذلك ، فكان من بينها خطاب ألقاه حين كان يقدم هدية أمريكية من أدوية « الستربتومايسين » الى أحد مستشفيات الأطفال فى ايطاليا • ووعد بتقديم المزيد فى المسـتقبل • وقبل الانتخابات بيومين اعلن فى خطاب عام أنه بصدد ارسال تقرير طيب عن الموقف السياسى فى ايطاليا الى حكومة الولايات المتحدة • كمـا أن الامريكيين المعروفين فى ايطاليـا كانوا يوجهون نداءات مبـاشرة الى الشعب الايطالى من الولايات المتحدة •

لقد كان السناتور « ليهمان Lehman » ، عن مدينة نيويورك وكذلك وزير الخارجية السابق « ستيمسون Stimson » والقاضى روبرتس Roberts من المحكمة العليـا ، ومسز فرانكلين د• روزفلت ، جميعـا يرسلون برقيـات يعبرون فيها عن تأييدهم لرئيس الوزراء دى جاسبيرى• كما أن فنسانت أمبيلترى Vincent Impelliteri رئيس مجلس مدينـة نيـويورك ، كان يوجـه اذاعـة الى ايطاليا على موجة قصيرة ، وكذلك كان يفعل وليم دواير William O. Dwyer الذى كان يشـغل منصب العمـدة ، وآرثر بليس لين Arthur Bliss Lane السفير السابق فى بولندا ، وتوم كلارك Tom Clark النائب العام ووليام جرين William Green رئيس اتحاد العمل الامريكى •

كما أن المجلس الايطالى الأمريكى للعمل بعث بمعونة مالية الى أحد الزعماء السياسيين المناهضين للشيوعية • وكانت الصلوات فى كنيسة نيويورك تذاع

على موجة قصيرة الى ايطاليـا ، وفى هذه الصلـوات ، كانت تقـدم الابتهـالات والدعوات من أجل تحقيق نصر للحزب فى الانتخابات الايطالية .

أما فى ايطاليا نفسها ، فقد كان المسئولون الامريكيون يقومون بتوزيع نشرات على نطاق واسع تحـدد الخطوط العريضة لمشروع مارشال . وكانت تعد معروضات خاصة تتألف من صـور فوتوغرافية معروضـة عرضـا جـذابا وبيانات احصائية ، وما شابه ذلك لعرضها على الفئات ذات الدخل المنخفض . كما أن أفراد مكتب الاستعلامات الأمريكى فى روما وغيرها من المدن الكبرى كانوا ينظمون ويعرضون معروضـات تسمى « العـامل فى أمريكا » ، وكان الهـدف من هذه المعروضات أن توضح كيف تعيش عائلات الطبقة العاملة فى الولايات المتحـدة .

واستخدمت الأفلام السينمائية فى ايطاليا باسلوب كان له أثر كبير على جهود الدعاية الامريكية ولقـد أعرب احـد المراقبين عن رأيه فى أن الافـلام الأمريكية كانت من أشد الوسائل تأثيرا وفاعلية بين الوسـائل المستخدمة فى الحملة الدعائية التى سبقت الانتخابات فى ايطاليا . ومن بين الأفلام التى وزعت فى ايطاليا خلال هذه الفترة ، كان فيلم « نينوتشكا Ninotchka » الذى أنتجته شركة مترو جولدوين ماير عام ١٩٣٩ وانفرد بتأثير خاص من بين كل الأفـلام .

ان هذا الفيلم الذى كان يسخر من الحياة فى روسـيا بأسـلوب تهكمى ، نزع الى أن يترك المشاهدين باحساس مؤداه أنه اذا كانت هذه هى روسـيا ، فهو يرجو الخلاص من مثل هذا المجتمع .

وبالاضافة لذلك فان « صـوت أمريكا » كان يذيع عددا من البرامج من نيويورك يستهدف اقناع الناخبين الايطاليين بأن الشعب الامريكى يهتم اهتماما كبيرا بنتيجة الانتخابات ، وأنه يتعاطف مع مشكلاتهم وآمالهم .

ولقد كان المجهود الدعائى الامريكى مقترنا باجراءات معينـة فى ميـدان السياسة الدولية ، ولقد أدت هذه الاجراءات الى كسب عديد من الأصوات فى

الجانب المناهض للشيوعية • ومن بين هـذه الاجراءات نذكر الخطوة الثـلاثية لاعادة اقليم تريستا لايطاليـا ، والمناقشـة التى دارت فى الامم المتحـدة بطلب ايطاليا الانضمام لعضويتها • ولقد ساعد هذان الاجراءان على وضع الاتحـاد السوفييتى فى موقف حرج • ومن الاجراءات الهامة بنفس القدر ، الاعلان الذى أذيع فى الثانى من أبريل عام ١٩٤٨ بأن الولايات المتحدة دفعت ٤٫٣٠٠٫٠٠٠ دولار لاسرى الحرب الايطاليين الذين عملوا فى أثناء الأسر فى الولايات المتحدة •

ومن أطرف أسـاليب الدعـاية التى استخـدمت للتـأثير فى الانتخـابات الايطالية ، حمـلة كتابة الخطـابات التى نظمت بين الامريكيين من أصـل ايطالى المقيمين فى الولايات المتحدة • كانت الخطة ترمى الى تشـجيع تدفق الخطابات الشخصية من الامريكيين ذوى الاصل الايطالى فى الولايات المتحدة لحث أصدقائهم وأقاربهم فى ايطاليا على رفض الشيوعية فى الانتخابات •

ولقـد كان جنيروسو بوب Generoso Pope رئيس تحرير احدى الصحف الايطالية القوية فى نيويورك ، أول من حث الأمريكيين الايطاليين على الكتابة الى أصدقائهم وأقاربهم فى ايطاليا • ولقد شرح مستر بوب هذه الحملة على النحـو التالى : « لقد بدأت الحملة ، وأنا أدرك أن شعب ايطاليا سوف يصدق الحقيقـة عندما يقولها له أخ أو صديق أو قريب تربطه به وشائج الدم » •

وانضم آخرون الى جنيروسو بوب ، فى طبع خطابات نموذجية لارسالهـا للخارج من الايطاليين فى الولايات المتحدة الى مواطنيهم السابقين • وقد وصف فيكتور آنفوسو Victor Anfuso ، أحد مؤلفى هذه الخطابات السبب الرئيسى فى حملة كتابة الخطابات بقوله :

« لقد أحسست أن كثيرا من الذين ينتمون الى أصل ايطالى يرغبون فى الكتابة ، ولكن لم يتح لاى منهم الوقت أو الحقائق الكافية لصـياغة الخطـاب • ولكن بعد اعداد الخطابات ، لم يكن أمام المرسل سوى التوقيع ووضع الخطاب فى مظروف وتوجيهه الى صديق أو قريب فى ايطاليا » •

ولقد تولت الكنائس الكاثوليكية فى نيويورك ونيوجرسى توزيع الخطابات على الأفراد المقيمين فى دوائرها ، كما أسهمت فى الحملة عدة منظمات ايطالية أمريكية ٠

أما بالنسبة لمضمون هذه الخطابات ، ففيما يلى مقتطفات من أكثر هذه الخطابات انتشارا فى التوزيع :

« انه عيد القيامة ، والأجراس تدق فى بهجة وفرح فى هذا البلد الذى يعيش فيه أناس من كل جنس وكل دين جنبا الى جنب ٠٠٠ نود الاحتفال بهذا العيد المقدس نردد الأناشيد من أجل سلام الشعب ورخائه ٠ اننا نفكر فى بلدنا الجميل الحبيب ايطاليا التى نريد له بعد طول المعاناة ، أن يبنى نفسه من جديد وأن يتحرر من الطغيان والظلم ، ولهذا السبب نتطلع اليكم فى أمل ولهفة ٠ ففى الثامن عشر من أبريل ، اذ تذهبون الى صناديق الانتخابات ، يمكن أن تقرروا ليس مصير بلدكم فحسب بل ربما مصير العالم أجمع أيضا ٠

ومن ثم فلا تساوركم الدهشة اذا طلبنا منكم بل اذا التمسنا منكم ألا تلقوا بايطاليا بلدنا الجميل بين ذراعى الشيوعية المستبدة ٠

فليس لدى أمريكا اعتراض على الشيوعية داخل الاتحاد السوفييتى ، ولكن ما سبب فرضها على شعب آخر وأراض أخرى ؟ انهم بذلك يطفئون شعلة الحرية ٠

ولتثقوا فى صداقة أمريكا الاكيدة ولا ترفضوا المعونة التى ترغب هذه الأمة فى مواصلة تقديمها ، ولا تحطموا فى يوم واحد ، العمل الضخم الذى أنجزتموه فى توجيه ايطاليا نحو اعادة البناء والتعمير ٠

ذلك هو النداء الحار الذى يوجهه اليكم الامريكيون من ذوى الأصل الايطالى فى يوم عيد القيامة ، على أمل أن يستمر الاحتفال بقيامة الرب فى تلك الارض التى هى قلب الكاثوليكية » ٠

وعلى الرغم مما في هذا الخطاب من معان تعبر عن تدخل سافر في شئون داخلية لدولة أخرى فانه من وجهة نظر الدعاية كان له أثر كبير على توجيه الانتخابات الايطالية لصالح الغرب .

أما البطاقات المصورة التي وزعت بنفس الطريقة ، فكانت تظهر - عن طريق الرسوم الساحرة والعبارات - التناقض بين الحياة في ظل الرأسمالية ؛ والحياة في ظل الشيوعية .

ويكشف تحليل مضمون الخطابات والبطاقات التي أرسلت الى ايطاليا خلال الحملة عن أن الموضوعات الاساسية التي كانت موضع تركيز هي :

١ - مجموعة من الموضوعات تؤكد العواقب الوخيمة المنتظرة اذا لم يهزم الشيوعيون ، اذ أن ايطاليا سوف تتعرض حينئذ لخطر السيطرة السوفييتية وضياع الدين والكنيسة ، وضياع الحياة العائلية ، وضياع الوطن والارض ، ووجود سياسة شيوعية مخربة في ايطاليا ، ثم فقدان المعونة الامريكية في المستقبل .

٢ - كما كانت هناك مجموعة ثانية من الموضوعات تؤكد الآثار المفيدة التي تعقب هزيمة الشيوعيين واندحارهم ، وتلك هي معونة من الولايات المتحدة وتحقيق الرخاء والاستقلال لايطاليا ، بعد تعميرها .

٣ - أما المجموعة الثالثة فكانت تبرز الصلات الوثيقة بين الولايات المتحدة وايطاليا . وكان يطلب من الناخبين أن يتذكروا المعونة الامريكية السابقة ، ثم الصلات العائلية بين المقيمين في الولايات المتحدة ، والمقيمين في ايطاليا .

٤ - وأخيرا كانت هناك مجموعة رابعة من الموضوعات التي تلعب بالمشاعر الوطنية للناخبين . فقد كانوا يذكرون بحروب ايطالية السابقة من أجل

الوحدة والاستقلال ، وبالدور الذى يمكن أن تلعبه ايطاليا فى أحداث العالم اذا حافظت على ديموقراطيتها • وكانت كل هذه الموضوعات تطرح فى لغة عاطفية مشوبة بالانفعال • وكان الوعد والوعيد يصوران بألوان صارخة ، كما كان الثواب والعقاب يصوران فى صور محددة واضحة ، أما النغمة الشخصية فى الخطابات فكانت تخاطب المرسل اليه كما يخاطب الصديق صديقه القريب الى نفسه • وكان القارىء فى النداءات كلها ، يذكر بالصلات الوثيقة بينه وبين الكاتب ، وبتشابه آمالهما لصالح ايطاليا •

وعلى الرغم من صعوبة تقدير أثر هذه الحملة الدعائية ، فثمة عدد من « المراقبين على الطبيعة » يؤكد أن حملة كتابة الخطابات كان لها أثر واضح فى الفوز على الشيوعيين فى نهاية المطاف •

وعلى سبيل المثال ، وصف آرنالدو كورتيسى Arnaldo Cortesi مراسل صحيفة نيويورك تايمز هذه الحملة بأنها أسلوب قوى وقال :

« لقد فهم كثيرون منها – أى من هذه الخطابات – لأول مرة أن الولايات المتحدة تعنى ما تقول حين تعلن أن المعونة الامريكية سوف تتوقف اذا صوتت ايطاليا لصالح الشيوعيين » •

كما تأكد الأثر العميق الذى خلفته الخطابات الامريكية بما قاله دون لويجى ستروزو Don Luigi Struso ، أحد الشخصيات القوية وراء الستار فى الحزب الديموقراطى المسيحى ، اذ كتب فى صحيفة الشعب Popolo الصباحية « ان الذين يتلقون هدايا من أعمامهم وأبناء أعمامهم فى الولايات المتحدة قد أنذروا بأنهم لن يحصلوا على دولار واحد بعد ذلك اذا تحولت ايطاليا الى الشيوعية ، ولقد كان لمثل هذه الخطابات تأثير قوى فى جنوب ايطاليا وفى قرى صقلية كقوة البرق » •

وعلى أية حال ، فلا بأس من ذكر ملاحظتين بالنسبة لحملة كتابة الخطابات وأثرها المحتمل على نتيجة الانتخابات الايطالية • فالامريكيون من أصل ايطالى

أيدوا هذه الحملة تأييدا غير مشروط ، كما أن أعضاء الحزب الشيوعى فى ايطاليا اعترضوا عليها اعتراضا قويا . فقد هاجموا حملة كتابة الخطابات ، باعتبارها تدخلا سافرا من الاجانب فى شئون ايطاليا . الا أنه لما كان الشيوعيون الايطاليون أنفسهم يتلقون صراحة وعلنا مساعدة أجنبية ، فمن المرجح أن هجومهم المضاد لم يكن مؤثرا التأثير التام .

وعموما فان تأثير حملة كتابة الخطابات باعتبارها وسيلة دعائية ، يكمن فى طابعها الشخصى ، اذ جمعت بين امكانية الوصول الى جمهور عام وبين امكانية الاقتراب من النداء أو المخاطبة الشخصية .

كما أن الجهد الدعائى الذى قامت به الولايات المتحدة كان له أثر كبير على الانتخابات الايطالية ، وبذلك حققت هدفا محدودا قصير الأجل .

هدف سياسى محدود طويل الأجل :

ابتداء من ٢٩ من أبريل حتى أوائل الخريف من عام ١٩٥٤ ، أسقطت على الأراضى التشيكية ما يزيد على مائة ألف من البالونات المصنوعة من مطاط النيوبرين المملوءة بالهيدروجين Hydrogen Filled Neoprene Rubber and Polyethylene ، ويستطيع كل منهما حمل ثقل وزنه ثلاثة أرطال ، وبذلك أسقط بين الشعوب التشيكية والسلافية حوالى خمسين مليونا من النشرات والاعلانات وأوراق الانتخاب والصحف المضادة لنظام الحكم .

وعندما انهمرت النشرات والمطبوعات الاخرى من البالونات ، اذاعت أجهزة ارسال راديو أوروبا الحرة القائمة فى ميونخ ، بيانات تفسيرية لشعب تشيكوسلوفاكيا ، ولقد دلت ألوان النشاط هذه على بداية « عملية الفيتو » Operation Veto ، أى أول جهد مستمر يصل الى سكان احدى بلاد الستار الحديدى بالكلمة المطبوعة والمذاعة على أساس الاجراء المنسق تنسيقا دقيقا .

وقد اختلف هذا الجهد عن الجهود السابقة المماثلة ، من حيث ان هذا الجهد كان المقصود به حملة بعيدة المدى ، كان هدفها ـ وليس الوسائل المبتكرة ـ هو الذى يحتل المقام الأول •

التنظيم :

قامت لجنة أوروبا الحرة[1] لتشن عمليات الاسقاط ، بانشاء مناطق للاسكان والمعيشة على مواقع حدود المانيا الغربية • كما قامت بتجهيز اتصالات ميدانية ، ومرافق للتنبؤات الجوية ، وتدريب الفنيين ، وابتكار الوسائل الدقيقة لتتبع أساطيل البالونات الى أهدافها •

وابتدأت فى اسقاط صحيفتها « أوروبا الحرة » على الاراضى التشيكية منذ أوائل شهر يونيو •

كانت هذه الصحيفة تطبع فى ثمانى صفحات ويصدر عنها مليونان فى الطبعة الواحدة ، وكان من الممكن طيها فى حجم كتاب الجيب واطلاقها فى الهواء •

وليس هناك فى الواقع جديد فى استخدام البالونات لنشر مادة الدعاية • فمنذ قرن مضى ، كتب أحد المنفيين الروس ويدعى، فلاديمير انجلسن Vlademir Engelson الى وزير الحرب الفرنسى فى الثالث والعشرين من عام ١٨٥٤ يقترح استخدام البالونات لنشر الرسائل التى تحث الشعب الروسى ضد الاشتراك فى حرب القرم • الا أن البالونات كانت بطيئة فى اثبات وجودها كسلاح فعال للدعاية •

ولكن الجديد فى استخدام البالونات ، انها كانت للمرة الاولى برنامجا طويل الاجل مؤداه أن الكلمة المذاعة يمكن أن تحقق نتائج أكثر فعالية بالاشتراك مع الكلمة المطبوعة •

---

(١) المعروف ان لجنة أوروبا الحرة هى التنظيم الأكبر الذى يتدرج تحته راديو أوروبا الحرة ، وهى التى تنفرد بممارسة الحرب النفسية المنسقة بواسطة البالونات والاذاعات •

تحليل الهدف :

كان أول ما فعلته لجنة أوروبا الحرة هو استقصاء المصادر الاساسية للمقاومة التشيكية بتحليل الصحافة والاذاعة فى النظام الشيوعى والحديث الى آلاف الهاربين ، ثم ادماج هذه الشكاوى فى نداء من عشر نقاط للمعارضة الشعبية يحدد المطالب الملموسة التى يسعى لبلوغها ، مثل زيادة الاسكان ، ورفع الاجور ، وحرية تغيير العمل ، وحق المزارعين فى ترك المزارع الجماعية ٠

وكانت أول رسالة تبعث الى انحاء البلاد بواسطة البالون ، تتكون من مجموعة من الاعلانات ذات حجم صغير بحيث يمكن اخفاؤها فى راحة اليد ، وهى تتناول موضوع «المطالب العشرة» . وقبل انتخابات اللجان القومية فى ١٥ من مايو ببضعة أيام بدأت « بطاقات انتخاب المعارضة الشعبية » المطبوعة فى عشرين مليون نسخة ، تصل الى البلاد ٠ وكانت هذه البطاقة التى تسرد المطالب العشرة باعتبارها مطالب الشعب ، تؤكد أن البطاقة ترمى الى اقرار البرنامج الايجابى للمعارضة الشعبية ، فقد جاء بها :

« ان البطاقة الانتخابية للمعارضة الشعبية فى تشيكوسلوفاكيا لا تخص صناديق الانتخاب الحكومية ، بل تخص أيدى المواطنين الذين سيستخدمونها ، كل بحسب امكانياته ، كدليل على تضامن الشعب ، وكجزء أول من البرنامج التدريجى ضد النظام ٠ وان تحقيق هذه المطالب العشرة سوف يشكل مرحلة تاريخية على الطريق نحو تشيكوسلوفاكيا الحرة فى أوروبا الحرة المتحدة » ٠

المطالب العشرة للمعارضة الشعبية :

١ ــ نقابات العمال للنقابيين :

النقابيون ليسوا مسئولين الا أمام الذين انتخبوهم ، اذ يجب ألا يفرضوا فرضا أو يفصلوا بواسطة المجلس المركزى لنقابات العمال ٠ كما يجب أن يقوم النقابيون بالمساومة الجماعية لصالح العمال ، والمطالبة بتحسين الأجور ، وظروف

العمل ، وتطبيق تدابير السلامة ، وكذلك ضرورة وقف الاستقطاعات من الاجر • واذا كانت الاضرابات عن العمل هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق المطالب العادلة فان الدولة باعتبارها ربا للعمل ، يجب الا تضطهد العمال •

٢ ـ الزيادة فى الاجور :

فالقوة الشرائية لدخول العمال أقل بكثير عن مستوى ما قبل الحرب ، ومن ثم فعلى المصانع والمكاتب المركزية ، قبل نهاية أكتوبر من العام الحالى ، ان تزيد من الأجور والمرتبات ، وذلك بنسبة ١٥ ٪ للعمال الذين يتقاضون أقل من ١ر٠٦٠ كورونا تشيكية وبنسبة ١٢ ٪ للعمال الذين يتقاضون أكثر من ١ر٠٦٠ كورونا ، وأقل من ١ر٥٠٠ كورونا •

٣ ـ عدم تقييد العمال بأعمال معينة :

اذ لابد أن تتاح للعمال حرية ترك العمل دون اذن الادارة • ولا ينبغى ارغام العمال على قبول أعمال تفرضها الدولة ويجب أن تتاح الحرية للشباب لاختيار المهن التى يريدها •

٤ ـ عدم استغلال الدولة لوقت الفراغ :

يجب ألا تطيل ادارة المصنع ساعات العمل ، كما يجب أن يكون العمل يوم الأحد ، وأيام العطلات اختياريا وبمقابل صرف أجر اضافى • ويجب دفع أجر اضافى عن العمل زيادة على أربعين ساعة فى الاسبوع • ولا ينبغى تقليل أو اقتطاع الفراغ والأجازات لأى عذر من الأعذار •

٥ ـ انهاء السخرة :

يجب أن تتاح للفلاح حرية مغادرة المزارع الجماعية دون اضطهاد ، وكذلك استعادة الملكية التى طبقت عليها الأنظمة الجماعية والتى هى ملك حق له . ويجب

أن تكفل اللجان القومية معاملة متكافئة بين المزارعين الافراد وبين المزارع الجماعية فى الائتمانات وأسعار الشراء وفى المساحات البستانية الكبيرة ، وانشاء تنظيم للمزارعين ٠

٦ ـ عدم تحديد الحصص :

ان « حصص التسليم » شر موقوت بوقت محدد ، وطالما وجدت فان اللجان القومية المحلية عليهـا أن تبذل نفوذها وتأثيرها على اللجـان القومية بالمراكز لتضمن توزيعا عادلا لهذه الحصص ٠ وان عدم الوفاء بتقديم هذه الحصص يعكس التقديرات الخاطئة التى تضعها الدولة ٠ ولابد للجنة القومية المحلية أن تراعى أن الفلاح لايعاقب على اخطاء التخطيط ٠

٧ ـ الاستقلال الذاتى للجان القومية المحلية :

لابد أن تمثل المجالس ويمثل الموظفون فى اللجـان القومية المحلية مصـالح السكان المحليين الذين يدينون لهم بالولاء فى المقـام الأول ٠ ولابد أن تستعاد السلطة فى المجتمع وأن تحول دون تحول المدارس الى مراكز للتجنيد من أجل تشغيل الأطفال ٠

وفى اقليم سلوفاكيا لابد أن تدعم اللجان القومية الاســتقلال الـذاتى للسلاف ، لا أن تدعم المركزية الشيوعية ٠

٨ ـ السلع للشعب :

يجب ارغام نظام الحكم على أن يفى بوعوده لانتاج المزيد من السلع الاستهلاكية ، ولا سيما الادوات المنزلية والمنسوجات ٠ وسوف يتعاون الملاحظون والعمال فى وقف عجلة الانتاج الذى لا يخدم احتياجاتهم ، ومن ناحية أخرى يجب دفع عجلة الانتاج بالقدر الذى يفى بالسلع الاستهلاكية ٠

٩ ـ العودة الى خدمة المستهلك :

يقتضى الاجتياز أو الانطلاق عبر الفوضى البيروقراطية فى التخطيط المركزى، كما يقتضى أسلوب البيع بالجملة الذى انعدمت فيه الكفاءة ، من مديرى مخازن التجزئة أن يتقدموا مباشرة الى المصانع بطلب المنتجات اللازمة •

ولابد أن تعمل اللجان القومية المحلية باسلوب تدريجى غير رسمى على تحويل المشروعات الجماعية الى تعاونيات خاصة للملاك الأفراد • وينطبق هذا بصفة خاصة على المطاعم والمخابز ، والمشروعات الحرفية الصغيرة والخدمات الشخصية وأعمال الاصلاح •

١٠ ـ الاسكان للعائلات ، لا للدولة :

يجب أن تسعى اللجان القومية لزيادة ميزانيات الاسكان وأن تتبين أن اختيار مواقع الاسكان يتم على أساس حاجة السكان ، لا تخطيط الدولة ، كما يجب أن يتم الاسكان على أسس عادلة ، لا على أسس سياسية •

ولقد كانت قائمة ما يريده الشعب داخل تشيكوسلوفاكيا مستقاة من المعلومات من داخل البلد ، ومستمدة من تقارير اللاجئين وأبنائهم وتحليل صحافة الشيوعيين واذاعتهم ، ومن ثم كان أساس المعارضة مرتكزا على أسباب محدودة من السخط ، ويرمى الى تحقيق غايات يمكن بلوغها •

رد فعل الهدف :

طبقا لما يرويه اللاجئون الذين هربوا خلال الشهور من مايو الى يوليو ، ان كل فرد تقريبا قد قرأ أو سمع « المطالب العشرة » ، وناقشها علنا •

وكان الشيوعيون المعروفون يتلقون نشرات المعارضة فى البريد ، وانتشرت مئات منها فى أحد اجتماعات انتخابات الحكومة التى تحدث فيها فاتسلاف كوبكى Vaclav Kopecky وزير الثقافة •

ولقد احتجت حكومة براغ على السفارة الامريكية فقالت « ان مؤلفى هذه النشرات ، يدعون الاهتمام بالحقوق والانجازات الاجتماعية للشعب التشيكى العامل •

ولقد استنكرت صحيفة برافدا الحملة ، فى هجوم مذهبى شديد ، ولكنها حرصت على منع نشر المضمـــون الدقيـق للمطـالب العشرة ، وباقتراب موعد انتخابات اللجان القومية نظم « زابوتوكى » Zapotocky رئيس الجمهورية دوريات بوليس خاصة ، ومتحدثين جددا ليواجه الموقف •

النشرات تكمل الهجوم الاذاعى وتعززه :

ويبدو أن الطريقة غير المتوقعة التى تلقف بها الشعب التشيكى المطالب العشرة وتبناها ، دفعت لجنة أوروبا الحرة الى أن تواصل عمليـات البالون الى ما لا نهاية من خلال صحيفة نصف شهرية ، تهدف فى الواقع الى خلق صـحافة تكمل الاذاعة المعارضة وتعززها •

وطبقا لما ترويه اللجنة ، فان النشرات وحدها أو الاذاعات وحدها لم تكن لتمكن من نشر « المطالب العشرة » •

ويقول جان سترانسكى Jan Stransky رئيس القسم التشيكى فى صحافة أوروبا الحرة « ان الرابطة أو الصلة المادية قوة روحية • فأنت تعرف أن الغرب حاول احضار هذه الورقة اليك ، وبخلاف الرسالة التى تحملها فانها تصبح لونا من التعاويذ أو التمائم • وبالنسبة للكلمة المطبوعة فان لها أثرا هاما باقيا ، فهى بعكس الكلمة المذاعة ، يمكنك الاحتفاظ بها والرجوع اليها أو أن تعيرها الى غيرك » •

ولقد جعلت النشرات الراديو أكثر اتصـالا بالشعب ، كمـا أن الراديو بمستمعيه على نطاق واسع ومنتظم ، ضمن تأثيرا موحدا بالنسبة لعملية البالون •

تقدير النتائج :

الحقيقة أنه ليس ثمة شخص يمكن أن يجزم بشيء ، ولا يستطيع الفرد في هذا المجال سوى أن يجمع عدد المزارعين الذين يغادرون المزارع فعلا ، وأن يراقب معايير العمل وجداول الاجور ليرى ما اذا كانت ترتفع أو تنخفض ، ويحلل السياسية الاستثمارية للانظمة ليرى ما اذا كانت ميزانيات الاسكان والسلع الاستهلاكية تزداد أو تنقص ، ثم تقيم نتائج انتخابات لجان المتاجر في هذا الخريف .

والواقع أن هذه العملية نوع من العمليات النفسية التي تسود العالم اليوم في هذا الصراع الايديولوجي الكبير بين مذهبين متناقضين تماما .

ونعود فنقول ان هذا العمل أشد خطورة من الحرب الساخنة ، فهو صراع عقلي مستمر يحاول أن يضغط على الشعوب لجعلها تنحاز الى عقيدة معينة ، في جو من البلبلة والتشتت الذهني دون أن تعرف حقيقة مصلحتها النابعة من وحيها وفكرها .

ان الهدف من هذه العملية لم يكن قصير الأجل ، اذ أن هذه العملية كانت ترمي الى هدف بعيد هو اعداد الشعب التشيكي ليوم تتجمع فيه الضغوط الخارجية والداخلية لتحقيق تغيرات أساسية حقيقية لمصلحة الغرب .

ونحن نقول ان مثل هذه الأعمال وان تحققت في المدى البعيد ، فهي عمليات ترفضها المثل الانسانيه ، وتأباها القيم الاخلاقية .

اننا لا نؤمن الا بالعقيدة التي تنبع من ضمير المجتمع ووحيه وتقاليده وقيمه الاخلاقية دون أي ضغوط خارجية أو مساومات سياسية .

الأهداف السياسية العسكرية :

تظهر بالضرورة فى أى محاولة للتمييز بين الاهداف السياسية والعسكرية فى الحرب النفسية مجموعة من الأمثلة ، لا يتضح أنها عسكرية فى أغلبها أو سياسية فى أغلبها ، ومن ثم يمكننا أن نطلق عليها الاهداف السياسية العسكرية ٠

ويمكننا تحديد الأهداف السياسية العسكرية على النحو الآتى :

١ ـ ردع أى أمة معادية يحتمل أن تندمج مع دولة معادية أخرى أو مع حلف معاد ٠

٢ ـ ردع أى معتد محتمل أو فعلى عن ارتكاب أعمال عدوانية جديدة ٠

٣ ـ اضعاف أو تحطيم الوحدة بين الدول الاعضاء فى أى تحالف سياسى عسكرى ٠

٤ ـ تشجيع الانهيار والتفكك فى دولة العدو ٠

٥ ـ المساعدة فى اعادة التوجيه السياسى للمناطق التى حررت حديثا ٠

٦ ـ دعم روح المقاومة بين الشعوب المقهورة ٠

٧ ـ اضعاف نظام الرقابة والسيطرة الاجتماعية والسياسية فى دولة العدو ٠

٨ ـ دعم مركز النخبة المناهضة فى الدولة الهدف ٠

ولما كان شرح هذه الاهداف لا يحتاج الى تفاصيل أكثر ، بخاصة ان القارىء يجد كل يوم فى الصحف اليومية أمثلة وصورا كثيرة لهذه الاهداف ، فى هذا الصراع القائم اليوم فى العالم بين الشرق والغرب ، فقد آثرنا أن نذكر هذه الاهداف لتكون مرشدا لدراسة من يريد الزيادة والتوسع ٠

الأهداف العسكرية :

توجه الحروب النفسية ضد الجنود لتحقيق نوعين منفصلين من رد الفعل النفسي في عقل جندي العدو ، أولهما هدم معنوياته أو كفايته العسكرية بصفة عامة ٠ وفي هذه الحالة يصل الجندي الى أن يكون سلبيا غير متحمس لقضية الحرب ويمكن أن نطلق على هذا اللون من رد الفعل النفسي « العمليات المعنوية » Moral Operations؛ أما النوع الآخر من العمليات فيهدف الى تأثير أعنف بأن يؤدى بجندي العدو الى القيام بعمل واضح يؤثر تأثيرا مباشرا على المعركة كأن يستسلم أو يترك موقعه أو يقوم بثورة ، وهذا النوع من العمل ليس من السهل تحقيقه الا اذا بنى على خطة حكيمة مدروسة أحسن تنفيذها ٠

ان العمليات ضد الجنود تحتاج الى مجهود ضخم تتشابك فيه عوامل مختلفة من عسكرية وسياسية واقتصادية وسيكلوجية ، ولكن العامل المؤثر غالبا في مثل تلك العمليات هو الموقف العسكري الذي يجب أن يكون واضحا لدى من يديرون الحرب النفسية ٠ ان تفهم أحوال الجنود من معنوية ومادية لهو الركيزة التي يجب أن يبنى عليها رجل الدعاية خطته ٠ وهناك نقطة نفسية هامة يجب ألا تتعرض اليها العمليات النفسية ، وهي ولاء الجندي لوطنه اذ قد يؤدى ذلك الى ازدياد المقاومة ٠ بل يجب الاستفادة من هذه النقطة واستغلالها بأن يفهم جنود العدو أنهم يقاتلون في سبيل قضية خاسرة لا ناقة لهم فيها ولا جمل ٠ فمثلا يمكن أن تعطى الدعاية الجيدة الفرصة لجنود العدو بأن يخلصوا أنفسهم من الالتزام بالولاء بتنمية غريزة حب البقاء في نفوسهم وتفهيمهم أن الولاء الصحيح يتطلب البقاء ، ومن ثم يجب عليهم الاستسلام بدلا من القتل ٠

ونجد في جيوش معظم الدول الحديثة أن الوحدات المقاتلة يصحبها دائما وحدات للدعاية ٠ هذه الوحدات تستخدم في أسلوبها طريقه الأحاديث العامة التي ترسل اذاعاتها من مراكز رياسة الجيوش أو من الوحدات المتنقلة الخفيفة الحركة ، وبذلك يمكن التحدث مباشرة الى جنود العدو ٠ كما أن هذه الوحدات يمكنها أن تذيع من وراء خطوط العدو أو تسقط النشرات وراء الجبهة ٠

وعلى سبيل المثال فان وحدة الدعاية الالمانية هى التى أذاعت على الفرنسيين عام ١٩٤٠ الانباء التى أخبرتهم بأن لجنة هدنة فرنسية فى طريقها لتوقيع الهدنة مع السلطات الالمانية ٠

لقد كان لهذه الاذاعة تأثير هدام واسع النطاق على الروح المعنوية للجنود الفرنسيين ، وناقش الجنود الفرنسيون الأمر على أساس « لماذا ندافع عن الخط اليوم فنتعرض للموت اذا كانت الحرب ستنتهى غدا ؟ » ولذا تحطمت المقاومة ٠

وشكل آخر من عمل هذه الوحدات يظهر فى غزو بولندا فى الحرب العالمية الثانية ، اذ قامت وحدات الدعاية الالمانية بتشجيع التآخى بين الجنود ٠

وثمة صورة ثالثة من أعمال هذه الوحدات يظهر فى اسقاط النشرات والصحف وراء خطوط القتال ٠ ومع أن الجيوش تحرم على الجنود الاطلاع على النشرات التى يسقطها العدو وراء خطوط القتال ، فان العدو يحاول أن يتحايل دائما على وصولها ٠

ففى الحرب العالمية الاولى استخدمت القوات الامريكية وسيلة لجعل الجنود الالمان ينقضون الاوامر ويحتفظون بالنشرات التى يسقطونها ، فقاموا بوضع « كوبون » داخل النشرات ، وكان هذا الكوبون بمثابة جواز مرور عبر خطوط القتال للجندى الذى يعتزم الاستسلام ٠ وبالاضافة الى ذلك نشر فى هذا الكوبون بيان عن وجبات الغذاء التى تصرف للجنود الامريكيين ، ووعد أسرى الحرب بنفس مقادير الغذاء ٠

ولما كان الكثير من الجنود الالمان فى ذلك الوقت مجهدين ويقاسون الجوع لقلة الأغذية ، فانهم احتفظوا بهذه الكوبونات واستخدموها ٠

وفى الحرب العالمية الثانية أصدر السوفييت نشرة أطلقوا عليها اسم « الحقيقة » وفى أبريل سنة ١٩٤٢ كان قد صدر من هذه النشرة ٢٥٠ عددا جملة

ما طبع منها خمسة عشر مليون نسخة وزعت جميعها ، وبذلك بدا كأنهم وجهوا للألمان خمسة عشر مليون طلقة قاتلة دون اراقة أى دماء •

وقد وجد السوفييت عند استجواب أسرى الحرب أن الكثير من الجنود الالمان قرأوا هذه النشرات ، وبذلك كانوا على دراية بوجهات نظر السوفييت عن الحرب •

وأسقط اليابانيون مثل هذه النشرات فوق « شونج كنج » وأجزاء أخرى من الصين ، وكانت هذه الدعاية تحث الصينيين على أن ينضموا الى اليابانيين للخلاص من عبودية بريطانيا وأمريكا •

وأسقطوا كذلك عددا من هذه النشرات على القوات الامريكية فى باتان(١) • وأسقطت قاذفات القنابل البريطانيه الالاف من الصحف المطبوعة على ورق رقيق على ألمانيا وعلى المناطق التى يحتلها الالمان ، وكانت كل من هذه الصحف تتكون من أربع صفحات بحجم ٨ بوصات مربعة ، ويمكن أن تلف لتكون أشبه بلفافة تبغ ، وكانت تنشر فيها بعض الصور كما تتضمن أحدث الانباء التى لا يمكن أن تميزها الرقابة الالمانية •

وفى الحرب العالمية الثانية نجد أمثلة كثيرة لمثـل تلك العمليـات اتخذت شكلين مختلفين من الدعاية البيضاء والسوداء ، كان الهدف منها تحطيم معنويات العدو ، ونستطيع أن نحصر على سبيل المثال أمثلة من ذلك ، فقد ألقيت على الجنود اليابانيين الذين كانوا يتضورون جوعا فى شمال بورما صورا ملونة عن الاغذية اليابانية اللذيذة الطعم ، وفى ميدان جنوب غرب الباسفيك ألقى الامريكيون رسوما كاريكاتورية توضح الجندى اليابانى المحروم يقاتل فى سبيل قضية خاسرة على حين أن ضباطه ينالون كل ألوان الخمر والطعام ويستمتعون بالنساء • كما ألقيت نشرات على الجنود اليابانيين فى شمال الباسفيك تخبرهم بأنهـم سيتساقطون بقتالهم كما تتساقط أوراق الخريف •

---

(١) باتان Bataan شبه جزيرة غرب خليج مانيلا فى الفلبيين واشتهرت بوقوف الجنـود الأمريكان سنة ١٩٤٢ ضد قوات كبيرة من اليابانيين •

ولقد تبارت كل الاطراف المعنية فى الحرب العالمية الثانية فى استخدام العمليات السوداء ضد العدو ، ومن أمثلة ذلك ما قام به الالمان ضد الجنود الفرنسيين وتضمنت الكثير من هذا النوع ، فمثلا كان يرسل للجنود الفرنسيين الذين يحاربون خارج أرض الوطن خطابات من بلادهم تخبرهم بأن زوجاتهم يرتكبن الزنا وأنهن مصابات بأمراض تناسلية معينة • ومثل آخر وهو لا يزال يستخدم بواسطة بعض الدول فى وقتنا هذا فى أثناء العمليات الحربية لتلك الحروب المحدودة التى تقوم بين ربوع العالم ، وهو استخدام الاذاعة فى النداء على اسماء الجنود وذكر وحداتهم ثم تختلق القصص الكاذبة عما يدور بين عائلاتهم فى أرض الوطن من مخاز وخيانات زوجيه مما يجعل جنود العدو فى حالة يأس وقلق مستمر على ذويهم قد يؤدى بهم الى انهيار عصبى •

ونظرا لأهمية هذا النوع من العمليات وخاصة بالنسبه لأفراد القوات المسلحة ، فقد رأينا أن نعطى عدة أمثلة من خبرات الحرب العالمية الثانية وما بعدها حتى يتضح لنا الأثر الكبير الذى تسببه هذه العمليات فى تقويض الروح المعنوية والوحدة القوميـة ، وكذا لابراز عمليات الخداع الاستراتيجى والتكتيكى الذى يحدث من كل جانب خلال الحرب •

عملية مينسميت Operation Mincemeat :

هذه العملية توضح كيف استطاع البريطانيون فى الحرب العالمية الثانية أن يخدعوا بأسلوب عجيب شاذ الالمان فيما يتعلق بالمكان الذى ينوى الحلفاء مهاجمته فى أوروبا عام ١٩٤٣ •

لقد كان تاريخ ماجور وليام مارتن وعمله فى البحرية الملكية البريطانية ، مثيرا ولو أنه قصير • وبالرغم من أنه لم يكن معروفا عندما دخل الخدمة ، وأنه لم يكن فى البحريه من قبل فقد اسندت اليه وظيفة ضابط بحرى فورا • وخلال أسابيع قليلة فى ربيع عام ١٩٤٣ ، كان مارتن الشخصية الاساسية فى خطة

أقنعت الالمان بأن الهجوم على صقلية كان من المقرر أن يكون عملية تمويه فقط ، وأدى هذا الى تقليل الألمان لدفاعاتهم فى صقلية ، مما أنقذ عددا كبيرا من أرواح الحلفـــاء ٠

والجزء العجيب حقا فى الخطة هو أن وليام مارتن فعل كل هذا من غير أن يرفع اصبعا واحدة ، فقد كان ماجور مارتن فى الحقيقة ميتا عندما كلف بالمهمة ٠

لم يكن اسم « مارتن » الاسم الحقيقى للجثة التى تعتبر الشخصية الرئيسية فى قصة « الرجل الذى لم يكن له وجود » ٠

ان القصة من أغرب القصص التى تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية ، وفى الأحوال العادية تثير فى النفس الدهشة أكثر من التصديق ، ولكنها قصة نستطيع على أى حال الاستمتاع بها على أنها من أغرب القصص عن الخـداع فى التاريخ العسكرى الأخير ٠

لقـد كتب القصة أوين مونتاجيو ، وكان حينئذ ضابط مخـابرات فى البحرية البريطانية فقال :

« لقد خطر ببالى فكرة بدت لى لامعة ٠ فلماذا لا نسقط جثة انسان مرتد ملابس ضابط بريطانى بعيدا عن شاطىء أسبانياحيث تجرفه المياه الى الشاطىء ؟ وهو يحمل أوراقا تدل على أن الهجوم على صقلية لن يكون الشىء الحقيقى ، وان الضربات الحقيقية سوف توجه ضد سردينيا واليونان ٠ وافترض فى هذه الخطة أن الاسبان سيطلعون الالمان على الاوراق التى عثر عليهـا فى جيوب الضابط القتيل ٠

ولم يكن من السهل الحصول على الموافقة فقد كان لورد ايسماى Ismay متشككا، ولكن ونستون تشرشل وافقعلى الفكرة . وعندما اعترض شخص ما بأن فكرة ذر الرماد قد لا يصاحبها التوفيق من أولها وانها لن تعمل الا على اجتذاب

الانتباه الى غزو صقلية المعلق ، رد تشرشل بقوله : « اننى لا أرى فى ذلك ما يهم فلن يعرف أن الهدف هو صقلية الا المغفل فقط » •

ولكن بعد ذلك جاءت المتاعب العملية فالحصـول على جثة لم يكن بالامر السهل • فلابد أن تكون الجثة لشخص مات أخيرا ، جثة لشخص لا تعترض عائلته على هذا العمل ، شخص يبدو فى شكله كضابط ، وبعد أن قرر مونتاجيو اختطاف هذه الجثة من المقابر ، وجد الجثة ، وكانت جثة لشاب قد توفى بالالتهاب الرئوى ، وقد وافقت عائلته على الخطة بشرط ألا يذكر اسمه الحقيقى •

وكان ضابط المخابرات مونتاجيو يعمل حسابا لرجال المخابرات الألمان ، ولكى يخدعهم كان لابد أن تكون عملية التهويش والتزييف معدة اعدادا تاما • وجهزت الاوراق التى فرض أن يحملها ماجور وليام مارتن ، وهى بطاقة شخصية، وصورة فوتوغرافية للفتاة « بام » Pam خطيبته ، وخطابات الحب الاخيرة، واعقاب تذاكر المسرح وخطاب من البنك ، وخطاب من « والده » ، والاشياء العادية التى تملأ الجيوب • وكانت صورة البطاقة الشخصية صـورة رجل يشبهه تماما • وكانت الخطابات التى كان من المفروض أن يحملها الى شمال أفريقيا فى طائرة سقطت موقعة فعلا من ضباط كبار ، وكان خطاب من بين هذه الخطابات ممهورا بتوقيع « لورد لويس مونتباتن » • وللمحافظة على الجثة من التعفن والتحلل فى أثناء الرحلة الى اسبانيا ، وضعت فى صندوق كبير من الثلج الجاف •

وفى الساعة الرابعة والنصف من صباح ٣٠ من أبريل ، طفت الغواصـة Seraph وعلى ظهرها قائدها Lieut N. A. Jewell لمسافة ميل بعيدا عن فوهة نهر Huelva • وأخرج ماجور مارتن من الصندوق • وأحنى البحـارة رءوسهم عندما ألقى جويل Jewell الكلمات التى تقال للصلاة على روح الميت ، ثم دفعت جثة مارتن الى الماء حيث التقطتها مياه المد •

وكان مونتاجيو قد أطلق على هذه الخطـة اسـم كودى هو Mincemeat أى « اللحمة المفرومة » وفى يوم ما ـ ولم يمر وقت طويل على طفو جسم مارتن

نحو الشاطىء عند Huelva ـ تلقى تشرشل رسالة ـ وكان فى واشنطون حينذاك ـ من هيئة أركان الحرب الانجليزية وكانت الرسالة تقول « لقد ابتلعت اللحمة المفرومة ابتلاعا تاما » ومعنى الرساله أن الاعداء جازت عليهم الحيلة تماما ولكن لم تعرف الطريقة التى عرف بها الألمان الجثة ، وموقف الألمان منها الا بعد الحرب من مستندات وقعت فى يد بريطانيا •

وكما توقع مونتاجيو تماما عثر الاسبان على الجثة وعلى الاوراق ، وسلموها الى عميل المانى وجاء فى تقارير المخابرات الالمانية « أن المستندات التى ضبطت مع الجثة مستندات صحيحة تماما » • بل لقد ظل هتلر نفسه مؤمنا بصحة هذه المستندات لمدة اسبوعين بعد بدء غزو صقلية ، وأرسل المارشال روميل فعلا الى اليونان حيث كان يتوقع وقوع الهجوم الحقيقى • وسافرت من صقلية الى اليونان أعداد كبيرة من قوارب الطوربيد لدرجة أن الدوريات الالمانية كانت قليلة الفاعلية. وعبرت فرقة البانزر الاولى أوروبا كلها لمواجهة الغزو المتوقع لليونان • وفى صقلية نفسها نقلت قوات المحور من الجنوب ـ حيث وقع الهجوم فعلا ـ الى الشمال •

لقد أدى ماجور مارتن واجبه وأداه جيدا • ولا تزال جثته فى مقبرة Huelva حيث أشرف على ترتيبات الدفن نائب القنصل البريطانى وعلى حجر مقبرته نقش اسم « وليام مارتن » ـ ولكن ليست هناك اشارة الى رتبته •

الدعاية من أجل الخداع والتمويه الاستراتيجى :

وثمة نوع آخر من العمليات التى تستخدم للخداع أو التمويه الاستراتيجى تبرز فى محاولات جوبلز لتحويل الانتباه والاهتمام عن الهجوم القادم فى الجنوب •

ففى مايو عام ١٩٤٢ قام جوبلز بحملة من حملات الحرب النفسية كانت تهدف الى خداع السوفييت فيما يتعلق بالمكان الذى ينوى الالمان شن الهجوم عليه • وليس هناك دليل على أن جوبلز كان صاحب الفكرة نفسه أو أن قيادة

« الوهرماخت » هى التى طلبت منه شن حملة الحرب النفسية • ومن الممكن — من مذكرات جوبلز — أن نعيد بناء قصة مترابطة لتخطيط جوبلز وتنفيذه لتلك المحاولة المشهورة ، محاولة الخداع عن طريق الدعاية •

ولم يظهر دليل أكثر من ذلك على أن مشروع أو خطة الخداع التى يحكى عنها جوبلز قد حققت أى نجاح ، ومع أنه من الممكن أن نفترض بأن حملة جوبلز كان من الممكن أن تحقق نجاحا لو أنها أدت الى أن تجعل السوفييت أكثر حذرا من الجبهة الوسطى ، فان من المهم أن نذكر أن جوبلز نفسه لم يكن واثقا ثقة كبيرة فى نجاح خطته • وتشير كثير من الملاحظات فى مذكراته الى هذه النقطة وتعبر عن الشك فى كفاية الخطة • ومع ذلك فقد كان سلوكه هو « أن المرء يجب أن يحاول كل شىء » •

ويقول جوبلز فى مذكراته بتاريخ ١٥ من مايو ١٩٤٢ (١) :

« لأسباب معينة نشرنا مقالا (غير مرخص به من السلطات) فى فرانكفورتر زيتنج — مقالا يناقش الامكانيات الاقتصادية وامكانيات العمليات لهجوم يشن على موسكو • وبهذه المقالة نحاول تحويل اهتمام العدو الى قطاع مختلف تماما عن القطاع الذى ننوى فعلا مهاجمته • ومن المشكوك فيه جدا أن ننجح فى خداع البولشفيك » •

وكان جوبلز يقصد بكلمة « مقال غير مرخص به من السلطات » أنه عند ظهور المقال سوف يهاجم الكاتب علانية — وان امتدح سرا — لافشائه أسرار خطط الحرب الالمانية والتى تعتبر مسألة من المسائل الممنوع تداولها •

وفى ذلك الوقت كانت النسخ المرسلة للبلاد الاجنبية قد أرسلت فعلا ، وهذا هو بيت القصيد ، اذ أراد جوبلز أن يقرأ هذا المقال فى الخارج •

---

(١) Louis P. Lochner (ed and transl) The Goebbels Diaries, Doubleday and Co. Inc, New York, 1948.

واختيرت جريدة « فرانكفورتر زيتنج » لكى تكون الوسيلة لهذه الخدعة لان الجريدة كانت مشهورة باستقلالها ، ولها جمهور أجنبى كبير قبل تولى النازيين السلطه ٠ ولما أدرك النازيون أهميتها كوسيلة ممكنة للدعاية ، واصلوا اظهارها بمظهرها الاستقلالى مع أنها فى الحقيقة كانت غير ذلك شأنها شأن كل جريدة أخرى فى ألمانيا ٠ وفى حملة الخداع التى قام بها جوبلز ، كان يحاول استغلال سمعة الجريدة السابقة ٠

ففى ٢٠ من مايو عام ١٩٤٢ ظهرت هذه الاضافة الى مذكراته « وفى أثناء هذا ظهرت المقالة فى فرانكفورتر زيتنج وهى ، المقالة التى كانت بايحاء منا ، والتى تهدف الى تحويل اهتمام جمهور العدو عن الجبهة الجنوبية » ٠

وصودر المقال رسميا وهوجم فى المؤتمرات الصحفية وتطورت الامور الى النقطة التى أستطيع فيها أن أوفد الدكتور كريج Kriegh الصحفى برحلة الى الجبهة الشرقية والى لشبونة لاقتراف أخطاء عديدة تدل على عدم الحذر والحرص بتوجيهات منا ، كأن يسكر ، وينشر الخبر ـ أستنادا على انطباعاته ـ بأن الهجوم الألمانى مدبر للوسط لا للجنوب ٠ واننى آمل أن نستطيع بهذه الطريقة أن ننشر هذا التقرير الزائف كشائعة فى أجهزة الدعاية فى العالم ٠ وسوف نرى فى الأسابيع القادمة الى أى حد نتمكن من تضليل العدو ٠ واننى لا أنتظر نجاحا كبيرا ولكن على المرء أن يحاول كل ما يستطيع فعله » ٠

وفى اضافة أخرى فى المذكرات فى اليوم التالى ٢١ من مايو سنة ١٩٤٢ ، نرى الخطوة التالية للحملة :

« استقبلت الصحفى كريج رئيس تحرير جريدة Scherl Verlog وهو الذى قام برحلة الى الجبهة الوسطى الشرقية بناء على أوامرى ، ولقد قررت أن يسافر بالطائرة الى البرتغال بناء على طلبى وهناك يقترف أخطاء عديدة تدل على عدم الحذر ٠٠ أخطاء تهدف الى الايحاء بأن الهجوم الالمانى القادم لن يكون على الجنوب ولكن على الوسط ٠ ومن المقرر أن يقول أن لديه معلومات دقيقة عن

هذا الموضوع ، وانه استطاع اقناع نفسه بدقة هذه المعلومات عن طريق زيارة شخصية قام بها • ومن المفروض أن يبدى تلك الملاحظات فى بار حيث يظهر بمظهر السكير • واننى آمل أن تصل تلك الملاحظات الى آذان الصحفيين المحايدين، بل الى آذان الصحفيين المعادين • ولم يتضح بعد عما اذا كنا سوف ننجح بهذه الطريقة فى تحويل الاهتمام عن الجنوب » •

وظهرت ملاحظة جوبلز الأخيرة فى تاريخ ٢٣ من مايو سنة ١٩٤٢ :

« قدمت تقريرا للفوهرر عن محاولاتى لتحويل الاهتمام من الجبهة الجنوبية الى الجبهة الوسطى ، ولقد وافق الفوهرر موافقة تامة » •

عملية الدولار الأمريكى :

أما عملية الدولار الأمريكى فهى نوع آخر من استخدامات الحرب النفسية المستحدثة ونلخصها كما يلى :

فى ١٦ من أبريل سنة ١٩٥٣ وقبل توقف القتال فى كوريا بخمسة عشر اسبوعا استخدم السلاح الجوى الامريكى سلاحا جديدا أثبت فاعليته • وكنتيجة مباشرة لاستخدام هذا السلاح ظلت جميع طائرات الميج التابعة للجانب الآخر على الأرض لا تحلق لمدة ثمانية أيام • وحتى بعد أن بدأت الطائرات فى التحليق من جديد كانت الطائرات الميج التى تحلق فى الجو أقل بكثير عن ذى قبل •

ولم يكن السلاح الجديد سلاحا الكترونيا جديدا ولم يكن مادة متفجرة ذات قوة فائقة ، ولم يكن جهازا فنيا من أى نوع •• ولكنه كان «فكرة فى العمل» وهجوما نفسيا على الطرف الآخر •

ولقد أطلق على السلاح الجديد اسم « عملية مولاه » Operation Moolah لأنها تضمنت عرض مكافأة قدرها ٥٠٫٠٠٠ دولار لاى طيار يسلم طائرة ميج الى قوات الامم المتحدة علاوة على مكافأة اضافية قدرها ٥٠٫٠٠٠ دولار لاول طيار يقوم بهذا العمل •

وقد يبدو هذا أمرا سهلا ، ولكنه لم يكن كذلك • كان السلاح الجوى الأمريكي قد طالت به الرغبة لتوجيه هجوم مركز على عقول الطيارين الشيوعيين لتشجيعهم على الهرب ، ولكن السلاح الجوى لم يكن يعرف كيف يؤثر على نفسية هؤلاء الطيارين ، ولذلك انتظر نتائج الأبحاث التى كانت تجريها جامعة هارفارد • ولم يكن السلاح الجوى يعرف ماهية الكلمات التى من شأنها أن تؤثر فى نفوس الطيارين الشيوعيين • وأكثر من كل ذلك ، لم يعرف رجال السلاح الجوى مدى ما يمكن أن يحققه الهجوم النفسى من نتائج فى ميدان القتال • وكشفت الابحاث الاساسية التى أجرتها جامعة هارفارد على العقلية الشيوعية عن جوانب كثيرة فى عقلية الشيوعية ، جوانب يسهل التأثير عليها عند شن هجوم نفسى • وكانت معظم هذه الجوانب مغلقة غير معروفة ، وكل ما يمكن أن يقال هو أن « عملية مولاه » قامت على الضغط على عقلية الطيارين ، وبث روح التمرد فيهم على النظام الذين يتبعونه •

والواقع أن مثل هذه العملية تعتمد على الرشوة المادية بالاضافة الى العمليات النفسية • وفى رأينا أن هذه العمليات التى استخدمت مثيلاتها فى الماضى بصور متعددة قد تأتى برد فعل عكسى فتعمل على ازدياد للمقاومة ، فالمواطن الذى يذهب للحرب للدفاع عن قضية يؤمن بها لا يمكن أن يرتشى ولو بمال قارون •

صحيح أن هناك نفوسا ضعيفة فى كل مجتمع ، ولكنها قلة بحيث لا تستطيع أن تؤثر على قضية يؤمن بها المجموع •

عملية « ايتاليا كومبات » Italia Combatte

وتبرز هذه العملية كيف استخدمت الحرب النفسية لتأييد عمليات حركة المقاومة ، وتعتبر من حيث القيمة من أكثر العمليات التى تمت فى منطقة البحر المتوسط فى أثناء الحرب العالمية الثانية •

لقد جمعت هذه العملية بين النشرات وبين الاذاعة التى كانت تهدف الى اسداء النصيحة ورفع الروح المعنوية فى وحـدات المقاومة الايطالية المواليـة للحلفاء والتى كانت تقوم بعمليات وراء خطوط الاعداء ٠

لقد استمرت هذه الوحدات منذ وقت نزول الحلفاء لاول مرة على الارض الايطالية حتى نهاية القتال فى ايطاليا ، تتلقف بصورة منتظمة جريدة أو نشرة تعليمات ٠ وكان يلقى بهذه الجرائد والنشرات الطيارون الامريكيون والبريطانيون وكذا الطيارون الايطاليون الذين كانوا يعملون مع الحلفاء ٠ ولما لم يكن من الممكن تغطية المنطقة كلها بالنشرات ، فقد استكملت تلك التغطية باستخدام الاذاعة على موجات متوسطة وقصيرة ٠

وفى مارس سنة ١٩٤٤ ، وضعت عملية « Italia Combatta » تحت اشراف البرت سبالدنج عازف الكمان الامريكى المشهور واستمر فى الاشراف على هـذا النوع الهام من العمل حتى نوفمبر سنة ١٩٤٤ عندما اضطره المرض الى العودة الى الولايات المتحدة ، وكان سبالدنج مؤهلا لهذا العمل بدرجة كبيرة ٠

وخلال الحرب أحيطت عمليات « ايتاليا كومبات » بسرية مطلقة ، فكانت تجمع المعلومات من مصادر متعددة سواء من مصادر الحلفاء ، أو مصادر ايطالية ، ومن مصادر صديقة أو معادية ٠ وبغض النظر عن المصـدر الذى جمعت منه المعلومات السرية ، كانت تفحص تلك المعلومات بعناية قبل استخدامها ٠ وفى بعض الأوقات كانت المعلومات هامة بدرجة أنها كانت تؤخذ مباشرة الى القائد الأعلى للحلفاء فى منطقة البحر الابيض ، من أجل استشارته ونصيحته ٠

وكانت « ايتاليـا كومبات » موجهة أحيـانا الى روما ـ قبل تحريرها ـ وكذلك الى جماعات المقاومة الـذين كانوا يعملون فى شمال ايطاليا ، وكانت أسماء الجواسيس الذين يتعاونون مع العدو ـ تذكر فى النشرات أو فى الاذاعة مما أدى الى أن يقوم أفراد المقاومة بتنفيذ حكم الاعدام فى عـدد كبير من هؤلاء الجواسيس ، وكانت تعطى تعليمات خاصة بارتكاب كل أنواع التخريب ٠

ولقد ذكر التقرير الرسمى للحرب النفسية للحلفـــاء فى منطقة البحر المتوسط الذى أعد عام ١٩٤٥ خصيصا لوزارة الحرب الامريكية : « انه ليس هناك أى شك فى أن (ايتاليا كومبات) كان لها أثر هائل على النظام والسلوك العام الذى أظهرته جماعات المقاومة ــ قبل وبعد اختراق الحلفاء لوادى البو » ٠

عملية « برادوك » :

وأخيرا نعطى مثلا يوضح استخدام الحرب النفسية بنجاح بغرض الضغط على أجهزة الأمن فى الدولة الهدف ٠

ففى أثناء الحرب العالمية الثانية قامت هيئة أفراد الحرب النفسية للحلفاء ، بعملية « برادوك » ، وكان الهدف هو أن تزيد من خطر ملايين العمال الاجانب فى المانيا على هيئة الأمن الداخلى الالمانى ٠

لقد كانت الوسيلة التى استخدمت هى اسقاط من أربعة الى خمسة ملايين لفافة من « المتفجرات الحارقة الزمنية القوية ذات الحجم الصغير على مناطق فى ألمانيا والنمسا حيث كان العمال الاجانب يتجمعون ٠ وكانت كل ربطة من المـــواد المتفجرة تتضمن « كارت تعليمات » يصف طريقة الاستعمال ومكتوبا بتسـع لغات ، علاوة على « دليل » يشير الى الأهداف المحتملة ٠

وبالاضافة لذلك استغلت الوسائل المألوفة فى الحرب النفسية ، فالدعوة الى حمل السلاح كانت توجه فى اذاعات خلال الليل من محطة اذاعة للحلفاء أطلق عليها Soldatensender Calais ، ولم تكن هــذه الاذاعة تعرف نفسهـــا على أنها اذاعة حليفة ، كما استخدمت النشرات الرسمية التى كانت مذيلة بتوقيع جنرال ايزنهاور ٠

كان هدف « برادوك » ، مزدوجا :

١ ــ الاستفادة بأكبر قدر ممكن من أعمال التخريب الفعلية التى يقوم بها العمال الأجانب ٠

٢ ـ تحطيم أعصاب قوى أمن الأعداء الى أقصى درجة ممكنة • وخلال الاسابيع الاولى من عام ١٩٤٥ ، عندما كان واضحا من الموقف العسكرى أن وضع حد سريع للحرب كان أمرا غير محتمل الوقوع ، رفض هدف التخريب •

وبالرغم من ذلك ، فان التقارير التى وردت الى الحلفاء من العواصم المحايدة مثل ستوكهولم وبرن والتى استخلصت من الاذاعة الالمانية قدمت الدليل على أن النداء الاذاعى أقلق المسئولين النازيين وحيرهم كثيرا • واستمر العمل فى تحقيق الهدف الثانى وهو :

« شغل ادارة الأمن الالمانية بجعلها فى حالة مستمرة من الخوف والترقب حتى أبريل سنة ١٩٤٥ ، عندما اتضح أن نهاية الحرب قريبة » •

ودلت الاستجوابات التى أجريت مع العمال الاجانب بعد انتهاء الحرب على وجود عقد نفسية فى اتجاهاتهم • فليس مجرد الخوف من البوليس هو الذى خلق فى هذه الجماعات روح التردد والاحجام عن القيام بأعمال التخريب ، ولكن أول عقدة نفسية كانت لدى هؤلاء العمال هى حينما فكروا تفكيرا منطقيا بأن مجهوداتهم لتخريب المصانع الالمانية هى جهود لم يكن لها داع نظرا الى التدمير الهائل الذى أحدثته قوات الحلفاء الجوية •

أما العقدة النفسية الثانية فهى قولهم بصراحة أن احجامهم عن الاشتراك فى أعمال التخريب يقوم على اعتبار أنهم لم يرغبوا فى القضاء على سير العمل فى مصنعهم • فالقضاء على سير العمل من شأنه أن يشكل عقبات شخصية لخسارتهم الاجور أو بطاقات التموين خلال الفترة المطلوب فيها اجراء اصلاحات أو الانتقال لمصنع آخر • ولذلك كان رجال الدعاية فى قوات الحلفاء غير واقعيين عندما طلبوا من العمال الاجانب أكثر مما يستطيع هؤلاء العمال أن يقدموه •

الفصل
الثالث

الحرب النفسية الدفاعية

فى الحروب توجه الحرب النفسية جهودها وعملياتها ضد الجنود لتحطيم معنويات العدو مستهدفة من ذلك الحصول على « استجابات » بدرجة أكثر من عملها للحصول على عمل مباشر ٠

والواقع أن فى قدرة الحرب النفسية الحصول على عدة أهداف جملة وفرادى ، وأكثر هذه العمليات شيوعا هى التى تستهدف اعداد عقل جندى العدو للاستسلام فعلا ، وكذلك عدم القيام بأى عمل لصالح الجانب الذى يقاتل له ، وعندما لا يتطلب الاستسلام شيئا أكثر من السلبية فان النشرات تعتبر كافيه ونافعة ، وفى هذه الاحوال يكون كل ما يطلب من العدو هو أن يقاتل قتالا سيئا وأن يرفع يديه مستسلما عندما يطلب منه ذلك ٠ وتتضمن عمليات تحطيم المعنويات أغراضا أخرى مثل تهييج جماعات العدو ضد بعضها بعضا ، والتثبيط العام لمعنوياته ، واخماد همة وعزم جنوده وقادته ٠

ولكى تكون عمليات تحطيم معنويات العدو ذات فاعلية فانها يجب أن تتجه نحو المعنويات الفعلية التى يعنى بها الجنود ويهتمون لها ، فالجنود الذين يتناولون غذاء جيدا لا يمكن تخويفهم باحتمال أنهم سيواجهون الجوع فى تاريخ قادم بعيد ، والجنود الذين يتوافر لهم ضباط أكفاء لا يمكن حثهم على القيام بثورة ، والجنود الذين تصل اليهم الرسائل تباعا لا يمكن أن يشعروا بنقص

معلوماتهم عمن تركوهم وراءهم في أرض الوطن ، ومع هذا فان بعض النقاط الضعيفة في تنظيم العدو يمكن أن تقدم الاهداف لعمليات تحطيم المعنويات ، فموقف الهزيمة مثلا يفرض اجهادا كبيرا على الجنود وعلى الضباط الذين يقومون بأعمال ذات مسئولية ، وفي مثل هذا الوقت يبرز التفكك داخل الوحدات ، ويكون المجال مهيأ لانتشار الشائعات على نطاق واسع كما يكون تأثير عمليات الدعاية ضد المعنويات ذا أثر بالغ ٠

وفي عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ وجه الحلفاء حربهم النفسية ضد ألمانيا الى القادة وجموع الجنود الالمان ، وقد بنيت عمليات الحرب النفسية التي وجهت الى القادة الألمان على أساس منطق التأثير في أولئك الذين تتوافر لهم السلطة في تحقيق الاستسلام على نطاق واسع ، ولكن الواقع تطور تطورا غريبا ٠

فان المعنويات الالمانية كانت أسوأ حالا في الدرجات الاعلى عنها في الدرجات الادنى ، وفي السنة الاخيرة من الحرب لم تنحط معنويات الجنود الالمان في الجبهة الغربية الا بدرجة صغيرة على الرغم من أن الاغارات الجوية العنيفة التي كانت توجه الى وطنهم من خلفهم ، وذلك بالمقارنة الى ما كان يجب أن تنحط اليه معنوياتهم لو كانت لها صلة مباشرة بالموقف الاستراتيجي الذى كانت عليه ألمانيا ككل ٠ ومن جهة أخرى كانت المعنويات بين الضباط القادة ورجال هيئة أركان الحرب في حالة تعسة ، وكانت المؤامرة الفاشلة Putsh التي قام بها الجنرالات الالمان في الصيف السابق مقدمة شعور سابق لانهيار معنويات القيادة الالمانية العليا ٠

ولقد نشأ هذا الموقف غير العادى لان جهاز الدعاية للاشتراكية الوطنية « النازية » كان لا يزال يؤثر في حشود الجنود ، وكان الضباط السياسيون لا يفتأون يلقون الخطب ، وكان الجنود يتلقون محادثات تشجيعية مع معلومات عن الحرب ٠ وهي معلومات مشوهة لا بارقة أمل فيها ولكنها على أية حال معلومات ٠ كما كانت تساق لهم الوعود عن امتيازات وعن راحة سيمنحونها ٠ وفي نفس الوقت زيد من ضبط وربط الجيش الالماني تبعا للتقليد البروسي ، فضلا عن أنه بقي للجنود العاديين حتى في شهور الهزيمة كل ما تلقوه في

السنوات السابقة للحرب من امتيازات علاوة على ما علمته لهم دعاية هتلر الداخلية المستمرة غير المنطقية طوال سنى الحرب .

وعلى نقيض الجنود العاديين كان الضباط فى حالة سيئة وهم الذين يملكون القدرة على تفهم الأفضلية التى كانت لدى جيوش الحلفاء ، اذ كانوا يعرفون ما يكفى عن الاستراتيجية العالمية والاستراتيجية « القارية » فى أوروبا ، وعن الاستراتيجية المباشرة فى الجبهة الغربية ، وعن العوامل الاقتصادية وغير ذلك مما يمكنهم من أن يدركوا ادراكا أصيلا أن الموقف سيىء . وبالاضافة الى هذا فان كثيرا من طبقة الضباط كانوا يمتهنون النازية شخصيا على حين رحبوا بالنازية كوسيلة لتعبئة عامة الشعب فى الخط وراء القوات المسلحة ، حتى أولئك الضباط الذين كانوا مسئولين عن الدعاية فانهم بالطبيعة أحسوا بالحرج من كل الدعايات بما فيها دعاية حكومتهم ، وقد نقلوا نقدهم لها الى زملائهم الضباط .

وقد جاء دفاع الالمان ضد حرب الحلفاء النفسية بثماره ، فقد تابع الجنود القتال حتى عندما لم يكن للقتال نفع ، وعندما فكر قادتهم فى أن الوقت قد حان للاقلاع عن القتال ، لم يبقوا فى قياداتهم الا بسبب أن رجال الجستابو وعدوا بالموت الفورى لاى ضابط كبير حتى لو همس بكلمة « الهزيمة » .

لقد نجح الدفاع الألمانى ضد الحرب النفسية لانه قام على أساس عاملين اثنين :

١ ـ جودة الاغذية ، والتموين والمواصلات والأسلحة بالنسبة للجنود الألمان .

٢ ـ تنسيق الخدمات المعنوية لمقاومة الحرب النفسية .

ولقد توافر للجنود الالمان بالاضافة الى الاحوال الطيبة نسبيا التى كانوا فيها والتى أخفت عنهم الموقف الاستراتيجى المنهار للرايخ الثالث فيما وراء خطوطهم ، خدمات مجموعة من ضباط التوجيه المعنوى الذين كانوا يتولون

فعلا الحرب النفسية الدفاعية • فقد كان لدى أغلب القوات « سرايا الدعاية Porpaganda Kombanie » ولهذه السرايا طرافتها من الناحية التنظيمية ، فقد جمعت بين واجبات الدعاية من طباعة ونشر واذاعة الى استجواب الاسرى وغير هذا وبين واجب بناء الروح المعنوية ، ولم تقتصر خدماتها على العمل ضد العدو بل عملت على معاونة الجنود الالمان أنفسهم • ولما كان هؤلاء يخطرون باتجاهات دعاية الحلفاء فانهم كانوا قادرين أيضا على توزيع دعاية مضادة بسرعة وغالبا ما كانت تسبق دعاية الحلفاء •

ولقد اعتمدت الحرب النفسية الدفاعية على تلقين الوحدات عمليات الاستخفاف بالعدو والاستهزاء به ، وعدم تصديق الانباء التى يذيعها ، كما بثت الوحدات الخوف من أهداف العدو السياسية وأثارت كراهية عقلية العدو فى حملته • وكان ضباط الدعاية وضباط العمل ضد النشاط الهدام Countersubversion ورجال الشئون العامة يعملون أما من مكتب واحد واما أنهم كانوا يقومون بكل هذه الواجبات مقترنة معا مما مكن من استخدام دعاية مضادة مرنة •

ولم تكن أغلب هذه الدعاية المضادة للالمان دعاية مضادة حقا بالمعنى الفنى الصحيح ، فهى لم توجه ضد دعاية الحلفاء بل كانت معدة للمعنويات الالمانية ، ولم يترك بناء المعنويات الى الاجراءات الترويحية العارضة ولا للصحف والنشرات الدورية التى تصدر خاصة للجنود ولا لمنظمة الترفيه وما شابهها فحسب • بل صحب العمل بعمليات اخبارية موحدة مع تكرار عرض القضية الالمانية ، ومن ثم فانه لا يمكن القول أن الحرب النفسية التكتيكية الدفاعية التى مارسها الالمان ليست بعملية ناجحة تماما ولا بفاشلة تماما ، فهى على أية حال ساعدت القوات المسلحة الالمانية على الثبات وعاونت جهد النازية فى الحرب وخاصة فى المرحلة الأخيرة •

على أن الحرب النفسية الدفاعية فى المستويات العليا هى فى الواقع عملية تعارض ذاتى، فالحرب النفسية الجيدة لا توجه أبدا ضد حرب نفسية أخرى بل على

ما يقال فى اسلوب حرفى أن كلتا الحربين عندما تلتقيان تسير كل منها فى اتجاه موازٍ دون أن تلتقيا، فعندما ألقى الطيارون الأمريكيون القنابل على محطات الاذاعة الالمانية لم يكن هؤلاء الطيارون يقصدون اقصاء الدعاية الالمانية عن الهواء ، بل فعلوا هذا فى محاولة تحطيم شبكة المواصلات الألمانية . اذ أن من المحال احكام توجيه القنابل الى محطة اذاعة أو الى مطبعة تصدر نشرات دعاية بالقدر الذى يمكن من منع العدو من فرصة التحدث ، كما أن القارىء المدنى لا يمكن أن يقذف النشرة التى أسقطتها عليه الطائرة ثانية نحو الطائرة • وان كان مما لا شك فيه أن الطائرات الانجليزية عندما ألقت قنابلها على محطات الارسال فى «أبو زعبل» أيام العدوان الثلاثى كانت تستهدف اسكات محطة اذاعة القاهرة حتى لا تعبىء الشعور القومى والعرب ضد العدوان وضد التحالف الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى •

اذا فالحرب النفسية الدفاعية توجه ضد عقل المستمع ، لخلق اتجاهات باعتقاد معين أو بالشك الذى يؤدى الى العمل المطلوب • ومن المهام الرئيسية للحرب النفسية الدفاعية اجتذاب الانتباه ثم استمرار الابقاء على هذا الاجتذاب ، ولكن الحرب النفسية التى تبدأ بتركيز انتباهها على ما يعرفه العدو لمقضى عليها بالفشل من البداية • وأحد الامثلة المشهورة ، الرسالة العاطفية التى وجهها روزفلت للفوهرر الالمانى شخصيا يوم ١٥ من أبريل سنة ١٩٣٩ ، وطلب منه فيها أن يعد بعدم الاعتداء على ٢١ دولة • وقد ذكر روزفلت فى رسالته أسماء هذه الدول ، وأعطت هذه الرسالة التى كانت هى رسالة دفاعية فى نغمتها واسلوبها لهتلر فرصة للرد على شبكة الاذاعة الالمانية الموجهة للعالم كله • وقد ألقى هتلر رده وسط عاصفة من ضحكات مجلس الريشستاغ وهتافه ، على الرغم من أن رسالة روزفلت كانت متزنة حكيمة فيها عوامل انسانية • وقد أثارت أحاسيس الناس الذين كانوا يتفقون معه فى وجهات نظره ، ولكنها لم تخلق شيئا فى الالمان الذين وجهت اليهم الرسالة أصلا، ولو كان الرئيس روزفلت قد وجه خطبة عنيفة مهددة فى وضوح وجلاء لكان من الممكن أن تخترق العقلية الألمانية فى ذلك الوقت •

وأخيرا علينا أن نذكر أن الحرب النفسية الدفاعية يجب أن تجعل من أهدافها أعمال « مقاومة التخريب المعنوى » و « مقاومة الجاسوسية » ، ولقد تفاخرت

منظمة التشيكا ـ البوليس السرى السوفييتى فى شكله الأول ـ ذات مرة بأن الرأسماليين المخربين ومثيرى المتاعب لا يستطيعون العمل فى الاتحاد السوفييتى لأن البوليس المخصص للعمل ضد التخريب المعنوى يصل عدد أفراده الى مائة مليون » ٠

والذى تقصده « التشيكا » أنها قد دربت معظم السكان على التبليغ عن أى فرد يخرج على الجماعة أو ينحرف عن الاتجاه العام للمجموعة ٠ ويمكن تحقيق تعاون شعبى مع الأجهزة المسئولة عن مقاومه التخريب والأمن عندما تتوافر لهذه الاجهزة كفاية فى عملها وعندما تكون موضع احترام الجماهير وتقديرهم نتيجة الثقة المتبادلة بينها وبين الشعب ٠

وتستطيع الحرب النفسية الدفاع عن أرض الوطن ضد عمليات العدو اذا تمكنت من أن تخلق وعيا بالحذر من الدعاية وتجعل الناس قادرين على نقد الاتجاهات والآراء المضادة للسياسة القومية ٠ على أن التكتيكات الرسمية المعدومة المهارة والاكتفاء بالتشهير العام بالانشقاق والخروج على رأى الجماعة مما يجعل المواطن يعتقد ما اعتقده مستر بامبل فى رواية « أوليفر تويست » عندما قال أن « القانون حمار وغبى » ٠

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن الحرب النفسية الدفاعية اذا ما قامت على اسلوب فنى صحيح لابد أن تنجح ضد عمليات العدو السوداء والمثيرة للعواطف والتى تهدف الى محاولة التفرقة السياسية أو تزييف الانباء بغية الحصول على انهيار معنوى بين الشعب ٠

ومع أن الحرب النفسية الدفاعية لا تستطيع أن تغير الانهيار المعنوى الناتج من الانهيار العملى داخل الوحدة السياسية أو القومية، ففى مقدورها أن تقلل من سرعة الانهيار ، ولذلك فنحن لا يمكن أن نستعيض بها عن القيادة السيئة ٠

والواقع أنه ليس هناك شىء يعوض القيادة السيئة ، وهذا يبرز لنا أهمية القيادة السياسية الجيدة التى تستطيع أن توجه الشعب نحو رفاهيته وأمنه وتعمل على تحقيق آماله وأمانيه ٠

أهمية التوجيه المعنوى :

على أن التوجيه المعنوى فى القوات المسلحة يلعب دورا أساسيا فى الحرب النفسية الدفاعية · وفى كل الجيوش الحديثة توجد بالاضافة الى العلاقات العامة وحدات للتوعية والترفية تقع عليها مسئولية امداد الجنــود بوسائل الترفية ومعدات التعليم الثقافى ووسائل التوعية السياسية والاجتماعية ·

ووحدات التوجيه المعنوى تعتبر عناصرالدفاع الاساسية ضد الحرب النفسية التى يمارسها العدو ويظهر نجاحها فى الاحتفاظ بالروح المعنوية العالية للجنود ومنعهم من التأثر بما يقوم به العدو من اجراءات الحرب النفسية على مدى نجاح برامجها فى الاحتفاظ بانتباه الجنود نحو ما يقوم به العدو من وسائل مغررة وتفهيمهم هدف العدو من هذه العمليات · ولذا فان التوعية المستمرة للجنود فى زمنى السلم والحرب تعتبر سلاحا دفاعيا فعالا ضد العدو عندما يحاول أن يشن حربه النفسية · وغالبا ما يكون لهذه الوحدات اذاعات خاصة توجه للقــوات المسلحة ، ففى الحرب العالمية الثانية أنشأت اذاعة القوات المسلحة الأمريكية خدمة اذاعية تغطى العالم كله مستهدفة بذلك ارشاد جميع الأمريكيين خارج بلادهم الى حقيقة الموقف · وعلى الرغم من الجهود التى قامت بها وحدات التوعية والتوجيه بالقوات الامريكيةفىالحرب العالميه الماضية فقد أغفلتالكثير منمفهوم الحربالنفسية التى كان يجب عليها أن تغرسها فى أذهان الجنود الامريكيين ، ولكن من ناحية أخرى حققت الكثــير فى ميدان الدعاية · وقد يرجع ذلك الى أن مفهوم الحرب النفسية بمعناه الحديث لم يتبين بوضوح للقوات الامريكية الا بعد ابتداء العمليات الحربية فى كوريا عام ١٩٥٠ ·

وفى الجيش الألمانى والسوفييتى كانت وحدات التوجيه المعنوى أقساما من جهاز الدعاية المنسق الذى أخذ مسئولية الحرب النفسية والعــلاقات العامة والأنباء والثقافة الشعبية · وفى القوات اليابانية اهتمت وحدات التوجيه المعنوى بالترويج البدنى والعاطفى مستخدمة الصور والرسوم التى تجلب الحظ السعيد

وما الى ذلك من وسائل الترفيه عن الأفراد ، ولم تكن لها صلة مباشرة بأجهزة الأنباء والدعاية المنظمة الرسمية الا بنسبة لا تذكر ٠

ويمكننا أن نتساءل الآن : ما واجب كل فرد من أفراد قواتنا المسلحة فى ميدان الدفاع النفسى ؟

ان الحرب النفسية بالنسبة للعدو وسيلة طيعة فى يده . انه ينفق الكثير ويبذل مجهودا ضخما فى حربه النفسية ضدك لأنك الدرع الذى يحمى استقلال بلدك وكرامة وطنك وأهلك ٠

على أننا يمكن أن نجعل واجبات أفراد القوات المسلحة ومسئولياتهم فى هذا الميدان تحت بندين رئيسيين :

أ ــ واجبات القائد :

ان ضابط القوات المسلحة العربية الذى يحارب فى الخطوط الامامية من الجبهة مع وحدته وقت الحرب يعتبر هدفا له أهميته فى الهجوم النفسى الذى يشنه العدو سواء أكان ذلك فى السلم أم فى الحرب ٠

وكلما ازدادت نظرة العدو الى قواتنا المسلحة كعامل من العوامل الفعالة فى الدفاع عن نظامنا الاشتراكى وعن كرامتنا الوطنية ازدادت هجماته النفسية علينــا ٠

ولذا فان على كل ضابط فى القوات المسلحة مسئولية كبيرة فى تلك المرحلة الحرب النفسية ، وهو بهذه المسئوليــه يسهم بدرجــة كبيرة فى تلك المرحــلة التاريخية الكبرى التى يمر بها وطننا فى مواجهة الاستعمار والرجعية وأعــداء الوطن ٠

وعلى العموم فان على كل ضابط مسئولية فى هذا الميدان يمكن أن نلخصها فى النقاط الآتية :

١ ـ يجب أن يكون لدى كل ضابط الوعى السياسى الكامل نحو مفهوم اشتراكيتنا وأهدافها ، وكذا يعرف ما تتخذه الحكومة أو القيادة العسكرية من اجراءات فيما يتعلق بمجال الدفاع النفسى ٠

٢ ـ كما يجب عليه فى نطاق عمله أن يتفاعل مع القوى الشاملة التى تعمل للدفاع ضد الهجمات النفسية التى يشنها العدو ، وعليه أن يتذكر دائما أنه مسئول عن تسليح جنوده نفسيا وفكريا ، وهذا يتطلب منه شخصية قوية وقدرة على الاقناع ٠ ان الوعى بالمسئولية والتسليح النفسى والايمان بالعقيدة الوطنية هى الاسلحة التى يستطيع بها الضابط أن يخوض حرب العدو النفسية التى تدور معاركها يوميا ، كما يجب عليه أن يتسلح بالنشاط والتحكم والخيال الخصب والشعور بالمسئولية ٠

٣ ـ وأخيرا يجب على الضابط أن يكون ملما بالمعلومات الأساسية الكافية التى تمكنه كفرد فى المجتمع من أن يخوض المعركة النفسية بنجاح ٠

ب ـ واجبات الجندى :

ان الجندى كالضابط تماما هدف من أهداف الحرب النفسية للعدو ، كما أنه ليس من الصعب عليه كفرد فى القوات المسلحة أن يدافع عن ذاته ضد أعمال الحرب النفسية ٠ وهناك ثلاثة أمور يجب على كل جندى مراعاتها للتسلح بها :

١ ـ الوعى بما يحاول أن يدبره العدو ضد وطنه من تآمر وتخريب مادى ومعنوى ، والمام عام بمفهوم نظامنا السياسى ٠

٢ ـ يجب أن يكون ملما بطرق وأشكال وامكانيات الحرب النفسية ، وكذا اتجاهاتها ونشاطها ٠

٣ ـ الجلد والنظام اللذان يجب أن يواجه بهما أية تأثير للحرب النفسية .

وفى النهاية فان الدفاع ضد الحرب النفسية يتطلب منك كمواطن شريف اليقظة ، على أن تعرف :

- ماذا يدبر العدو ضد الوطن ؟
- ما هدف دعايته ؟
- ماذا يريد العدو منك أن تفعله ؟
- ما أسلوب الحرب النفسية وطبيعة دعاية العدو ؟

فاذا ما تهيأت لك المعرفة بهذا كله ، لم يعد من السهل أن يخدعك العدو أو يضللك .

عليك أن تنظر الى العدو نظرة شك دائما فهو يتربص بوطنك فى كل وقت ، فاذا سمعت اذاعة أو سقطت فى يدك نشرة أو وصلت الى مسامعك شائعة ، فابحث عن المصدر واجعل الشك رائدك دائما فى مثل تلك الحالات ما دمت لا تستطيع أن تعرف كيف نشأت الفكرة .

تذكر أن اذاعات الراديو السوداء والنشرات لا تجىء من المصادر التى تزعم أنها قادمة منها ، كما أن الشائعات لا تتحدث عن مصادرها الا فى شكل مبهم غامض .

انتقد كل ما يصل الى سمعك أو يدك ، وحتى اذا سمعت شيئا تعرف أنه حقيقى فلا تثق بالتفسير الذى يصحبه . فكر جيدا وميز بين الحقائق التى تستطيع التثبت من مصادرها وبين تلك التى لا تستطيع التثبت منها . كما يجب عليك أن تميز بين الحقائق وبين التفسيرات المغرضة التى تدور حولها . استخدم عقلك دائما وفكر جيدا .

وكحديث عام لا تثق بالعدو أبدا ، فحينما يبدى مودته لك فهو يسعى للاضرار بك .

واذا وقعت أسيرا فى أيدى العدو فلا تذكر له الا اسمك ورتبتك ورقمك العسكرى ولا تحاول أن تجعل لسانك ينزلق فيما تعتقد أنه ليس هاما ، فان التفاصيل القليلة عن الحياة فى وحدتك أو فى أرض الوطن قد تكون هى كل ما يحتاج اليه العدو منك ، ومهما أظهر لك العدو من مودة فلا تحدثه عن أسرتك فى أرض الوطن • انه يريد الحصول على معلومات ، ولولا ذلك لما أضاع وقته فى التحدث اليك •

ثق دائما فى الله وفى وطنك وفى زعمائك وقادتك ، فانهم يعملون دائما لصالحك ، وتذكر أنهم الهدف الأكبر لاعداء وطنك ، لأنهم يدافعون عن مصالحك ويحرصون على مكاسبك •

طوارىء المستقبل :

الواقع أن هذا السياق انما يشير الى تجارب معروفة ، ولا يمكن معها التحول الى مجرد تخيلات وأوهام مستقبلة • ان هناك الكثير من المواقف التى لم تحدث من قبل ولكن من الممكن تخيلها ، ومن ثم فانها تستحق البحث والمناقشة فى ضوء التطور الذى يمكن أن يحققه تقدم استخدام الحرب النفسية مع تقدم الأساليب والوسائل المستخدمة فى تلك الحرب ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

١ ــ ماذا يستطيع أن يعمل قائد وحدة صغيرة اذا ما ظن جنوده أنهم قد تلوثوا بميكروب مرضى بوساطة طائرات العدو التى تعمل فى الحرب البكتريولوجية ؟

٢ ــ كيف يتصرف قائد وحدة لو قالت اذاعة العدو لجنوده أنهم سيتعرضون للاشعاع وأن هذا الاشعاع سيسبب لهم الاصابة بفقر الدم والسرطان والموت مالم يستسلموا مباشرة ؟

٣ ــ ماذا يفعل قائد وحدة وجد نفسه قد عزل تماما عن وسائل تموينه ، ثم وجد نفسه يعمل وحده فى منطقة خطرة ملوثة وجنوده أصبحوا ضحايا دعاية سوداء للعدو ؟

٤ ــ ماذا يفعل اذا ما خطر لجنوده أنهم لن يستبدل غيرهم بهم تلقائيا ، أو بسبب أعمال العدو فى أن حكومتهم قد أغفلتهم وان مواطنيهم قد هجروهم وتركوهم للعدو ؟

٥ ــ وماذا يفعل القائد لو أن وفدا يمثل مختلف أقسام وحدته قد جاءه فى ميدان المعركة وطلب الوفد منه أن ينصت لشكواهم ؟

ولنفترض أن القائد يعرف أن جنوده يشكون عن حق من نقص الغـذاء أو من الخطر الذى يواجهونه ولكنه يعرف فى نفس الوقت أن العدو قد اجتذب بعض جنوده بالتضليل وان العـدو قد جعلهم ينشرون مظاهر التذمر أو أنهم قد جاءوا يطالبون باعداد ملاجىء عميقة تقيهم ، بعد أن كانت نشرات دعاية العدو قد وجهت أنظار الجنود الى المطالبة بهذه الملاجىء ٠٠ فهل يعامل الجنود على أساس أنهم خونة أو على أساس أنهم حمقى قد ضللتهم دعاية العدو ؟

٦ ــ ماذا يفعل القائد لو واجه مشكلة خيانة سياسية أو مؤامرة تخريب بين صفوف وحدته ؟

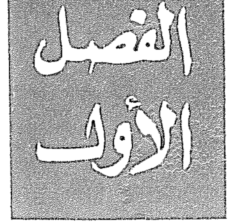
ان كل هذه صور جديدة لم يعرفها القادة من قبل ، والجنود فى كل حرب سابقة كانوا يذهبون الى القتال وهم واثقون بقدرتهم على كسب الحرب ، ولكن مع حرب المستقبل لا يمكن ضمان هذه الثقة ومن غير المعروف ماذا يمكن أن يفعل الجنود لو عرفوا أن دورهم فى أرض الوطن قد دمرت وأن أسرهم قد مسـحت بالغارات ذرية قام بها العدو ؟

ان هذه كلها أسئلة من طراز جـديد لها صلاتها الوثيقة بالحرب النفسية والقول بأن مثل هذه المشكلات لم تواجه أى قائد من قبل ليس يعنى أنها لن تحدث ، ومن ثم فان رجولة واستقامة وفطنة قادة الوحدات الصغيرة قد تتعرض لواجب غير متوقع ٠ واجب جعل واحداتهم تتماسك فى صلابة وقوة فى مواجهة هجوم نفسى مدمر ٠

الباب الرابع

مجالات التوصيل

- الفصل الأول
مجالات التوصيل



الفصل الأول

مجالات التوصيل

قد يكون من المناسب الآن أن نبين وسائل التوصيل التى يمكن الاستفادة منها فى مجهودات الحرب النفسية •

وعلى الرغم من أن هناك وسائل عديدة مقررة ثبت نجاحها فنحن لا نستطيع أن نتطرق اليها جميعا • ولذا فسنقصر بحثنا على الوسائل الرئيسية التى استخدمتها الدول المختلفة فى توجيه مجهوداتها النفسية نحو الأهداف المحددة

ان معركة الاذاعة بنوعيها – العلنى والسرى – ونشرات الاستسلام والنشرات الصحفية واسقاط الكتيبات ومكبرات الصوت ، استخدمت كلها فى الماضى كأسلحة فعالة من أسلحة الحرب النفسية •

وليست هذه كل الوسائل ، فقد لعب الابتكار والمبادأة دورا كبيرا فى ايجاد وسائل أخرى منها الدبابة والطائرة ، حيث اتخذنا من وسائل الدعاية على ما سنرى بعد فى هذا الفصل •

لكن من الضرورى أن نلفت النظر هنا الى سلاح فتاك من أسلحة الحرب النفسية ونعنى به الشائعات ، ونظرا لخطورة هذا السلاح بخاصة أننا قاسينا منه الكثير فقد أفردنا له الباب التالى حتى يستطيع القارىء أن يتبين مدى خطورته ويتفهم الأساليب التى يستخدمها عدو الوطن لتقويض بنائنا أو تعويق تقدمنا •

ان اختيار أنسب الوسائل لمسألة تعتمد على تداخل عناصر عدة وتفاعلها منها توافر التسهيلات اللازمة ، وقدرة الجمهور المستمع على استقبال المادة المرسلة وفهمها • وفى اختيار الوسائل يجب أن نقدر :

- الأذواق والعادات والتقاليد لدى الجماعات التى نخاطبها •
- الوقت المتوفر لدينا لاتمام مهمة خاصة •

ونحن لن نناقش كل وسيلة ممكنة فى هذا الفصل خشية الاتساع ، فقد أردنا فى الحقيقة أن نبرز أو نقدم الأمثلة التى تغنى عن الأخرى فى كشف الوسائل العادية وغير العادية التى استخدمت فى الحرب النفسية ، ونوضح فى الوقت نفسه الاستخدام الاستراتيجى والتكتيكى للحرب النفسية فى أثناء السلم والحرب •

معركة الاذاعة :

لعبت الاذاعة فى الحرب العالمية الثانية دورا كبيرا داخل كل من المعسكرين المتنازعين ، وفتت فى عضد العدو ومزقت قواه المعنوية ، وقد اشتد أثرها خطورة بعد الحرب نتيجة التطور الكبير فى أجهزة الراديو وظهرت الترانزستورات الزهيدة الثمن التى يتمكن بها الملايين ممن لا يعرفون القراءة والكتابة من الاستماع الى الدعايات المختلفة التى ترسلها الدول •

واليوم نجد أن كلا من المعسكرين الشرقى والغربى يقوم يوميا بالدعاية فى مئات من ساعات الارسال ويتنافس تنافسا لا هوادة فيه للتأثير على عقول المستمعين •

الاذاعة على الموجة القصيرة :

تتحمل الاذاعة على الموجة القصيرة عبء الحرب النفسية عبر المسافات البعيدة ، ويظهر خطرها فى أنها تربط المكاتب والادارات التى تعد للحرب النفسية بمحطات فرعية تبادلية تعمل على الموجات العادية عن أن تكون وسيلة للارسال المباشر ، اذ غالبا لا تتوافر أجهزة الاستقبال على الموجة القصيرة بدرجة كبيرة لدى الافراد • ومن جهة أخرى فان المستمع العادى على هذه الموجات قد ينصت اليها حينما يحاول أن يستقبل أنباء هامة معروضة عرضا جيدا ، ولكنه لا يمكن أن يفضل الموسيقى على هذه الصيحات العالية التى تطير على أجنحة الأثير • وفضلا عن هذا فان استخدام جهاز استقبال على الموجة القصيرة فى وقت الحرب يتضمن رغبة متعددة مقصودة من جانب المستمع فى القيام بعمل شىء يعلم أنه يتعارض مع ولائه أو يعرضه لخطورة على أساس أن الاذاعة على الموجة القصيرة هى اذاعة من الخارج يقوم بها العدو •

وتمكن الموجة القصيرة من أن ترسل محطات الدعاية المتقدمة التى تعمل على الموجات العادية مواد تعد اعدادا طيبا فى أرض الوطن، حيث يستطيع عدد كبير من الاخصائيين العمل • فالأنباء يمكن أن تعد بعناية كما أن كل المواد الاخرى من تمثيليات وغيرها تعد بواسطة اخصائيين محترفين ويقوم بأدائها ممثلون أكفاء ، ويسجل هذا كله على أشرطة أو اسطوانات ثم ترسل الى المحطات الأمامية التى تذيعها على الموجات العادية حسب الظروف •

وبهذه الطريقة كانت المحطة الامريكية فى جزيرة سيبان فى الباسفيك تذيع الى اليابان مباشرة اذاعات لم يكن من الممكن أن تذاع على الهواء لو كانت الهيئة التى تعدها تعمل فعلا من الجزيرة • ولقد كان الناس الذين يعملون من سيبان مجرد فنيين اخصائيين فى المواصلات اللاسلكية ، وكانوا ينقلون المواد عن الاذاعات الامريكية من جزيرة هواى أو من اذاعة سان فرانسيسكو على الموجات القصيرة ثم يعيدون اذاعتها لليابان على الموجة العادية ، وقد سمع الملايين من

اليابانيين هذه الاذاعة على الموجات العادية مقابل عشرات أو حتى مئات يمكن أن يكونوا قد سمعوها من قبل على الموجة القصيرة مباشرة ٠

وفي الامكان استغلال الامكانيات المتوافرة في أرض الوطن من اعداد مجموعة كبيرة من المواد معدة للاذاعة ، فيتهيأ بذلك في المواقف الحساسة أو في المواقف الغامضة المريبة أربعة أو خمسة برامج تبادلية تغطى الوقت المحدد للبرنامج الكامل ، ويمكن بتسجيل المواد على أشرطة أو اسطوانات أن تمرر وهى فى صورة صالحة وأن تعرض وتفحص وتراقب ويصدق عليها ، حيث لا يتسنى أن يتم هذا في محطة أمامية تعمل في منطقة العمليات ٠

وللاذاعة على الموجة القصيرة نفعها بالاضافة الى استخدامها كوسيلة لارسال مواد الاذاعة الى محطات التوزيع الامامية Relay Stations اذ تستطيع أجهزة الاستماع والتصنت للعدو وأجهزة مخابراته أن تلتقط هذه الاذاعات ، كما يستطيع أن يسمعها الأشخاص ذوو المكانة السياسية والاقتصادية في بلاد العدو ، ومن ثم تكون الاذاعة على الموجة القصيرة بمثابة حديث موجه الى حكومة العدو والى الأشخاص الذين يتولون الزعامة في بلادهم سواء كانوا داخل الحكومة أو خارجها ٠

لقد كانت الجوهو كيوكو Joho Kyoku (مجلس المعلومات الامبراطورى) والجيموشو Gaimusho (وزارة الخارجية) في طوكيو تتصنتان الى الاذاعة الأمريكية التى ترسل من سان فرانسيسكو ، فكان كل ما يذاع من سان فرانسيسكو يصل الى أعلى السلطات في اليابان ٠ وتحدث القبطان ايليس زخارياس ـ الى الزعماء اليابانيين الذين كان يعرفهم من قبل أيام عمله في اليابان ـ من اذاعة سان فرانسيسكو واعترف اليابانيون أنفسهم بأن اذاعاته لعبت دورا هاما في استسلام اليابان ٠

نشرات الأخبار على الموجة القصيرة .

ونشرات الأخبار شأنها شأن الاذاعات الدولية على موجة قصيرة احدى أدوات الحرب النفسية •

ان الحرب النفسية تعني ببساطة التلاعب بالكلمات ، وبعقول الناس وانفعالاتهم بطريقة من شأنها أن تخلق ردود أفعال عندهم تكون موالية للقضية المتبناة • ولذلك فالحرب النفسية الناجحة أو الدعاية السليمة تعتمد على ما يأتي حتى تصبح فعالة :

١ ـ تعريف واضح للأهداف أى اتفاق محدد لردود الأفعال التى يسعى الفرد الى خلقها أو ايجادها •

٢ ـ فهم مطلع ومتعاطف للجمهور المستمع من ناحية ظروفه الاجتماعية ، وحالته العقلية ، وآماله ومخاوفه ، وما يحبه وما يكرهه •

٣ ـ استخدام ماهر للغة والأفكار التى يمكن عن طريقها اجتذاب اهتمام المستمع وكسب ثقته •

أهداف نشرات الأخبار :

والواقع أن نشرات الأخبار الاذاعية على الموجة القصيرة تهدف الى :

١ ـ تغطية الأخبار التى لا يستطيع المستمع معرفتها بدون الاذاعات •

٢ ـ اقناع المستمعين بدقة الأنباء التى تذاع عليهم •

٣ ـ تفسير الأنباء فى حدود الحقيقة أو الصدق ، وبطرق تعمل على تعزيز موضوعات الدعاية الرئيسية المستخدمة •

٤ ـ التقليل من شأن العدو من حيث هو مصدر للأنباء •

فهم المستمع :

والواقع أيضا أن عملية اختيار مقتطفات من الأخبار لمعالجتها وتأكيد اهميتها أو تنفيذها لا تكون مجدية الا اذا وضع المرء نفسه في موقف المستمع ٠

ان اختيار الأنباء يحدده بدرجة كبيرة التقدير السليم لظروف المستمع وحالته العقلية ، فاذا ما فكر المرء فى نشرات الأخبار على هذا الضوء ازدادت درجة الوضوح فى التفرقة بين نشرات الأخبار المحلية ونشرات الأخبار من أجل الدعاية ٠

ونتيجة للخبرات الماضية وجد أن الحقائق التالية يجب أن توضع فى الاعتبار عند تقدير ظروف المستمعين وحالتهم العقلية :

١ - ان الاستماع لاذاعات على الموجة القصيرة فى بلاد ديكتاتورية أو فى بلاد تحتلها القوات العسكرية لبلاد ديكتاتورية هو أمر خطر ، ولذلك فمن المحتمل جدا أن يكون هذا الاستماع بصورة غير منتظمة بدرجة كبيرة ٠ وكنتيجة لذلك فضل أن تكون الاذاعات قصيرة ، وأن تؤكد أهمية الاخبار الاساسية فقط ، وأن تكرر الاخبار الهامة أحيانا ٠ ومن المهم الا يشتت انتباه المستمع بمسائل تافهة أو بمسائل ليس لها أثر فى حياته ٠

ولقد استندت فكرة تكرار الأنباء الهامة الى افتراض أن الاستماع لا يكون منتظما ، وأن تلخيص الاحداث الهامة فى الاخبار يحقق الغرض المنشود وهو الابقاء على الاهتمام بالأنباء ٠

٢ - ان الاستقبال على الموجة القصيرة تحت أحسن الظروف استقبال ردىء غالبا ، كما أن الرسائل المنقولة أو المذاعة تكون دائما معرضة للعرقلة من جانب مجموعات غير صديقة ٠ ولكى نتغلب على العقبات الطبيعية أو العقبات التى يصنعها الانسان يجب أن تكون الكلمات

المستعملة والالفاظ واضحة ، وأن تكون سرعة المتحدث دون السرعة التي تستخدم في نقل الأنباء المحلية • وفي المناطق التي يجب أن يشجع فيها التكرار يستحسن أن تذاع نشرة أخبار مرة في اليوم على الأقل وبسرعة الاملاء •

٣ ـ ويجب أيضا أن يكون نظام عرض الأخبار متفقا مع النظام الذى يسود حياة المستمع • فالمستمع في بلد يحتله العدو يهتم بالاخبار التي لها صلة ببيئته المألوفة لديه ، وبثرواته الخاصة ، وبأنباء العدو بخاصة اذا كانت سيئة ، وبسائر الانباء التي لها تأثير على الموقف وعلى كيان المستمع •

ومن الضروري أيضا ألا تزدحم الاذاعات أو نشرات الاخبار بأسماء أماكن غير مألوفة • ومن الأفضل أن تكون نشرات الاخبار ـ ما أمكن ـ بديلات لرموز ملموسة مثل عدد الاميال التي تقدمتها القوات ، وعدد الاسرى الذين اعتقلوا ، وعدد القتلى من العدو ، وعلى المرء أن يقتصد في استخدام أسماء الأماكن حتى يتيح الفرصة للأثر الترابطي القوي لاسماء قليلة يمكن تذكرها بسهولة •

كما أن مقتطفات الانباء عن صراع عالمي يجب أن تجمع بطريقة من شأنها أن توضح أو تؤكد أهمية الجوانب العالمية في الصراع • ويجب أن تغطى الأنباء بطريقة تفضح أهداف العدو وأعماله وتقارن بالاعمال الطيبة من الجانب الآخر • فمثلا يمكن وضع الأنباء الخاصة « باستغلال العدو للاراضي التي يحتلها » بجانب الأنباء عن « أعمال انسانية يقوم بها الجانب الآخر » بحيث تلقى ضوءا قويا على المقارنة بين النوعين المختلفين من السلوك •

وهناك نقطة هامة أخرى وهي أن الشعارات التي لها معنى في ثقافة أو عقيدة المجتمع الذى يعد نشرات الاخبار الخارجية يجب أن تغلف بمغزى أو معنى عملي • ولذلك يجب اعادة صياغة كلماتها حتى تصير قادرة على أن تخلق في أذهان المستمعين صورا لأفكار مجردة •

ولكن من ناحية أخرى فان اســـتخدام الشعارات التى تشـــكل تلاعبا بالألفاظ قد تحد من قيمة الانباء ، وتقلل الثقة فى المستمع ٠

والحقيقة أن استخدام الشـعارات أمر يستحق التفكير المستمر بالنسـبة للاخبار والتعليقات ٠ كما أن صياغة الالفاظ والشعارات ، وعدد المرات التى تستخدم فيها تتطلب معرفة دقيقة بمنطقة الهدف الخاصة التى سوف تردد فيها تلك الشعارات ٠

كما أن نغمة الصوت وسرعته وصياغة نشرة الأخبار ، تشكل جزءا هاما من الحرب النفسية ٠ فكل مجتمع يحتاج الى قدر معين من الاستهواء القائم على طريقة القاء الكلام ، أو وضوح التعبير ، أو الاسلوب المستخدم ٠

ولذا فان الاسلوب المستخدم فى اذاعة الانباء المحلية لا يتواءم مع الاذاعات التي توجه الى المجموعات هدف الحرب النفسية ٠ والمذيع الناجح هـو الذى يستطيع أن يتبين هذه كلها ويعمل على تحقيقها ٠

الاذاعة على الموجة العادية :

ونشير بعد ذلك الى أن أكثر أنواع الاستخدام للاذاعة ما يقع فى نطاق الاستقبال المستطاع على أجهزة الاستقبال العادية التى يملكها سكان بلاد العدو ، ويعنى هذا انشاء وسائل ارسال قريبة من أراضى العدو يمكن أن ترسل عليها وبواسطتها مواد البرامج ٠

وقد كان تحقيق هذا النوع من الاتصال بين الولايات المتحدة واليـابان مستحيلا فى الفترة من عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٤٤ ٠

وتكون « الاذاعة الاستراتيجية » شديدة الفاعلية اذا ما وجهت الاذاعة من مسافة قصيرة وعلى موجة عادية وكان من المعروف على التحقيق أن لدى المدنيين

فى بلاد العدو آلاف أجهزة الاستقبال ، اذ بذلك تتهيأ الفرصة لاجتذاب مجموعة ثابتة مستمرة ودائمة من المستمعين للتأثير فى معنوياتهم وأفكارهم واستخدامهم لنشر الشائعات التى تصل فى الغالبية الى كل فرد من سكان بلاد العدو • على انه من الضرورى أن يعمل المذيع على ألا يفقد المستمعون اهتمامهم باذاعته ولا أن يملوها ، ولهذا يجب أن يستهويهم دائما بسلسله متغيرة من البرامج •

الراديو الأسود والحرب الباردة :

تمخضت الحرب العالمية الثانية عن صراع ايديولوجى كبير بين المعسكرين الشرقى والغربى ، وأخذ هذا الصراع يشتد يوما بعد يوم الى أن ظهر فى الافق ما يطلق عليه الحرب الباردة • وكان من نتيجة هذه الحرب أن خاض الطرفان غمار حرب نفسية كادت تؤدى بالعالم الى حافة الهاوية فى مناسبات كثيرة •

لقد سبق أن بسطنا الدور الكبير الذى تلعبه الاذاعة فى الحرب النفسية ، والآن نشير الى خطورة ما يطلق عليه « الراديو الأسود » أو بمعنى أوضح الاذاعات السرية التى تنتشر بين أرجاء العالم • فهذه استخدمها الطرفان المتصارعان فى الحرب الباردة بينهما كأداة للتراشق بالكلمات والطعن فى الآخر ، ووجه كثير منها الى الدول النامية التى تحاول التحرر أو تنتهج سبيل التقدم والرقى • والادهى من ذلك أن كثيرا من هذه الاذاعات استخدمت لتحريض الشعوب على الثورة على حكامها ، على ما حدث فى مؤامرة جواتيمالا التى دبرت ضد الرئيس أربنز عام ١٩٥٤ أو فى محاولة غزو كوبا عام ١٩٦١ •

والحقيقة أن الاذاعات السرية « الراديو الأسود » ليست بشىء جديد ، فقد سبق أن أطلقت هذه العبارة على محطات الاذاعات السرية التى كان يستخدمها الألمان فى الحرب العالمية الثانية بعد قيام قواتهم باحتلالها البلاد التى توجد هذه المحطات بها ، ولقد كان الالمان يستخدمون هذه المحطات لايهام العدو بأنها ما زالت فى جانبه وبذلك يقع فى الكمين الذى نصبه الالمان له • أما فى الوقت

الحاضر فاننا نستطيع أن نطلق هذا الاصطلاح على أى محطة اذاعة سرية ، أو بمعنى آخر على أى ارسال غير شرعى وغير معترف به لأنه يعمل فى الخفاء بهدف التخريب والتدمير ٠

وليس الهدف من هذا البحث هو رصد محطات الاذاعات السرية التى تنتشر بين أرجاء المعمورة اذ لا تتسع صفحات هذا الكتاب لذلك ، كما أن الغرض ليس الدخول في تفاصيل عملها الفنى ، ولكن ما يهمنا هو أن نبرز الدور الخطير الذى تلعبه فى الحرب النفسية فى هذا العصر الذى ازدادت فيه حدة الحرب الباردة بدرجة كبيرة وشكل مخيف ٠

ولهذا سنقصر بحثنا على ابراز خطورة هذا السلاح الفتاك وأثره فى معنويات الشعوب موضحين الدور الذى يلعبه الراديو الاسود فى الحرب الباردة باعطاء صور ونماذج حدثت فى أثناء الصراع الذى لا يزال العالم يعيش فيه حتى اليوم ٠

على أننا قبل أن نشرع فى ذلك نود أن نشير الى أن عمليات « الراديو الاسود » تنقسم الى قسمين : الارسال والاستقبال ، فبالاضافة الى قيام هذه المحطات السرية بعملية الارسال فان أجهزة الدول المختصة التى تخضع لها هذه المحطات تقوم بتسجيل اذاعات المحطات المضادة لتتبين ما يقوله الجانب المضاد ٠

وتقوم أجهزة المخابرات فى أغلب الدول بالاستماع الى ما تقوله الاذاعات الصديقة والمعادية ، ثم تسجل هذه الاذاعات على أشرطة ، وتحرر يوميا ثم تحلل لمعرفة كثير من نوايا الدول الاخرى وخططها ، وهذه العملية علنية ولا تتصف بالسرية ومعترف بها شرعا ، وان كنا نستطيع أن ندخلها فى نطاق التجسس المكشوف ٠

وهناك اذاعات تعتبر خليطا بين العلنية والسرية ، وهذه الاذاعات تأخذ اعانات من الشركات أو المؤسسات الكبرى أو أجهزة المخابرات كما فى الدول

الرأسمالية ، أو تمولها الدول كما فى النظام الشيوعى • وتتظاهر هذه الاذاعات بأنها اذاعات خاصة بالرغم من أنها تتلقى توجيهات يومية من الاجهزة المسئولة فى الدول التى تخضع لها •

والآن نستطيع أن نتناول بشىء من التفصيل دور هذه الاذاعات فى مضمار الحرب النفسية • فمن الأمثلة البارزة التى لعبت فيها الاذاعة السرية دورا كبيرا محطة سوان Swan (١) التى استخدمتها الولايات المتحدة فى عملية خليج الخنازير •

وهذه الجزيرة احدى جزر البحر الكاريبى التى تقع جنوب الحافة الغربية لجزيرة كوبا • والواقع أن موقع هذه الجزيرة من المواقع الممتازة لانشاء محطات الاذاعة السرية عليها ، فالسائح العادى يجد من الصعوبة أن يصل اليها لأنه ليس ثمة خط طيران مدنى يربط الجزيرة بالعالم الخارجى ، كما أن الباخرة الوحيدة التى تذهب اليها تستغرق حوالى خمسة أيام من أقرب ميناء على الشاطىء الامريكى اليها ولا يمكن لأى فرد أن يتوجه الى الجزيرة دون الحصول على تصريح سرى •

وقد لعبت اذاعة سوان دورا كبيرا فى تلك المؤامرة التى دبرتها المخابرات المركزية الامريكية ضد حكم كاسترو فى كوبا ، اذ قام راديو سوان باذاعة رسائل بالشفرة وناشد الشعب والقوات المسلحة الكوبية الثورة على كاسترو كما قدم تعليمات خاصة عن فن التخريب •

ففى الساعة ٣٫٤٤ صباحا يوم ١٨ من أبريل عام ١٩٦١ أرسلت اذاعة راديو سوان نداء الى ميليشيا جيش كاسترو تدعوها الى الثورة :

---

(١) يقال أن سوان هو اسم قرصان عاش فى القرن السابع عشر واتخذ هذه الجزيرة مركزا لنشاطه ، وقد ادعت الولايات المتحدة ملكية هذه الجزيرة عام ١٨٦٣ ونازعتها فى ملكيتها هندوراس •

« لقد حانت الساعة التى يجب فيها عليكم أن تحتلوا مواقعكم الاستراتيجية المشرفة على الطرق والسكك الحديدية • اسجنوا من يرفضون اطاعة أوامركم أو اطلقوا عليهم النار • يا رفاق البحرية هذه فرصتكم لتقديم الدليل على اخلاصكم ، تقدموا واحتلوا مراكزكم فى بحرية كوبا • الحرية يا رفاق القوات الجوية • استمعوا جيدا ، يجب أن تظل كل الطائرات جاثمة على الارض • اعملوا على ألا تقلع طائرة واحدة من طائرات كاسترو • حطموا أجهزتها اللاسلكية ، حطموا ذيولها ، حطموا آلاتها ، اثقبوا خزانات الوقود بها • ارفضوا العمل • بلغوا أصدقاءكم أن الحرية والشرف فى انتظار هؤلاء الذين ينضمون الينا ، كما أن الموت فى انتظار هؤلاء الخونة الذين لا ينضمون الينا » •

وبعد ثلاث ساعات أذيع البيان التالى :

« يا أهالى هافانا ، انتبهوا الى ما نقول • عاونوا جنود جيش التحرير الشجعان • يجب أن تتوقف محطات توليد الكهرباء عن مد المصانع بالكهرباء • فاليوم فى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين حينما تصدر الاشارة من هذه المحطة أضيئوا كل الانوار الموجودة بمنازلكم وأديروا كل الاجهزة الكهربية التى لديكم ولا تقلقوا • ان قوات جيش التحرير سوف تستأنف العمل بهذه المصانع سريعا » •

ومن الواضح أن هذه المحطة التى تدعى أنها تتحدث باسم جيش التحرير الكوبى ما هى الا اذاعة سرية تديرها المخابرات الامريكية لتساعد فى تلك العملية ، ولذلك فانها حاولت أن تخفى هذا النشاط بايجاد حجة لانشائها فأذيع أن شركة ملاحة جبل طارق بنيويورك قد استأجرت الاراضى فى جزيرة سوان لانشاء محطة اذاعة ، ومما يضحك أن موظفى هذه الشركة صرحوا بأنها لا تمتلك أى سفينة فى السنوات العشر السابقة من تاريخ اذاعة هذا البيان •

ولقد أعلن هورتون هيث الذى وصف نفسه بأنه المدير التجارى للمحطة أن راديو سوان سوف يقوم باذاعة الموسيقى والاوبرا والاخبار ، وأن ذلك عمل

تجارى محض ، كما ادعى أن شركة جبل طارق للملاحة كانت تستأجر الارض من سمز سميث الذى كان يعمل رئيسا لمجلس ادارة مصانع نسيج اينجتون القائم فى ١٩ شارع الكونجرس ببوسطن ٠

وحينما قام مراسل احدى الصحف الامريكية بسؤال سميث عن راديو سوان فى بوسطون عام ١٩٦٠ تجنب الاجابة بقوله « اسأل الحكومة » ٠

ولكن الحكومة أعلنت أنها تجهل كل شيء عن هذه المحطة الاذاعية ، وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية « ان المحطة الوحيدة التى أعرف شيئا عنها فى جزيرة سوان هى محطة الارصاد الجوية التابعة للولايات المتحدة » وبهذا الرد الدبلوماسى تجنب المتحدث الحديث عن محطة سوان لان الولايات المتحدة كانت قد أنشأت فعلا محطة الارصاد الجوية عام ١٩١٤ ٠

ومن الغريب أن لجنة المواصلات الفيدرالية المسئولة عن اعطاء التصاريح لكل محطة اذاعة تعمل فى نطاق الولايات المتحدة لم تعط تصريحا لراديو سوان أو لشركة جبل طارق للبواخر ، وقال متحدث باسم لجنة المواصلات الفيدرالية « نحنُ لا نعرف من الذى يملك هذه الجزيرة » ٠

وحينما بدأت المحطة عملها أخذت اذاعة كاسترو تبدى استياءها من هذه المحطة المعادية للثورة التى تدعمها الدولارات الامريكية ، ولقد استمر راديو هافانا فى مقاومه اذاعة راديو سوان والتشويش عليها ، وفى ٢٤ من أكتوبر عام ١٩٦٠ هاجمها راديو كاسترو بقوله « أولئك الكلاب البائسون الذين يتحدثون من راديو سوان » ، ثم قال فى يناير ١٩٦١ « ليس راديو سوان محطة اذاعية ولكنه قفص من الببغاوات المصابات بالهستريا » ٠ وفى سبتمبر عام ١٩٦٠ أعلن رومان ٠س٠ بوسنسكى الديمقراطى من شيكاغو وصاحب منظمة تدعى « راديو كوبا الحرة » أنه سيتعاون مع راديو سوان ، وقد وصف بوسنسكى راديو كوبا الحرة بأنه مؤسسة خاصة لها ست محطات فى فلوريدا ولويزيانا ٠

وكان راديو سوان يذيع فى أثنـاء الغزو الكوبى طوال النهـار والليل ، ويرسل بعض الرسائل بالشفرة ، مثل ذلك أنه أذاع فى الساعة ١٠ر٥٧ مساء ١٨ من أبريل ما يلى :

« انتبهوا ٠٠ ستانسلاوس ٠٠ القمر احمر فى ١٩ من أبريل » ٠

وحتى بعد فشل الغزو استمر راديو سوان فى اذاعة أوامر غامضة لفرق لا وجود لها . ففى ٢٢ من أبريل أى بعد انتهاء الغزو بأيام ثلاثة أرسل راديو سوان أوامره بعدم الاستسلام لعدة فرق وأخبرها أن المعونة فى الطريق ، كما أرسلت الأوامر عن طريق هذه الاذاعة الى « الفرقة الثالثة » كى تتقدم ، وأمرت الفرقتين ٤ ، ٧ أن تتقدما حتى نقطة حدد مكانها ٠

وكان القناع الذى يختفى وراءه راديو سوان قد بدأ يشف عما يستره ، اذ كيف تكون هذه المحطة مؤسسة خاصة وفى نفس الوقت ترسل تلك الرسائل بالشفرات ، وترسل أيضا تعليمات وأوامر الى قوات تعمل فى عملية سرية ٠

ولذلك حدث تغيير جوهرى فى راديو سوان ، اذ تغير اسمه وأصبح يطلق عليه « راديو الامريكتين » ٠ ولكنه على الرغم من ذلك استمر فى اذاعاته للكوبيين يحثهم على القيام بحرق حقول القصب والقيام بمختلف أعمال التخريب ٠

ومحطة Wrul من المحطات ذات الموجة القصيرة التى ليس لها تاريخ مثيل فى الولايات المتحدة ، فقد لعبت هذه المحطة فى السنين الاخيرة دورا علنيا فى عمليات الحرب الباردة، وقد انضمت مع راديو سوان فى اذاعة برنامج «هافانا روز» الموجه ضد كاسترو ٠

وقد سبق أن قامت هذه المحطة عام ١٩٥٤ بمعاونة الثوار ضد الرئيس أربنز فى جواتيمالا ، وتلقت المحطة خطاب شكر من حـكومة كاستيلو أرماس لما قامت به من مساعدة فى الثورة ضد أربنز ، ووقع الخطاب جوزى تورون الذى كان يقوم بادارة محطـة « جواتيمالا الحرة » السرية ، قبل أن يتم القضـاء على حكومة أربنز ٠

ويعتبر « راديو أوروبا الحرة » أكبر المحطات السرية وأشدها اثارة للجدل• وتدعى هذه المحطة أنها محطة خاصة غير تجارية وليست حكومية توجه اذاعاتها عبر الستار الحديدى الى ثمانين مليون أسير فى بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا •

ولقد بدأ راديو أوروبا الحرة ارساله عام ١٩٤٩ مع انشاء اللجنة القومية لأوروبا الحرة • وفى عام ١٩٥٠ قامت هذه اللجنة بدعوة عامة لجمع التبرعات ، ورأس هذه الدعوة الجنرال أيزنهاور والجنرال لوسيوس كلاى بطل عملية النقل الجوىالى برلين عام ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ ، وكان الغرض من هذه التبرعات جمع النقود لتمويل راديو أوروبا الحرة •

ولقد قال أيزنهاور فى أثناء قيامه بالدعوة لهذه الحملة « نحن فى حاجة الى محطات اذاعة قوية فى الخارج تقوم بالارسال دون أى خطر أو رقابة حكومية » •

وتحدث كلاى فى نفس الموضوع فمدح صوت أمريكا ، ولكنه قال « يبدو لى أننا فى حاجة الى صوت آخر ، صوت يتسم بالوقار الحكومى ولكن ينطلق قويا فى اذاعته » •

ولراديو أوروبا الحرة ثمان وعشرون محطة ارسال فى ثلاثة مواقع اثنان منها فى ألمانيا الغربية وهما ببليس بجوار فرانكفورت ، وهولز كرتن بجوار ميونخ ، والثالث فى جلوريا بجوار لشبونة ، ويوجد المركز الرئيسى لراديو أوروبا الحرة بجوار ميونيخ •

ولقد قال متحدث باسم المحطة « نحن نعتمد فى تمويل محطتنا على تبرعات الشعب الامريكى ، ونعتمد بخاصة على اعتمادات هيئة أوروبا الحرة • ان هذه المحطة خاصة تعمل طبقا للسياسة العامة للولايات المتحدة الامريكية •

وكانت « محطة أوروبا الحرة » مثار نقد شديد لما تقوم به من عمليات اثارة ضد الشعوب • وبالاضافة الى ما كانت تقوم باذاعته اشتركت فى عمليات البالون التى كانت ترسل عبر الستار الحديدى محملة بأوراق الدعاية • كما سبق أن وضح فى فصل « أهداف العمليات » •

وفى فبراير عام ١٩٥٦ ادعت حكومة تشيكوسلوفاكيا أن أحد البالونات التى قامت محطة أوروبا الحرة بارسالها فى الهواء تسببت فى اسقاط طائرة ركاب تشيكية فى ١٨ من يناير من العام نفسه فى جبال تاترا بسلوفاكيا • كما قامت موسكو بالاحتجاج على عمليات البالون هذه ، وادعت المجر أن البالونات الامريكية تسببت فى وقوع ثلاث حوادث للطيران •

وقد ردت محطة أوروبا الحرة على ذلك قائلة ان هذه البالونات ليست خطيرة ، وان الدول الاسيرة للشيوعية حاولت اسقاطها بالطائرات والمدفعية ، كما أن المخابرات التشيكوسلوفاكية حاولت مرتين أن تفجر مناطق اطلاق البالونات فى ألمانيا الغربية • واستمر توجيه النقد الى هذه المحطة حتى وصل الى ذروته فى ثورة المجر ، وأخذ العالم يتساءل - بل تساءل الذين يدفعون التبرعات لها - عما تقوم به هذه المحطة من اثارة للشعوب . وقد استمرت المحطة تعطى الوعود الزائفة للثوار بقرب وصول معونة الغرب وعدم الاستسلام وهى تعلم أن هذه المعونة لن تتحقق مما جعل كثيرا من المحايدين يدينونها فى مذبحة بودابست •

ويجدر بنا أن نتساءل هنا : ماذا كان هدف الولايات المتحدة فى سماحها لراديو أوروبا الحرة بتشجيع الشعب المجرى على الثورة برغم أنها لم تكن مستعدة لتقديم أى معونة حربية لها ؟

لقد ثار جدل عالمى حول مسئولية هذه المحطة وبالتالى حول أولئك الذين يشرفون عليها فى واشنطون، وحاولت كل الأطراف أن تتنصل من هذه المسئولية. فقامت محطة أوروبا الحرة بالرد على تصريح آنا كاثلى الزعيمة المجرية التى كانت قد هربت الى الغرب وهاجمت محطة راديو أوروبا الحرة بطريق غير مباشر، اذ قالت « لقد كانت النوايا طيبة وان لم تكن النتائج سعيدة » ، وكان رد الاذاعة أن تصريح الزعيمة ليس صحيحا . كما أعلن متحدث رسمى أن القول أن الغرب وعد بمساعدة المجر هو من اختلاق راديو شيوعى فى ألمانيا الشرقية كان يذيع برامجه تحت اسم راديو أوروبا الحرة •

وقامت حكومة ألمانيا الغربية بتشكيل لجنة للتحقيق فيما وجه الى هذه المحطه من اتهامات ، وأعلن أديناور فى ٢٥ من يناير عام ١٩٥٧ نتيجة هذا التحقيق فى مؤتمر صحفى قائلا أن المحطة بريئة من التهم الموجهة اليها وتقول : أنها وعدت شعب المجر بمعونة عسكرية أمريكية ، ثم أعلن اقفال باب المناقشة فى هذا الموضوع .

وقامت هيئة مجلس أوروبا بالتحقيق فى هذا الموضوع أيضا ، وقد شكلت الحكومات الغربية هذه الهيئة ، وأسفر تحقيقها فى ٢٧ من أبريل عام ١٩٥٧ عن أن المحطة لم تعلن عن مساعدة الغرب للمجر ، ولكنها أضافت أن بعض الاذاعات كانت تؤدى الى سوء فهم للموضوع . وجاء فى التقرير « انه مما يؤسف له أن تمويل هذه المحطة أمريكى ولذلك فان القيادة السياسية والكلمة العليا فيها للأمريكيين » .

وفى يونيو عام ١٩٥٧ أذاعت اللجنة الخاصة التى ألفتها الامم المتحدة للتحقيق فى موضوع المجر بالاتهام الآتى لراديو أوروبا الحرة :

« لقد شعر المستمعون أن راديو أوروبا الحرة يعدهم بالمساعدة ، ولا شك أن هذه النغمة المتفائلة التى كان يرددها الراديو كانت تلقى آذانا صاغية . ويمكن تلخيص اتجاه الشعب المجرى نحو هذه الاذاعة بما قاله أحد الطلاب « لقد كانت أملنا الوحيد ، وحاولنا أن نطمئن نفوسنا بها » . ويبدو أن بعض اذاعات راديو أوروبا الحرة كان يوحى الى المجريين أن المعونة آتية لهم . وترى اللجنة أن من الواجب فى مثل هذه الاحوال اتخاذ الحيطة والحذر الكبيرين فى الاذاعات الدولية » .

وعليه فان كل هذه التقارير تبين أن الاذاعة قد ساعدت على خلق شعور عند الشعب بأن المعونة فى طريقها اليهم . وليس أدل على تأثير راديو أوروبا الحرة فى خلق هذا الشعور مما جاء من تلك الاذاعات التى كانت تذيع من داخل المجر فى آخر أيام الثورة وتناشد راديو أوروبا الحرة أن يعجل من المعونة الموعودة .

وليست هذه المحطات كل ما تديره الولايات المتحدة فهنالك كثير من المحطات السرية توجه الى منطقة الشرق الأوسط بغية اثارة الشعوب المتحررة فى هذه المنطقة على ما سنرى ذلك بالتفصيل فيما بعد ٠

ويعتبر صوت أمريكا الصوت الرسمى لحكومة الولايات المتحدة الامريكية ، وهو الاداة التى تستخدمها المخابرات الامريكية وتقوم عن طريقها باذاعة حول العالم فى ثلاث وستين لغة ٠

وتبلغ مصروفات « صوت امريكا » ٢٢ مليون دولار فى السنة ، ويوجه ٤٠٪ من برامجه الى الدول الشيوعية ، ويوجد فى برلين الغربية محطة تبلغ قوتها ٣٠٠ر٠٠٠ وات يطلق عليها « رياس Rias » ، وهى توجه ارسالها طوال الليل والنهار الى برلين الشرقية وألمانيا الشرقية ، ويقال أنها تحت اشراف مجلس ادارة المخابرات الامريكية .USIA ٠ وفى عام ١٩٦٣ تم العمل فى انشاء محطة ارسال ضخمة فى جرينفيل فى نورث كارولينا وبذلك أصبحت هذه المحطة أكبر محطة طويلة الارسال فى العالم ٠

واذا كان هذا يكفى لكى يكشف عن الدور الكبير الذى يلعبه « الراديو الأسود » فى الحرب الباردة ، فقد يعن لنا أن نتساءل عن محطات الاذاعة السرية التى كانت تعمل ضدنا فى السنوات العشر الماضية . ونسرع فنقول اننا سنعرض لها فيما بعد ونحن بصدد عرضنا للحرب النفسية التى شنت علينا منعا للتكرار والملل ٠

نشرات الاستسلام كسلاح من أسلحة الاقناع :

تعتبر نشرات الاستسلام « مشاة » حرب دعاية ، فهى التى أنهت واجبا استمرت تقوم به الاذاعة لسنوات سابقة بقصد اضعاف معنويات الجبهة الداخلية. والاستخدام الفجائى لنشرات الاستسلام ضد عدو منتصر وغير مهيأ للاستسلام

لا قيمة له ، فلم تأت مثلا نشرات الاستسلام التى ألقاها اليابانيون على الجنود الامريكيين فى جنوب غربى الباسفيك دون أى تهيئة بأى ثمار لانها أسقطت على الجنود فى وقت ثبت لهم فيه أن الموقف يتحسن •

ويتطلب اعداد نشرات الاستسلام الاستخدام التكتيكى لكل العوامل الميسرة للطباعة ، وهذا واجب وحدة الدعاية مع ما يتهيأ لها من قدرة على الاتصال بالقوات البرية والجوية ومعرفة دقيقة جدا عن تحركات العدو وموقفه وتوزيع قواته. ويجب أن تلقى على جنود العدو النشرات التى تبين كيف أنهم ثبتوا فى مكانهم فلا يستطيعون حراكا ، كما يجب أن تهدف النشرات الى جعل الجنود يفقدون ثقتهم بقادتهم هذه الثقة التى تجعلهم يواصلون القتال • وعندما يبدو احتمال الاستسلام يجب أن تعطى للعدو أبسط التعليمات تبعا لما تسمح به الظروف •

ولقد كان من الصعب فى ميدان القتال فى الباسفيك السماح لليابانيين بالتقدم نحو خطوط الامريكيين للاستسلام ، اذ كان يشك أنهم يحملون معهم قنابل يدوية يقذفون بها الخطوط الامريكية فجأة دون أن يعنيهم ما تكون عليه نهايتهم، كما أن الكثيرين من اليابانيين تقدموا حتى خطوط الحلفاء ثم خانهم التوفيق فى ايضاح نواياهم الصحيحة بالاستسلام، وكانت النتيجة القيام باجراءات عنيفة ضد يابانيين آخرين لم يكن فى استطاعتهم الانتهاء الى قرار بالاستسلام أو عدمه ، وعلى هذا روعى أن النشرات اللامعة التى تحمل شرائط ملونة واضحة والتى يمكن رؤيتها من مدى بعيد هى أصلح اشارة للرغبة فى الاستسلام ، ودرب جنود الحلفاء على أن يتوقفوا عن اطلاق النيران عندما يرون جنديا يابانيا يحمل هذا النوع من النشرات •

وقد تعددت صور النشرات التى ألقيت على الجنود لحثهم على الاستسلام ، وكان فى بعضها بيانات حررها جنود من أسرى الحرب يذكرون فيها ما لقوه من رعاية ومن غذاء جيد •

كما أشارت بعض النشرات الى تأمين الجندى الذى يستسلم والى الرغبة فى تطبيق الاحكام التى نظمتها معاهدة جنيف لاسرى الحرب ، ووعدت بعض النشرات بأن يسمح للجندى الذى يستسلم بالاتصال بوطنه وأسرته بواسطة البريد .

والواقع أن عملية الاستسلام صعبة لانها ليست مجرد نقل الولاء من جانب الى آخر . انها عملية لها خطرها ولا سيما بالنسبة لجندى المشاة ، وتتطلب أعصابا قوية لتتم طواعية واختيارا ، فان الجندى الذى يقرر الاستسلام قد يتعرض للقتل بواسطة جندى أو ضابط من وحدته ، أو قد يقتله أى شخص تواق للقتل فى الجانب المضاد ، وقد يتعرض للمحاكمة بمجلس عسكرى بتهمة الخيانة اذا كسبت دولته الحرب وثبت أنه استسلم باختياره .

ويجب ملاحظة أن جندى العدو الذى يحمل معه نشرة من نشرات الاستسلام ليستخدمها عند الحاجة اليها تحول فى الواقع تحولا جزئيا الى جانب العدو .

وقد تلقى النشرات لأغراض أخرى غير الاستسلام مثل الهرب من المناطق المعرضة للخطر ، فعندما يكون معروفا أن بعض الوحدات وضعت بأمر قادتها فى منطقة خطرة ستتعرض لعملية تدمير واسعة النطاق من الجو ومن الارض ، فيمكن أن تلقى على الجنود نشرات تنصحهم بالجلاء عن تلك المناطق فى مواعيد محددة ، والهدف الرئيسى وراء هذا هو احداث فوضى فى تنظيمات العدو ، كما أنها تسبب ضغطا على خطوط المواصلات ولا سيما على بعض الطرق الرئيسية عندما تلقى هذه النشرات على المدنيين أو عندما توجه النصيحة بواسطة الاذاعة للجلاء عن المناطق التى ستتعرض للخطر ، وقد استخدم الانجليز هذا اللون من الحرب النفسية من اذاعتهم العربية فى قبرص أيام العدوان الثلاثى .

وقد بينت تجارب الحرب العالمية الثانية أن القوات التى تفقد روحها المعنوية تتأثر بهذه النشرات الى حد كبير بصرف النظر عما اذا كانت تتحدث عن الهرب من الجيش أو الاستسلام .

على أن هناك حقيقة واضحة هى أن القرار الفعلى للاستسلام قرار يصعب على الجندى اتخاذه ، فهناك عوامل كثيرة تعوق هذا القرار منها الولاء الشخصى والولاء للوطن والضغط الجماعى الى جانب الخوف من المجهول .

وليس من الصواب ـ الا اذا كانت هناك دلائل أكيدة ـ أن نفترض أن جنود العدو التى نواجهها ساخطة وتفكر فى الهرب . وكذا فان استخدام أفكار لا تستهوى الا الافراد الساخطين من الاعداء قد تأتى برد فعل عكسى .

على أنه من جهة أخرى قد يستسلم الجندى الشديد الولاء اذا اعتقد أن الموقف التكتيكى أصبح ميئوسا منه ، وأن مقاومته لا قيمة لها أو أنه لا جدوى عسكرية من الاستمرار فى الحرب أو أنه سيلقى معاملة طيبة عند الاستسلام .

ولا تحتاج النشرات التى تصدر فى أثناء المعارك فى معظم الاحوال الى استخدام أساليب الدعاية السياسية المعقدة ، اذ أن الجندى فى الميدان يكون محدود الأفق . فحينما يسمع صوت انفجار القنابل الشديدة من حوله أو صوت الدبابات وهى تتحرك نحوه فان الاعتبارات الايديولوجية تحتل المكان الثانى فى عقله .

كما يجب ألا تطغى الدعاية السياسية على الدعاية المحلية فى أرض المعركة ، وخير مثل لذلك الأخطاء التى وقعت فيها القوات الامريكية حينما اتخذت الدعاية الأمريكية الموجهة للجندى الالمانى فى أرض المعركة نفس الدعاية التى كانت توجهها الى الشعب الامريكى .

لقد كانت الحرب فى أوروبا تصور للشعب الامريكى أنها حرب ضد هتلر ، وقد وجهت نفس الصورة الى الجندى الالمانى بهدف تقليل مقاومته فى القتال . لقد كانت تهدف هذه الدعاية الى تحطيم الاعتقاد فى هتلر وفى الاسطورة التى خلقها . ولكن من جهة أخرى فان هذه الاهداف لابد أن تخضع أولا للغرض العاجل وهو كسب الحرب فى أقصر وقت وبأقل تكاليف ممكنة . ولقد عوقت

هذه الدعاية تقدم القوات الامريكية ، لأنه نتج عنها تقوية عزيمة المقاتلين الالمان الذين كانوا يؤمنون بزعيمهم ووطنهم ولم يرتضوا للعدو أن ينال منه أو يتهجم عليه ٠

الواقع أن النشرات التي تصدر في أثناء المعارك انما هي فن يحتاج الى قدرة على التكيف مع الموقف الى جانب قدرة قوية فائقة وذكاء كبير من نوع خاص ٠ ومن جهة أخرى فان محاولات التعقيد والظهور بمظهر الذكاء المفرط كثيرا ما أضرت بالدعاية في مناسبات كثيرة في أثناء الحرب العالمية الثانية ٠

فمثلا ظهرت أخطاء كثيرة نتيجة ذلك في احدى نشرات الالمان التي وجهت للفرقة الخامسة والاربعين مشاة الامريكية بعد معركة بلجيكا ، هذه الأخطاء توضح بعض النقاط الهامة الخاصة بكتابة هذه النشرات ٠ ونحن نوردها فيما يلي على سبيل المثال :

الى جنود الفرقة الخامسة والأربعين مشاة :

نشكركم على نشرتكم اللطيفة التي تقولون فيها اننا نحتاج الى بعض الراحة والى عطلات من آن لآخر ٠ ولكن ما رأيكم في القروح الموجودة في أقدامكم ؟ اننا لا يهمنا ألا نحصل على عطلة في الوقت الحاضر ٠

انكم أيضا لا تحصلون على عطلات ٠ ان كل ما يهمنا هو أنكم لن تصلوا الى برلين !

لقد قيل لكم ان الحرب سوف تنتهي في الخريف ٠ ان فرقتكم التي نعرفها جيدا منذ أيام صقلية لم تحقق شيئا مرموقا حتى الآن ٠

ان عددا كبيرا من زملائكم قد مات وسيكون الامر صعبا بالنسبة لمن سيحلون محلهم أليس كذلك ؟ لقد قال لنا زملاؤكم أنهم كانوا « يستمتعون » بالقتال ، ولا عجب فى ذلك !

فهم ليست لديهم فكرة عما يحاربون من أجله ٠

وقد قال أحدهم أنه يحارب من أجل الحرية ، ولكن يبدو أنه لم يكن من الجنود الأذكياء ٠

لقد تركتم الحرية وراءكم ٠

مع أهلكم فى وطنكم ٠٠ مع زوجاتكم وأبنائكم ٠٠ مع صديقاتكم اللاتى تحملون صورهن ٠

انكم وأنتم تطلقون النار من الأوحال تتعرضون للقتل أو للاصابة بعاهة ، وذلك من أجل تجار الحروب والتجار الجشعين الذين يستقرون فى بيوتهم ٠

ان زملاءكم سعداء لابتعادهم عن الوحل ٠ انهم واثقون من العودة الى الوطن أصحاء معافين ، فقد اختاروا الطريق المختصر ، أما أنتم فلا يزال أمامكم طريق طويل ٠ فحاولوا أن تحافظوا على حياتكم ان استطعتم وتذكروا أنكم لا تزالون مطلوبين للحرب فى اليابان ٠

ان الخطأ الواضح فى هذه النشرة هو أنه ليس من المفيد من الناحيه السيكولوجية أن يتبع أسلوب الرد فى الدعاية فى أثناء المعارك ، فالأفراد الذين تصل اليهم مثل هذه النشرة لا يعرفون الا القليل جدا عن الدعاية التى توجه لاعدائهم ٠

كما يجب أن نعرف أن السب والسخرية قد يثيران العداء أكثر مما يؤديان الى ايجاد الرغبة فى الاستسلام ، وحينما تحدثت هذه النشرة لافراد الفرقة ٤٥ بقولها « انها لم تحقق شيئا مرموقا حتى الآن » جعلت كثيرا من الجنود يستميتون فى القتال • وبالاضافة لذلك فان السخرية مما قاله الأسرى تجعل الوقوع فى الاسر شيئا غير مغر • ولكن أهم نقطه هى تأثير الدعوة الماكرة فى فكرة الاسر ، فان النشرة بقولها ان الامريكيين الذين وقعوافىالاسر سلكوا « الطريق المختصر » تدعو للقيام بعمل من أعمال الخيانة وهو الاستسلام •

ولذا فان هذه الطريقة لا تتسم بالحكمة وليست ضرورية حتى فى حالة الرجال الساخطين •

ان الحرب النفسية واستخدام أنواع التكتيك المختلفة فيها يمكن أن يوضحا الطريق الذى يبشر بالنجاح •

فالمقابلات الشخصية الطويلة مع أسرى الحرب المتعاونين ، والوثائق التى يمكن الحصول عليها من العدو والتى تتعلق بدعاية الجانب الآخر واختبارات الذاكرة التى تجرى على عينات من الأسرى وتحليل الدعاية المضادة ، كلها أشياء من أنواع التكتيك المختلفة التى لابد منها لاختبار مدى فاعلية أى طريقة جديدة فى الدعاية فى أثناء المعارك •

النشرات الصحفية كأسلحة للحرب :

ظهرت أهمية نشرات الاخبار التى تصدر فى أثناء المعارك فى الحرب العالمية الثانية كوسيلة فعالة من وسائل الحرب النفسية • وسنحاول هنا أن نحدد الدور الكبير الذى لعبته ثلاث نشرات كانت تصدرها القوات الأمريكية فى أوروبا وهى الـ Frontpost, Mirreilungen, Feldpost •ولقد أتاحت سياسة النازى التى كانت تقوم على منع الاخبار أو تشويهها بالنسبة للشعب والجنود الفرصة لدعاية الحلفاء لسد هذا الفراغ واشباع رغبة الجندى الالمانى فى الحصول على الأخبار •

ولم يكن امداد القوات الالمانية بالمطبوعات الجيـدة الطبع والجيدة التحرير المشوقة مجرد خدمة بلا مقابل ، فقد أعد كل سطر بحيث يسـهم فى الهـدف الأساسى لدعاية الحلفاء ، وهو اضعاف قدرة العدو على المقاومة وتأكيـد ضياع الامل فى موقفه وتشكيكه فى زعمائه وفى قضيته والوصول به الى الحالة العقلية التى تؤدى به الى التسليم • ومن ناحية أخرى كان ينظر الى هذه العوامل على أنها ستنقذ حياة جنود الحلفاء وتسرع فى انهاء الحرب •

لقد كانت فرقة الحرب النفسية الملحقة بالجيش الثانى عشر ـ وقد وضعت هذه الأهداف أمام عينيها ـ تعمل متخذة من الاخبار ذخيرة ومن الصحف المكتوبة بالالمانية سلاحا • لقد حررت الطبعة الاولى من الـ Frontpost فى خيمة العمليات فى حقل بالقرب من سانت سوفور St. Sauveur فى نورمانديا • وكانت الأخبار والمادة الخام التى تشكل منها الصورة النهـائية تأتى فى ذلك الوقت عن طريق وحدة استكشاف تعمل من سيارات خاصة •

ونظرا لعدم وجود امكانيات للطبع فى المنطقة المجاورة للمعسكر كان لابد من طبع الطبعة الاولى من النشرة فى رينيه Rennes فى بريطانيا • وقد صممت الصحيفة ومحتوياتها فى سانت سوفور ثم أرسل رجلان بهـا الى رينيه حيث سلما المادة الى المطبعة وراجعا البروفات وراقبا الصحيفة حتى خرجت من المطبعة وقد أضيفت لها أخبار اللحظات الاخيرة من جريدة يملكها الفرنسيون ، وكانت تطبع فى نفس المطبعة • ثم نقلت النسخ المطبوعة على عربات الجيب وأعيدت الى المعسكر لتعبئتها فى قذائف المنشورات •

وكانت الطبعة الأولى من هذه الصحيفة مكونة من ورقة واحـدة مقاسهـا ٣٥٫٥ × ٢٥ سم ومطبوعة على الوجهين وكانت تتبع الأسلوب الصحفى وتحتوى على موضوعات تشابه ما يخرج فى الصحف اليومية ، فكانت تحتوى على الاخبار وخريطة للجبهة الغربية وبعض أخبار الرياضة فى ألمانيا وأحد الألغاز •

ولم يكن بها مقالات مدبجة للدعاية ولا مقال افتتاحى ولا دعاية مفتوحة واضحة • وقد تضمنت الطبعة الاولى كذلك رسـما كاريكاتوريا ، وظل الرسم

الكاريكاتورى أحد بنود الصحيفة فى جميع الاعداد التالية ، ثم نقل فيما بعد بنجاح كبير الى الراديو فى عمود سمى « اليانكى يتكلم » وكان المقصود من هذا أن يكون صوت جندى أمريكى عادى يتحدث الى جندى ألمانى عادى عبر خطوط القتال • وكان الصوت همسا ولكن بطريقة غير ودية • وكان هذا العمود فرصة طيبة لاظهار الحديث من شخص الى شخص بطريقة غير رسمية وبشىء من الصراحة لم يكن يتوافر فى كثير من الوسائل الاخرى المخصصة للدعاية • وعندما انتقل هذا المظهر الى الاذاعة فيما بعد كانت فقرة « اليانكى » تنتهى دائما « بنكتة » ولكن لم تكن الفكرة هنا لمجرد الترفيه عن الجندى الالمانى بل كان يقصد بها الدعاية فى صورة مقبولة ومناسبة ، وكانت « النكتة » مضحكة دائما الى أبعد حد ممكن ولكنها كانت تتضمن ناحية سياسية أو تشكيكا فى زعامة النازى أو تعليقا تهكميا على الموقف العصيب الذى كان الجندى الالمانى يواجهه •

ان العمود الخاص « باليانكى » يوضح الطريقة المستعملة فى نشر الـ Frontpost ثم الـ Feldpost فيما بعد •

وقد استخدمت جميع الوسائل التى أمكن تعلمها من التجارب الصحفية فى قارتين لتحقيق هذا الهدف • وكانت الوسائل تشمل طريقة تقديم الأخبار فى قصص اخبارية على طريقة صحيفة النيويورك تايمز وطريقة الأخبار اللافتة للنظر أو الاخبار المتعلقة باهتمامات الانسان وهى الطريقة التى تتبعها صحافة هيرست وصحف البوليفارد فى أوروبا • وكان هناك شعور بأن كل هذه الوسائل طالما كانت لا تحيد عن قاعدة الصدق الاساسية ، تظل مقبولة على أنها وسائل تستطيع الدعاية عن طريقها أن تحقق أهدافها بسهولة •

وقد يكون من المهم سرد بعض الوسائل الصحفية المستعملة •

كانت هناك أولا الطريقة الصحفية العادية القائمة على العناوين التى تجذب الأنظار وتثير الانتباه والاهتمام بقدر الامكان • والى جانب هذا استعملت الطريقة الروتينية التى تعتمد على الكتابة المثيرة والعناوين اللافتة الى جانب

القصص القصيرة الواضحة الخالية من التفاصيل التى لا لزوم لها أو التعليقات المطولة • وعلاوة على ذلك كانت الـ Frontpost تكتب أخبارا هامة من داخل ألمانيا ، وذلك لكى تعطى الجندى فكرة عما كان يحدث خلف ظهره •

لقد كانت تنشر الوثائق السرية التى يحصل عليها قسم مخابرات الحرب النفسية الملحق بالجيش الثانى عشر وكان الهدف من نشرها أن تبين :

١ ــ عدم الكفاءة وعدم الدقة وعدم التنظيم فى دوائر الفيرماخت Wehrmacht أى القيادة العليا للقوات المسلحة •

٢ ــ الفساد وعدم الاكتراث وسوء الادارة فى زعامة النازى •

وكانت هذه الوثائق السرية تطبع أحيانا تحت عنوان ثابت وهو Geheim أى « سرى » وذلك لكى تعطى الجندى الألمانى شعورا بأنه كان يطلع على أمور خافية عليه • وكانت تطبع بتواريخ دقيقة وأسماء وأماكن وأرقام مضبوطة وذلك للقضاء على أى شعور بأن هذه الوثائق مؤلفة فقد كان للكثير منها طابع حساس بحيث تثير مثل هذا الشك •

ولما كانت هذه المطبوعات توزع على الجنود الألمان التى تواجه وحدات الجيش الثانى عشر مباشرة فقد بذلت كل الجهود للتركيز على المادة التكتيكية • وكانت مخابرات الحرب النفسية تفحص يوميا ليستخرج منها كل البنود التكتيكية الممكنة الاستعمال • وكانت هذه البنود تطبع عادة فى مواعيد منتظمة تحمل عناوين مثل « أخبار المجتمع » أو « أضواء على الفيرماخت » • وكان قسم التحرير يعتبر هذه البنود من أهم البنود فائدة وفاعلية ، وكانت أهميتها تقوم على أساس أنها ترضى الرغبة فى معرفة أسرار الناس وفضائحهم نظرا لأنها كانت تتحدث عن شخصيات ومواقف من النوع الذى يثير اهتمام المحاربين والتى يجرى تكرارها ومناقشتها • وقد عرف من الاستفسارات أن هذه الاخبار كانت تثير الدهشة بل خيبة الامل عندما كان الجنود يعرفون ما كان يجرى داخل الجيش

الالمانى • وكانت بعض الاخبار تهدف الى التسلية المجردة • ولكن كان أغلبها يدل على عدم الكفاءة وعدم النظام وعدم الدقة وعدم كفاية الامدادات والقيادة ، وكانت هذه الاشياء تزيد من تذمر الجنود ومن الاحتكاكات بين الضباط والجنود •

وأخذت هذه النشرة تتطور حتى أصبحت تطبع فى باريس وخرج أول عدد لها بشكلها الجديد فى أواخر أغسطس عام ١٩٤٤ بحجم أصغر من الأعداد السابقة .

وتقرر فى نوفمبر تغيير مواعيد اصدارها بحيث تطبع مرة واحدة أسبوعيا ولكن فى أربع صفحات • وكان العدد الأول المكون من أربع صفحات هو العدد رقم ٣٣ بتاريخ ١٣ من نوفمبر سنة ١٩٤٤ وكان العنوان الرئيسى فيها « اعادة انتخاب روزفلت » وقد فتحت الصفحات الأربع المجال أمام هيئة التحرير للتوسع فى تصوير الشخصيات بالكاريكاتير والصور • أما صفحات الأخبار فانها لم تتغير، بل استمرت فى الظهور على صورة آخر الأخبار الواردة باللاسلكى. ولقد استعملت فى الصحيفة عدة طرق لزيادة اهتمام القارىء ، فأضيف اليها بعض الصور المتحركة « الكارتون » كما كانت تظهر بعض مقتطفات من خطابات لم يتسلمها أصحابها الى جانب قائمة طويلة بالعناوين التى كانت على هذه الخطابات • وكانت الصفحة الثالثة تحتوى دائما على تقرير خاص أو شخصية مع الصور الفوتوغرافية اللازمة ، كما كانت تطبع صور زوجات الجنود الالمان وأطفالهم التى توجد فى الخطابات وكان ذلك يهدف الى اثارة الحنين الى الوطن كما كانت تكتب بعض القصص التى تتخذ مادتها من هذه الخطابات التى كتبها الجنود الالمان من حصن ميتز Metz قبل سقوطه ، مثل قصة فشل مهمة جنود المظلات فى هيدت Heydt أو التقاء أحد أسرى الحرب بزوجته وأولاده عن طريق سلطات الجيش الامريكى ، وتقرير بالصور عن كيفية معالجة الجرحى والمرضى من أسرى الحرب فى المستشفيات الامريكية وهكذا •

وكانت هيئة التحرير تدرس دائما تقارير استجواب الجنود لتتأكد من اتجاهات الجندى الألمانى • ما الذى كان يمنحه القدرة على الاستمرار فى

القتال وما الذى لا يجعله يستسلم ؟ وما الذى يقال له بحيث يضعف من روحه المعنوية ويجعله أكثر تقبلا لفكرة الاستسلام ؟ وكانت الـ Frontpost فى أخبارها وشخصياتها تعرض مادة تقوم على الاجابة عن هذه الأسئلة • وفى نفس الوقت فانها وغيرها من مطبوعات الجيش الثانى عشر كانت تعمل على التقليل من قيمة خطوط الدعاية الالمانية دون أن يبدو أنها ترد على الدعاية النازية . ومن الافكار المستمرة الاخرى فكرة التفوق الساحق للحلفاء بالقياس الى ضعف امدادات الألمان • وكانت هذه احدى الوسائل الهامة لاثارة شعور ما لدى الجندى الألمانى الذى يجعله يقول « ما الفائدة ؟ » ومن الكلمات الاخرى المثبطة للهمم درس النطق فى اللغة الانجليزية الذى كان يوجه للجندى الالمانى مع استمرار تأكيد كلمة « استسلام » • وقد عمل كليشيه لهذه الكلمة ، فكانت تطبع فى عشرة أماكن مختلفة من العدد الواحد •

وحتى ديسمبر سنة ١٩٤٤ استطاعت الـ Frontpost أن تحقق الشعار المطبوع على الركن الأيمن العلوى من الصفحة الاولى من كل عدد والذى جاء فيه « ان القوى لا يخشى الصدق » ، ومنذ بدأت الصحيفة فى الظهور كانت الاخبار طيبة من وجهة نظر الحلفاء ، وفى مثل هذه الظروف لم يكن من الصعب قول الصدق • وعندما بدأ الهجوم الالمانى المضاد واجهت الـ Frontpost أول اختبار لها فى معالجة الاخبار التى ليست فى صالح الحلفاء والتى تشجع الالمان • وقد واجهت هذه المشكلة بطبع الحقائق فقط • وقد جاء فى العدد الذى صدر فى ٢٥ من ديسمبر سنة ١٩٤٤ بالخط الكبير الذى يمر بالاعمدة الاربعة « الهجوم الالمانى المضاد » وقد جاء فى القصة الرئيسية « لقد تحولت الفيرماخت الى الهجوم على جبهه طولها مائة كيلو متر فى الغرب • وهناك وحدات قوية من القوات المدرعة والمشاة تتقدم فى المنطقة التى تمتد من جنوب مونشو Monschau الى حدود لكسومبورج الالمانية •وتؤيد القوات الجوية الالمانية Luftwaffe الهجوم ، وقد احتلت القوات الالمانية فى كثير من الاماكن مساحات كبيرة من الأرض » •

ويمكن وصف هذا العنوان أو هذا الخبر بأنه صريح وحقيقى عن واقعة لم يكن هناك ما يجبر الصحيفة على نشره • وقد استمرت الطبعات التالية تسير فى نفس الاتجاه ، فكان عنوان العدد التالى « رأس رمح من القوات المدرعة فى بلجيكا » • ثم ظلت تقارير المعركة تطبع بنفس الطريقة حتى تمت تصفية هذا الهجوم •

وعلى كل فان المشرفين على الصحيفة لم ينسوا أنهم يروجون للدعاية قبل أن يكونوا صحفيين ، أى أنهم لم يروا أن وظيفتهم مجرد تزويد الجنود الالمان بالاخبار ولكنهم كانوا يرون أن واجبهم الاول هو أن يحققوا الدعاية عن طريق نشرة الاخبار •

وقد ثبت فى أوائل نوفمبر أن اسقاط الـ Frontpost بواسطة الطائرات لم يكن يفى بالحاجة الى نقل الاخبار الى القوات الالمانية فى الميدان لان عمليات الاسقاط قد لاتصل الى الاماكن التى يراد التأثير فيها • ولعلاج هذا الموقف تقرر اصدار صحيفة صغيرة الحجم يمكن اطلاقها من قذائف المدفعية • وظهر العدد الاول من هذه الصحيفة الصغيرة الحجم والتى سميت Feldpost أى Field Post بالانجليزية بتاريخ ٥ من نوفمبر سنة ١٩٤٤ وكانت تصدر فى أول الامر مرة كل أسبوع ثم مرتين كل أسبوع •

ولقد كان لفيلد بوست نفس أهداف « فرونت بوست » أختها الأولى ، كما كانت تتبع نفس أسلوبها • وكانت تشمل نفس الشخصيات ولكن فى صورة مصغرة • وحتى فى هذه الصورة المصغرة للصحيفة المحدودة المساحة كان من الممكن ضغط جميع عناصر الصحيفة وهى الاخبار الصحفية الهامة والخرائط والصور الفوتوغرافية والكارتون ودروس اللغة الانجليزية • وكان من الممكن تغيير الشكل العام للصحيفة من عدد لآخر بحيث لم يكن هناك عددان متشابهان . وكانت الفيلد بوست تجد قبولا كبيرا من الجنود • وقد شعر المحررون بسرور كبير عندما علموا أنه عند الهجوم على الراين نقلت آلاف النسخ من الفيلدبوست فى أحد قوارب الهجوم لكى تقذف على الشاطىء الشرقى •

ومنذ البداية كانت هناك نسخة أخرى من الفيلد بوست باللغة الانجليزية وكانت توزع على جنود المدفعية وغيرهم من رجال الجيش الذين كانوا يشتركون فى توزيعها • فقد كان هناك شعور بأنه لابد لهؤلاء الاشخاص من أن يعرفوا ما كانوا يقذفونه على الأعداء وأنهم سيؤدون عملهم بحماس أكثر وبفهم أكبر اذا تمكنوا هم أنفسهم من قراءة الصحيفة التى كانوا يساعدون فى توزيعها على الأعداء •

وعلى الرغم من الشعور بالحاجة الى نسخة أخرى من الفرونت بوست عندما صدرت فان تحقيق ذلك كان صعبا لكثرة العمل وقلة عدد العاملين •

وقد أمكن أخيرا اصدار عدد باللغة الانجليزية من الفرونت بوست من أربع صفحات لتوزيعه على الطيارين والسلاح الجوى الذى كان يقوم بالقاء الصحيفة على الألمان •

لقد كانت جميع المطبوعات التى تصدرها جماعة الحرب النفسية الملحقة بالجيش الثانى عشر حتى نهاية نوفمبر سنة ١٩٤٤ مقصورة على الدعاية بين المحاربين، وتهدف الى التأثير على القوات الألمانية التى تواجه جنود الجيش الثانى عشر لاضعاف روحهم المعنوية ومقاومتهم والايحاء اليهم بالاستسلام • ونظرا لازدياد مساحة الأراضى التى أصبحت خاضعة لسيطرة الجيش الثانى عشر ظهر هناك عمل جديد فى مجال النشر ، فقد تقرر أن الوقت حان لنشر صحيفة للمدنيين خلف خطوط القتال •

وهكذا بينما كان قسم التحرير يوالى نشاطه الخاص بالدعاية بين المحاربين اتسع نشاطه الى مجال المدنيين• وعلى الرغم من ذلك فقد كان على المطبوعات الجديدة أن تؤدى وظيفة حربية هامة وهى المساهمة فى احلال النظام والحياة الطبيعية فى المناطق الواقعة خلف الجبهة •

وقد ظهر العدد الاول من الصحيفة المدنية بتاريخ ٢٧ من نوفمبر عام ١٩٤٤ وكان العنوان الرئيسى الذى تحمله هو « لقد حررت ستراسبورج » وأطلق على العدد الاول « الاخبار الجديدة » ولكن العدد التالى والاعداد التالية كانت تحمل اسم « الانباء » ٠

وكانت صحيفة الأنباء فى حجم الصحف العادية وتتكون من ورقة واحدة مطبوعة على الوجهين ٠ وبدت الصحيفة فى مظهرها ومحتوياتها كأى جريدة عادية وليست صحيفة للدعاية وكانت الاخبار تكتب بطريقة عادية واضحة دون تعليق ٠ ولكن الصحيفة كغيرها من الصحف التى كانت تصدر للعسكريين لم تكن مجرد خدمة مجانية للألمان ولكن كان الهدف منها أن تؤدى وظيفتها العسكرية ووظيفة خاصة بالاحتلال ٠

وكان من أهم وظائف « الأنباء » أن تنشر البيانات والقرارات والاوامر الخاصة بالقائد العام للقوات المتحالفة الى جانب الأوامر والتنظيمات الخاصة بالحكومة العسكرية ٠ وكانت الصحيفة تشمل جميع المجالات فى ألمانيا المحتلة من السياسية العليا الى الموضوعات الأخرى مثل تحذير الناس فى كولون بضرورة غلى الماء قبل شربه ٠

وكانت الصفحة الأولى من « الأنباء » تخصص للأحداث التى كانت تقع فى جبهات القتال المختلفة شرقا وغربا ثم الاخبار القصيرة عما كان يحدث فى جميع أنحاء العالم ثم بيان للجنرال أيزنهاور ٠ أما الصفحة الثانية فكانت مخصصة لبعض الشخصيات مع بعض الصور الخاصة لشتى مظاهر التعمير فى ألمانيا المحتلة الى جانب أخبار من المنطقة المحتلة مع القاء الضوء على العودة الى الحياة الطبيعية وكيفية مواجهه المشكلات وحلها الى جانب أحكام المحاكم العسكرية ٠ كما كانت تظهر فى هذه الصفحة أخبار عن ألمانيا التى يحكمها النازى ومقتطفات من الخطابات التى كانت تلقى فى الامم المتحدة وبرامج الاذاعة الى جانب بند كان يسمى « ظل سرا حتى الآن » ، وكان هذا البند قائما على

فكرة أنه خلال السنوات الاخيرة كانت الاخبار ذات الاهمية الدولية تخفى عن الشعب الالمانى أو تقدم له بصورة مشوهة • وقد بدأ هذا الباب فى اعطاء الالمان فكرة دقيقة عما كان يحدث فى العالم وفى بلادهم فى الوقت الذى كانت فيه الدعاية الالمانية تخفى عنهم عمدا الاخبار الهامة أو تشوهها •

ولقد ظهرت الحاجة الى بعض المطبوعات الأخرى مثل Mirreilungen فى أثناء الهجوم الألمانى المضاد ، وأحس الشعب الألمانى فى المناطق المحتلة بالقلق الشديد لهذا الهجوم • وقد أحس الاشخاص الذين كانوا يعملون مع الحلفاء بالرعب والخوف على حياتهم من عودة الالمان وكان البعض الآخر لا يعرف ما الذى سيحدث بعد ذلك ، وأصبح المجال مفتوحا أمام مروجى الشائعات • وفى هذا الجو كانت هذه الصحيفة بتقاريرها الصريحة الواضحة عن الموقف وبخرائطها الدقيقة تقرأ بشغف كبير ، وكان لظهور الصحيفة فى ميعادها وبتنسيقها المعتاد أثر واضح • وقد قالت جماعة الحرب النفسية عن اصدار هذه الصحيفة فى هذه الفترة أنه « عمل شجاع للقضاء على الشائعات وعلى انتشار القلق خلف خطوطنا » •

الكتيبات :

وعندما تتوافر وسائل الاسقاط الجيدة من الجو فان النشرات يمكن أن تدعم باسقاط الكتيبات • وتعطى الكتيبات لرجل الدعاية حيز التحرير والصور وهذا يمكنه من مناقشة حجج العدو تفصيليا وبعمق ، كما أنه من الممكن أن تقدم الكتيبات نقاشا معاونا معضدا ، وبذلك يمكن مواجهة دعاية العدو للمدنيين على مستوى واحد • والكتيبات نافعة فى الرد على مجادلات العدو ولا سيما اذا كانت هذه تعتمد على بيانات رسمية أو على احصائيات أسىء عرضها عن قصد ، ومن ثم فهى تتطلب تفنيدا ودحضا نقطة اثر نقطة •

وعلى خلاف النشرة فان الكتيب قد يصعب اخفاؤه أحيانا • وفى المناطق التى تشتد فيها رقابة بوليس العدو يجب أن يعطى الكتيب تمويها واقيا حتى يسهل تبادله بين الناس •

ولقد أعد الامريكيان دينيس ماك ايفوى ودون براون من ادارة استعلامات الحرب كتيبا ليلقى من الجو على اليابان وقد خط على غلافه بأحرف كبيرة « عدو ٠٠ تحذير ٠٠ هذا الكتيب من مطبوعات العدو أصدرته حكومة الولايات المتحدة ومن يجده يجب أن يذهب به من فوره الى أقرب مركز للبوليس » ٠

كان الكتيب يعرض بالموقف العسكرى الذى تواجهه اليابان ، ووجه الى رجال وموظفى البوليس ٠

وكان ما خط على غـلاف الكتيب دافعـا الى ألا يستبقيه رجال البوليس وأسرعوا فى ارسال ما وجد من النسخ الى رؤسائهم على اختلاف درجاتهم كنماذج من دعاية العدو ٠

وقد طبعت الحكومة اليابانية كتابا بالانجليزية بشكل الكتب الامريكية التى تباع بخمسة وعشرين سنتا مع وضع شعار ناشر أمريكى معروف وكل سمات الكتب الأمريكية وما يختص بحق النشر والترجمة ونحو هـذا ، وكان الكتاب يعارض حرب روزفلت التى أثارها ضد اليابان ، ثم وزع الكتاب على اليابانيين كمطبوعات للعدو مستولى عليها وذلك لاقناع اليابانيين والشعوب الآسيوية التى تناصر اليابان على أنه توجد معارضة للحرب العالمية الثانية داخل أرض الولايات المتحدة نفسها ٠

كما أصدرت أغلب الدول المحاربة فى أثناء الحرب العالمية الثانية كتيبات تحض على ادعاء المرض للتخلص من أداء واجب الاسهام فى جهود الحرب ٠

وقد كشفت هذه الكتب عن أن نظام الرقابة الطبية غير كاف وان كل فرد يجب أن يعمل لنفسه وأن المرض الكاذب هو فى الغالبية البديل الوحيد للمرض الحقيقى ، وقد موهت الكتيبات بحيث تبدو مثل الكتيبات الصغيرة التى توضع فى علب الادوية أو حتى الكتب الرسمية التى تصدرها حكومات الاعداء ، وأعطت النشرات تعليمات لكيفية ادعاء مرض السل أو أمراض القلب وغيرها ٠

عمليات التخريب :

من الممكن ـ بمعاونة الوطنيين الغيورين على وطنهم ـ اكساب الدعاية التى توجه الى مدنيين أصدقاء فى بلد يكون العدو قد اجتاحها واحتلها قوة وفاعلية اللهم الا اذا كانت بعض الاعتبارات السياسية الهامة تمنع هذا التعاون وتحد منه. ويتطلب هذا النوع من العمليات تعاونا وثيقا بين القائمين بالدعاية المكشوفة العلنية وبين القائمين بالعمليات السرية وبعمليات التقويض والتخريب .

ولقد شهدت الحرب العالمية الثانية هذا الطابع المشترك فى كل الجبهات واستخدمه اليابانيون استخداما جزئيا أيام غزو الملايو واحتلال بورما . وفى أثناء العمليات على خط سكة حديد الصين سنة ١٩٤٤ كان الوطنيون الذين يقفون الى جانب العدو يعتبرون من جانب الامريكيين على أنهم « كويز لينجيون » على حين شرفهم اليابانيون واعتبروهم وطنيين غيورين على مصالح وطنهم .

وتسبب عمليات الدعاية السوداء التى تجرى بجرأة ارباكا للعدو . فاسقاط عدة أطنان من العملة المزيفة تزييفا جيدا لابد أن يحدث اضطرابا لادق النظم المالية ، وتتم عمليات تزوير أوراق النقد فى وقت السلم بمواد رخيصة سيئة وفى مصانع بدائية ثم انها تتم سرا تحت ظروف اجهاد وتوتر عصبى ، أما عمليات التزوير التى تحدث فى وقت الحرب فانها تجرى بواسطة وكالات حكومية ، ومن ثم فانها تكون جيدة التزوير بدرجة كبيرة .

ويمكن القيام بعملية هجومية أخرى من هذا الطراز باسقاط مجموعات من مختلف أنواع بطاقات التموين على السكان المدنيين فى بلاد العدو مع تعليمات بسيطة لاتمام عملية التزوير حتى تكون البطاقات صالحة للتداول وللاستبدال بملابس أو بمواد تموينية ، وقد أسقطت هذه البطاقات على المدنيين فى ألمانيا ، وقد أمكن ارباك نظام التموين على أساس أن الكميات التى صرفت بهذه البطاقات كانت كبيرة جدا مما كاد يجن معه أولئك الذين يحملون مسئولية تنظيم الامداد بالمواد الغذائية .

ومن الممكن فى البلاد التى يقاسى الناس فيها الأمرين من الاجراءات العتيقة أن تلقى آلاف البطاقات الشخصية والعائلية الجيدة التى تحمل أختاما جيـدة التزوير ويستطيع الأهلون لأغراض خاصة أن يستخدموا هذه البطاقات المزورة ، ومن ثم يربكون كل اجراءات الأمن ، وتفشـل كل اجراءات السـيطرة على تحركات المدنيين •

والفكرة وراء كل هذه الأنواع من الدعاية السوداء اثارة القلاقل فى بلاد العدو بالاضافة الى كسب ود جماعات من بين المواطنين مما يسهل نشر الشائعات وسط الجماهير فى بلاد العدو حيث تهمس بأن جماعات ثورية جيدة التنظيم معدة اعدادا تاما وانها تنتظر الوقت المناسب للقيام بدورها لانهاء الحرب •

فاذا قلنا أن « الدعاية البيضاء » يمكن أن تقارن بالقاء القنابل الحارقة لبلبلة قوات العدو المسلحة عن طريق احداث اضطراب فى الجبهة الداخلية من خلفها ، كان من الممكن أن تقـارن « الدعاية السوداء » برقائق القصدير التى تستخدم لتضليل الرادار •

ان ضربات « الدعاية السوداء » توجه مباشرة نحو أمن العدو ، وتحمله أعباء وأعمالا جسيمة ، وبذلك تزيد من الفرص أمام « العملاء » الذين يسقطون فى أرض العدو لينجحوا فى أعمالهم الخطيرة التى يكلفون بها •

دبابة الدعاية :

ولقد استخدم مكبر الصوت فى الحرب العالمية الثانية وتطور استخدامه ببطء ، فقد أعدت وحدات متطورة فى حملة شمال أفريقية وفى الساحل الايطالى وفى « انزيو » وعمليـات نورماندى ، ولـكن كان مكبر الصـوت لا يزيد مداه على ٢٠٠ ياردة مما حدد استخدامه بدرجة كبيرة كما استخدم الاسطول الامريكى هذه الطريقة بأن جعل الطائرات تطير على ارتفاع قليل فوق جزر الباسـفيك وتخاطب الجنود اليابانيين الموجودين على الارض بواسطة مكبرات الصوت •

وقد تحقق النجاح عندما أمكن ايجاد نوع من مكبرات الصوت وضع على شاسيهات الدبابات فساعد على زيادة مداه الى مسافة ميلين ، وعلى سبيل المثال كانت هناك دبابة مع أحد فيالق الحلفاء تلقى عشرين حديثا كل يوم من أيام آبريل سنة ١٩٤٥ ، وكانت الأحاديث القصيرة تلقى قبيل الاشتباك ، ثم يتوقف القتال الوقت الكافى الذى يمكن الأسرى من أن يفدوا فى جماعات كبيرة •

ان كل جندى يعمل فى القوات المدرعة يعلم أن أهم مميزات العمليات التى تقوم بها الدبابة هى احداث صدمة • ان هذه الصدمة تصيب عقلية العدو وتزيد من قلقه وتشل قدرته على القتال • ان الحرب النفسية هى ذلك الفرع من القوات المسلحة الذى يهتم أولا باضعاف قدرة العدو على الحرب ، وذلك عن طريق التسلط على عقله . وقد يظن الانسان أنه بسببهذا التشابه فان الحرب النفسية والاسلحة المدرعة تعمل دائما جنبا الى جنب • ولكن بسبب الاستخدام المحدود للدعاية فى المعارك فى اثناء الحرب العالمية الثانية فان هذين السلاحين لم يستغلا معا خلال هذه الفترة القلقة من السلام •

ان دعاية المعارك التى يحسن استخدامها تستغل السرعة والعنف والمفاجأة ، وهذه هى العناصر الكافية فى كل هجوم مدرع حسن التنظيم لزيادة تأثير الصدمة بدرجة كبيرة . ان تأثير هذه الصدمة يصيب العدو بحالة من القلق تجعله غير قادر على أن يحارب بشجاعة بل قد تجعله يستسلم • ونظرا لقلة ما هو معروف عن عمليات تركيب مكبرات الصوت على الدبابات فان القاء نظرة على عمليات الحرب العالمية الثانية لها قيمتها •

لقد استخدم مكبر الصوت المثبت على دبابة مع طابور متقدم من الفرقة المدرعة الثانية الامريكية ، وعندما وصل الى احدى المدن المحصنة انتشر الطابور وبدأت المدينة فى اطلاق النار على المدرعات • وهنا صدر الحديث من مكبر الصوت وقال لحامية المدينة ان هنـاك قوة مدرعة ضخمة تقف على مشـارف المدينة • كما قالت هذه الاذاعة أيضا للشعب أن القائد لا يريد تدمير المدينة •• ثم قيل للحامية بعد ذلك ان المدفعية الامريكية موجهة اليهم •

وبواسطة أجهزة اللاسلكى الموجودة فى الدبابة جرى اتصال بالمدفعية الأمريكية التى أطلقت ست قنابل تحتوى على نشرات صغيرة بها تعليمات خاصة بالاستسلام • ثم قيل لأهل المدينة أن قاذفات القنابل المقاتلة تحلق فوق رؤوسهم • ثم طلب قائد الهجوم الجوى الى احدى طائرات القتال أن تهبط قليلا فهبطت وألقت قنبلة تحتوى على مجموعة من النشرات فى منتصف المدينة • ثم تقدمت الدبابات بعد ذلك دون أن تطلق النار فى حين استمر مكبر الصوت يطلب الى المدينة أن تستسلم • وبينما كانت الدبابات تتقدم فى مواجهة ستار من النيران الخفيفة توقفت هذه النيران ورفعت الرايات البيضاء واستسلمت الحامية المكونة من ٨٠٠ جندى مسلح بالمدافع المضادة للدبابات •

ومما لا شك فيه أن هذه العملية كانت مثالية ، فقلما تكون النتائج بهذا النجاح ، وقلما يكون التنسيق بهذا الكمال • وعلى أى حال فهناك عدة مظاهر هامة للدعاية الخاصة بالمعارك يمكن الوصول اليها عن طريق هذه العملية • وأهم هذه المظاهر أنه ليس هناك من يستسلم للدعاية ، ولكن الذين استسلموا انما استسلموا للقوة العسكرية ولهجوم الدبابات • وهناك فكرة خاطئة تنتشر لسوء الحظ بين كثير من الاوساط وهى أن الحرب النفسية انما هى سلاح سحرى يعمل بمفرده لتحقيق نتائج مدهشة • انه فى الحقيقة ليس الا سلاحا مساعدا ، وان تكن قوته لا ينظر اليها النظرة التى تستحقها • انه كأى سلاح مساعد لا يمكن له أن يحقق نتائجه الكاملة الا بالتعاون مع الاسلحة الاخرى • ففى هذا الوقت السابق لم ترد الدبابات ولا أسلحة المشاة المساعدة على النيران التى أطلقت عليها • وهذه احدى وسائل الدعاية فى أثناء المعارك ، وهى تستغل عملية الصدمة التى تسببها الدبابات الى أبعد حد • فعندما تبدأ عملية تبادل اطلاق النار ، فان العدو يجد شيئا من الراحة ويزول بعض قلقه بانشغاله بالعمليات ويصبح من الصعب تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من النتائج النفسية • وهذا يبين ضرورة التدريب على هذا النوع من العمليات فى زمن السلم • ان الامساك عن اطلاق النار عملية لا يقدر عليها الا وحدة جيدة التنظيم والتدريب •

وعلاوة على ذلك فلابد من تدريب جندى المشاة الذى يعمل مع الوحدات المدرعة والجندى الذى يعمل فى الدبابة على أن يفكرا بطريقة الحرب النفسية ٠

ففى الوقت الذى يبدأ فيه العدو فى التسليم يستطيع أى جندى أن يغير موقفه نتيجة المعركة باطلاق النار على الجنود المستسلمين ، فهذا يجعل العدو يشعر بأنه قد غدر به ويعاود القتال بعنف من جديد ٠

وهناك مجموعة من الاسئلة يجب طرحها فى أثناء التدريب لمعرفة جوابها مثل : ما أحسن مكان تتخذه الدبابة التى بها مكبر الصوت فى الهجوم ؟ كيف يعلق جهاز الراديو الملحق بها ؟ من الذى يجب أن يتولى القيادة فيها ؟ عن طريق أى سلسلة من القيادات ؟ ثم هناك أسئلة فنية عن أحسن طريقة لتزويد الاجهزة بالكهرباء وأحسن موضع لمكبر الصوت فوق الدبابة وأنسب مسافة يمكن منها سماع المكبر فى الاراضى المختلفة والاجواء المختلفة ٠

والى جانب هذا لابد من تقييم المزايا الاضافية المختلفة التى تنتج عن وجود الدبابة ذات المكبر ٠ ومن أبرز هذه المزايا استخدام المكبر فى تنظيم المشاة فى أثناء الهجوم ، فان صوت المكبر يمكنه أن يصل الى اذن كل جندى من المشاة فى الحال دون حاجة الى أن ينتقل عبر شبكة اللاسلكى ٠ فبعد أن تنتهى الدبابات من قذف أحد المواقع الحصينة بالمدافع مثلا يمكن اخطار المشاة بهذا عن طريق مكبر الصوت ، وبهذه الطريقـة يستطيع أن يقوم بالهجوم فى الحال دون ذلك التأخير الذى يتيح الفرصة للعدو لاعادة تنظيم نفسه ٠

ولابد كذلك من التعرض لمسألة عدد الدبابات التى تحمل مكبرات للصوت ولمسألة القيادة التى تتبعها ٠ ان لاسلحة القتال أهمية كبيرة فى هذا الصدد ، ورغم ذلك فان قليلين من خبراء المدرعات أعطوا هذه المسألة الاهتمام اللازم ٠

واذا نظرنا الى المستقبل فان مكبرات الصوت ستلعب دورا بالغ الأهمية فى الوحدات المدرعة التى تنقل بالطائرات . ففى العمليات الجوية ـ وهى العمليات

التى تسبب صدمة فى أعنف صورها ـ سوف يدوى صوت المكبرات المتحركة فى جميع أرجاء المنطقة • انها تستغل كل فوضى أو اضطراب يحدث فى أى منطقة ، وتدعو العدو للتسليم ، وتزيد من مخاوفه باحداث أصوات المعارك وتزيد من الفوضى عن طريق الاوامر التى تعطى للجنود •

ولزيادة فاعلية الاسلحة المدرعة تحتاج الى مكبرات الصوت التى توضع فى الدبابات ، كما تحتاج الى تكتيك الدعاية فى أثناء المعركة • ولكى تكون الدعاية التى تنشر فى أثناء المعارك ذات فاعلية لابد لها أن تعمل مع المدرعات والقوات المحاربة المتحركة الاخرى ، ولابد أن يتم هذا التنظيم سريعا •

الطائرة كاحدى وسائل الاستخدام :

قد يتبادر الى ذهننا أن الطائرة لا يمكن استخدامها فى الحرب النفسية بأكثر من سلاح فعال يساعد العمليات الحربية فى تقويض الروح المعنوية للعدو ، أو لالقاء النشرات • ولكن الطائرات استخدمت فى الماضى القريب كوسيلة ناجحة من وسائل الدعاية كما يظهر من المثال التالى :

استطاعت تركيا فى الحرب الماضية أن تظل محايدة طوال الحرب ، وكان كل من الحلفاء ودول المحور يخطب ودها • ولكن ألمانيا النازية كانت تعلن عن نيتها على ارغام تركيا على الدخول فى الحرب الى جانب المحور ، ولتحقيق ذلك عين النازى واحدا من أقدر ساستهم فون بابن Von Papen سفيرا لألمانيا فى أنقرة •

وكانت كل من ألمانيا والولايات المتحدة تتنافس فى صرف المبالغ الطائلة لاغراء تركيا لكى تقوم بعمل يتفق وموقف كل منهما ، أى تنضم كشريك فى تحالف عسكرى يهدف الى هزيمة العدو •

ولعبت الدعاية دورا كبيرا فى التقريب بين تركيا وألمانيا النازية ، فقد استغلت قوة ألمانيا العسكرية ووجود قواتها على مسافة قصيرة من تركيا عبر الممرات فى بلغاريا ورومانيا للتأثير عليها للانضمام الى ألمانيا •

وهكذا كان من الميسور لكثير من الاتراك أن يروا ويسمعوا نتيجة للشائعات المبالغ فيها قصصا عن مدى تقدم التكنولوجية الالمانية بالقياس الى دول الحلفاء • ومن الطبيعى أنه لم يكن ينتظر من تركيا الا أن تعمل على ألا تنضم الى الجانب الخاسر محافظة منها على مصلحتها الوطنية •

وفى عامى ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ شعر رجال المخابرات الامريكية فى تركيا بتشاؤم كبير نحو المستقبل . اذ كانوا يلاحظون كيف كان الأتراك يتأثرون تأثرا كبيرا بامكانيات الحرب المتزايدة لدى الالمان • لقد كان الاتراك يراقبون الطائرات الالمانية وغيرها من معدات الحرب على مدى قريب وكانوا يعلمون ـ كما كان يقال لهم دائما ـ أن هذه المعدات قد أدخلت عليها تحسينات كثيرة بالنسبة لما كان قبل الحرب • ومن ناحية أخرى لم يكن المواطن التركى العادى يعلم الا القليل عن الطائرات الامريكية أو عن انتاج الدبابات وغيرها من الاسلحة العسكرية •

ولكن الموقف تغير فجأة ، فقد تحقق عن طريق حادث عرضى اقناع الاتراك بأن الأمريكيين ليسوا متخلفين عن الألمان فى سباق التسلح الجوى ، وهكذا أمكن التأثير بطريق غير مباشر نتيجة الدعاية غير المباشرة التى سببها هذا الحادث على الحكومة التركية لكى تحتفظ بحيادها •

هذا الحادث العرضى يتلخص فى أن احدى قاذفات القنابل الأمريكية فقدت بملاحيها بعد أن قذفت حقول البترول فى رومانيا بالقنابل ، فقد أجبرت على أن تهبط اضطراريا فى أحد المطارات التركية حيث تم التحفظ عليها • وسرعان ما شاع الخبر فى تركيا أن احدى قاذفات القنابل الامريكية هبطت فى الاراضى التركية وانها لا تقل فى تسليحها وقوتها عن الطائرات الألمانية ، على عكس ما كان يقال قبل ذلك •

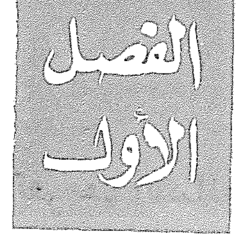
ان فقد هذه القاذفة والتحفظ على ملاحيها قد تحول الى ميزة نفسية كبيرة فى جانب الولايات المتحدة • فبالرغم من أن الحادث لم يكن من أعمال الحرب النفسية المدبرة فقد كانت له نتائج هامة من ناحية الدعاية • ان تأثير الطائرة على الشعب التركى كان أقوى بكثير من التأثير الذى كان من الممكن أن يحدث عن طريق الألفاظ والكلمات التى تستخدمها وسائل الاعلام التقليدية . وقد قيل : أنه لم يكن هناك أى شك فى أن تركيا ستقاوم الضغط النازى ، وستستمر فى سياستها المحايدة بعد هذا الحادث •

الباب الخامس

الشائعات في المجتمع

- الفصل الأول
  الشائعات .. والمجتمع
- الفصل الثاني
  تصنيف الشائعات
- الفصل الثالث
  سيكولوجية الدوافع
- الفصل الرابع
  تحليل الشائعة
- الفصل الخامس
  مقاومة الشائعات





الشائعات والمجتمع

ماذا تعنى كلمة شائعة ولماذا وجدت فى المجتمعات المختلفة ؟ هل هناك ضرورة الى وجودها ؟ وهل سلمت البشرية منها على مدى التاريخ ؟

هل نستطيع أن نضع قانونا محددا أو بمعنى آخر معادلة جبرية لخلق أى شائعة ؟ وما العلاقة بين الشائعة وأى أسطورة تركها لنا أجدادنا وصدقها الكثيرون ؟ هل فى استطاعة أى باحث أن يحدد بدقة ووضوح معالم كل شائعة فى جدول أو يضع لها رسما بيانيا ؟

هذه الأسئلة قد راودتنى فعلا حينما فكرت فى أن أكتب عن الشائعات كسلاح رهيب من أسلحة الحرب النفسية التى تفتك بمعنويات الشعوب وتهدف غالبا الى شل فكر الانسان وجعله ينقاد كما ينقاد قطيع الغنم الذى يهيئه راعيه نحو المستقبل المجهول، أو ينطق نطق الببغاء الذى يردد مالا يعقله، ويحكى مالا يفهمه .

والواقع أن من المنطق أن نجيب عن تلك الاسئلة قبل أن نسبر غور الدوافع الطبيعية فى الانسان ونرى كل ما يساعد على ترويج الشائعات • غير أننا سنحاول تفسير الدوافع السيكولوجية التى تخلق أى شائعة وترويجها ، على أن يلى ذلك تحليل الشائعات ، ثم ننتهى بدراسة للطرق الممكنة لمقاومة هذه الظاهرة الرذيلة • هذا هو المنهج الذى سنلتزم به فى معالجتنا هذا الموضوع • وستتعرض له كل فصول هذا الباب •

تعريف الشائعة :

ليس من السهل أن نضع تعريفا دقيقا محددا لكلمة الشائعة ، فهى تحمل كثيرا من المعانى التى سنحاول أن نبرزها هنا ، ويعرف الشائعة كل من جولدن البورت وليوبوستمان (١) فى كتابهما سيكولوجية الشائعة بأنها « اصطلاح يطلق على رأى موضوعى معين مطروح كى يؤمن به من يسمعه ، وهى تنتقل عادة من شخص الى آخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل » •

على أنه كثيرا ما تنتقل الشائعة عن طريق : الصحافة ، أو الاذاعة ، أو أجهزة الاعلام الاخرى •

وهى تتسم بصفة التناقض ، فقد تبدأ على شكل حملات هامسة أو تهب كريح عاصفة عاتية ، وقد تكون مسالمة لا تحمل أكثر من تمنيات طيبة للمستقبل ، أو مدمرة تحمل بين طياتها كل معانى الحقد والكراهية والتخريب • وهى من جهة أخرى أشبه بموج البحر الذى يعلو فجأة على سطحه ثم يغطس ثانية الى قاعه ليعاود الظهور اذا ما تهيأت الظروف المناسبة ، وعلى كل حال فهى وباء اجتماعى يصيب الانسان ولا يستطيع أن يبتعد عنه أو يتخلص منه بسهولة •

ولما كانت تتضمن عادة موضوعا معينا ، فان الاهتمام بها يكون مؤقتا • فهى تروج فى الظروف الملائمة للموضوع ، ثم تنتهى بموتها ودفنها ، على أنه من ناحية أخرى قد تعاود الظهور مرة أخرى اذا ما وجدت الارض الخصبة المناسبة •

هذا والشائعة تمس أحداثا مثل الحرب ، والفيضانات ، والكوارث، وارتفاع الاسعار ، والعلاقات السياسية والموضوعات الاقتصادية •• الخ ، كما تمس أشخاصا مثل : رئيس الدولة ، أو رجال الحكومة، أو الصحفى ع• أو السيدة س•

---

(١) The Psychology of Rumour, Allport and Postman New York, 1948,PP. IX, X, XI.

هذه بعض النماذج لأهداف الشائعات ، مع أن هناك أشكالا أخرى ملموسة تظهر فيها مثل : الثرثرة ، والنكات ، والتقولات ، والقـذف ، والتنبؤ ـ بخير أو شر ـ بالأحداث المقبلة ٠

وليست كل الشائعات من نسيج الخيال ، فقد يكون بعضها لا أساس لـه مطلقا ، وقد تعتمد على جزء من الحقيقة فيها لخلق كيانها وترويجها ٠ ويجب أن نفرق هنا بين الخبر والشائعة ، فالخبر يعتمد على البرهان والدليـل القاطع أمـا الشائعة فان برهانها يكون باهتا غير واضح ٠ فمثلا اذا نشرت صحيفه ما قانون تأجير المساكن فان ذلك يعتبر خبرا صحيحا ، ولكن حينما يبدأ نقل هذا الخبر بين الافراد مبتعدين عن حقيقة ما جاء به فهنا تبدأ الشائعة ، ويستمر ترديدها دون برهان ولا دليل ، حتى يكاد يصدقها الكثير من الناس وتأخذ فى النهاية أسلوبا معينا فى الترويج ، مثل ذلك « أنهم يقولون ٠٠٠ » أو « سمعت من مصدر مسئول أن ٠٠٠ » أو « لدى أخبار مؤكدة بأن ٠٠٠ » الخ ٠

وهنالك شرط أساسي لاكتمالها ، وهو أهمية الحدث أو الشخص مع ضرورة توافر الغموض الذى يكتنف الشائعة علاوة على الدوافع النفسية التى تبعث على خلقها وترويجها كما سيجىء ذلك فيما بعد ٠

ان الشائعات تروج عندما تكون للأحداث أهمية فى حياة الأفراد ، أو عندما لا ترد عنها أخبار قاطعة ، أو عندما تكون الأخبار غامضة ٠

وقد ينشأ هذا الغموض عندما يصل الخبر محرفا ، أو عندما يصل الى الفرد أخبار متضاربة ، أو اذا عجز عن فهم هذه الأخبار ٠

على أن الشائعة ليست دائما كاذبة وليست دائما قصة خبيثة ٠ وقد تقوم بدور فى تسرب المعلومات ولا سيما فى أثنـاء الحرب حينما تكون الرقابة على المعلومات العسكرية ضرورية بالنسبة للأمن القومى للبلاد ٠

فلو فرضنا أن احدى الطائرات أسقطت فى معركة جوية على أرض الوطن وأسرع الاهالى الموجودون بالمنطقة نحوها لانقاذ ملاحيها فان أولئك الناس لا يمكن أن يروا مثل هذا المنظر دون أن يتحدثوا عنه لاصدقائهم •

ومن جهة أخرى فان أجهزة الاعلام لن تتحدث عن مثل تلك الأمور لدواعى الأمن حتى لا تقدم للعدو معلومات سرية ، ولكن تداول الحديث بين من رأوا الحادث وانتقاله الى أصدقائهم وهلم جرا سوف يعمل على نشر المعلومات بواسطة الشائعات •

وقد تجىء المعرفة الشخصية بأى حادث عن طريق أقل مباشرة من المثال السابق ، ومع ذلك يؤدى الأمر الى انتشار الحقيقة كشائعة •

فقد يعاد أحد الجنود الجرحى من الميدان الى أرض الوطن للعلاج ، وبوصوله الى المستشفى يحضر أهله وأقاربه لزيارته ، وفى مثل تلك الحالات غالبا ما يتعارف أقارب الجنود الجرحى ويسمعون من بعضهم البعض أخبارا تعتبر من الأسرار العسكرية ، وهكذا يتجمع جزء من هنا وجزء من هناك وتنتشر شائعة عما يدور فى أرض المعركة ، وسرعان ما تتطور الشائعة وتنمو ليكون لها طابع قصصى أفضل •

وقد تخلق الشائعة من مجرد بعض تخمينات تقوم على بعض حقائق معروفة ، فالجنود الذين يجتمعون فى أحد المعسكرات انتظارا لنقلهم الى أرض المعركة انما يعنون بلا شك بمعرفة قصدهم والمكان الذين سينقلون اليه •

ومن الطبيعى وهم فى هذا الموقف أن يقوموا بعدة تخمينات ، فيدور فى أنحاء المعسكر كثير من الشائعات ، فاذا لم يكن الجنود جيدى الضبط والربط ، وعلى مستوى عال من التدريب والوعى وعدم الثرثرة، فان أى اشارة أو حتى مجرد حدس أو تخمين على أساس طبيعة المعدات المزودين بها لابد أن توجد الجو الذى ينشر الحقائق فى شكل شائعه •

ولما كان الرجال يحبون القصص التى يصطنعونها ويرفضون الشك فيها ، فان اجاباتهم لما يشكون فيه ويروونه تكون دائما ايجابية وأكثر تفصيلا ، مما يزيد من معقولية الشائعة ، وفى هذه المرحلة تنسب الشائعة الى « مصدر موثوق » ، بل قد تنتشر على أساس أنها بيان من « ضابط ذى مركز كبير » أو « شخص من القيادة العامة » •

ولكن بالرغم من أن الشائعات تتضمن أحيانا حقيقة ، أو قد تقوم على أساس من الحقيقة ؛ فنحن لا يمكن أن نعتمد عليها ، فهى فى الغالبية مجرد تلفيق يستغلها مروجو الشائعات عن عمد لمعاونة العدو كجزء من الحرب التى تدور بالكلمات •

الشائعة والتاريخ :

لا يستطيع الانسان أن يتخيل مجتمعا منذ بدء الخليقة يخلو من الشائعات ، فهذه كغيرها من أحاديث الانسان ظاهرة اجتماعية لازمة • والواقع أن فى تاريخ البشرية أمثلة واضحة تبين أن الشائعة وجدت على الارض مع الانسان ، بل أنها عاشت وتبلورت وترعرعت فى أحضان كل حضارة وثقافة ، وكثيرا ما يحدث أن يظل موضوع شائعة معينة كأنما هو غير قابل للاستنفاد ، وان كان يأخذ أشكالا متنوعة فى أوقات مختلفة ، بل قد يحدث أن يتبلور أحد هذه الاشكال ليصبح اسطورة لا تموت •

ان الشائعات المختلفة سواء كانت قصيرة العمر أو طويلة ، معادية أو مدمرة تعتبر من أخطر الاسلحة الفتاكة للمجتمعات البشرية • ويمكن أن نشبهها بسم الخنجر السام الذى يطعن الابرياء من الخلف مستغلا أحط صفات الانسان من جبن ونذالة ، وغالبا ما يعصف هذا السلاح بكيان مجتمع أو أصول حضارة •

لقد أقلقت الشائعات الحكام منذ فجر التاريخ بدرجة جعلت بعضهم يتجسس على رعاياه بموظفين متخصصين ينقلون اليهم ما يهمس به الناس من الشائعات ، وكانت قصص كل يوم تعتبر « بارومترا » للشعور العام • وعند الضرورة كان هؤلاء الموظفون يقومون بترويج الشائعات المضادة ، ومعنى هذا أن الحرب النفسية ليست شيئا جديدا •

ولقد أشار القرآن الكريم الى كثير من الشائعات التى روجها ضعاف النفوس والمغرضون من اليهود والكفار والمنافقون حول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه وحول باقى الأنبياء والمرسلين بغية هدم الدعوة المقدسة والتشكيك فيها . ويلاحظ أن الشائعات التى لاكتها الألسنة حول الرسول وصحابته فى صدر الاسلام لم تجد فى مكة الجو الملائم لها قبل الهجرة ، ولكنها وجدت فى المدينة الجو الخصب المناسب لانتشارها : حيث يكثر اليهود ، وحيث ظهرت طوائف جديدة لم يعرفها الاسلام فى المدينة الأولى للدعوة وهى مكة . ومن هذه الطوائف المنافقون الذين مرنوا على النفاق وخبروه جيدا ، وبخاصة عندما كثر عدد المسلمين وقويت شوكتهم .

وكثيرا ما يجد الحاسدون والمراءون والمنافقون فى مثل هذه الأجواء الطاغية باحداثها المثيرة بمشروعاتها لاصلاح العمران مجالا لترويج شائعات هدفها التقليل من اهمية ما يجرى من أحداث واصلاحات ، أو تشويه أشكالها أو التشكيك فى نواياها . ومن بين تلك الشائعات ما أثير من جانب المنافقين حول عائشة[1] أحب زوجات النبى واتهامها فى عرضها فى أثناء احدى غزواته .

---

(١) حديث الافك ، وخلاصته أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى احدى غزواته ومعه السيدة عائشة على عادته فى أن يأخذ معه احدى زوجاته بالدور فى الغزوات . وحدث أن انتهت المعركة وعادت القوات العربية بدون السيدة عائشة التى كانت تقضى بعض حاجاتها ولم تتمكن من اللحاق بالمحاربين . ولما لم تجد أحدا جلست مكانها لعل الجيش يفتقدها فاذا لم يجدها يعود أحد لحملها ، ولما رآها بعض الصحابة المتخلفين جالسة وحدها حملها على جمله الى المدينة ، ولما رآها بعض الصحابة من ضعاف الايمان على جمل هذا الصحابى تكلم عنها وأشاع ما يمس شرفها . وأخيرا جاءت براءتها من السماء فى ١٤ آية من سورة النور ، أولها « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم » الى قوله تعالى «أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم» ولعل الحادث كان فيه تأديب وتهذيب للمسلمين الذين خاضوا فى الحديث دون علم ، وعلمهم الله كيف يعالجون مثل هذه الأمور فى المستقبل بحكمة حتى لا تضر غيرهم . ومن نماذج التأديب الالهى فى هذا « ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » وبهذا كانت تفخر السيدة عائشة بأن براءتها جاءت من السماء .

ولما كان هذا القول يمس شرف الرسول الكريم فقد تغير من ناحيتها حتى مرضت وذهبت الى بيت أبيها أبى بكر الصديق ولزمته فترة من الزمن تعانى مع الصحابى الجليل أشد الضنك من جراء هذا الحادث وما راج حوله من شائعات ٠

وفى تحليلنا السيكولوجى لهذه الحادثة اذا افترضنا أن الحقائق كما رواها الشاهدون صحيحة ، وأنهـا تمثل ديناميكية الشائعة فان أثر الكارثة كان على الرسول والمسلمين فظيعا ، بل كاد يعصف بالعقيدة التى ينادى بها محمد ، ومن ناحية أخرى فانها تسعد الكفار والمرتدين وضعيفى الايمان لانها سلاح بتار يقوض من عزيمة المؤمنين . وهذا يعطى الجزء الاول من المعادلة الاساسية لاى شائعة ، وهو أهمية الحدث ، أما الجزء الآخر من المعادلة فيتمثل فى أن أصل الحادث منقول وغير مؤكد وهو ما يطلق عليه تعبير الغموض ٠

كانت كراهية الكفار والمترددين لمحمد الذى جاء يهدم عقيدتهم هى التى أوحت بهذه المعادلة ، ومن ثم كان لابد لهم أن يحولوا انتقامهم وحقدهم الى كبش فداء يتمثل فى عائشة رضى الله عنها ٠

وفى قصة مريم حينما أنجبت عيسى من غير أب نشر اليهود حولها شائعات تمس الشرف وتشكك فى المسيح ٠

لقد كان الابن رمزا للمعجزة الالهية . تكلم فى المهد ، وأبرأ الاكمة والأبرص: وأحيا الموتى باذن الله ، وكان نبيا ورسولا الى بنى اسرائيل يعلمهم الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ٠

كما نجد فى قصة امرأة العزيز ومنازلتها لفتاها يوسف حينما راودته عن نفسه صورة أخرى من أثر الشائعات على الابرياء ، ولقـد أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعصم نبى المستقبل فى مصر من أقاويل السوء والشائعات التى حاول المغرضون الصاقهـا به ، فهيأ له دخول السجن بضـع سنين حتى يقضى على الشائعات التى حوله وهو منها برىء ٠

ولقد أرسلت الشائعة سقراط الى موته بتهمة أنه كان يفسد أخلاق الشبان في أثينا ويدفعهم الى التمرد والعصيان .

وقامت الحروب فى القرون الوسطى نتيجة للمغالاة فى رواية قصص المعجزات والجرائم والاسلاب . وبعد ذلك بقليل بدأ المكتشفون ينتشرون في الأرض بحثا عن كنوز الأساطير وعن أكسير الشباب ، أو لالقاء نظرة على وحوش البحار التى نسمع عنها فى الشائعات ، ومهدت أحوال الكنيسة البابوية وحياة رجال الدين الخاصة الطريق لظهور قصص لا تنتهى ساعد بعضها على التمهيد لحركة الاصلاح الدينى .

ولقد كانت الشائعة أيضا هى التى عاونت على قيام الثورة الهندية عام ١٨٥٧ ، ففى ذلك الوقت كان الجنود يستخدمون بنادق تعمر من أعلى الماسورة ، وكان عليهم أن ينزعوا بأسنانهم قطعة من الورق المشحم من طرف كل «خرطوشة» حتى يمكن أن يسقط فى ماسورة البندقية بعض البارود قبل أن « تبيت » « الخرطوشة » في مكانها تماما . وبدأت الثورة بسبب الشحم الموضوع على الورق . لقد قيل للمسلمين أن هذا الشحم شحم خنزير وانهم بهذا يجعلون عن قصد كل جندى مسلم يضع شحم الخنزير المحرم فى فمه ، وقيل للهنود أن هذا شحم البقر ومن ثم فانهم يجعلون كل جندى هندى يضع عن عمد شحم حيوان مقدس فى فمه . وانتشرت الشائعة انتشار النار فى الهشيم ، وحاول الانجليز عبثا أن يصححوا الأمر ، وأن يجعلوا الجنود يقومون بأنفسهم بتشحيم ورق الخرطوش بالزبد النباتى ولكن كل هذا جاء متأخرا ، فقد كانت الثورة قد بدأت عملها .

هذه بعض النماذج من الشائعات التى لم تتورع من محاولة النيل من أطهر البشر ، والتى أدت بكثير ممن يحملون مشعل الانسانية اما الى السجن واما الى الموت ، كما أن التاريخ يزخر بكثير من الشائعات التى لا تزال أصداؤها قائمة حتى الآن بين ثنايا المجتمعات المختلفة وفى الاساطير المسجلة . ولكن هل لا تزال

الشائعة فى وقتنا هذا تلعب نفس الدور الذى كانت تلعبه فى الأزمنة الغابرة ، وهل كان للاختراعات الحديثة أثر على ديناميكية الشائعة أو على مدى درجة تأثيرها فى المجتمع ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عنه حينما نتحدث عن الشائعة كأساس للتصديق ٠

الشائعة والأسطورة :

سبق أن حاولنا فى تعريفنا للشائعة أن نحدد بعض المعالم والسمات الرئيسية لها ، والان يمكننا أن نتفهم العلاقة بينها وبين الاسطورة ٠ وقد لا نكون مغالين اذا اعتبرنا أن الاسطورة ما هى الا شائعة تجمدت على مر الزمن ، أو بمعنى أدق هى شائعة غير عادية تناولها التاريخ بالتحريف والتغيير ثم ثبتت دون تغيير بعد أن انتقلت من جيل الى جيل ٠

وفى تعريف الاسطورة(١) يقول كل من لابيير La Piere وفارنزورت Farnsworth « الاسطورة عبارة عن شائعة أصبحت جزءا من تراث الشعب الشفهى ، ومن الناحية اللغوية كثيرا ما تستخدم كلمة شائعة مكان اسطورة والعكس صحيح » ٠

وفى بحث نشرته دائرة المعارف البريطانية(٢) عن « الانثروبولوجيا الاجتماعية » عرضت للأحاديث المنقولة بأن قالت : « انها تعنى حكايات الناس وأساطيرهم التى تنتقل شفاها من جيل الى آخر وتحفظ من الضياع بقوة ذاكرة الذين يتوارثونها طبقة بعد طبقة وانها تخدم غرضين أساسين ، فهى من ناحية تحدثنا بتاريخ الشعوب ، ومن زاوية أخرى فهى ثقافة تصويرية تحدد مكانة صاحبها فى المجتمع الذى يعيش فيه ٠

---

(١) Encyclopedia Britanica, 1961 Volume 20 - P. 869, Oral Tradion.

(٢) The Psychology of Rumer, Allport and Postman 1948 P. 163.

ففى أسطورة صحبة الكلب للانسان[1] وخدمته له على الرغم من أن القصص التى دارت حولها ضرب من ضروب الخرافات فى تقدير المستويات العلمية والثقافية الحاضرة ، فان هذه الاسطورة تحتل جانبا كبيرا من قصص الرواة عن الحاميين الزنوج بصفة عامة ، وعند النيليين بصفة خاصة ٠ فمن المعروف أن الحيوانات

---

(١) تقول احدى قصص الاسطورة أن : الأسد ، والضبع ، والفهد ، والكلب ، والقط الوحشى كانوا جميعا أخوة أشقاء عدا الكلب اذ كان من أم أخرى كانت الزوجة الثانية . ومات الأب الذى لم تذكر القصة من هو تاركا وراءه من الماشية والحمير والأغنام والدواجن ٠ وفى ذات يوم جمع الأسد اخوته وقال لهم : « يجب أن نقتسم اليوم ما تركه أبونا » . وادرك الكلب أن الاسد يريد ابعاده لتقسيم التركة بينه وبين الاخوة الاشقاء ، فاصطحب معه صديقه الثعلب وذهب الى مساكن الرجال عند طرف الغابة ، فأسرع الأسد بعد أن ابتعد الكلب وأخذ الماشية لنفسه وأعطى الحمير للضبع وترك الأغنام للفهد ، وكانت الدواجن من نصيب القط الوحشى ٠ وقص الكلب على الرجل قصته وطلب منه أن يعاونه للحصول على حقه فوعده الرجل خيرا وامسك بحربته وحمل فأسا ثم سار يجد والكلب معه حتى أقبلا على المرعى الذى يحفظ فيه الأسد ماشيته ووجداه عند طرف الطريق وقد تأهب للقتال فسأل الرجل الأسد « أليس الكلب شقيقك من أبيك ؟ فأجاب الأسد بالايجاب ٠ فسأله الرجل لماذا تغتصب منه حقه وحق امه ؟ فما كان من الأسد الا أن حاول الانقضاض على الرجل الذى وجه حربته اليه ليقتله فوثب الأسد فوق السياج نحو الغابة تاركا وراءه الماشية التى أمر الرجل الكلب باقتيادها ، واللحاق به ٠ وسارا الى مكان الضبع ودارت نفس المناقشة بين الرجل والضبع وانتهت بفرار الضبع تاركا الحمير فاقتادها الكلب مع الماشية وتكرر الحديث مع الفهد والقط الوحشى ، واستعاد الانسان للكلب كل ما خلفه أبوه من بعده وحمل الجميع الى منزل الرجل وظن الرجل أن عمله قد انتهى ٠٠ ولكن الكلب قال للرجل « ليس بى من حاجة الى هذا كله ، ان كل ما أحتاج اليه قليل من اللبن الحامض مع الدجاجات التى تموت ٠٠ وكل ما استعدته من اخوتى هو لك لأنك أنت الذى جئت به ممن أراد اغتصابه ، وثق أنهم يتربصون بك ، فلو سقط الأسد على ماشيتك مزقها ٠٠ ولو جاء القط والفهد والضبع لقتلوا دواجنك وأتلفوا زراعتك ٠٠ فابقنى الى جانبك أحرسها لك ٠٠ فان عجزت عن الدفاع عنها تهب أنت لنصرتى بفأسك وحربتك » ٠

واتفق الانسان والكلب على هذا ٠٠ وبقى الكلب منذ ذاك اليوم فى خدمة الانسان .

كتاب الثقافات الأفريقية ١٩٦٥ ـ محمد عبد الفتاح ابراهيم ٠ مكتبة الأنجلو المصرية ص ٤٩ ـ ٥١ ٠

لا تتكلم ولا تتناقش ولا تفكر الا في نطاق محدود ، وتصرفاتها في أغلب الأحيان غريزية ذاتية . ولذا فان مثل هذه الاسطورة تقيم الكثير من طابع الحياة في المجتمع على أساس أن هذه القصص ما هى الا الظل التصويرى لحياة الشعوب وما يدور فى مجتمعاتها ، كما أنها من زاوية أخرى تمكننا من سبر غور ما فى المجتمع نفسه من حكمة وخبرة مما يساق على ألسنة الحيوان ، وغالبا ما نخرج من مثل هذه القصص بالموضوعات التى تتحدث عن أصول الأشياء أو عن أصل الانسان ، أو عما حققه فى الحياة كانسان آدمى .

على أن الاستاذ كلوكهون[١] يرى أن فى الاسطورة قوة اجتماعية ، اذ أن الاستشهاد بالماضى ليس مجرد تفسير للحاضر وايضاحه ، بل أنه يجعل هذا الحاضر صالحا وخاصة عن طريق الاقاصيص والاساطير التى فيها مسحة من القداسة ، والتى تستمد منها كل المجتمعات أسس تنظيمها الاجتماعى ودعامة معنوياتها .

وهكذا تعيش الاساطير لأنها تعالج حالات العقل التى لا تموت ولا تتغير . انها توفر الاجابة على ألغاز الحياة كما أنها تفسير الشعور الانسانى العميق . وبمعاونة الاسطورة يأخذ العالم معنى التبلور والاستقرار على حد قول كمبال يونج Kimball Young [٢] ، كما يقول : أن الاطار الذى ترسمه الاسطورة يجعلنا نشعر بالامان فى استمرار آيديولوجياتنا .

ان قصص بطولات العرب السالفة لا تزال تملأ نفوس سامعيها من العرب بروح الاستقرار والفخر بأسلافهم ، وكغيرها من الاساطير فانها تعتبر أدوات للتفسير والتوضيح فى أثناء حياة الانسان القصيرة على ظهر هذه الارض .

---

(١) Kluckhohn, Clyde, Mirror of Man, London, 1950.

(٢) Young K., Social Psychology, F. S. Grofts and Coy., New York, 1936, P. 437

أما الاساطير التى تعالج القوى الاولية والكون والمعتقدات فيطلق عليها اسم الأساطير الدينية . ولما كانت هذه الأساطير تعالج جزءا كبيرا من فلسفة الحياة التى تشترك فيها الجماعة ذات الحضـارة الواحدة فانها تقاوم التغير ، وبالرغم من وجود قصص كثيرة عن الخلق وعن الحياة الاخرى وغيرها فان كلا منها ثابت داخل دائرته الثقافية • ان ما يتناقله جيل بعد جيل محفوظ فى أشكال ملموسة ، فان الأساطير والشائعات لا تحتوى عادة على لغة مجردة حتى عندما تقوم بمعالجة موضوعات عالمية • ان الموضوعات التى تعالجها الاساطير الدينية هى من أهم الموضوعات التى صادفها الانسان وان كان الدليل الخاص بها دائما من النوع الغامض •

ولما كانت المسائل الدينية قديمة قدم الانســان نفسه كانت الاسطورة لا الشائعة « هى التى تعالجها دائما » ، ولكن هناك فترات قصيرة ظهرت فيهـا شائعات لم تعش طويلا كان الغرض منها اشباع حب استطلاع الانسان وارواء عطشه الدينى بصفة مؤقتة • وحتى فى وقتنا هذا نجد أنه من آن لآخر تنتشر شائعات عن علامات يوم القيامة ، عن عودة المسيح والمهدى المنتظر وعن علاج روحانى أو تسخير الجان أو ظهور أشباح فى أماكن معينة •

ان التغييرات التى تحدث وتنشأ عنها الاساطير تظهر بوضوح فى القصص التاريخية عن تراجم حياة الغزاة الفاتحين أو الابطال الوطنيين • ان الاعمال التى تروى عن أمثال هانيبال وجنكيز خان عبارة عن امتزاج الخيال بالحقيقة ، وان كانت للاسطورة فيها اليد العليا •

لقد اعتادت الأمهات فى أيام جوفينال أن يرعبن أطفالهن بصرخة يطلقنها : « هانيبال على الابواب » ، وعلى الرغم من الاعمال الكبيرة التى قام بها هانيبال فانه لا يزال يكتنفها الكثير من الغموض والالغاز، كما أن شخصيته لا يعرف عنها أكثر من مجرد الاســم وسجل أعمـاله • ولـكن هل كان هانيبـال ملـكا أو قائدا حربيـا فقط ؟ وما الأهداف التى سـاقته الى أن يهبط فوق ايطاليـا فى سرعة

البرق وضجيج الرعد ؟ وما حقيقة لغز اختراقه لجبال الألب على رأس جيش من الفيلة مما استهوى الباحثين بضعة قرون ؟

والواقع أنه لا يمكن لأحد - الا اذا كان مؤرخا - أن يستخرج من مثل هذه القصة لب الحقيقة ، على أنه من جهة أخرى فان التخريب الذى يقوم به الغزاة أو المنتصرون غالبا ما يدمر - كنوع من الانتقام - آثار الاعمال التى قام بها أعداؤهم ، وقد حدث ذلك فعلا لهانيبال .

فقد تلاشت ذكرى عهد هانيبال على يد الرومان ، وتلاشت معه ثقافة قرطاجة وحياتها ، ولم يبق لرجال العصر الحديث من آثار عن هذه الثقافة سوى مدافن المدينة وأسس بعض المعابد بما يحيط بها من ساحات القبور ، ولم تذكر الابتهالات المنقوشة على أنصاب هذه القبور أى شيء عن هانيبال .

وقد نصعد بخيالنا الشاعرى ونتساءل : ما قيمة فصل الحقيقة عن الخيال ؟ أليس ما يمثله أبطال التاريخ وأصحاب الرسالات الانسانية كل طموح الطبقات الغالبة من البشرية وأمانيها ؟ أليست قيمة الاسطورة كرمز أنها تعبر عن هدف روحى لقضية معينة أكثر أثرا وفضلا للبشرية من محاولة مؤرخ القيام بفصل الحقيقة التاريخية الخالصة عن الخيال الذى جاء بتطور الأجيال ؟

وفى حياة كل أمة وحضارة شخصيات تاريخية قدر لها أن تصبح شخصيات أسطورية : أما لبطولة وطنية ، واما لعبقرية فى الفنون والآداب والعلم وغير ذلك مما يؤثر فى حياة المجموع . فلماذا اذا نكون حرفيين الى هذه الدرجة ولا نجعل من كل من أولئك الافراد رموزا روحية تستأهل احترامنا لأعمالهم وأخلاقهم بل نورا وهداية للأجيال القادمة ؟ .

وقد يبدو لنا أن نتساءل هل للشائعة والاسطورة صفة أخبارية ؟ ان ظاهرهما يوحى بذلك ، ولكن اذا أمعنا النظر نجد أن للكلام الذى تتضمنه كل منهما معنى خفيا أو مجازيا ، فكلتاهما تقول أكثر مما يعنى ظاهرها ، وقد يكون المعنى المستتر أكثر أهمية من المعنى الظاهر .

ومن هذا القبيل أننا نجد فى الأمثال العامية التى تنشر فى مجتمعنا المصرى الكثير مما يحمل معانى أكثر عمقا مما يدل ظاهرها فالقول : « ان جاء الحق فالحق قتله » يضرب مثلا لمن يطالب شخصا بحق وعليه له مثل ما يطالبه به ، أى لا معنى للمطالبة لأن هذا الحق يمحو ذلك فتصوير قتل الحق للحق تصوير مجازى وليس حرفيا ، وحينما تقول « زى القطط بسبع أرواح » لا تعنى أن للقطط سبعة أرواح لأن ذلك زعم باطل ، ولكن المراد بذلك أن تعطى معنى مجازيا لمن تكثر نجاته من الأخطار الشديدة وغيرها . وحينما نقول : « الحرامى على رأسه ريشة » فاننا نعنى بأنه لابد أن يوقع نفسه بشىء يبدو منه ، فان اللص لا يضع ريشة فوق رأسه لتميزه عن باقى الناس .

ولذا فاننا عندما نتحدث عن التحريفات التى تطرأ على الشائعة وتغير من شكلها الاصلى فاننا نستخدم فى مثل هذه الحالة معيارا حرفيا وليس تقييميا ، وهذا فى رأينا عمل خاطىء ، اذ أن الشائعة لو اتخذت على أساس اخبارى أو اعلامى فانها بلا شك تكون مزيفة وخداعة ، ولكن اذا أخذناها على أن لها غرضا تقييميا فانها تصف بدقة رأى من يقوم بترديد الشائعة . فمثلا لو ردد انسان ما شائعة بأن هناك خلافا بين رجال الحكومة فليس هدف هذا الشخص أن يسرد حقائق معينة ولكنه يريد أن يعبر عن عدم تجاوبه مع سياسة الحكم ، وهو فى هذه الحالة يقوم بعملية تقييم فردية من وجهة نظره ، وهذه العملية على حد قول موريس Morris عملية شاعرية تخيلية .

واذا ردد شخص آخر مثلا أسطورة دينية ، أو عن بطل وطنى ، أو عن عمل فنى فانه لا يردد كلاما أعلاميا واخباريا ولكنه يردد كلاما تقييميا حسب نوع الاسطورة .

وهكذا نرى أن الشائعات والأساطير ذات معنى معبر ، واننا يجب أن نحكم عليها كحقائق اخبارية كما قد يتبادر الى الذهن ، ولكن حكمنا عليها يكون على أنها نوع من التقييم . ولكل فرد يعيش فى مجتمع حر الحق فى أن يقول ما يشعر به ، واذا رأى أن يستخدم صيغة مشابهة لصيغة الشائعة فليس هناك ما يمنعه .

وتنشأ المشكلة الاجتماعية من الشائعة اذا كان المستمع يتلقاها لا على أنها نوع من التقييم من وجهة نظر قائلها ، ولكن على أنها حقيقة اخبارية •

وبالرغم من أن الراوى يكشف عن العقدة العاطفية التى عنده تجاه حادث أو شائعة فان المستمع – اذا لم يكن حذرا – يأخذ الكلام على أنه حقيقة • وبهذه الطريقة يخلط بين المعنى المعبر وبين الاشارة الموضوعية • والامر يحتاج الى بصيرة نافذة والى خليط من التقدير والحذر عندما نستمع الى شائعة •

قانون الشائعات :

مما لا شك فيه أن الشائعات ذات خطورة قومية للمجتمع ، وهى على نحو ما قلنا وباء اجتماعى وظاهرة من الظواهر التى يجب على كل الشعب أن يتكاتف فى مقاومتها والقضاء عليها •

وقبل أن نحاول أن نحلل أسباب ترديد الشائعات والدوافع السيكولوجية التى تدفع الناس الى خلق الشائعات وترويجها يجب أن نصل الى جذور المشكلة ، وذلك بمحاولة وضع قانون يحدد الظروف التى قد تخلق أى شائعة وتعمل على ترويجها حتى نستطيع – اذا تفهمنا ذلك – أن نواصل البحث فى دراسة الدوافع النفسية والتحليلات العلمية للشائعات ، وهذا يوصلنا فى النهاية الى معرفة الأسس الحقيقية التى يستطيع أى مجتمع بصفة عامة أن يبنى عليها خطة الدفاع أو المقاومة •

ويرجع البعض أسباب ترديد الشائعات الى : انعدام المعلومات ، وندرة الاخبار بالنسبة للشعب ، ومن هنا ينادون بضرورة تزويد الشعب بجميع الاخبار التفصيلية والدقيقة الممكنة حتى يكون على بينة مما يدور حوله من أحداث وأعمال تؤثر على حياته ومستقبله •

هذا القول لا يمكن أن نحكم عليه بالصحة أو البطلان المطلق ، فحقيقة أن الشائعات تنتشر وتردد عند عدم وجود الاخبار أو لندرتها • ولكن من جهة أخرى

غالبا ما نجد أن الشائعات تكثر وتنتشر فى الوقت الذى تكثر فيه الاخبار ولا سيما اذا ما تداول ذلك أحد أجهزة الصحافة والاعلام .

ولنتذكر مثلا حادث الترولى باس الذى ذهب ضحيته فى العام الماضى عدد من المواطنين وغرقوا فى النيل ، فقد نشرت عنه الصحافة بالتفصيل الدقيق، ولكن بالرغم من ذلك ترددت شائعات كثيرة حول سبب الحادث ومدى الاصابات . فالحادث هنا كارثة لا بد أن ينفعل بها الجمهور أجمع ، والغموض هنا موجود . فعلى الرغم من أن المعلومات نشرت على الشعب فان أهمية الموضوع جعلت الناس تتناقله ، ومن هنا جاء التحريف الذى أدى الى ترديد هذه الشائعات .

فانعدام الاخبار وحدها أو ندرتها ليس بكاف لترويج الشائعة ، وانما هناك عوامل أخرى لابد من وجودها لتهيىء الظروف خلق الشائعة وترويجها .

ومع ذلك فاننا نستطيع أن نؤكد أن هناك شرطين أساسيين يتصلان باذاعة الشائعة وارسالها وهما : الأهمية ، والغموض ، ونعنى هنا أهمية الموضوع بالنسبة للأفراد المعنيين وغموض الأدلة الخاصة بموضوع الشائعة .

وغالبا ما نجد الشائعة تحتوى على جزء صغير من الاخبار أو الحقائق ، ولكن عند ترويجها تحاط بأجزاء خيالية بحيث يصعب فصل الحقيقة عن الخيال ، أو يصعب التعرف على الحقيقة من الخيال .

ففى قصص الشائعات كما فى المثال السابق يكون من المستحيل علينا أن نقول على وجه الدقة : أين تكمن الحقيقة ؟ أو بمعنى آخر يصعب علينا معرفة ما اذا كانت هناك أى حقيقة فى القصة .

لقد حاول كل من البورت وبوستمان أن يضعا قانونا أساسيا للشائعة فى شكل معادلة جبرية ، ووصلا الى أنه من الممكن وضع معادلة عن شدة الشائعة على النحو التالى :

$$\text{شدة الشائعة} = \text{الأهمية} \times \text{الغموض}$$

ونلاحظ أن العلاقة بين الأهمية والغموض هنا ليست علاقة « جمع » ولكن العلاقة بينهما علاقة « ضرب » لأنه اذا كانت الاهمية والغموض « صفرا » لما كانت هناك شائعة ، فمثلا :

لا يحتمل أن يقوم مواطن مصرى بنشر شائعة خاصة عن ارتفاع أسعار لحم الخنزير فى أوروبا لأن الموضوع لايهمه وان توافر فيه الغموض ، كما أنه لا يفكر فى أن ينشر شائعة عن سلوك أهالى الاسكيمو لأنهم لا يهمونه فى شىء ، فالغموض وحده لايكفى لخلق الشائعة أو ترويجها .

كذلك لاتكفى الاهمية وحدها لرواج الشائعات اذ يجب أن يصحب الاهمية الغموض الذى يكشف عن الموضوع . فمثلا اذا فقد جندى فى الحرب احدى ذراعيه فان هذا الخبر ذو أهمية كبرى له ولكن هذا الشخص ليس على استعداد لأن يستمع لأى شائعة عن مدى اصابته لأنه يعرف الحقيقة .

والواقع أن القانون الذى سقناه يمكن التعويل عليه لدرجة كبيرة ، بالرغم من أنه قد يكون هناك من العوامل التى تحد قليلا من قدرته ، فمثلا اذا كانت الأمة خاضعة لرقابة بوليسية شديدة أو اذا كانت العقوبات المفروضة على مروجى الشائعات شديدة ؛ فان الناس تحاول أن تبتعد عنها .

كذلك نلاحظ أن الشائعة تنتشر بين الافراد الذين يتشابه تفكيرهم ، ولهذا فانه فى البلاد التى يكون سكانها مختلفى العقيدة أو اللغة والعادات كما فى الهند مثلا ، أو تكون المواصلات بين أجزائها صعبة كما فى غرب أفريقيا ـ نجد أن الشائعات لاتقدر على اجتياز الحواجز الاجتماعية ولذلك يكون انتشارها محدودا . على أن التطور الكبير فى وسائل الاتصال ومحاولة دول العالم اليوم التجمع لتحقيق أهدافها قد قللت من تأثير هذا العامل الى حد كبير .

وهناك سبب آخر يحد من تأثير القانون سالف الذكر ، فاذا عرف انسان السبب فى محاولته التصرف بطريقة معينة فانه يحاول أن يتصرف بطريقة

مختلفة • انه يحاول أن يتجنب التصرف كآلة أوتوماتيكية ، ومن ثم نجد الشخص الذى أولى حكمه تجاه مقاومة الشائعات، والذى يفهم أنه قد يصدق أو يردد شائعة تحت ظروف معادلة الاهمية والغموض • نجد هذا الشخص عادة لايفعل ذلك •

على أنه لكى تكتمل الشائعة فى صورتها المألوفة ولكى تنتشر بين الناس يجب أن تلازمها دوافع نفسية تعمل على خلقها واستمرار تغذيتها لتنمو •

وقبل أن ننتقل الى تحليل تلك الدوافع نرى من الحكمة أن نحاول تطبيق القانون سالف الذكر على احدى الشائعات التى ترددت فى مجتمعنا •

ففى صيف عام ١٩٦٤ قامت الرجعية والانتهازية بالتعاون مع الاستعمار والصهيونية بترويج شائعة عن محاولة قيام انقلاب عسكرى بمدينة الاسكندرية ضد نظام الحكم ، وتقول الشائعة أن المؤامرة اكتشفت قبل حدوثها بفترة وجيزة وقدضبطت مفرقعات تحت منصة الرئيس وتم اعدام ٥٠ ضابطا من المتآمرين كما تم القبض على بعض كبار المسئولين لاشتراكهم فى تلك المؤامرة •

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن حدثا كهذا الذى تتضمنه الشائعة يعتبر موضوعا هاما وحيويا لكل مصرى ، فالمواطن الحر المؤمن ببلده يزعجه ويقلقه أن يسمع ما يهدد كيان بلده واستقراره ويضره أن تحدث أى هزة أو خلخلة تفقده هو والغالبية من الشعب الكثير من المكاسب التى حققتها الثورة ، ومن جهة أخرى هناك الشخص المعادى الموتور سواء أكان : رجعيا ، أم عميلا ، أم انتهازيا يهمه أن تقع هذه الكارثة لأنها تصور احدى رغباته الكامنة فيه وتنفث عن حقده وكراهيته • وليس من شك فى أن الشائعة ترضى هذه الفئة الصغيرة التى كانت تتحكم فى مصائر الغالبية من الشعب ، ثم جاءت الثورة وجردتها من أسلحتها التى كانت تسلط على رقاب الناس ، كما ترضى هؤلاء الذين أضيروا نتيجة تطبيق القوانين الاشتراكية وهؤلاء العملاء الذين لا يعرفون أن يعيشوا الا فى أحضان الاستعمار ، والانتهازيين الذين لايجدون سبيلا الا فى التقلبات والاحداث واقتناص الفرص •

وهناك فئة من الناس لا يهمها الا أن تردد ما تسمعه سواء كان حقيقيا او زائفا كنوع من الثرثرة والتظاهر بمعرفة بواطن الامور ٠

هذا من ناحية أهمية الشائعة ، فاذا ما أدرنا نظرنا نحو ما اكتنف هذه الشائعة من غموض نجد أن مصر فى ذلك التاريخ كانت هدفا لحرب نفسية مسعورة من جانب : الاستعمار ، والصهيونية ، والرجعية نتيجة للنجاح الذى أحرزته الثورة فى مختلف الميادين السياسية والدولية ، وقد صاحب هذه الحملة النفسية ضغط اقتصادى مما جعل الناس فى تلك الفترة مهيئين لتصديق أى شائعة تنتشر بينهم ٠ ومن ناحية أخرى كانت الفترة التى راجت فيها تلك الشائعة فترة الاجازة الصيفية التى تتسم بنوع من الركود فى نشاط العمل اليومى ، وقد تصادف فى ذاك الوقت أن ألغى احتفال ٢٦ من يوليو الذى يقام كل عام فى مدينة الاسكندرية ويقوم الرئيس « عبدالناصر » بالقاء خطابه السنوى فيه ٠

كل هذه العوامل ساعدت ـ دون شك ـ على أن يكتنف الغموض تلك الشائعة ، فلم يحاول الذين كانوا يرددونها أن يتحروا ليتأكدوا مما اذا كانت المعلومات التى جاءت بالشائعة حقيقة أم من نسج الخيال ٠ كما لم يكن لديهم الوعى بالتعرف على جذور المشكلة والظروف الصعبة التى تواجهها البلاد من تآمر الاستعمار والرجعية ضد وطنهم ، ثم لم يتصوروا أن الرئيس « عبدالناصر » بشر كمثل باقى البشر له من الطاقة الجسمانية ما لهم ٠

لقد شاءت الظروف أن كان محافظ الاسكندرية يحتفل بزواج ابنته أثناء تلك الفترة ، وقد حضر الاحتفال الرئيس « عبدالناصر » ونشرت صور الاحتفال فى الصحف ، وقد ظهر بها هؤلاء المسئولين ولكن بالرغم من ذلك فان الشائعة لم تدفن الا بعد فترة قصيرة من نشرها ٠

اذا فلماذا استمرت الشائعة فى الذيوع ؟ لقد كان لابد لتلك الشائعة أن تعيش من وجهة نظر من خلقها وعمل على ترويجها حتى تحقق هدفها ، فجندت

الصحافة والاذاعة الاستعمارية والصهيونية أجهزتها للعمل على تغذيتها مستغلة أى غموض فى الظروف لتبنى عليه خيالات زائفة ، معتمدة على أذنابها فى البلاد من رجعيين وعملاء وانتهازيين فى ترويجها ، ونشرها •

ان الذين صدقوا هـذه القصـة ونشروها كانوا محبين للثرثرة أو محبين للعظمة بالتظاهر بعلمهم ببواطن الامور ، واما من كانوا ينتابهم القلق خوفا على مستقبل بلدهم فانهم أخذوا يرددونها دون أن يكون لديهم وعى بالضرر الكامن الذى قد يحدث لبلدهم نتيجة هذا العمل •

أما الذين عملوا على خلق تلك الشائعـة وروجوها فهـم الذين يكرهون عبدالناصر ونظامه • لقد كان الحقد الدفين هو الدافع وراء تلك الشائعة ، وبدلا من أن يقول مروج الشائعة : أننى أكره عبدالناصر ، أو أننى أكره الاشتراكية اتخذ من القصة اداة ليبرر أو يفسر توتره العاطفى الدفين •



تصنيف الشائعات

قامت محاولات عدة من جانب كثير من الباحثين لتصنيف الشائعات واختلفوا حول الاسس التى يبنى عليها التقسيم ، فالعلاقات الاجتماعية بين الناس متشابكة ، والدوافع الذاتية متباينة من مجتمع لآخر • ومن هنا نرى أن من الصعب اقتراح تصنيف عام للشائعات بحيث يمكن تطبيقه على أى مجتمع ، أو ليكون قاعدة علمية يعول عليها حتى وان أعطى للباحث أو الدارس الخيوط التى تساعده فى تفهم الموضوع ، ذلك لاختلاف الزاوية التى يقف عندها الباحثون دائما • فقد يكون مثار الاهتمام الموضوع الذى تعالجه قصة الشائعة ، أو الدافع الذى وراءها ، أو معيار الزمن ، أو الآثار الاجتماعية فى الشعب سواء كانت : ضارة ، أو مفيدة ، أو سلبية •

لقد حاول « بيساو Bysow » (١) أن يستخدم معيار الوقت فى تصنيفه للشائعات وقسمها الى ثلاثة أنواع :

١ ـ الشائعة الزاحفة :

وهى التى تروج ببطء ويتناقلها الناس همسا وبطريقة سرية تنتهى فى آخر الأمر الى أن يعرفها الجميع •

(١) Bysow, D, A., Geruchts (Kolner Vierteljahrsschrift Für Soziologie) , 7, 301 - 308, 1928.

ان هذا النوع من الشائعات يتضمن تلك القصص العدائية التى توجه فى مجتمعنا ضد رجال الحكومة والمسئولين لمحاولة تلطيخ سمعتهم ، وكذلك تلك القصص الزائفة التى تروج لعرقلة أى تقدم : اقتصادى، أو سياسى، أو اجتماعى، ويدخل فى ذلك ما يقوم به المروجون من نشر تنبؤات بوقوع أحداث سيئة تمس هذه الموضوعات • ويقوم مروجو هذا النوع من الشائعات بنسج سلسلة لا تنتهى من القصص ويستمرون فى العمل على تغذيتها واستمرار نشرها •

٢ ـ شائعات العنف :

وهى تتصف بالعنف ، وتنتشر انتشار النار فى الهشيم ، وهذا النوع من الشائعات يغطى جماعة كبيرة جدا فى وقت بالغ القصر • ومن نمط هذا النوع تلك التى تروج عن الحوادث والكوارث أو عن الانتصارات الباهرة أو الهزيمة فى زمن الحرب • ولأن هذه الشائعة تبدأ بشحنة كبيرة فانها تثير العمل الفورى لأنها تستند الى العواطف الجياشة من : الذعر ، والغضب ، والسرور المفاجىء •

٣ ـ الشائعات الغائصة :

وهى التى تروج فى أول الأمر ثم تغوص تحت السطح لتظهر مرة أخرى عندما تتهيأ لها الظروف بالظهور ، ويكثر هذا النوع من الشائعات فى القصص المماثلة التى تعاود الظهور فى كل حرب كتلك التى تدور حول تسميم قوات العدو لمياه الآبار ، أو التى تصف وحشية العدو وقسوته مع الاطفال والنساء •

وفى كتاب سيكولوجية الشائعة تأليف البورت وبوستمان نجد مثلا لهذا النوع فى قصة غريبة راجت فى فترة كل من الحربين العالميتين الاولى والثانية ، وهى قصة « اللسان وطابع البريد » وتتلخص فيما يلى :

« كتب أسير حرب أمريكى • كان معتقلا فى معسكر ألمانى فى الحرب العالمية الاولى ، وفى معسكر يابانى فى الحرب العالمية الثانية ـ خطابا أرسله الى أسرته •

ولم يكن الخطاب يحوى شيئا غير عادى اللهم الا ملحوظة كتبها الاسير وطلب فيها من أسرته أن تحتفظ له بطابع البريد الملصق على المظروف • ولما كانت أسرته تعرف أنه لم يكن فى يوم من الايام من هواة جمع طوابع البريد فقد دهشوا لهذا الطلب وقرروا أن يتحروا الامر • فنزعوا الطابع ليجدوا مكتوبا تحته أن آسريه قطعوا لسانه • لقد انتشرت هذه الشائعة فى كلتا الحربين بالرغم من حقيقتين متناقضتين : الأولى ان خطابات أسرى الحرب لا تحمل طوابع بريد • والأخرى أن قطع لسان الشخص يسبب نزيفا يؤدى الى الموت ما لم يقم خبير باجراء العملية الجراحية •

على أن هذا النوع من الشائعات الغائصة غالبا ما تروج ضد رجال الحكم والشخصيات البارزة فى شكل حملات هامسة للنيل من سمعتهم ، أو التشكيك فى نزاهتهم •

وغالبا ما تظل الشائعات من هذا النوع نائمة فى عقول بعض مروجيها ، ثم يقومون بنبشها بعد فترة من الزمن عندما يتشابه الموقف المناسب مع الموقف الذى كان موجودا حينما نشأت الشائعة الاولى ، أو ربما لا تكون الشائعة الثانية استمرارا للشائعة الاولى ، كما أن كثيرا من هذه الشائعات يأخذ شكل الفكاهة والنكات •

ان قصة الصياد والسمكة التى تظهر من آن لآخر فى شكل فكاهة كلما نقصت سلعة هامة من السوق ، أو ارتفع سعر بعض السلع ما هى الا نوع من هذه الشائعات •

ان عجز الناس عن الحصول على تلك الاشياء الضرورية تؤدى الى تعبير عن مخاوفهم اما بنشر شائعة ما ، واما بسرد قصة كتلك القصة دون أن يدركوا أنهم يحيون شائعات قديمة •

وحاول البعض تصنيف الشائعات عن طريق موضوعها ، واعتبره الكثيرون مبدأ آخر من مبادىء تصنيفها . وتعتمد تلك الطريقة على أن يقوم الباحث باحصاء

عدد من الشائعات التى تدور حول موضوع معين • ففى الاحوال العادية يبحث مثلا عن نسبة القصص التى تدور حول : السياسة ، المرض ، الجنس ، العلاقات الخارجية ، الأقليات • والحق أن مجال الموضوعات واسع والتزامه من غير شك يثير شتى صعوبات بخاصة اذا علمنا أن للاقاليم المختلفة ، والجماعات المهنيـة المختلفة ، والمستويات التعليمية المختلفة ـ أثرها فى هذا التصنيف •

وفى زمن الحرب قد يكون لهذه الطريقـة فائدة أكبر لان جميع الشائعات تقريبا تكون موجهة نحو الحرب • ولقد وجد ج• أ• أرفنج J. A. Irving (١) العالم النفسى الكندى عام ١٩٤٣ أن شائعات الحرب فى تلك البلاد كانت تتناول ستة موضوعات رئيسية :

- الرعب والاشمئزاز والموت •
- الاسراف والتبذير •
- الغزو والغارات وتهديد الأمن •
- الشعور بكراهية البريطانيين •
- نوايا الحكومة تجاه التموين ، تمويل الحرب ، التجنيد •
- سوء ادارة العمليات الحربية •

وعلى الرغم من أن هذا التقييم ذو فائدة كبيرة لعملية بناء الروح المعنوية ، والارتفاع بها ، وللعلاقات الحكومية العامة ـ فان الطريقة تبين لنا ماذا يشغل الناس وما موضوع حديثهم ؟ ولكنها لا تصل الى دوافع مروجى الشائعات فضلا عن أنها لا تساعد على الكشف على القوانين العامة للشائعات •

وثمة طريقة ثالثة لتقسيم الشائعات تعتمـد على عامل بواعث الدوافع النفسية ، ففى التجارب التى أجريت على مجموعة مناسبة من قصص الشائعات

---

(١) J. A. Irving, The Psychological Analysis of Wartime Rumor Patterns in Canada, 1943 (Bulletin of The Candian Psychological Associtión 3, 40, 44) .

التى انتشرت فى الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٢ ثبت أن معظم هذه الشائعات كانت تعبر : اما عن العداوة ، واما عن الرغبة ، واما عن الخوف ، وقليل منها كان يعبر عن توتر عقلى ، أو رغبة فى حب الاستطلاع ٠

ان تصنيف الشائعات حسب بواعث دوافعها أسهل فى زمن الحرب منه فى زمن السلم ، ولكن هذه العناصر الثلاثة « الكراهية والخوف والرغبة » تنشط أكثر من اللازم فى الحرب ، وقد يكون لشائعة الخوف « من وحشية العدو » عناصر جنسية ، أو عناصر مغامرة حتى تستطيع الشائعة أن تحتفظ بكيانها ٠ أما تركيب الدوافع التى تجعل الشائعة مستساغة من شخص فهى موضوع شخصى ، ومحاولة معرفة لماذا يستسيغ شخص معين قصة معينة أمر يحتاج الى دراسة أكلينيكية لهذا الشخص ٠ ونظرا لتشعب البواعث والدوافع ، وامتزاج بعضها ببعض فى الشائعة الواحدة ؛ فان أى تصنيف سيكولوجى للشائعات يكون على الدوام قاصرا ٠

ويقول البورت وبوستمان فى ذلك :

« انه لا ينبغى أن نتوقع شائعة متصلة بعاطفة واحدة أو بميل ادراكى واحد ٠ ان الشائعة لا ترتكز على أساس الوحدة ، فقصة سهلة فى تركيبها قد تخدم عدة أغراض مثل التفسير أو التبرير أو التخفيف لمزيج من المشاعر » ٠

ويوضح هذه الفكرة هذا النوع من الشائعات الذى يطلق عليه اسم « الشائعات العدائية » ٠ قد تذكر هذه اشائعات شريرا واحدا ولكنها غالبا ما توجه هجومها الى أكثر من شرير ٠ ففى أثناء حملة الانتخابات الرياسية بالولايات المتحدة عام ١٩٤٤ انتشرت الأغنية الآتية والمفروض أن المتحدث هو الرئيس روزفلت موجها الكلام الى زوجته :

« عليك أن تقبلى الزنوج ٠٠ وعلى أن أقبل اليهود » ٠

« وبذلك نبقى فى البيت الابيض حسبما نريد » ٠

وفى هذه الاغنية نجد ثلاثة أنواع من الكراهية ـ كراهية للزنوج ، واليهود، والرئيس الامريكى ٠

على أننا فى محاولتنا وضع تقسيم للشائعات على أساس الدوافع التى وراءها ـ من كراهية أو رغبة أوخوف ـ نراها تختلف تبعا لما تعطيه هذه الدوافع لها من قوة ٠ وبوجه عام يمكن تقسيمها الى ثلاثة أنواع نراها أكثرها انتشارا بين أى مجتمع ٠

١ ـ الشائعات الحالمة أو بمعنى آخر المليئة بالخيالات التصويرية[1] وهى تعبر عن الأمانى والأحلام ، وفى مثل هذه الشائعات نجد أنها تعبر عن سرور مرددها وارتياحه الى تصديق مايأمل أن يكون حقيقة واقعة، وفيما يلى مثال لذلك :

نشرت جريدة الجمهورية اللبنانية المعادية بعددها الصادر بتاريخ ٢٩ من يوليو من العام الماضى تقول : « ان القبائل اليمنية والجمهورية قد أعلنت الحرب على القوات المصرية ؛ لأن الشعب اليمنى يريد الوحدة الوطنية والسلام فى ربوعه» ٠

لقد استهدفت الجريدة من نشر هذه الشائعة أن تذيع بين الناس أن جميع طوائف اليمن أصبحت تعادى القوات المصرية ، حتى الجمهوريين الذين ذهبت القوات المصرية لتأييدهم ، وفى نفس الوقت أرادت الجريدة أن تسىء الى موقف قواتنا فى اليمن ، والى سياسة القاهرة فيها ، وتلك أحلام وآمال الرجعية والاستعمار ٠

على أن هذا النوع من الشائعات قد يعبر من ناحية أخرى عن أمانى تفاؤلية كقرب انتهاء الحرب مثلا، أو تحقيق القوات المسلحة لانتصارات ساحقة فى الميدان.

٢ ـ الشائعات الوهمية التى تعبر عن « خوف » وليس عن رغبة ، ومن مثلة ذلك الشائعات المغرضة عن اعداد مبالغ فيها من القتلى والجرحى فى حرب

---

(١) الاصطلاح الانجليزى اصطلاح دارج Pipe - Dream ويعنى به الأحلام التى يتصورها فى غيبوبة مدخن الأفيون على ما يقال فى الاصطلاح العربى الدارج « تفانين الجوزة »

اليمن ، فقد نشرت جريدة الجمهورية اللبنانية بعددها الصادر فى ٢٣ من سبتمبر ١٩٦٤ تقول : « ان عدد القتلى المصريين فى اليمن بلغ ٢٠ ألف قتيل وفى اليمنيين ٢٠٠ ألف قتيل » •

ومما لا شك فيه أن هناك قتلى من أى جانبين متحاربين ، ولكن هذه الجريدة قصدت من وراء تحديد هذه الأرقام الخيالية أن تنشر الذعر بين أهالى الضباط والجنود ، وتعطى صورة قاسية عن الحرب فى اليمن وتسىء فى نفس الوقت الى سمعة القوات المسلحة •

٣ ـ الشائعات التى تهدف لاحداث فرقة وانفصال ، أو بمعنى آخر دق الاسافين ، والمثالان التاليان يعطيان صورة لهذا النوع :

نشرت جريدة النهار اللبنانية المعادية فى عددها الصادر بتاريخ ١٢ من ديسمبر ١٩٦٥ خبرا يقول : « تدل الدلائل على أن القوات المصرية فى اليمن بدأت تخلى الجبهات الشمالية التى يعيش فيها الزيود وتتركز فى المناطق الجنوبية التى يعيش فيها الشوافع » •

وأذاعت محطة اذاعة كولومبيا الاستعمارية فى ٥ من ابريل١٩٦٥ خبرا يقول: « ان هدف ناصر من ارسال قوات مصرية للحرب فى اليمن هو السيطرة على منابع البترول فى السعودية وايران » •

ان هدف هاتين الشائعتين خبيث ومغرض ، فالشائعة الاولى ترمى الى احداث فرقة بين الشوافع والزيود من جهة ، وبين القاهرة والجمهوريين من جهة أخرى على أساس الايحاء بتقسيم اليمن ، وتخلى القاهرة عن الثورة اليمنية •

أما الشائعة الأخرى فغرضها اثارة السعودية وايران لمساعدة أعداء الثورة اليمنية ضد القوات المسلحة •

الشائعات والحرب :

حينما تنشب الحرب تنقلب حياة الناس انقلابا عميقا ، وتتغير أحوال معيشتهم ، وهنا تلعب الشائعات دورها الكبير في التأثير على الروح المعنوية القومية .

وقد تكون معنويات الشعب مرتفعة عند بدء نشوب الحرب نتيجة للتعبئة المعنوية أو الروحية أو الدينية ، ولكن كلما طالت فترة الحرب وتعقدت أحداثها يصيب الناس نوع من القلق والخوف ، ويبدو لهم كأن المستقبل سيكون حالكا .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يكتنف الاحداث نوع من الغموض نتيجة لعوامل الأمن والقيود التى تفرضها الحرب على الناس .

ومن هنا نجد أن أهمية الحدث وغموضه ترسى القواعد اللازمة لخلق الشائعات فى زمن الحرب، وليس من الغريب أن تسابق الشائعات بعضها البعض نتيجة لأن الناس لا تكون فى الصورة الكاملة من الاحداث .

وليست الاهمية ولا الغموض كافيين وحدهما لخلق كل شائعات الحرب، فان الحرب حدث كبير يؤثر على كل فرد في المجتمع ، ولذلك لا نستطيع أن نجرد الناس من عاطفة القلب وتفكير العقل ، ولا بد من أن ينفعل بالحرب كل فرد من الناس ، وتثير هذه العقول كل أنواع الخيالات ، ومن ثم يحاول أغلب الناس أن يفسروا ويتخيلوا نتائج بعيدة .

ويجدر بنا أن نوضح نقطة هامة : هى ما يبذله العدو من جهد في خلق الشائعات ونشرها لتقويض الروح المعنوية لجميع أبناء الشعب من : مدنيين ، وعسكريين ، مستغلا فى ذلك المواقف الحرجة التى قد يواجهها أى شعب فيظروف الحرب ، ومعتمدا على تلك الفئة من الخونة التى توجد فى كل مجتمع .

كما أن للأسلحة المستحدثة التى تظهر فجأة فى الحرب تأثيرا كبيرا على معنويات العدو ، وتساعد على خلق كثير من الشائعات حولها ، ولنضرب لذلك مثلا ما حدث عام ١٩٤٥ حينما استخدمت القنبلة الذرية عام ١٩٤٥ فى ضرب كل من هيروشيما ونجازاكى ٠

فى الحقيقة لم يعرف فى ذلك الوقت تأثير تلك القنبلة الا أهل هذين البلدين ، ولكن على الرغم من ذلك كانت القنبلة الذرية موضوع شائعات كثيرة ولا سيما بين غير المتعلمين ٠ فأشيع أن الاشعاعات الفتاكة تظل تحلق مدة طويلة فوق مكان الانفجار مما يجعل الحياة مستحيلة ، كما كان الكثير يعتقد أن اكتشاف القنبلة الذرية قد يؤدى الى انفجار الارض ٠

وبالرغم من أن العلماء قد بذلوا جهودا كبيرة لتنفيذ هذه القصص ، فانهم لم يستطيعوا أن يوقفوا تلك الشائعات ، وقد راجت أيضا شائعات براقة لا تزال موجودة حتى فى أيامنا هذه عن التحسينات الكبيرة فى مستويات المعيشة نتيجة لاستخدام الطاقة الذرية ٠ ويرجع ذلك كله الى أن الناس لم يكونوا على استعداد لتقيم الاخبار التى وصلت اليهم عن هيروشيما ونجازاكى ٠

وتأخذ الشائعات عن فداحة الخسائر فى الأرواح والمعدات جزءا كبيرا من شائعات الحرب ، ويرجع ذلك الى التوتر العاطفى للشعب نتيجة الخوف والقلق النفسى اللذين تسببهما الحرب ٠

وينتمى الى هذا النوع قصة من شائعة انتشرت فى أثناء عملياتنا باليمن عام ١٩٦٤ وهى أن جميع المستشفيات العسكرية والمدنية امتلأت بالضباط والجنود الذين أصيبوا فى معارك اليمن ، وأن المرضى المدنيين لا يجدون أماكن فى المستشفيات نتيجة لاحتلال العسكريين محلاتهم ، بالاضافة الى الاعداد الغفيرة التى دفنت فى أرض المعركة ٠

هذه الشائعة الخبيثة تتضمن عديدا من العوامل النفسية المعادية ، فان الذين خلقوها وروجوها يهدفون أولا الى بلبلة أفكار الشعب بأن هناك خسائر فادحة فى أرواح أبنائهم الذين يحاربون فى اليمن ، وبذلك يدقون اسفينا بين الشعب وبين المسئولين كما أنها تهدف الى بث روح الحقد والكراهية بين المدنيين

ضد العسكريين الذين يحرمونهم فرصة العلاج نتيجة احتلالهم المستشفيات ، وتهدف بطريق غير مباشر الى توجيه عداء مستتر كامن نحو الحكم الذى يحمله مسئولية تلك الخسائر .

كما ينتمى الى ذلك تلك الشائعة التى تقول : « ان مدمرة عربية كانت تحمل قوات عربية عائدة من اليمن ومتوجهة الى الجمهورية العربية المتحدة فضربت فى البحر وغرقت كما أنه لم يتم انقاذ أحد من ركاب تلك المدمرة ، ونتيجة لذلك قامت القوات العربية بتدمير جميع المبانى التى كانت موجودة على الشواطىء القريبة من مكان الكارثة » .

ان الدافع وراء ترديد الشائعتين السابقتين هو عامل الخوف والقلق .

ويستغل مروجو الشائعات هذا العامل النفسى فى الناس لبث سمومهم القاتلة ، ففى القصة الأولى نجد أن تضخيم الخسائر فى الأرواح بنى على أساس أنه لابد من أن تحدث خسائر ما نتيجة أى معركة فاستغل مروجو هذه الشائعة عامل القلق والخوف لدى الشعب ، ونسجوا من خيالهم الحاقد باقى القصة التى لا أساس لها من الحقيقة .

أما القصة الأخرى فهى قصة من نسج الخيال ، وليس فيها أى أثر من الحقيقة، فان قواتنا لم تخسر فى حرب اليمن أى قطعه بحرية ، كما لم يحدث لأى قوات لنا فى البحر أى خسائر .

ان الغموض وجهل الناس بالأخبار ، ودوافع الخوف والقلق كلها لعبت الدور الكبير فى ترديد مثل هذا النوع من الشائعات .

ويعطى لنا البورت وبوستمان فى كتابهما « سيكولوجية الشائعة » قصة طريفة تدخل فى هذا النوع من قصص الخوف وانتشرت انتشارا واسعا عام ١٩٤٤ وعرفت بقصة « السلال » . اذ قيل : أن امرأة تلقت من وزارة الحرب الامريكية رسالة تطلب فيها أن تقابل زوجها الجندى العائد فى محطة سكة حديد المدينة . وتقول القصة : أن المرأة ذهبت الى المحطة حيث سلم لها زوجها موضوعا فى سلة وقد بترت ذراعاه وساقاه .

هذه الشائعة كانت من نسج الخيال ، ففى مدة الحرب جميعها لم تحدث سوى حالة واحدة بترت فيها ذراعا رجل وساقاه • وحقيقة هذه القصة تختلف كل الاختلاف عن قصة الشائعة الاولى التى تنسب القسوة والوحشية الى وزارة الحرب • أن الحقائق المتعلقة بهذه القصة نشرتها الاسوشيتد برس فى ١٢ من أغسطس عام ١٩٤٥ على النحو التالى :

أحد قدامى الحرب الذى فقد ذراعيه وساقيه يتسلم ٦٠٫٠٠٠ دولار نقدا :

تسلم الشاويش فردريك هنسل وهو الجندى الوحيد فى هذه الحرب الذى فقد أجزاء من ذراعيه وساقيه فى المعركة ـ وكانت معه زوجته ـ مبلغ ٦٠٫٠٠٠ دولار بصفة هدية نقدية لهما بمناسبة الاحتفال بعيد زواجهما الثالث وذلك فى المستشفى العسكرى « بيرسى جونز » •

وكان هنسل قد صادف اعجاب الجماهير لدى وصوله هنا من أوكيناوا منذ خمسة أسابيع ، وكان قد أعلن أنه ينوى أن يعد مزرعة للدواجن بالرغم من اصابته •

واعترافا بشجاعته بدأ الناس من جميع أنحاء البلاد يرسلون له التبرعات لمعاونته فى مشروعه • فأرسلت له صحافة ديترويت أكثر من ٢٦٫٩٢٠ دولار وأرسلت له شيكاغو هيرالد اند أمريكان ٢٥٫٠٠٠ دولار • وقد جمعت له آل جرينبرج ولويز فيل ما يقرب من ٤٠٠٠ دولار وبلغت التبرعات المباشرة الى الزوجين أكثر من ٤٠٫٠٠٠ دولار •

ولم يذكر هذا البيان شيئا عن المساعدة الطبية والجراحية والمالية التى منحتها الحكومة لتأهيل هذا الجندى الشجاع •

الشائعات الهجومية :

هناك عمل مضاد فى الحرب الحديثة لمواجهة الشائعات فى جبهة الوطن ، وهو عبارة عن شائعات هجومية موجهة ضد العدو • ففى الحرب العالمية الثانية

مثلا كانت سيكولوجية الحرب التى شنها النازى تتسم باستراتيجية « فرق تسد » كما تتسم باستراتيجية الرعب • ويصف لنا أدموند تيلور Edmund Taylor في كتابه « استراتيجية الرعب » كيف قام الالمان بالتمهيد لغاراتهم الجوية باشاعة روح الهزيمة والرعب عن طريق نشر القصص في نفوس ضحاياهم • واستمرت الشائعة تلو الشائعة تروجها محطات الاذاعة في بولندا وفرنسا والأراضي الواطئة ، وقد كانت هذه الحكايات تقص قصص الغزو المنتظر كما كانت تحكى عن محادثات السلام الوشيكة الوقوع • كان هدفهم هو اشاعة : الارتباك ، والحيرة ، واضعاف الروح المعنوية • كما كانت هذه القصص تنشر الشك في اخلاص الحلفاء وقدرتهم على تقديم يد العون للبلاد التى تحتاج اليه • وفى نفس الوقت كانت القصص الكاذبة تنتشر عن انتصارات بولندية وفرنسية كبيرة مما بعثت أملا غير مستند على أساس ، ثم أدى هذا بعد ذلك الى خيبة أمل ثم الى الرعب • وفى الايام الاولى من انتصارات النازى كانت دعاية الاذاعة النازية غاية فى التنظيم ، بمعنى انها كانت تتنوع طبقا للبلاد الموجهة اليها وللحالة الاجتماعية للجماعة التى كانت تحاول التأثير عليها • وعلى الرغم من أن هذه الدعاية لم يكن القصد منها ترويج الشائعات الا أن معظمها كان له هذا الأثر ، لأن الشائعة فى زمن الحرب ليست الا دعاية أو قصصا دعائية تداولها ثلاثة أشخاص أو أربعة ، وكانت القصص المذاعة مختصرة وقصيرة ، سهلة الترديد ، تنتقل بسرعة فى هذا الجو الذى يتسم بالغموض والذى يسوده التهديد بالغزو • وأعقب ذلك على التوالى الخوف والارتباك والاغراض المتناقضة والانسحاب غير المنتظم •

واذا قارنا استراتيجية الرعب باستراتيجية « فرق تسد » نجد أن الثانية تقتضى مكرا وحيلة أكثر كما تحتاج الى تكرار أكثر • وتوضع الشائعات بحيث تثير العداوة داخل البلاد حتى يكون سقوطها بعد ذلك سريعا • وقد قال هتلر ذات مرة أنه يفتخر بأن دمار أمريكا ستكون عملية داخلية • ولكنه كان يجب أن يعلم أن الشائعات المفرقة لم تكن كافية •

استخدام الشائعات فى الحرب :

لقد كان الألمان سادة الموقف فى الحرب العالمية الثانية فى استخدام الشائعات فى الحرب النفسية • لقد تبينوا أن حملات الشائعات من أقوى الحملات تأثيرا على العدو ، فهى تصل الى السامع دون أن يبدو أنها دعاية ، وتجيء وحدها وكأنها تندفع بقوة متدفقة من داخلها •

ان أية أخبار مثلا كانت تذاع على الموجة القصيرة فى ألمانيا أو أية قصة ينشرها عميل ألمانى فى صحيفة ببلدة محايدة ـ سرعان ما تبدو وكأنها صادرة من العدو ، اذ يضيع أصلها الالمانى تماما فى عملية تداولها •

والحقيقة أن السامع لا يمكن أن يطالب بالدليل ، لأن الذى يعرض مثل هذه الاخبار لا يزعم أن لديه أى دليل ، بل يوضح منذ البداية أن ما يقوله ما هو الا مجرد كلام سمعه ، وعلى هذا الاساس يكرره ويعيد تكراره • ان التصديق فى مثل تلك الحالات أسهل من الكذب ولا سيما اذا كان الامل أو الخوف يعضد الشائعة •

وبوجه عام يمكننا تلخيص الاساليب التى تستخدم فيها الشائعة فى حرب الكلمات فيما يلى :

١ ـ الاستخدام بقصد التفتيت Disruption

وبهذه الوسيلة تلعب الشائعة دورها فى تدمير القوى المعنوية وتفتيتها •

لقد استعان الالمان بالشائعات فى تفتيت معنويات الفرنسيين ، وخلطوا الشائعات المتشائمة بالشائعات المتفائلة •

ففى طوال الاضطراب الذى سببه الهجوم الالمانى على فرنسا كان كثير من الفرنسيين يتأرجحون بين « الابتهاج » وبين « اليأس » ، وسرعان ما وصلوا الى درجة من الحيرة والقلق ، وأصبحوا لا يستطيعون أن يميزوا بين ما هو صادق وما هو كاذب •

وفى هذا الاسلوب يبدأ عادة رجال الدعاية بنشر الشائعات لايجاد جو من عدم الثقه بين الحلفاء ، ولزيادة التفكك داخل البلاد ، ويصبح من السهل تحطيم التعاون اللازم ، وذلك نتيجة مباشرة لازدياد الشك ، فان الشائعة لا تثبت أى شيء بل تؤدى عملها فقط لو استطاعت أن تخلق جوا من عدم الثقة •

٢ ـ استخدام الشائعة كستارة دخان :

هذا الاسلوب يعتمد على حقيقة أن الشائعات يمكن أن تخفى الحقيقة ، فيقوم أحد الجانبين المتحاربين بالسماح بتسرب بعض المعلومات ، وبذلك يصعب على الجانب الآخر اكتشاف الاسرار الحقيقية من الاخبار الكاذبة •

لقد كان الالمان سادة فى هذا الاسلوب ، فقد كانوا يطلقون الكثير من الانباء المتناقضة من داخل المانيا الى البلاد التى يريدون أن يحدثوا فيها اضطرابا بين الناس •

٣ ـ بقصد الحط من شأن مصادر الأنباء :

ولهذا أسلوبه الخاص ، ففى السنة الثانية للحرب العالمية الثانية ، حاول البريطانيون عدة مرات أن يدمروا محطة السكة الحديدية الرئيسية فى برلين ، ولكنهم لم ينجحوا فى محاولاتهم هذه ، وقام الالمان بنشر تقارير غير مؤكدة توحى بأن الانجليز قد نجحوا فى محاولاتهم •

وعندما وصلت هذه الشائعات الى بريطانيا ، اعتبرها الانجليز تأكيدا واثباتا لنجاح محاولاتهم وأذاعوا هذا الخبر • وحينئذ أخذت وزارة الدعاية الألمانية بعض الصحفيين الأمريكيين الى المحطة الرئيسية لاثبات كذب الاذاعة البريطانيه ، وبذلك استطاع الالمان أن يحطوا من شأن هيئة الاذاعة البريطانية على أساس أن أنباءها كاذبة •

٤ ـ استخدام الشائعة كطعم Bait بقصد تبيين الحقيقة :

وخير مثل لذلك ما قام به اليابانيون فى الحرب الثانية ، اذ روجوا شائعات مبالغا فيها عن خسارة الامريكيين فى الاشتباكات البحرية • لقد كانوا

لا يعرفون حقيقة خسائر العدو • وكانوا يهدفون من وراء ذلك الى أن يثيروا الامريكيين فيقوموا بنشر حقيقة خسائرهم •

ولقد نجحت هذه الوسيلة ، اذ أن انتشار هذه الشائعات أثر تأثيرا بالغا فى معنويات الأهلين ، مما جعل الحكومة الامريكية تسرع فى اذاعة الحقائق عن الخسائر رغبة فى دعم الروح المعنوية ، وبذلك استطاع اليابانيون أن يعرفوا الحقائق التى تهمهم •

الشائعات والشغب :

على الرغم من أن الحروب وأعمال الشغب والكوارث والأوبئة كلها مدمرة فى حد ذاتها ، فان دمارها يشتد اذا أضيفت اليها الشائعات •

وان كنا لانستطيع أن ندعى أن الشائعة هى السبب الوحيد أو الاصلى للشغب ، فانه يجب أن نسلم بأنها تلعب دورا مساندا هاما فيها •

والحقيقة أن الدليل على ذلك واضح ومقنع لدرجة أننا نستطيع أن نقول : أن هناك ثمه قانونا سيكولوجيا اجتماعيا يقول « لا يحدث شغب دون أن تكون هناك شائعات تثيره وتصاحبه وتزيد من عنفه » •

وعلى العموم فهناك أربع مراحل لهذه العملية هى :

١ ـ قبل أن يبدأ الشغب تمر فترة يحدث فيها تململ نتيجة عدم الاطمئنان • وقد يأخذ هذا التململ شكلا قصصيا عن : التمييز ، أو الاهانات ، أو الافعال الخاطئة التى يتهم بها كل فريق خصومه •

وفى هذه المرحلة لا تختلف الشائعات الجارية عن القصص العدائية الاتهامية ، وتبدو كأنها ثرثرة يومية • ولكن حينما يزيد رواجها ، أو يشتد شرها فنحن نتوقع حالة تسبق الشغب • وهذه القصص العدائية فى حد ذاتها لا تؤدى الى العنف ، ولكنها فقط عبارة عن « بارومتر » يبين زيادة التوتر الاجتماعى •

٢ ـ وحينما تأخذ الشائعات طابع التهديد تشير الى قرب حدوث خطر ، وتنتشر الشائعات فى صور مختلفة : « سوف يحدث شىء الليلة فى .. أو لا تنس أن تحضر الى .. لترى ما سوف يحدث » .

ان هذه هى المرحلة التى يمكن التنبؤ فيها بقرب حدوث انفجارات الشغب ، وهنا يجب على الشرطة أن تنظم صفوفها حتى تمنع التهديد من أن يأخذ شكلا عمليا . ان منع الشغب يجب أن يتم قبل أن يبدأ .

٣ ـ وفى أغلب الاحيان تكون الشرارة التى تشعل فتيل البارود هى نفسها شائعة مثيرة . فالشغب الخطير الذى حدث فى القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٢ وأدى الى الحرائق المدمرة جاء فى أعقاب روايات مختلفة رددها الذين دبروا هذا الشغب لاثارة الجماهير .

وقد سرت هذه الشائعات بين الناس بسرعة البرق ، فانضمت الى أعمال الشغب ، واشتعلت الحرائق فى كثير من المؤسسات ، ونهبت محالات تجارية لا حصر لها ، وأتلفت بضائع تقدر قيمتها بملايين الجنيهات ، وكان أغلب الذين اشتركوا فى هذا العمل ممن يقاسون الفقر فانفجروا فى أعمالهم المخربة يدفعهم العوز والحاجة .

ويبدو أن أعمال العنف هذه لم يكن لها هدف معين ، بل كانت تسير حسب الظروف ، وهذا يبين لنا كيف أن عنف الجماهير يسير دون خطة ما ودون هدف فور ابتدائه .

٤ ـ وعند حدوث الشغب تروج الشائعات أسرع من رواجها فى أى وقت آخر ، وهى تعكس التعصب الشديد ، وأحيانا تكون كلها وليدة الخيال ، فتروج الشائعات عمليات تعذيب وقتل وتلبس ثوبا جنونيا يتفق ويبرز العنف الذى يحدث ويسرع فى عملية الانتقام .

ويذكر « لى » Lee وهمفرى Humphrey (١) فى أحد أعمال الشغب التى قام بها السود فى ديترويت بالولايات المتحدة ما حدث حينما وصلت أعمال الشغب الى ذروتها ، اذ انهال سيل من المكالمات التليفونية على شرطة ديترويت للتبليغ عن حوادث مزعومة ٠ فقد أبلغت احدى السيدات أنها رأت « بعينى رأسها » جماهير السود وهم يقتلون رجلا أبيض ٠ وعندما وصلت سيارة النجدة الى المكان الذى قالت السيدة أن الحادث وقع فيه وجدوا بعض البنات يلعبن دون أن يكون هناك أثر لاعمال عنف سابقة ٠ ان زعم السيدة أنها شاهدت الحادثة بعينى رأسها يوحى بأن الشائعة ـ بوحى من شدة التوتر والاضطراب ـ هى ظاهرة مرضية ٠

وكتب ليتون Leighton (٢) معلقا على هذه النقطة :

« يعرف الأطباء النفسيون الذين يقومون بوضع المرضى تحت ملاحظتهم أن هؤلاء المرضى نتيجة لحالة من الذعر قد يسيئون تفسير أشياء عادية ويصورونها على أنها أشياء بشعة تهددهم ٠ فصفير قطار من بعيد قد يرن فى آذانهم على أنه صرخة شخص يموت ، ورؤية شخصين يتحدثان معا توحى اليهم بأن ثمة شخصين يدبران تآمرا ٠ والاكثر من هذا لوحظ أن بعض المرضى عندما يقعون فى حالة ذعر قد يخيل اليهم أنهم يرون أشخاصا قادمين لمهاجمتهم فى الوقت الذى لا يكون فيه هناك أشخاص مطلقا ، أو قد تصل الى أنوفهم رائحة غاز أو دخان فى الوقت الذى لا يكون فيه أى غاز أو دخان ٠ وقد يحدث نفس هذا الشىء للأفراد العاديين اذا كانوا فى حالة خوف شديد » ٠

وقد علم ليتون بمثل هذه الشائعات الوهمية فى أثناء تجربته عند عملية الجلاء الامريكى اليابانى من الشاطىء الغربى ٠ وفى أثناء الاضراب الذى حدث فى بوستون ـ أريزونا لاحظ المتظاهرون المضطربون وجود مدافع سريعة الطلقات مع الطاقم الذى يستعملها بالرغم من عدم وجود مدافع أو أطقمها ٠ كان يخيل اليهم

---

(١) Lee A., M., and N. D. Humphrey, Race Riot, New York, Dryden Press, 1943.

(٢) Leighton, A. H., The Governing of Men, Princeton University Press, 1945.

أنهم يرون رجالا يحملون جثث الموتى فى أثناء الليل • كانوا يعتقدون أن السكان يموتون مثل الذباب بسبب حرارة الجو وسوء الطعام ونقص الرعاية الطبية • وكانت الأقاويل تنتشر بأن الأطفال كانوا يهلكون فى غرفهم شديدة الحرارة • ان مثل هذه القصص تمثل المرحلة الرابعة من مراحل الشائعة •

وعندما تصل الشائعات الى المرحلتين الثالثة والرابعة فليس هناك من شيء يمكن للشرطة أو القادة المسئولين أن يفعلوه لوقفها • ان الشيء الوحيد الذى يمكنهم عمله هو الحيلولة دون أعمال العنف، أما القصص الرائجة فليست الا تعبيرا شفويا عنه •

أما فى المرحلتين الاولى والثانية فيمكن أن تكون الشائعة بمثابة تحذير يمكن التعويل عليه من جانب الهيئات المسئولة عن اقرار القانون الذين يمكنهم فى هذه الحالة ـ ودون أى تأخير ـ اتخاذ الخطوات الحاسمة نحو السيطرة على الجماهير المضطربة التى تسير بسرعة نحو ذروة الهياج والعداء التى وصلت اليها وعند ذلك لا يمكن السيطرة عليها •

ويمكن تطبيق نفس هذه القاعدة على أشكال كثيرة من الاعمال الادارية الاجتماعيه • ففى الشركات التجارية وفى المصانع وفى المدارس وفى السجون وعلى ظهر السفن ـ أى فى أى مكان يعيش فيه الناس فى مكان واحد ـ تكون الشائعات بمثابة « الترمومتر » الذى يعبر عن رأى هؤلاء الناس ويرصد حالتهم العقلية • ان القصص العدائية الموجهة الى جهة من جهات العمل تشير الى ضعف الروح المعنوية داخل الوحدة • واذا زادت هذه القصص ولا سيما اذا ظهر فيها عنصر التهديد أو اذا كانت تنبىء بقرب حدوث قلاقل فانه يجب على المسئولين عن الادارة أن يقرأوا فى هذا تحذيرا عن وجود توتر خطير فى الوحدة التى يعملون بها • وهنا يجب عليهم اتخاذ اجراء عملى •

الشائعة والفكاهة :

قلما يخلو مجتمع من روح الفكاهة التى تعبر عن انطباعاته الاجتماعية وتفسر كثيرا من اخلاقه وسلوكه ومعتقداته • فالنكات والقفشات والفوازير

ما هى الا صورة من تلك الصور العديدة التى تسود كل المجتمعات تقريبا لتصور أمانى المجتمع ورغباته ، وتعبر من جهة أخرى عن ثقافته ومعتقداته ٠

والواقع أن هناك علاقة بين الشائعة والفكاهة، وبالرغم من أن الشائعة عبارة عن قضية مطروحة للتصديق ، وتنتشر مبسطة حتى يستسيغها الناس ، فان هناك كثيرا من القصص تنتشر على أنها شائعات وتكون من وحى الخيال الصرف ، ولا تستهدف أكثر من الضحك ٠

ولكن بالرغم من ذلك فقد تحوى هذه القصص كراهية للحكم ، أو نقدا سياسيا ، أو قد تخفف عاطفة مكبوتة ٠

ولذا فنحن نجد أن الفكاهات والشائعات يتشابهان تشابها عجيبا فى الطريقة التى ينتشران بها ، وكذا الهدف الذى يحققانه ٠

فقصة الصياد والسمكة التى تعبر عن نقص مواد التموين قديمة كما نعرف، ولكنها تتكرر فى أشكال مختلفة كلما شعر الناس بنقص فى احدى مواد التموين، فتظهر من آن لآخر وبتحوير سهل ٠

وكلنا نتذكر أن هذه القصة انتشرت بشكل واسع فى أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها فى أوقات بعيد بعضها عن بعض ٠

ان هذا المثل يبين العلاقة السيكولوجية بين الفكاهة والشائعة ، فقد تستخدم هذه أو تلك كأداة للتعبير عن شعور الفرد الخاص دون أن يفصح الراوى صراحة عن كنه شعوره ٠ فالشخص الذى يسيطر عليه فكرة الجنس مثلا لا يعترف بهذه الحقيقة صراحة ، ولا حتى لنفسه ، ولكنه لأتفه الاثارات يندفع فى رواية الفكاهات الجنسية ، أو يلجأ الى التحدث فى الفضائح الجنسية ٠

وفى القصة التالية التى ظهرت فى كل من الحربين العالميتين الاولى والثانية مثل واضح يبين العلاقة السيكولوجية بين الشائعة والفكاهة ٠

فقد ذاعت فى بريطانيا فى أعقاب الحرب العالمية الاولى قصة فحواها ان رجلا انجليزيا كان يستحم فى بحر المانش ، وكان يرتدى لباس بحر اقترضه من صديق أمريكى . وكانت « فانلة الاستحمام » منقوشا عليها العبارة الآتية : « لقد كسبت أمريكا الحرب » ونادى الصديق على صاحبه الانجليزى محذرا اياه من سمك القرش . فرد عليه الانجليزى وهو يشير الى الكتابة المنقوشة على الفانلة قائلا : « لست أخشى شيئا . فليس هناك سمك يرضى أن يبتلع مثل هذا الكلام » .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية راجت قصة تقول أن أمريكيا كان على وشك الاستحمام على شاطىء ميامى وكان يرتدى فانلة استعارها من صديق انجليزى . ولما حذروه من سمك القرش مضى قائلا : « لا تقلقوا فليس هناك سمك يرضى أن يبتلع مثل هذا الكلام » وأشار الى كتابة على الفانلة تقول « سوف تكون هناك بريطانيا دائما » .

ان هذا المثل من الشائعات هو الذى أطلق عليه بيساو اسم « الشائعات الغائصة » حقيقة وليس مجازا . فقد غاصت القصة فى أعماق المحيط الاطلسى لتظهر فى الجانب الآخر منه فى قارة أخرى بعد جيل من الزمان . وفى خلال غوصها قلبت اتجاه الفكاهة التى تحتويها ووضعت ضحية مكان ضحية أخرى .

وتعتمد كل الشائعات الغائصة على تكرر الاحوال السيكولوجية ، فالاحوال فى شائعة تتشابه مع الاحوال فى الاخرى . فكان من نتيجة تحالف البريطانيين مع الامريكيين أن أصبح محتما أن يعيشوا معا فى مناسبات عديدة . وحتى الافراد الذين لم يكونوا يستشعرون الحب نحو الفريق الآخر بسبب تحيز كل فريق لبلاده كانوا مجبرين على الاشتراك معا فى أوجه نشاط واحدة . وترمز استعارة لباس الاستحمام الى هذه الفكرة ـ فكرة الاتصال الوثيق والصداقة ـ التى تنكرها الشائعة . ومن بين ما تتسم به هذه القصة أنها تعكس هذه الحالة المزدوجة من العلاقات بين البلدين المتحالفين : عداء وصداقة .

وتعتبر هذه القصة من النوع « العدائى » وان كان عنصر العداوة فيها ليس حادا . والعاطفة التى تعبر عنها ليست الكراهية نحو الفريق الآخر قدر السخرية

من غرور الفريق الآخر والمنافسة التى بينهما • وعلى عكس معظم الشائعات الأخرى فهذه الشائعة بها فكاهة . ولولا أن فكاهتها هادفة لما عاشت لأن درجة أهميتها تافهة ـ نسبيا ـ للرواة •

على أن ما نشير اليه هو أن الظاهرة الفكاهية تبرز فى هذه القصة لدرجة أننا نجد أنفسنا على حافة « الشائعة » • فالقارىء الفطن قد يقول : « ان هـذا المثل لا ينطبق عليه تعريفنا السابق « ان الشائعة قضية للتصديق » ان المفروض فيمن يستمع الى هذه القصة أن يضحك « لا أن يصدق » • ان القارىء الذى يقول هذا على حق • فليس هناك خط فاصل بين الشائعات والفكاهة • ولو أن الثانية تميل الى الخيال بينما تميل الاولى الى الجدية • ولكن فى هذه القصة ـ كما فى كثير غيرها ـ نرى الخيال يعبر عن العداء الحقيقى تحت ستار الفكاهة • فراوى القصة يقول بطريقة تقييمية تخيلية : « يا لهم من بلهاء هؤلاء الأمريكيون أو البريطانيون المغرورون ! » • والحقيقة أن هذه القصة وان كانت لا تعتبر شائعة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى الا أنها تسلك مسلك الشائعه •

ولقد قام الاستعمار والرجعية بترويج كثير من الشائعات العدائية ضد نظام الحكم فى مصر فى شكل نكات بذيئة ، وتضافرت جهود أعداء الوطن على نشرها بين الناس ، وهذا النوع من القصص يطلق عليه اسم « الفكاهة ذات المأرب » فبدلا من أن يصرح الرجعى أو الانتهازى بأنه يكره النظام ، يلجأ الى رواية هذه النكات التى تعبر عن أمانيه الشريرة •

ومن الغريب المخزى أن هناك سفارة أجنبية فى القاهرة كانت تستخدم النكات كوسيلة من وسائل الحرب النفسية علينا ، وكان بها قسم خاص وظيفته خلق الشائعات وترويجها فى شكل نكات يساعدها فى ذلك شرذمة من الخونة والمأجورين •

ان كل مصرى حر يجب أن يضع فى ذهنه أن مثل هذا النوع من النكات لا يهدف الى التسلية ولا الى الضحك ، انما يحمل بين طياته رغبات العدو وأمانيه فى تفتيت عضد الجماعة ، وبث الفرقة بين أبنائها ، وهز الثقة فى قادتها والمسئولين •

أثر الشائعات على الروح المعنوية :

ويمكننا الآن أن نقف لحظة لنتساءل : « ما آثار هذه الشائعات على الروح المعنوية القومية ؟

الواقع أن الشائعة فى مضمونها تلعب دورا كبيرا فى التأثير على معنويات الشعب وان اختلفت درجة تأثيرها تبعا لنوعها والدوافع التى تكمن خلفها ٠

فشائعات الخوف ـ مثل شائعات الامانى ـ لها تأثير كبير على الروح المعنوية فى جبهة الوطن ولا سيما فى أثناء الحرب ٠ ان النوع الاول من شأنه أن يشيع عدم الثقة فى جدوى المجهودات العسكرية ، وهذا يؤدى بدوره الى اشاعة الروح الانهزامية ٠

أما شائعات الامانى فهى تؤدى الى هدوء من نوع ضعيف ، لما فيها من تفاؤل ٠ ولكن هذا الهدوء الشكلى قد يحمل بين طياته موطن الخطر ، فقد يصدم الانسان بالانباء السيئة اذا كان متوقعا احداثا تفاؤلية ، ومن ناحية أخرى قد لا يكترث بما يحمله له المستقبل ٠ وعلى هذا الاساس فان الناس عندما يصدقون الشائعات التى تروج النجاح المرتقب ، أو قرب نهاية الحرب فانهم يميلون الى التكاسل بمجهودهم وتضحياتهم ٠

ومع أن شائعات الخوف يمكن أن يتقبلها الناس تقبلا سلبيا برغم أنها مخاتلة مخادعة ، فانها تستطيع أن تحطم ثقتهم ببطء ٠ ومع هـذا فان هناك شائعات أخرى تأخذ شكلا استفزازيا ٠ هذه الشائعات هى التى تبعث الذعر وتعمل على نشره مثل الشائعات عن هزيمة عسكرية أو عن اقتراب قوات العدو ٠

والخطر هنا خطر حقيقى مباشر ، وهو كذلك واضح محسوس ذلك لان من يسمع مثل تلك الشائعة قد يقوم بعمل عنيف ومفاجىء كأن يسـارع بالفكاك والهجرة ، فيجمع القليل من أهم ما فى حوزته من ممتلكات ويسارع الى ترك المدينة أو القرية مع أسرته ٠ وهو بتصرفه هذا انما يخلق شائعة مادية قد تجعل باقى الناس يتصرفون مثله ٠

ويكون الموكب المكون من هؤلاء المهاجرين على الطريق أفضل الشائعات صلاحية ، اذ يشكل نموذجا واضحا مرئيا لا يحتاج الى أى كلمات تصفه ٠

وبالرغم من أهمية أثر شائعات الخوف وشائعات الامانى بالنسبة للروح المعنوية القومية فانها تعتبر طفيفة نسبيا اذا قورنت بآثار النوع الثالث الذى يعتبر من أخطر أنواع الشائعات ، ذلك لأنها تهدف الى اثارة الفرقة والعداء بين الدول الصديقة ، أو بين الجماعات المختلفة فى داخل الدوله ٠

وعلى سبيل المثال كان هناك داخل أرض الوطن سيل من الشائعات لا ينقطع ضد أولئك الابطال الذين يقومون بالتضحية فى أرض اليمن فى سبيل نصرة المبادىء الانسانية ، ودفاعا عن العروبة من الرجعية والاستعمار ٠ ان قصص هذه الشائعات تشكل أثرا ضارا للوحدة القومية ، وتسبب انقساما بين صفوف الشعب ، بل تدعو الى الروح الانهزامية التى يهدف اليها أعداء هذا الوطن ٠

وفيما يلى قلة من هذه الشائعات التى راجت فى أثناء وجود قواتنا المسلحة بأرض اليمن :

- ان ارتفاع الاسعار يرجع الى استيلاء القوات المسلحة على معظم مواد التموين ٠
- ان الضباط والجنود يحصلون على امتيازات لا يمكن لغيرهم أن يحصل عليها ٠
- ان الجيش يستهلك كميات كبيرة من اللحم مما أدى الى نقصها بالسوق .
- ان القوات الملكية باليمن تقوم بشراء الاسلحة من المصريين هناك ٠
- ان بعض الضباط والجنود يقومون بعمليات تهريب من اليمن ٠

ومما لا شك فيه أن هذه الشائعات افتراءات خبيثة ومن نسج خيال أعداء الوطن الذين يحاولون أولا أن يدقوا اسفينا بين الشعب وقواته المسلحة التى

هى بمثابة الدرع الذى يدافع عن حقوقه ومكاسبه ، كما أنها من ناحية اخرى تهدف الى الحط من شأن قواتنا المسلحة وأفرادها بالصاق تهم وفرى كاذبة قد تسبب روحا انهزامية وهو ما يهدف اليه كل عدو أو خائن •

على أننا فى هذا المجال يجب ألا نغفل نوعا من الشائعات قد يبدو لنا أثره ضعيفا بالنسبة لمعنويات الشعب برغم أنه يسبب خسائر لقواتنا المسلحة • ونعنى بهذا النوع من الشائعات شائعات الثرثرة وحب الاستطلاع •

فبعض الناس يحاولون أن يكتسبوا الثقة عن طريقة ايحائهم للناس بأنهم على علم بأسرار بالغة الاهمية • وهم بترديدهم هذه الاخبار يعملون على تجسيم الشائعة ونموها نتيجة التكرار ولا يحس من ينشرها بمسئولية ، فهو مطلق الحريه فى أن يجعل رغباته ومخاوفه وعداءه تعمل عملها •

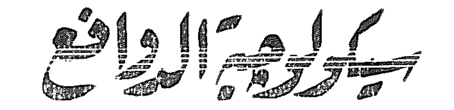
وعلى سبيل المثال نذكر بعض أنواع تلك الشائعات :

- يقال انه قد تم تشكيل فرقة جديدة فى منطقة كذا استعدادا للعمليات•
- أبحرت البارجة كذا أمس الى اليمن وعلى ظهرها وحدة كذا •
- يقال أنه صدرت الاوامر أمس باعلان الطوارىء فى القوات المسلحة •

ان ترويج هذا النوع من الشائعات ـ بالرغم من أنه قد لا يحمل بين طياته آثار التخريب المباشر ـ خرق لشئون الأمن القومى الذى يحاول العدو دائما أن يخترق حاجزه ليعرف الكثير مما يهمه •

ومهما يكن من شىء فان الشائعات بأنواعها حية رقطاء تستطيع أن تنفث سمومها فى كل قطاعات الدولة ، وهذه السموم التى اذا لم يتكاتف كل أفراد الشعب فى مقاومتها ودرئها بكل عنف وقوة تقضى على الروح المعنوية القومية لأى أمة ، يمكن لها أن توقف انطلاقتها وتشل تقدمها ورفاهيتها •





الشائعة كأساس للتصديق :

ظل الناس طوال عصور التاريخ يتساءلون : « ما الحقيقة وما الواقع ؟ » ولم يستطع الانسان فى حياته الطويلة على الارض أن يصل الى اجابة محددة • لقد اختلفت الاجابات عن هذا التساؤل اختلافا بينا سواء جاءت هذه الاجابات على لسان رجال الدين أو الفلاسفة أو العلماء • ومن المسلم به أن يقع ذلك فى كل المجتمعات ، غير أننا لن نحاول أن نتعقبه فيهـا جميعا ، وانما سنقتصر على توضيح نمط التفكير فى المجتمع المصرى ، على أن ننظر فى هذا المجتمع الى الأشخاص والأشياء •

واذا كان علماء النفس قد أكدوا أهمية عملية تلقين الطفل فى سن مبكرة فانه يكفى هنا أن نقول : أن معظم هذا التلقين ينبثق من الاسرة ، والاسرة عندنا تمتاز بالترابط الوثيق، والحب المتبادل بين أفرادها، ومحاولة الأبناء تقليد الأبوين .

والطفل فى سن مبكرة يحاول أن يحصل على اجابات متعددة عن أسئلته التى تبدأ بكلمة « لماذا ؟ » ، وغالبا ما يحاول أحد الوالدين أن يثنيه عن ذلك ، بل قد يلام فى بعض الاحيـان على بعض تلك الاسئلة ، فكأن عليـه أن يتعلم « لا ينبغى » و « ليس من اللائق » حتى لا يخوض فى الأمور أكثر مما يجب !

ثم يتعلم الطفل فيما بعد عن طريق ما يروى أمامه أو ما يسمعه من أفرادها أنماطا مختلفة مثل :

« انهـــم يقـــولون .... »

« لقـــد ســمعت اليــوم أن ..... »

« أظـــن أن .... »

« ان الاذاعة تقول والتليفزيون يقول .. »

« ســمعت من الجـار أن ...... »

وفي سن السابعة تقريبا ، يكون قد ألف قبول ما يسمع من أفراد أسرته عن كل الامور تقريبا ، وهو يحفظ القصص منها لانها تعيش في عالم كله قصص وروايات ، وتلك عادة ليست خاصة بمجتمعنا وانما هي ظاهرة عامة مرتبطة بميل غريزي في الانسان لسماع الروايات المختلفة .

وفي كتاب « الفلسفة في سبيل جديد » تقول ســوزان ك. لانجر عن احتياجات العقل البشري : « ان المخ يؤدي عملا يشــبه عمل الكليتين والاوعية الدموية ، ولا يستغرق المخ في سبات عميق حتى اذا لم يكن له هدف واع يخدمه ، فالمخ يمضي طوال الوقت في انتاج مختلف الافكار التي لا يستخدمها الفرد سواء كان نائما أو مستيقظا » .

والحقيقة أن الدلائل تدعم هذه النظرية ، فلو أن المخ البشري كان مجرد أداة للنقل وليس أداة للتحويل لما أصبح للشعائر الدينية والموسيقى ، والفنون وكثير من أوجه النشاط الانساني الاخرى معنى بالنسبة للانسان ، بل كان من المحتمل ألا يمارسها .

ان جانبا ضئيلا ـ وان يكن هاما ـ من السلوك البشري هو الذي يستهدف الأهداف الواعية ، وتقول لانجر : « عادة ما ينتهي التفكير عندما تبدأ عملية الرمز

من خلال الكلام ، وهذا الرمز فى حد ذاته هو ـ أساسا ـ وسيلة من وسائل الرقابة الاجتماعية » •

ولا شك فى أن الرموز التى تتسابق فى العقل البشرى لابد لها من هدف • ومن الواضح أن الخوف هو القوة الدافعة فى العقول البشرية ، ذلك الخوف الذى تتولد عنه رغبة ملحة فى أن يؤكد المرء ذاته وسط هذا العالم المشحون بالاهوال والاخطار • وهنا يقرر النمط الثقافى للانسان وسيلة التعبير عن هذا السيل من الرموز ، فقد تلجأ جماعة الى استغلال الدين ، وأخرى السياسة ، والبعض الآخر قد يلجأ الى مختلف أنواع السلوك التى سجلها علماء الانسان « الانثروبولوجيا » .

والشائعة لون من ألوان خلق الرموز ، كما أنها نوع من أنواع الحياة الخيالية ، وهى بهذه الصفة شبيهة بالحلم •

ويقول روبرت هـ• ناب(١) « تتولد الشائعة من الرغبة فى تفسير العالم تفسيرا ذا معنى ، وكذا من الرغبة فى نفس الوقت فى ارضاء النزعات الانسانية أو التعبير عنها » •

ووظيفة الشائعة هى التعبير العاطفى والتفسير الادراكى • ان الشائعات تعيش على الغموض وعلى النزعات الحادة •

ويقول أولبورت وبوستمان فى كتابهما سيكولوجية الشائعة « انه لا ينبغى فى أى ظرف من الظروف ، اعتبار الشائعة مجرد شىء غريب مستهجن طالما كانت وسيلتها المميزة فى تشويه الذاكرة ، وفى تعمد النسيان ، وفى التخيل والتبرير هى نفس وسيلة التشويه التى نجدها فى معظم أشكال الاتصال بين البشر » •

والحقيقة أن جميع الناس فى أى مجتمع ، وفى أى زمان مهيئون لتلقى الشائعة وتصديقها ، لانه ليس لديهم من الوقت ما يسمح بمراجعة ما يسمعونه وطرحه

---

(١) Knapp, R. H., A Psychologyal Rumor, Public Opinion Quarterly, 8, 23-37. 1944.

على معايير الصدق ، فضلا عن أنه يصعب عليهم اثبات تكذيب الشائعة • ومن جهة أخرى كانت صورة العالم في الماضي غامضة في ذهن مختلف الشعوب تبعا للمساحات الشاسعة التي كانت تفصل بعضها عن بعض ، ونتيجة لضعف وسائل الاتصال ، بل لا نكون مبالغين اذا قلنا : انه حتى في الشعب الواحد كانت هناك عزلة أو شيء كالعزلة • ففي مصر كانت القرية الى عهد قريب تعتمد في أخبارها على منادي القرية الذي كان يحمل طبلته ليبلغ أهلها بطريقته الخاصة أخبار القرية وما جاورها من أحداث تهم حياتهم اليومية ، وكانت القرية المصرية في مثل هذا الوقت منفصلة عن غيرها ولا تعرف عن أخبارها أو ما يدور في العاصمة بأكثر مما يحمله اليها وافد عليها في عمل رسمي ، أو أحد أبنائها الذين يقيمون في المدينة •

كل هذه الظروف قد ساعدت الى حد كبير على تهيئة جو الغموض مما كان يشجع على تصديق أي شائعة تأتي من خارج الحدود المحلية والاقليمية •

ولكن في عصرنا هذا نتيجة للتقدم العلمي الكبير، ونظرا للتطور التكنولوجي في الاختراعات الحديثة أصبح حجم العالم أصغر بكثير مما مضى، واستطاع الانسان أن يعبر محيط الجهالة السابقة • ولعبت هذه الاختراعات دورا كبيرا في معركة الشائعات ، فقد قللت أجهزة الاعلام من : صحافة ، واذاعة ، وتليفزيون ، وكذا وسائل الاتصال من : تليفون ، ولاسلكي ، وطيران الى حد كبير على اعتمادنا على الشائعة . وأصبح يبدو وكأن العالم لابد أن يعتمد على الحقائق أكثر من الشائعات، اذ لا نستطيع أن ننكر قيمة هذه الوسائل في اماطة اللثام عن أي غموض، ولا يمكننا أن ننكر من جهة أن الحقائق الموضوعية الخاصة بالاحداث التي تهم كياننا من : سياسية ، واقتصادية ، وعلمية ، وغيرها أصبح من اليسير معرفتها في الوقت الحاضر بدقة وسرعة أكثر من ذي قبل •

ولكن هذه الاختراعات سلاح ذو حدين، فهي من جهة توضح الغموض ، ومن جهة أخرى أداة اثارة ، ومع اتساع أفقنا في التفكير واهتمامنا بالاحداث العالمية تتسع مناطق الغموض •

فاذا أضفنا الى ذلك أن حاجتنا العاطفية لا تختلف عن حاجات أجدادنا، وأن غرائزنا ودوافعنا لا تختلف عما غرسه الله فى آدم وحواء ، فاننا لا نستطيع الا أن نؤكد أن للشائعة نفس الدور الذى كانت تلعبه فى الماضى فى المجتمع ان لم يكن أكثر بكثير .

الشائعة كصورة من صور الرأى العام :

قام البورت وبوستمان بتحليل واسع لطبيعة الشائعة، ومما قالاه « اننا نعلم أن الشائعات المتعلقة بموضوع ما سوف تنتشر داخل جماعة معينة بنسبة الاهمية ومدى غموض هذا الموضوع فى حياة أفراد هذه الجماعة » .

وحقيقة أننا لا نهتم باطلاق الشائعات عن أمور تافهة ، كما أنه ليس مما يستحق العناية أن نحاول اطلاقها فى أمور لدينا عنها معلومات واضحة ، أما الحدث الهام الذى نفتقر فيه الى المعلومات عنه فهو موضوع نموذجى لاطلاق الشائعات عنه .

فمثلا فى أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ انتشر كثير من الشائعات بين الناس ، اذ كانوا يجهلون أغلب تفاصيل العمليات الحربية استنادا لدواعى الأمن ، ولكن الحدث كان من الأهمية والخطورة بما يكفى لاثارة خيال الرأى العام .

ومن هنا يمكن أن نقول : ان الشائعة تنتشر لانها تؤدى وظيفتين متلازمتين: أولاهما تفسير مظاهر التوتر العاطفى التى يحسها الأفراد ، والاخرى التخفيف عن هذه المظاهر .

وقد أشرف هذان الباحثان أيضا على عدة دراسات تجريبية عن كيفية انتقال الشائعة ، وعن التغيرات التى تحدث فى أثناء انتقالها من فم الى فم .

فمن التغيرات التى تحدث فى أثناء عملية النقل وجد أن الناس تميل الى اختزال ذكرياتهم أكثر من ميلهم الى زيادتها ، كما أن جزءا كبيرا من المادة يحذف

أما التفاصيل فكانت تسقط الى درجة ملحوظة ، ومن ثم فان الشائعة فى انتقالها تستمر فى حجب بعض تفاصيلها الاصلية وتزداد اختصارا فى جوهرها •

كما أن هنـاك تغييرات أخرى تحدث فى أثناء الانتقال من حيث الانتقـاء والحفظ والتذكر ، أى من حيث قدرة الادراك على حفظ عدد محدود من التفاصيل من نص أكبر ، ومن ثم فاننا نجد أنه بينما يتم اسقاط بعض التفاصيل ، فان بعضها يظل ثابتا حتى النهاية • ويقول هويبل Whipple (١) فى هذا الصدد :

« تنشأ الرواية الخبرية من عمليات ادراك المحسوسات ، وعلى ذلك فهى تتضمن الشعور ، والانتباه ، والترابط الحسى • وهى تدور حول الحفظ والتذكر وعلى ذلك فهى تتضمن سـيكولوجية الذاكرة • كمـا أنهـا تعبر عن نفسهـا بالكلام ، وعلى ذلكفهى تتضمن سيكولوجية اللغة والتعبير . وهى مشروطة بعوامل ذاتية عديدة وميول مزاجية وعواطف وقابلية للايحاء » •

على أن هنـاك تغييرات أخرى تحدث فى أثنـاء انتقال الشائعات • هذه التغييرات تحدث نتيجة تأثير عادات الجماعة وتقاليدها التى تنتشر بينها الشائعة، فان الشائعات من نتاج المجتمع ولابد لها من أن تكون مشبعة بثقافته ، ولها دلالات عامة معبرة عنها ، ولذا فغالبا ما يكون لها لون معنوى أو أدبى نابع من ثقافة هذه الجماعة •

وعلى سبيل المثال طلب فى احدى التجارب التى أجريت فى الولايات المتحدة الى أحد الافراد أن ينظر الى احدى الصور ويذكر تفاصيلها الى شخص آخر كان عليه بدوره أن ينقلها الى شخص ثالث • كانت هذه الصورة تمثل شخصا أبيض يواجه أحد السود وقد شهر مدية فى وجهه • وفى خلال عملية انتقال تفاصيل الصورة من شخص الى آخر انتقلت المدية ببطء من الرجل الأبيض الى يد الأسود طبقا لآراء البيض السائدة فيما يتعلق بمسلك السود •

---

(١) Whipple, G. M., The Observer as Reporter, A Survey of The Psychology of Testimony, Psychological Bulletin, 6, 153 - 170, 1909.

وفى تطبيقنا هذه التجربة على الشائعة يمكننا أن نقول :

« عند قيام شخص بنشر شائعة فان لب المعلومات الموضوعية التى سبق أن تلقاها أصبحت ثابتة وراسخة جدا فى حياته العقلية النشطة لدرجة أن الناتج لابد أن يكون حصيلة هذه المعلومات » ٠

وبعد هذا العرض العادى يمكننا أن نتساءل : كيف يمكن أن تكون الشائعة نوعا من أنواع الرأى العام ؟

ان الشائعة تنتشر عن طريق الشعب ، فهى تعيش عليه ٠ انها تؤثر على الافكار وتضبط مجالات نشاطه ٠ ولكن بينما ينمو الرأى العام ببطء فان كثيرا من الشائعات تخرج فجأة بصورة غير متوقعة ، وهى تنمو بصورة فجائية مثيرة ٠ ومن هنا يمكن أن نطلق عليها « الرأى العام الطارىء » حيث نجد أن الوصول الى اجماع عام قد تم فى غمضة عين دون حاجة الى القيام بعملية مجهزة من عمليات التقييم كما فى حالة الرأى العام ٠

ولكن كلا النوعين يرتفع الى درجة هامة فى حياة الشعب ، وكلاهما وسيلة للتنفيس عن الطاقة الكامنة ، وكلاهما من وسائل العرض وسبل له ، كما أنهما يؤثران على الجو المحيط بالبيئة والمجتمع ٠

على أننا لكى نوضح أن الشائعة يمكن استخدامها كدليل للرأى العام يجب علينا أن نحدد مظاهرها وهذه المظاهر تأخذ فى العادة ثلاثة أشكال هى :

اعداد الذهن ، حدة الشائعة ، استيعابها ٠

فالشائعة عند انتشارها تحاول أن تعد أذهان الناس ، وهى فى هذا المظهر تكون قصيرة واضحة سهلة الفهم والالقاء ، وتستخدم القليل من الكلمات والمعلومات كما تقل فيها التفصيلات ٠

أما ظاهرة « الحدة » فهى أن تصبح الشائعة حادة عن طريق اختيار بعض التفصيلات القليلة من موضوع الشائعة مع الالحاح عليها ، وغالبا ما تكون هذه التفصيلات ذات أهمية بالنسبة للشخص الذى ينقل الشائعة ۰

أما ظاهرة الاستيعاب فهى الظاهرة النهائية أى حينما يهضم الافراد عناصر الشائعة التى تدخل فى تفكيرهم وتصير أساسا من مكونات هذا التفكير ، ومن ثم تصبح أكثر تماسكا واكتسابا لعقيدة الناس ، كما تعبر عن نفسها على شكل انعكاس لعواطف الشخص والامور التى يتحيز لها ۰

ومن هنا يتضح لنا أن الاعتقاد فى شائعة ما ونقل مضمونها هو أمر من الأمور التى تتعلق بدوافع الفرد ، وبمستوى القيم التى يتمسك به ، وكذلك بحالته الذهنية والعاطفية ۰

ولما كان سلوك الفرد يتأثر الى حد كبير بالسلوك الجماعى كما أنه يكون جزءا من الرأى العام ، فلابد أن يكون لانتشار الشائعة أهمية كبيرة فى استخدامها كدليل للرأى العام ۰

ولنضرب لذلك مثلا بالشائعة التى انتشرت فى مدينة برلين بعد الحرب العالمية الثانية فكان لها ضجة كبيرة داخل المجتمع الالمانى وخارجه وأثرت على السلوك العام تأثيرا بالغا ۰

وقصة هذه الشائعة أن رجلا كفيفا كان يسير فى طريقه وهـو يتحسس الطريق ۰ وحينما كان ينتظر ليعبر الطريق عرضت عليه سيدة أن تساعده فشكر لها مساعدتها له وسألها اذا كان فى امكانها أن توصل رسالة منه الى شخص فى مكان على مقربة من المكان الذى كان يسيران فيه ۰ ووافقت السيدة على ذلك وسارت فى طريقها ولكنها التفتت خلفها فوجدت أن الرجل الذى كان يتحسس طريقه منذ لحظة راح يجرى بسرعة مذهلة ولم يكن يحمل اللافتة التى تبين أنه كفيف ۰ وهنا ثار الشك فى نفس السيدة فذهبت الى قسـم الشرطة

لتبلغ عما حدث • وقد وجد أن فى المنزل الذى أعطاها الرجل عنوانه جثة آدمى أعدت للبيع على أنها لحم عادى ، وبفض الرسالة التى أعطاها الرجل للسيدة وجد رجال الشرطة بداخلها : « أن هذه هى آخر جثة اليوم » •

والواقع أن هذه القصة تمثل رد فعل عام ناتج عن التوترات النفسية وعن القلق الذى كان يسود مكانا معينا فى فترة معينة ، وهى تعكس التصدع الذى أصاب الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى برلين نتيجة لسلسلة من الكوارث التى لم يسبق لها مثيل من أعمال التعذيب الوحشية وضرب بالقنابل ، ومجاعة وهزيمة ، كما أن الشعب كان فى حالة توتر دائم من التفكير طوال الوقت فى الطعام. ومن ثم فان رخص قيم الحياة والتمثيل بأجسام الناس تمثيلا وحشيا فى معسكرات الاعتقال وفى الضرب بالقنابل قد أصبحا يكونان جزءا اضافيا فى عملية الادراك الحسى المباشر . كما أن صفة الوبال المتزايد التى تتصف بها هذه القصة يجعل لها قبولا عاطفيا اذ لا يمكن انتشار مثل هذه القصة فى جو يسوده الاستقرار الاجتماعى وعدم القلق والخوف • ولذا نجد أن القصص الوبيلة هى أهم أنواع الشائعات وأكثرها انتشارا اذ انتشرت الظروف المحزنة حيث يجد الناس عن طريق هذه القصص تخفيفا عن عواطفهم القاتمة كما يجدون لها مبررا وتفسيرا •

وخلاصة القول أن الشائعة رأى يتقبله الشعب عن رغبة ، لأنه يخدم احتياجاته الخاصة فى أوقات معينة •

لماذا تنتشر الشائعات ؟

والآن يمكننا أن نتساءل . هل يصدق كل الناس الشائعة وهل يعمل أى فرد على ترديدها ونشرها ؟ الواقع أن الشائعات غالبا ما يرددها ويصدقها أغلب الناس حتى أولئك الذين لا يصدقون ما يحكيه غيرهم ، فعادة ما تخرج الشائعة بطابع التشويق ، لأن الذين يعملون على خلقها وترويجها يبذلون أقصى جهدهم فى صياغتها بشكل يحقق رواجها ونشرها مستغلين فى ذلك ما يختلج نفوس الناس من خوف وشك وآمال وأحلام يقظة ونحو ذلك مما لا يستطيعون النطق به مباشرة أو التعبير عنه علانية •

فلو فرضنا أن جنديا لا يحب قائده المباشر لأنه يعتقد أنه يعامله بقسوة أو أنه غير عادل ، فان هذا الجندى لن يقوم بعمل مباشر ضد قائده ، ولن يتقدم لمهاجمته ولن يحاول أن يقول له رأيه فيه بصراحة • ولكن لو حدث أن سمع هذا الجندى شائعة بأن القائد الذى يكرهه أو يخشاه قد وبخ أو زجر من رياسته وان من المحتمل اعفاءه من قيادته ، فانه غالبا ما يقوم بترديد هذه الشائعة دون أن يشعر بالذنب ، فهو يعتبر نفسه غير مسئول عن هذه القصة على أساس أنها مجرد كلام يردده الآخرون • على أنه من جهة أخرى فان انصاته لهذه الكلمات وفى نقله لها يحقق الرضا النفسى ، فهو يأمل أن تكون الأخبار حقيقة واقعة لأنها تمس رغبة تكمن فى داخله •

وشبيه بذلك يحدث فى الحياة المدنية فى أى مكان يلتقى فيه الناس لمجرد تبادل بعض الكلمات والأحاديث العابرة ، أو لمناقشة بعض الأمور التى تهمهم • فالعمال مثلا عندما يجتمعون فى أثناء الطعام فى فترة الظهيرة يتحدثون كثيرا عن مشكلاتهم أو عن الاسلوب غير العادل الذى تسير به الاعمال ، والطوائف المختلفة عندما تجتمع فى أنديتهم تسرى بينهم كثير من الشائعات عن أمور تتعلق بمصالحهم ، أو عن أحداث جارية فى المجتمع •

وقد سبق أن أشرنا أنه فى بعض الاحوال تروج الشائعات وكأنها حقائق ، ولكن غالبا ما نجد البعض الذى ينشر الشائعة يرددها على أنها شائعة فيقول مثلا : « هذا ما سمعته ولست أدرى أحقيقة هو أم كذب » أو يقول : « الواقع أننى لا أعتقد صحة هذه القصة ، ولكن هذا ما يتحدث عنه الناس فى كل المدينة » •

ان مثل هذه الكلمات تعفى الرجل الذى ينقل الشائعة من الشعور بمسئوليته فى هذا العمل ، كما أن ذلك يعطيه فرصة لتطوير الشائعة بأن يزيد بعض التفاصيل التى تجعل قصته شيقة قابلة للتصديق •

ولنضرب لذلك مثلا من شائعات الحرب العالمية الثانية ، فقد انتشر فى الولايات المتحدة فى أثناء الحرب كثير من الشائعات مثل :

١ ـ وجد في جيب أحد الطيارين اليابانيين الذين اسقطوا يوم الاغارة على بيرل هاربر رغيف طازج من الخبز ، وقد لف في أوراق أحد مخابز جزيرة هونولولو « الجزيرة التي بها قاعدة بيرل هاربر الأمريكية » ٠

٢ ـ التقطت جثة ملاح ألماني من غواصة أغرقها الاسطول الامريكي قرب « كاب كود » ، وكانت في قبعته تذكرة لأحد مسارح نيويورك تاريخها سابق لتاريخ اغراق الغواصة والتقاط جثة الملاح الغريق بيومين ٠

ومهما كان في هاتين الشائعتين من عناصر حقيقية فمما لا شك فيه أن كثيرا من الاضافات والتحويرات قد لعبتا دورا كبيرا فيإخراجها بشكلها النهائي ٠ فليس من المعقول أن يضع الطيار رغيفا من الخبز في جيب رداء الطيران حتى لو حصل عليه فعلا ، والامر الثاني أنه لو التقطت جثة غريق من غواصة أغرقت بلغم أو طوربيد فليس من المحتمل أن تظل القبعة على رأس الجثة ٠

ولا أهمية هنا بكون أمثال هذه القصص غير منطقية أو غير معقولة ، انما المهم أنها تنوقلت المرة بعد الاخرى بواسطة أناس مختلفين وبشكل جارف ٠

وكلما كان الاتصال سهلا انتقلت الشائعة لمسافات كبيرة ، كما أنها تزداد قوة حينما يكون لدى الناس الرغبة في تصديقها ، أو عندما يحسون في الانصات اليها أو نقلها نوعا من الرضا ٠ فالانسان عادة يسره أن يكرر القصة التي تحقق شكوكه أو التي تعبر عن مخاوفه ، كما أنه يرغب في أن يضحك أو يهزأ على حساب آخر لا يحبه ٠

ومن ثم يمكن القول : أن الرأى العام هو الذى يخلق الشائعات ويبدعها ، كما أن الشائعات القوية الجريئة هي تلك التي تتمشى مع المخاوف والشكوك التي يشترك فيها كل شخص مع غيره من الناس ٠

هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى فان الشائعات قد تخلق الرأى العام أيضا وتوجده ٠

اذا فالشائعات وسيلة بدائية جدا لنشر القصص عن طريق انتقالها من فم الى فم ، وبقدر ما هى بدائية تبدو معدومة الكفاية وغير دقيقة ولا يمكن تعليلها .

ولدى الدول المتحضرة وسائل لنشر المعلومات أفضل من وسيلة الشائعات. لديها الاذاعة ، والتليفزيون ، والصحف وغيرها ، ولكن فى وقت الشدة والاضطراب تبرز الشائعات وتنتشر ويكون لها دورها فى زيادة الاضطراب . وفى مثل هذه الأوقات العصيبة نجد وسيلتين للأنباء تتنافسان : الأولى الصحافة والراديو ، والأخيرة الشائعات .

على أن الشائعات تنتشر على نطاق أوسع فى أثناء الحرب حينما تتطلب السرية فى الكثير من الموضوعات الهامة عدم نشر أخبار عنها . ولما كانت الصحف وأجهزة الاعلام توضع تحت الرقابة وتقل المعلومات التى تنشر على الناس ، فان هؤلاء يحاولون أن يلتقطوا ما يريدون معرفته من الأخبار بأى وسيلة ، وعندما تصل الامور الى هذا الحد فان الشائعات تبرز كبديل لذلك .

والواقع انه فى مثل هذه الاوقات تبرز الشائعات وتنجح فى كل مكان فى صفوف القوات المسلحة وفى صفوف المدنيين ، وتعمل على تقويض الخطط التى تعد بعناية ، بل تؤدى الى فقد الروح المعنوية بين المدنيين والعسكريين على حد سواء ، والى اشاعة الفزع والهزيمة .

هذه بعض العوامل ـ وليست كلها ـ التى تهيىء للشائعات أن تنتشر بين الناس ، وهذه العوامل لا يختص بها مجتمع معين ، وهى ليست بدعة فى وقت الحرب ولكنها طبيعة عامة موجودة فى كل أمة فى كل ركن من أركان العالم ، وفى كل حرب جرت من قبل .

على أن الأهم من ذلك تلك الدوافع السيكولوجية التى تعمل على ترويج الشائعات . هذه الدوافع تلعب دورا كبيرا فى ترويجها ، ومن ثم يحسن أن ننتقل الآن لدراسة الدوافع السيكولوجية وراء الشائعات المختلفة .

الدوافع السيكولوجية وراء الشائعات :

ينجم الغموض الذى يكتنف قصة أى شائعة عن عوامل عدة منها : انقطاع الأنباء أو تناقصها ، وعدم تصديق الشعب لأى خبر يذاع وفى هذه الحال يكون ثمة مجال للتوترات العاطفية التى من شأنها أن تجعل الفرد عاجزا عن الوصول الى الحقائق أو زاهدا فيها !

على أن للقصة أهميتها لأنها تحمل فى طياتها دوافع الشائعة ، فلو لم يكن الموضوع هاما بالنسبة للشخص الذى يروج الشائعة لما حاول أن يرددها • وقبل أن نوضح الدوافع النفسية التى تدفع مروجى الشائعات الى استمرار تغذيتها ، سنتكلم باختصار وبصفة عامة عن مكنونات الانسان الداخلية ، والتى قد لا يدركها أو لا يشعر بها ، ولكنها لها تأثير كبير على دفع معظم شائعات الحقد والكراهية •

ان الانسان من حيث هو آدمى مخلوق معقد يحمل فى أعماقه كل النزعات النفسية المتناقضة من : حب وكره ، وقلق واستقرار ، واقدام واستسلام ، وحزن وسرور وغيرها مما يحسه أى كائن بشرى • وقد يقضى كل منا وقتا طويلا يستبد به القلق من شىء دون أن يدرى ما هو هذا الشىء • وعلى الرغم من أننا قد نكون كبار السن فنحن لا نفتأ نتصرف فى بعض الاحوال كالأطفال ، نخاف ونتألم ونقلق دون أن ندرى لم نخاف ونتألم ونقلق ؟

ولكن هنـاك سببا واضحا يجعلنا نحن الكبار لا نرى بوضوح مشاعرنا الداخلية • ان للمجتمع حقوقا علينا ، ونريد أن نرتفع فى نظر من حولنا من الناس ، ولكن هناك كثيرا من الأشياء الدفينة نخجل من الاعتراف بهـا حتى لأنفسنا •

هذا الموقف هو ما يطلق عليه اصطلاح « الكبت » وهو الذى يجعلنا نميل الى التخيل ، أو الى المغالاة فى وجود هذه المشـاعر فى الآخرين • نحن نظن أن العيب موجود فى غيرنا وليس فينا على حد قول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

فنحن مثلا لا نريد أن نعترف بخطئنا ، ولذلك فنحن نقوم بأعمال عنيفة ونلقى باتهامات واسعة لنغطى هذه الحقيقة ، مثل قاطع الطريق أو السفاح الذى يبرر أعمال القسوة التى يرتكبها ملقيا اللوم على المجتمع بدعوى أنه هو الذى ساقه لهذا المصير ٠

نحن لا نحب أن نعترف بأننا ضيقو الأفق ، أو بأننا متحيزون ، أو بأننا أنانيون ٠ واذا تهيأ لنا أن نحول اللوم الى جماعة من أعدائنا ونتهمهم بالأنانية ؛ فاننا بهذه الطريقة نحول الانتباه عن تحيزنا ضد هذه الجماعة ، وفى نفس الوقت نتغاضى عن الأنانية الموجودة فى داخلنا ٠

أجل ، نحن لا نحب أن نعترف بعيوبنا ، فاذا أمكن أن نشير الى هذه العيوب فى الآخرين فان ذلك قد يكسبنا نوعا من احترام النفس ٠ وكثيرون منا يخجلون أو يخافون من دوافعنا ، وهذا يؤدى بنا الى أن نتهم الآخرين بالشذوذ ٠

وبدلا من أن نعترف بوجود هذه الصفات الانسانية الطبيعية فينا يعمد كثيرون منا الى حبسها فى أقسام من العقل ولا نسمح باقتحامها ، مدعين أنها ليست موجودة ٠ نحن نترك الجزء الامامى من عقولنا مفتوحا لاستخدامنا الواعى ، ولكننا نحتفظ بسرية الجزء الخلفى من عقولنا ولا نسمح بكشفه ٠ نحن نستقبل فى الجزء الامامى ما يظهرنا محترمين أمام الناس ، أما الجزء الخلفى فنظل محتفظين بسريته مانعين الدخول اليه ٠

هذا هو التفسير الحقيقى لكثير من الشائعات الكاذبة التى تعبر عن الحقد والكراهية ٠ هذه الشائعات التى تدق الأسافين بيننا وبين مواطنينا ٠ انها ليست الحقائق الخارجية التى تدفعنا لأن نسىء الظن ونلطخ سمعة جماعة من مواطنينا ، ولكنها المشاعر التى حبسناها فى الحجرات الخلفية من عقولنا ٠ فمن هذه الحجرات وعن طريق هذه السلالم الخلفية تتسرب الشائعات الخاصة بنقائص الآخرين وانحلالهم ٠ انها تستغل مخاوفنا وتستغل شعورنا بعدم الطمأنينة ، ولكننا نحاول دائما أن نبعدها عن الجزء الامامى من عقولنا ٠

وبغير ادراك نرفض دائما أن نعترف بنقطة الضعف هذه • ثم بدلا من ذلك نصدق ما يقوله مروجو الشائعة الآخرون • نحن نعكس على ضحية بريئة ما لا نحب أن يكون فينا • وحتى نشعر بزيادة الطمأنينة ننضم الى مروجى الشائعات ضد هذه الضحية ، فنعمل من جانبنا على ترويج الشائعة وأحيانا نضخمها •

ثم هناك شيء أغرب من هذا ولكنه حقيقى • اذا استبدت بنا رغبة ـ ونحن نعتقد أن هذه الرغبة شريرة أو خطيرة ـ فاننا لا نعمد الى قتلها ولكننا نحبسها بالحجرة الخلفية من عقولنا ، ولكن حبسنا اياها لا يعنى أننا سوف لا نحققها ، على العكس أننا نعمل على تغذيتها بالثرثرة والشائعات •

وبالاختصار يمكن أن نستمتع بهذه الملاذ الممنوعة ـ على الأقل ـ فى خيالنا طالما كنا قادرين على أن نحجزها عن الحجرات الأمامية • والحقيقة أن اقفال باب الحجرة الخلفية يعطينا فرصة أفضل للاستمتاع بها • ويصدق هذا طالما عجزنا عن أن ندرك بوضوح الدوافع التى تدفعنا الى هذا ، فاذا نحن أدركنا هذه الدوافع بدأ الخوف يدخل فى نفوسنا وعند ذلك نحاول أن نعثر على « كبش الفداء » فنعكسها عليه ، ولذلك نثير غضبنا عليه •

ومن الاهمية بمكان أن نبين هنا الهدف الذى تسعى الشائعة الى تحقيقه فمهاجمة الشيء الذى يكرهه الانسان يسرى عنه ، ثم ان ذلك يؤدى خدمة أخرى فى نفس الوقت اذ يبرر شعور هذا الانسان نحو الموقف ويفسر لنفسه وللآخرين ملابساته • وهكذا تطبق الشائعة أصول المنطق كما أنها تخفف من شدة توتره العاطفى فيقول شخص مثلا من الاقطاعيين أو المعزولين سياسيا : « لماذا لا أكره هذا النظام وألعن الاشتراكية ؟ أليست هى السبب فى تجريدى من جاهى وسلطانى ؟ » وتقول عانس فاتها قطار الزواج : (ألست أفضل من تلك السيدة التى تعيش هانئة ، مع زوجها وأولادها ؟) ويسأل شخص ما نفسه : (لماذا لا أشعر بالتفوق على زميلى ؟) انى لا أنغمس فى النقائص التى ينغمس فيها هو وأؤدى واجبى خيرا منه » •

غير أن ابراز دوافعنا العاطفية وجعلهـا معتدلة ليسا العملية الوحيـدة لاخضاعها للمنطق • فنحن نحاول دواما أن نستخرج معنى من البيئة التى نعيش فيها • فهناك الى جانب الضغط العاطفى ضغط ذهنى • ان محاولة ايجاد سبب معقول لموقف معقد هو فى حد ذاته دافع • وهذا يعلل حيوية كثير من الشائعات • نحن نريد أن نعرف « لماذا ، كيف ، أين » بالنسبة للعالم الذى يحيط بنا • ان عقولنا تحتج ضد الفوضى وتعترض عليها ، ومنـذ طفولتنا ونحن لا نفتأ نوجه السؤال : « لماذا ، لماذا ، لماذا ؟ ان هذا المجهود الذى نبذله لنصل به الى المعنى هو أوسع بكثير من ميلنا الطبيعى لتطبيق قوانين المنطق وتبرير حالتنا العاطفية المباشرة •

ان النتيجة شائعات حب الاسـتطلاع • ان الغريب الذى يفد على مدينـة صغيرة دون أن يعرف أحد عمله ثم يقيم فيها يثير قصصا كثيرة توضح للعقول المتسمة بحب الاستطلاع لماذا وفد على هذه المدينة ؟

أن استخدام الذرة فى خدمة الاغراض السلمية واكتشافات الفضاء ـ التى لا يفهم كنهها الجمهور ـ تثير الرغبة فى معرفة خصائصها •

ومجمل القول ان الشائعات من شأنها أن تلطف أو تخفف من حدة التوتر العاطفى بحكم كونها متنفسا يؤدى الى التفريج • انها تحمى وتبرر وجود هذه العواطف التى اذا واجهها صاحبها قد لاتكون مقبولة لديه •

وأحيانا تساعد على اعطاء تفسير أوسع لمظاهر البيئة المحيرة المختلفة، وبهذه الطريقة تلعب دورا بارزا فى جعل العالم المحيط بالشخص مفهوما •

ولكن هذا الدور نادرا ما يدركه مروج الشائعة • انه لا يعرف لماذا تروق له شائعة معينة ؟ ولماذا تستحق منه هذه الرغبة الملحة فى ترديدها ؟ انه لا يدرك المدى الذى تعكس فيه نفسـه فى القصص التى يروجهـا ، لانه لا يفهم عملية الانعكاس •

الانعكاس :

ويفسر البورت وبوستمان تلك الحالة تفسيرا منطقيا واضحا فيقولان : « اذا انعكست حالة الشخص العاطفية ـ دون أن يدرى ـ فى تفسيره لما حوله ، نسمى ذلك انعكاسا . انه يعجز عن استخدام أدلة موضوعية فى تفسيره للحقيقة التى تحيط به .

ان هذه العملية تحدث لكل واحد منا فى الاحلام . ونحن لا ندرك أن رغباتنا الخاصة ومخاوفنا وحبنا للانتقام هى المسئولة عن كل ما حدث فى الاحلام الا بعد أن نستيقظ .

ان الطفل النائم يحلم بأنه اكتشف جبالا من الحلوى « الجعان يحلم بسوق العيش » وان الشاب الضعيف البنية يحلم وهو نائم بالانتصارات التى حققها فى ميادين الرياضة ، وتحلم الأم القلقة بموت طفلها .

وتعتبر أحلام اليقظة أيضا من قبيل الانعكاس ، فنحن نسترخى على مقعد أو سرير ونترك لعقولنا أن تتخيل الاحداث التى تتحقق فيهـا آمالنا ورغباتنا ومخاوفنا . نتخيل أنفسنا سعداء مسرورين منتصرين ، أو قلقين مهزومين . كل بحسب طبيعته أو بحسب نوع العاطفة التى توجه سلسلة أفكاره الارتباطية .

ان الشائعة هى من نوع حلم اليقظة . فاذا كانت القصة التى نسمعها تفسر لنا الحقيقة التى تتفق مع حياتنا الخفية فنحن نميل الى تصديقها » .

وثمة قصة يمكن أن تفسر عملية الانعكاس ، ووقعت أحداث هذه القصـة فى عهد الرايخ الثالث الألمانى وهى تبين كيف كان عامل الرغبة والدوافع الذاتية سببا فى تلوين شائعة زائفة ضد انسان برىء .

لقد كان الجنرال فيرنر فون فريتشه قائدا عاما للقوات الالمانية فى عهـد الرايخ الثالث . وكان هذا القائد رجلا صارما مهذبا موهوبا وضابطا لامعا من رجال المدرسة الالمانية القديمة .

ولكن في عام ١٩٣٨ حاول هملر أن يلصق به تهمة ارتكابه جرائم الشذوذ الجنسي ، وقدم لهتلر أوراقا من الجستابو تثبت أنه كان منذ عام ١٩٣٥ يدفع الى مجرم سابق يدعى شميدت أموالا يشترى بها سكوته على الفضيحة .

ولنحاول أن نحلل الدوافع التى أدت الى نشر هذه الشائعة الزائفة ، ولماذا اختير فون فريتشه ليكون كبشا للفداء .

لقد كان جورنج يحلم بالوصول الى منصب هذا الرجل ، وقد مهد قبل ذلك بازاحة بلومبرج من منصب القائد العام بتشجيعه على الزواج من امرأة ذات ماض ملوث مما لا يتمشى مع التقاليد العسكرية الالمانية ، ومن جهة أخرى كان هتلر لا يميل الى فريتشه لأنه كان دائب المعارضة لمشروعاته الضخمة ، يضاف الى ذلك أن عداء فريتشه للحزب النازى ولا سيما للحرس الحديدى لم يكن سرا من الاسرار ، وهو أمر لم يكن قد أثار اهتمام الفوهرر فحسب ، بل استفز أيضا هملر قائد الحرس ورئيس الشرطة ، وحمله على التصميم تصميما حاسما على الاطاحة بهذا الخصم القوى الذى يتزعم الجيش .

أما بلومبرج فقد كان ينفث حقده وسخطه على فريتشه بسبب الموقف الصارم الذى وقفه الجيش من قضية زواجه(١) فلم يحاول أن يقنع هتلر بأن هذه الشائعة فرية ضد رجل نظيف ، بل دفعه حقده لان يسر للفوهرر بأن فريتشه لم يكن ميالا للنساء وعاش حياته كلها عزبا بلا زواج .

ان هذه القصة بالرغم من أنها زائفة فقد بنيت على بعض الحقائق ، فقد كان هناك فعلا ضابط فرسان متقاعد اسمه فريش لا فريتشه ، وكان فعلا مصابا

---

(١) كانت قصة زواج بلومبرج بسكرتيرته ايرنا جرون سببا فى المشكلات والمتاعب التى انتهت بازاحته من منصبه كقائد عام للقوات المسلحة الألمانية . لقد كانت ايرنا جرون امرأة ذات ماض ملوث مما جعل الجيش الألمانى يقف موقفا صارما من هذا الزواج . واستغل هتلر هذا الموقف وتخلص من بلومبرج تنفيذا لخطة التخلص من القادة العسكريين القدامى .

بالشذوذ الجنسى ، وكان هناك حقيقة شخص يدعى هانس شميدت وظيفته منذ حداثته التلصص على أصحاب الشذوذ الجنسى ثم ابتزاز المال منهم عن طريق تهديدهم بالتشهير •

واستغل الجستابو هذا الموقف ، ليلصق هذه التهمة الشائنة برجل من أعظم القادة الالمان فى عهد الرايخ الثالث وعمل على ترويجها بين الجيش •

وبالرغم من أن سمعة فريتشه كانت مضرب المثل الأعلى ، وعلى الرغم من أن كبار قادة الجيش أثبتوا بالتحقيق والأدلة أن الفريق فون فريتشه راح ضحية بريئة لمؤامرة قام بها الجستابو مستغلا قصة ضابط الفرسان سالفة الذكر ، فان الجستابو هدد شميدت بالموت اذا لم يصر فى شهادته على أن الذى ضبطه فى موقف شاذ هو الفريق فريتشه ، أما ضابط الفرسان فقد اعتقله الجستابو حتى لا يمكن من أداء الشهادة فى التحقيق ويبرأ فريتشه •

وما يهمنا فى هذه القصة هو عملية الانعكاس ، وقد لعبت دورا كبيرا فى خلق شائعة زائفة ورواجها متخذة فريتشه ككبش فداء •

على أن عملية الانعكاس قد تأخذ شكلا أكثر تعقيدا ، ولتوضيح ذلك سنضرب مثلا بواحدة من تلك الشائعات التى يتضمن أغلبها اتهامات باطلة فى حق جماعة من الناس ، أو هيئة رسمية ، أو القوات المسلحة ، أو الحكومة كلها ، وعلى الرغم مما قد يكون بها من منطقية أو حتى شبهة منطق فان عملية الانعكاس تلعب فيها دورا كبيرا •

ولنتذكر تلك الشائعة التى كانت تدور حول النقص فى اللحوم وارتفاع أسعارها عام ١٩٦٤ ولنفرض أن احدى ربات البيوت قد قالت لصديقة لها فى مقابلة معها :

« لقد سمعت أن عربات الجيش تقوم يوميا بالاستيلاء على جميع اللحوم الطازجة من مراكز ذبحها لارسالها الى القوات العاملة باليمن » •

فما الذى حدا بهذه السيدة الى أن تقول ذلك ؟

قد نجد الاجابة عن السؤال اذا حاولنا أن نطبق قانون الشائعات الاساسى على تلك الشائعة ، فالدليل فى هذه القصة غامض ، فهى فى موقف لا تستطيع أن تصل فيه الى حقائق بشأن هذا الموضوع ، كما أن نقص اللحوم أمر يهمها ويهم بيتها • بل قد يسبب لها بعض المعاناة النفسية فى اعداد وجبة الغذاء • وهى فى هذا الموقف تحاول أن تعرف السبب ، ولذلك فهى فى بحثها عن السبب تحاول أن تجد المصدر المذنب أو الملوم • وربما كان فى مكانها أن تعود باللائمة على اليمنيين أو السعوديين ، ولكن هؤلاء كانوا بعيدين عنهـا لدرجة أنهـا قد لا تدرك علاقاتهم بمتاعبها المباشرة الملموسة ، وفضلا عن ذلك فان وعى هذه السيدة أو درجة تفكيرها لابد أن يكون قاصرا عن معرفة جذور المشكلة الاقتصادية التى نجم عنها نقص اللحوم بحيث لا يكون للجيش دخل فيها ، ولكن ربما تكون هذه السيدة قد تأثرت نفسيا نتيجة مشاهدتها أو سماعهـا شيئا عن تصرف غير لائق من أحد العسكريين فى أمور التموين •

لهذا لابد من أن يتمثل للسيدة المجرم الشرير ، ولا بد من أن يكون هذا المجرم فى صورة الاحداث فتتهم الجيش بأنه السبب فى نقص اللحوم ، وهكذا يكون تفسير الامر وتحديد هدف اللوم • ان هذه العملية يطلق عليها اسم « الانعكاس التكميلى » لانها لا تعكس عواطف الشخص على الآخرين • ولكنها تجد فى سلوك الآخرين تفسيرا معقولا لشعورها •

ولنفرض أن هذه السـيدة اسـتخدمت الغش قليـلا بأن حجزت بعض كوبونات التموين فى أثناء شرائها لوازمها ، أو لنفرض أنها اشترت بعض المواد من السوق السوداء ، فلما كانت هذه المرأة مواطنة وطنية فانها لا تملك الا أن تقع فريسة لتأنيب ضميرها • ويحـاول كثيرون تهدئة ضمائرهم بالالتجاء من آن لآخر الى عملية « الانعكاس المباشر » •

ويشير ألبورت وبوستمان لذلك بهذه العبارة التالية :

« ان انعكاس ذنوبنا انعكاسا مباشرا « لا تكميليا » هو سلاح أمدتنا به الطبيعة لتجنب آلام تأنيب الضمير» . ويشير الى ذلك نفسه اميرسون Emerson بقوله : « ان ما نعتبره خطيئة فى الآخرين نعتبره تجربة بالنسبة لنا . ان الآخرين يخطئون ، أما نحن فلا نخطىء وحتى اذا أخطأنا فان خطيئتنا تافهة اذا قورنت بخطاياهم » .

ونعود الى تلك السيدة صاحبة الشائعة . فربما كان هدفها ـ دون أن تدرى ـ تهدئة ضميرها فتقول لنفسها : « ولماذا أشعر بالذنب ؟ ان عدم مراعاتى لقواعد التموين وأصوله طفيفة ! ان الجيش يستهلك أطنان اللحم ويحرمنا منها ! ان أخطائى اذا قورنت بأخطاء الجيش لا تعد شيئا مذكورا » .

وهناك دليل على أهمية التهرب من الشعور بالذنب بواسطة تصديق الشائعة . لقد وجد ألبورت ولبكين عام ١٩٤٥ ميلا من الناس الذين كانوا يصدقون الشائعات الخاصة باسراف رجال الجيش وتمتعهم بالامتيازات الخاصة بأنهم بالرغم من أنهم كانوا يختلسون فى عملية التموين ـ ويعترفون بذلك ـ فهم لم يشعروا مطلقا بالذنب أو بالخجل من عملهم . وعلى العكس كان الناس الذين يعترفون بأنهم غشوا وعانوا الاحساس بالخجل هم أقل الناس تصديقا للشائعات الخاصة بسوء تصرف الآخرين . بمعنى آخر اذا اعتقدنا بخطأ الآخرين فنحن نحاول أن نهرب من شعورنا بالذنب ومن تأنيب ضمائرنا ، أما اذا انحينا باللائمة على أنفسنا كان تصديقنا للشائعات أقل .

ان الذين يرفضون مواجهة أخطائهم يبحثون عن « كبش الفداء » أما الذين يعرفون نقط الضعف فى أنفسهم فانهم لا يحاولون ذلك .

هذا التحليل يوضح لنا العلاقة الوثيقة بين الشائعة وبين حالتنا العاطفية الذاتية التى غالبا ما تكون وثيقة جدا بقصة الشائعة ، بدرجة أننا قد نصف الشائعة بأنها انعكاس حالتنا العاطفية الذاتية .

هذا التحليل يشبه التحليل الذى أجراه ماك جريجور عام ١٩٣٨(١) عندما شرح أثر عامل الامنية الفكرى فى عملية التنبؤ • ففى تجربة له عام ١٩٣٦ وجه الى الناس سؤالا « هل سيستولى هتلر على السلطة فى مدى عام من هذا التاريخ ؟ » أجاب ٩٥٪ منهم بأنه سوف يفعل ذلك • ثم سئلوا ما اذا كان موقفهم الشخصى من هتلر موقف المناصر ، وأجاب معظمهم بأنهم يكرهونه • النقطة المهمة هنا أن شعور الكراهية لم يؤثر على تنبؤهم لأن الغموض هنا كان محدودا ، وكانت قبضة هتلر على ألمانيا فى ذاك الوقت قوية •

ومن هذا التحليل نخرج بأن معظم الناس يقومون بتنبؤاتهم طبقا لرغباتهم الذاتية دون أن يوجههم الدليل الموضوعى •

يقول ماك جريجور « ان تأثير العوامل الذاتية على التنبؤ محدود بدرجة غموض الموقف المؤثر ودرجة أهمية الموضوع للمتنبىء » ، فاذا كانت درجة الاهمية أو درجة الغموض صفرا يكون أثر العوامل الذاتية على التنبؤ صفرا • ففى الحالة السابقة لم تكن هناك رغبات ذاتية تؤثر على المتنبىء ، ولم يتعد سلوكه تسجيل غموض الموقف المؤثر الموجود ، فاذا كانت درجة الغموض معدومة كان الموقف المؤثر مانعا تماما •

على أنه من جهة أخرى نرى أن أثر الانعكاس والامنية لا يكون مطلقا بل محددا • انهما يعملان فقط اذا سمحت الظروف فيقوم الناس بدعم رغباتهم بالامانى واستخدام المنطق والانعكاس ، وهم يروجون الشائعات بنسبة غموض الموضوع ومقدار أهميته لهم •

وهكذا يظهر أن الشائعة ــ وهى من أقل ألوان النشاط الاجتماعى خضوعا لحكم المنطق ــ ظاهرة محدودة • وهى كالأمانى أو التمنى فى تجربة ماك جريجور تروج عندما تشعر الذات أنها مرتبطة بالموضوع وعندما لا يضع الدليل الموضوعى أو المعرفة قيودا منطقية أو ضغطا منطقيا على الحكم •

---

(١) M'Gegeor D., The Major Determinants of The Perdiction of Social Events, Journal of Abnormal and Social Psychology, 33, PP 159 - 166, 1946.

ويجدر بنا هنا أن نحاول تفسير الدوافع الذاتية التى تكون وراء ترويج نوع من الشائعات بحيث تعمل على النيل من سمعة أفراد من مواطنينا ، وهى ما يطلق عليها شائعات الجنس ٠

يرجع الدافع الذاتى الأساسى لاطلاق هذا النوع من الشائعات الى ما حبسناه من حياتنا الجنسية فى الغرفة الخلفية من عقولنا واصطلح على تسميته « الكبت » فنحن حينما نهاجم فئة من الناس بترويج شائعات من هذا النوع ضدهم فان الدافع الذاتى يكون فى أعماق نفوسنا ويعكس رغبتنا الكامنة ٠ نحن نحب أن نظهر محترمين أمام الناس فنتظاهر بأننا نخالف تلك الفئة المنحلة التى تسيطر عليها فكرة الجنس ، ولذا فنحن نحاول أن نستمتع سرا بما تقوم به تلك الفئة بتصديق ما يقال عنها وترديده ٠

وكلما كان المجتمع مقفلا كان الجنس عاملا هاما فى حياة أفراده بحيث يشغل جزءا ضخما من تفكيرهم ، ويحاول أفراد المجتمع أن ينفثوا عن كبتهم الجنسى اما : بالنكات المكشوفة ، واما بترك خيالهم ينسج من القصص ما يروى ظمأهم العاطفى ويفسر رغباتهم الدفينة ٠ ولقد تكون هناك عانس تقدمت بها السن وفاتها قطار الزواج ، وهى فى هذه الظروف لا تكاد تجلس الى أحد حتى تردد شائعات عن كل سيدة أو فتاة تعرفها ، وتنسج من خيالها قصصا زائفة عن سوء أخلاقهن وارتمائهن فى أحضان الرذيلة ٠

هذه العانس كأى بشر لها رغبات كامنة لم تستطع أن تحققها فى حياتها ، كما أننا لا نستطيع أن ننكر عليها عاطفتها الجنسية ٠ ولما كانت قد حرمت هذه المشاعر الطبيعية وتضخم المكبوت فيها فانها تحاول أن تستمتع بتلك الرغبات بالصاقها ببعض الضحايا الذين يعيشون حياتهم العادية سعداء راضين ، وهى فى ترديدها لمثل تلك الشائعات تكشف عما لم تستطع دفنه بل تحاول تغذيته لاشباع أحلام يقظتها ٠

وقد يبدو لنا أن نتساءل : لماذا يشعر بعض الناس برغبتهم فى الصاق تهم الجنس بالآخرين ، ولماذا ينغمسون فى ترويج تلك الشائعات ؟

الواقع أن الاجابة عن هذا السؤال ليست عادية ، فهى معقدة ومتشابكة ٠ فهناك كثيرون لا يشعرون فى قرارة أنفسهم بالاطمئنان الى مركزهم الاجتماعى فقط ، وانما أيضا الى مركزهم الاقتصادى وعفتهم الجنسية ٠ ان هذه كلها تحتل مركزا هاما فى حياتهم بحيث لا يمكن الفصل بين الواحدة والاخرى ، وأى تهديد الى واحدة منها تهديد الى الأخرى ، ومن ثم كان لابد لهذه الفئة أن تحاول أن تبحث عمن يكون « كبش الفداء » من بين من لا يحبونه ويرون فيه كل ماكانوا يتمنون فعله لو تركوا لانفسهم الحبل على غاربه ٠

وربما يكون مروج شائعات الجنس يشعر بعدم الطمأنينة فى عمله نتيجة احساسه بأنه مهضوم الحق ، أو نتيجة لسوء معاملة رئيسه له ، أو قد يكون محروما من مباهج الحياة ، ولهذا ينشأ فى نفسه شعور عميق بالغضب ٠ وفى هذه الحال لا يعرف تماما سبب غضبه كما لا يعرف من ينحى عليه باللوم ومن ثم يحاول أن يوجه عداءه وغضبه نحو ضحية بريئة ، فيختار هذه الضحية من بين الناس الذين يكرههم أو يجد فيهم تهديدا لمركزه : الاجتماعى ، أو الاقتصادى ، أو العاطفى ٠

وبالاختصار فان السبب فى هذا النوع من الشائعات مرجعه الى العقدة الاقتصادية أو العائلية أو الشخصية الموجودة فى الحاقد نفسه ٠

وعلى الرغم من تعقيد هذا التحليل لشائعات الجنس ، فاننا لا نبدو مغالين حينما نفسر التعقيد العاطفى الذى يحاول بموجبه أن يشخص مروج الشائعات عوامل الشر ثم يرجعها بعد ذلك الى أفراد قريبة منه ولكنها مختلفة عنه ٠

ولما كان اللوم الذى يوجهه مروج الشائعات الى هؤلاء الافراد أكثر مما يستحقون فاننا نطلق عليهم اسم « كبش الفداء » على نحو ما رأينا ٠

على أن هنالك عاملا آخر يعمل على ترديد شائعات الجنس ، فنحن كبشر لا نحاول أن نلقى باللوم على أنفسنا بسبب خطايانا الجنسية ، بل نجد أنفسنا دائما ونحن نتهرب من الشعور بالاثم • ولذا نجد أن من الأفضل التوجه باللوم الى الغير •

وفى هذا المجال نستطيع أن نجد تشابها قريبا بين شائعات الجنس وشائعات الحقد أو الكراهية من حيث أن كلا منهما يحاول التهرب من الشعور بالاثم • ففى كلتا الحالتين يحاول الانسان أن يهرب من ذلك عن طريق صب كل لوم على أناس لا يحبهم أو يكرههم لسبب ما •

ان الذين ينغمسون فى الملاذ الجسدية والمادية لا يحاولون أن ينحوا باللوم على أنفسهم لما يرتكبون من خطايا ، وهذه الفئة قلما تتحرك ضمائرها لتحاسب أنفسها على ما تفعل ، بل انها تتطرف فى القائها اللوم على الغير تبريرا لافعالها غير المشروعة •

ان أمثال هؤلاء الناس تبلدت أحاسيسهم الروحية ، واختلفت فى نظرهم معايير القيم الاخلاقية ، ولذا فان هجومهم على الغير بالنيل من سمعتهم يخفف من عليهم عبء تبرير أعمالهم •

أما الذين يحاسبون ضمائرهم على خطاياهم فهم أقل الناس تصديقا وترديدا لشائعات الجنس •

ولنعرض الآن لدوافع نوع آخر من الشائعات ، وهى شائعات حب الاستطلاع • ان هذه الشائعات تكشف عن جوع ذهنى أكثر مما تكشف عن حاجة عاطفية •

ان الانسان بطبيعته يحب أن يعرف ما هو غامض عليه ، ومن هنا تكون الاهمية ، ولأن بعض الناس لا يعرف ويجد الغموض فى بعض الامور فانه يقع فريسة لاستهواء الشائعة •

ان القصص الغريبة التى يرويها الاطفال عن تفسيراتهم لاعمال الطبيعة والعقل والقوة الالهية ، وتلك القصص الباهتة التى يرويها البعض عن أناس يقومون بأعمال خارقة تصل الى درجة الخرافات ، كذلك تلك القصص التى تنتشر فى مجتمعنا لتفسر شيئا غير معروف ٠٠ ما هى الا شائعات دافعها الاساسى حب الاستطلاع ٠ أن الأساطير القديمة ـ التى لا تخلو من الميول العاطفيـة ـ ما هى الا العلم فى صورة بدائية ٠

وبالاختصار فان المجهود الذى يبذل للوصول الى معرفة المعنى يخلق عامل الأهمية الذى يلعب دوره فى ترويج الشائعة أو الاسطورة ٠ ان الحاجات الهامة لا تقتصر على النوع المادى فقط ، فقد تكون عقلية أيضا ٠

والآن قد يبدو لنا أن نتساءل : هل يوفى التحليل السابق تفسير كل الدوافع التى تكمن وراء أى شائعة ؟ وهل هناك أسباب أخرى تعمل على رواج الشائعة ؟

الواقع أن من الصعب على أى باحث أن يحدد تلك الدوافع فى شكل شامل جامع الا اذا كان موضوعا منفصلا فى حد ذاته ، وانما هدفنا من هذا التحليل هو اعطاء صورة عامة تساعد على تفهم الدوافع الذاتية الرئيسية التى تعمل على ترويج الشائعات ٠

على أنه لكى نستكمل الاجابة عن السؤال السابق ، نجد أن هناك أسبابا ثانوية تعمل على ترويج الشائعة ، وليس من المنطق أن نقول أن كل مروج للشائعة يكون الدافع له ما سبق شرحه ٠

فقد يحدث فى بعض الاحيان أن يكون الدافع الى ذلك خاصا ولا علاقة له بموضوع القصة ، فمثلا يكون غرض مروج الشائعة مجرد لفت النظر اليه ٠

فهناك بعض الناس ممن يحبون الظهور والتظاهر بالعلم ببواطن الأمور يتوهمون فى سلوكهم هذا انهم يصبحون مهمين أمام الناس ، فيقومون بسرد

أخبار عن موضوعات لا يعرفها المستمع كأن يقول أحدهم مثلا : « أنى سمعت من مصدر مسئول أن الحكومة قررت كذا وكذا ... أو قالت لى شخصية هامة : أنه صدرت قرارات فى كذا أو كذا ... » .

والواقع أن أمثال هؤلاء غالبا ما لا يكونون على بينة بأى صغيرة عن الموضوعات التى يتحدثون عنها ، ويبنون من خيالهم ما يوهم المستمع أنهم يعرفون الكثير ، أو قد يكونون على بينة من بعض الامور التى يعرفها الناس فينسجون عليها قصة من خيالهم أو يفسرون رغبة كامنة فى نفوسهم .

ان معرفة شيء من الاشياء يرضى فى الانسان الرغبة فى أن يكون مهما ، لأن الشخص وهو يقص قصة يكون فى أثناء ذلك مسيطرا على سامعيه . هذا الارضاء أو الاشباع لا يستطيع أن يقاومه كل من كانت حياتهم باهتة خالية من الأحداث . أما المستمع الذى يقوم بترديد الشائعة التى سمعها من مثل أولئك الناس فغالبا ما لا يكترث للشائعة نفسها بقدر ما يروجها لمجرد الثرثرة .

كذلك يحدث أحيانا أن يحس الشخص برغبة فى أن يسد فراغا فى حديث له مع صديق بأن يروى له ما سمعه أخيرا . ولذلك نجد كثيرا من الناس ممن لا يشتركون فى الناحية العاطفية التى تتضمنها الشائعة يعملون على انتقالها . ان هؤلاء الناس غير مسئولين عن خلق الشائعة أو تشكيلها ولكنهم يعاونون على انتقالها فقط .

وأمامنا مثلا تلك الفئة من الناس التى تحاول دون وعى أن تستمع الى الاذاعات المعادية وتعمل على نقل دعايتها المسممة الى أصدقائها لمجرد الزهو أمامهم بأنها أكثر علما منهم بما يجرى من أحداث .

وقد نشك لأول وهلة فى ولاء هؤلاء الأفراد نحو وطنهم ، ولكن غالبا ما يكون سبب استماعهم الى هذه الاذاعات نتيجة عقدة حب التظاهر بمعرفة

ما لا يعرفه الناس ، وهم فى ترديدهم لتلك الدعايات المغرضة لا يقدرون أنهم يبثون سموما فتاكة بين مواطنيهم ٠

وقبل أن ننتهى من هذا نود أن نشير الى الدوافع السيكولوجية التى تدفع الانسان الى التسرع فى نشر شائعات عن أحداث مقبلة كاعلان الهدنة وقت الحرب ، أو انتظار أحداث سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية لها تأثير على كيانهم ٠ فان النهاية المتوقعة تكون على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لاناس كثيرين مما يجعلهم يعيشون فى أحلام اليقظة ٠

ان فى حياة الفرد العقلية حالة من التوقع الديناميكى القوى ، فعندما يتم كل شىء بعد انتظار طويل جدا ولا يبقى الا شىء صغير ، نكون على استعداد لتلقى الخبر ٠ اننا فى موقفنا هذا أشبه بالحيوانات التى تجرى ساعية الى صندوق طعامها ، فهى تزيد من سرعتها ساعة اقترابها للنهاية ٠

وليتصور كل منا نفسه حينما يكون فى انتظار خبر هام له ، فانه اذا ما دق جرس التليفون أسرع اليه وهو يحس أن فى المكالمة التليفونية اجابة لموضوعه ٠ واذا دق جرس الباب أسرع ملبيا معتقدا أن من يدق بابه هو الشخص الذى ينتظره ، واذا ما وصل اليه خطاب أسرع الى فضه بأعصاب متوترة ، محاولا أن يعرف فى أقل وقت ماذا فى الخطاب ٠

وبوجه عام فان الدوافع الذاتية للانسان متشعبة متماسكة ، وهى تلعب دورا رئيسيا فى خلق الشائعات وترويجها ، كما أن هذه الدوافع لها ارتباط مع أهمية موضوع الشائعة وغموضه ٠ ولذا نستطيع أن نقول ان الشائعة تتبع قانونا سيكولوجيا أعم مما سبق ذكره ويمكن أن نلخصه فيما يأتى :

« ان الدوافع الذاتية لها ارتباط وثيق بمعادلة الشائعة الاساسية ، وهى تتأثر بنسبة تأثير امتزاج أهمية الموضوع وغموضه » ٠



تحليل الشائعة

ازدهرت الشائعة وانتشرت فى أيام الحروب وأيام السلم ، وفى أيام الكساد وأيام الرخاء • هذه حقيقة قديمة ترجع الى أيام نشأة المجتمع الانسانى •

لماذا تنتشر الشائعات ؟ ما الدوافع التى تشبعها الشائعات ؟ ما القوانين التى تتحكم فى مدى انتشار الشائعة ، وما التشويهات التى تلحق بالشائعات الفردية فى أثناء تداولها ؟

لقد كانت هذه التساؤلات محل بحث الفصلين السابقين ، والواقع أن الاجابة عنها كانت بمثابة تمهيد لهذا الفصل ، فان أى محلل للشائعات لا يستطيع أن يقوم بالتحليل الصحيح الا بعد أن يكون قد ألم تماما بما جاء فى الفصلين السابقين •

ونود أن نذكر القارىء هنا بتلخيص لبعض النقاط الرئيسية التى جاءت فى الفصلين السابقين والتى لابد أن تكون فى ذاكرة المحلل كأساس ضرورى لتحليل أى شائعة •

لقد سبق أن قلنا : ان الشائعة تبدأ عندما لايكون هناك خبر ، ولذلك يجب أن يزود الشعب بأدق الاخبار ، بصفة عاجلة وكاملة ، حتى يكون على بينة بما يدور حوله من أحداث تؤثر فى حياته ومستقبله • فالناس اذا ما تأكدوا من أنهم يقفون على أسوأ الأخبار فليس من المحتمل أن يحاولوا اظلام الصورة أكثر من ذلك بابتكار صور لا وجود لها بقصد تبرير قلقهم •

وليس من العسير كما بينا أن نبرهن على أن الشائعات تكثر أيضا عندما تكثر الاخبار • لقد لاحظنا أن أغلب الشائعات التى انتشرت فى بلادنا فى السنتين الماضيتين جاءت نتيجة لما كانت تذيعه محطة اسرائيل وتنقله عنها بعض الصحف الأجنبية المأجورة للاستعمار والرجعية • ان الشائعات التى كانت تهدف للاثارة والبلبلة والتى نشرتها الصحف المعادية الاجنبية فى صورة أخبار كاذبة لم تكن أكثر من أمان معادية شريرة تكمن فى نفس كل عدو لهذا البلد •

على أنه اذا لم تكن الاحداث العامة تستحق الاخبار فليس من المحتمل أن تولد الشائعات • ولكن يحدث فى ظروف معينة أنه كلما أفردت الصحافة مكانا بارزا للخبر — بخاصة الخبر الهام — ازداد تحريف الشائعة وتشويشها •

وقد يخطىء البعض فيقولون : ان الشائعة هىعملية فكرية خالصة ، أو انها شىء يستخدمه الشخص بدلا من المعلومات التى يمكن التعويل عليها ، اذ أن هذا الرأى يتجاهل الحقيقة التى تقول أنه عند وقوع احداث على جانب عظيم من الأهمية لايرضى الانسان أن يقف عند مجرد قبول الحادث • ان حياته تتأثر تأثرا عميقا بالحادث ، ولذلك تقوم المؤثرات العاطفية بتوليد كل أنواع الخيالات ، انه يسعى الى التفسير ثم يتخيل نتائج بعيدة الوقوع •

ومع ذلك فان هذا الرأى يكون جزءا من معادلة انتشار الشائعات والسيطرة عليها • فالشائعة تنتشر اذا ما كان للحادث أهمية فى حياة الافراد وعندما تكون الاخبار ناقصة أو غامضة من الناحية الموضوعية • وقد ينشأ الغموض : اذا كان الخبر غير واضح ، أو اذا كان الفرد قدتلقى عدة صور متناقضة عن الخبر الواحد ، أو اذا وجد أنه عاجز عن فهم الخبر •

ولقد خرجنا من ذلك بوجود قانون أساسى لقوة الشائعة يرتبط بالاهمية والغموض واستطعنا أن نحدده فى شكل معادلة جبرية كالآتى :

قوة الشائعة = الأهمية × الغموض •

ثم ربطنا هذا القانون بدوافع ترويج الشائعات ، وأشرنا الى أن الشائعة لا تروج الا اذا كان لموضوعها أهمية بالنسبة للفرد الذى يستمع اليها وينشرها ، وقد وجدنا أن الرغبة أو الاهتمام بالامور الجنسية تعلل كثيرا من الثرثرة كما تعلل معظم الفضائح ، كما أن القلق هو الدافع الى نشر قصص الرعب والتهديد التى كثيرا ما نستمع اليها ، ونجد الأمل والرغبة تعبـــر عن شائعات الاحلام ، أما الكراهية فتولد القصص الخاصة باتهام الناس والنيل من سمعتهم ٠

ومن المهم أن نلاحظ أن الشائعة ليست عمليـــة سهـلة وانما هى تخدم أغراضا مركبة ، فشائعة العدوان التى تدفعنا الى أن نصنع الشىء الذى نبغضه تخفف عنا دوافع عاطفية أولية ٠ وهى فى نفس الوقت تبرر لنا شعورنا نحو موقف خاص ، وتشرح لأنفسنا وللآخرين لماذا نشعر بمثل هذا الشعور ؟ وهكذا نرى أن الشائعة وسيلة للتبرير والتخفيف ٠

ولكن تبريرنا لدوافعنـــا العاطفيـــة وجعلهـــا معقولة ليسا الشىء المنطقى الوحيد الذى نقوم به ٠ فهناك بخلاف ضغط بعض العواطف المعينة سعـــى من جانبنا كى نستخلص معنى من البيئة التى تحيط بنا ٠ فهناك الى جانب الضغط العاطفى ضغط فكرى ، ومحاولة ايجاد سبب معقول لموقف معقد هو فى حد ذاته دافع ٠ وتساعد الرغبة فى الوصول الى نهاية طيبة فى تعليل كثير من الشائعات ٠ فنحن نريد أن نعرف لماذا ٠٠ وكيف ٠٠ وأين ٠٠ بالنسبة للعالم الذى يحيط بنا ٠ ان عقولنـــا تحتج على الفوضى ، ومنذ عهـد الطفولة ونحن نواصـــل طرح الأسئلة ٠ لماذا ٠٠ لماذا ٠٠ لماذا ؟ ان هذه المحاولة لاستخلاص المعنى أقوى من ميلنا الفريزى نحو تبرير حالتنا العاطفية المباشرة ٠

واذا ما انعكست حالة الشخص العاطفية ـ دون أن يدرى ـ على تفسيره للبيئة التى تحيط به فنحن نتكلم هنا عن الاسقاط أو الايعاز ٠ فهو لم يوفق فى أن يستخدم دليلا محايدا موضوعيا فى تفسيره للحقيقة التى تحيط به ٠

ويقوم كل واحد منا بعملية الاسقاط هذه فى أحلامنا ٠ فبعد أن نستيقظ ندرك أن رغباتنا الخاصـــة ومخاوفنـــا وحبنا للانتقـــام هى المسئولة عن كل

ما حدث فى أحلامنا الخيالية • المراهق يحلم فى أثناء نومه بعروس البحر ، ويحلم الشاب الخامل فى الدراسة بنجاحه فى الاختبار ، وتحلم الأم القلقة بموت طفلها •

وتعتبر أحلام اليقظة أيضا نوعا من الاسقاط ، فتصور عقولنا ونحن فى حالة استرخاء أحداثا تصور آمالنا ورغباتنا ومخاوفنا فنجد أنفسنا نحقق نجاحا أو اشباعا لرغباتنا أو هزيمة أو دمارا حسب مزاجنا وحسب عواطفنا التى تقود تداعى أفكارنا فى هذه اللحظة •

والشائعة هى أشبه ما يكون بحلم اليقظة • فاذا كانت القصة التى نستمع اليها تفسر الحقيقة تفسيرا يتفق مع حياتنا الخفية فاننـا نميل الى تصديقها والى نقلهـا •

وبالاختصار تتحرك الشائعة فى الوسط الاجتماعى المتجانس وتستمر فى حركتها طالما استهوت الرغبات الشخصية القوية للافراد المشتركين فى عملية النقل • ويستخدم النفوذ القوى لهذه الرغبات الشائعة كعامل مبرر يتطلب منها لا أن تعبر عن الرغبة العاطفية فحسب بل كذلك تشرح وتوفر معنى لهذه الرغبة وتبررها • ويحدث أحيانا أن تكون العلاقة بين الرغبة وبين الشائعة وثيقـة الصلة لدرجة تحتم علينا أن نفترض أن الشائعة ما هى الا اسقاط لحالة عاطفية شخصية •

الطريق الأساسى الذى يتم فيه تحريف القصة :

من الملاحظ أن نفس نمط التحريف يوجـد فى التغييرات التى يمر بهـا ادراك الفرد وذكرياته على مر الوقت ، وفى التحريفات التى تتم فى القصة فى أثناء انتقالها من شخص الى شخص • وهناك ثلاثة مظاهر لهذا التحريف وهى : التسوية ــ والشحذ ــ والاستيعاب •

فالقصة تميل وهى تنتقل من شخص الى شخص الى أن تصبح أقصر من ذى قبل وأسهل فهما وأيسر رواية • وفى أثناء عملية انتقالها المتوالى « تسوى »

كثير من التفصيلات الاصلية شيئا فشيئا • وقد لوحظ من التجارب التى أجريت على الشائعات ان كثيرا من التفاصيل التى كانت موجودة تسقط بشدة فى أول سلسلة الانتقالات • وفى كل مرة تروى فيها الشائعة يستمر عدد التفاصيل فى الهبوط ـ ولكن ببطء ـ ويحدث نفس الشىء فى الشائعات الفردية • ولكن التسوية التى تتم فى الشائعة الاجتماعية فى مدى دقائق معدودات تستغرق أسابيع فى حالة الشائعة الفردية •

وفى الوقت الذى تتم فيه تسوية التفاصيل تشحذ فيه التفاصيل المتبقية . وتدل عملية الشحذ على ادراك انتقائى وعلى استبقاء انتقائى وعلى رواية تفاصيل قليلة عن الموضوع الأصلى الكبير • وبالرغم من أن عملية الشحذ ـ كعملية التسوية ـ تتم فى كل مرة تروى فيها الشائعة فان العناصر التى يقع التركيز عليها ليست هى نفسها فى كل مرة • ويعتمد هذا كثيرا على تركيب الجماعة التى تنتقل بينها الشائعة ، فتشحذ العناصر التى تلقى اهتماما خاصا من رواة الشائعة •

ما الذى يدفع الى اغفال بعض التفاصيل وابراز البعض الآخر ؟ وكيف نعلل نقل بعض أجزاء مكان البعض الآخر مما يغير من الحقيقة ؟ •

ان الاجابة عن هذه الأسئلة توجد فى عملية « الاستيعاب » التى هى نتيجة للقوة الجذابة للعادات والرغبات والمشاعر الموجودة فى عقل المستمع • فعند رواية الشائعة ثم اعادة الرواية مثلا تحدث عملية لاستيعاب الموضوع الأساسى ، فتشحذ العناصر أو تسوى حتى تلائم الدافع المهم للقصة وتصبح العناصر متلائمة مع هذا الدافع بشكل يجعل القصة فى نهاية الامر أكثر تماسكا وأكثر منطقا وأفضل شكلا • وغالبا ما يتفق الاستيعاب مع المتوقع ، فتدرك الأشياء وتتذكر كما هى فى العادة • وأهم من هذا كله تعبر عملية الاستيعاب عن نفسها بتغييرات وتحريفات تعكس عواطف الشخص العميقة الجذور كما تعكس موقفه وتحيزه •

وبالرغم من أن التسوية والشحذ والاستيعاب يتميز الواحد منها عن الآخر بغرض التحليل ، فانها ليست عمليات مستقلة ، انها تعمل مجتمعة فى نفس الوقت ، وهى تعكس العملية الفريدة ذات الصبغة الشخصية التى تؤدى الى التحريف الذى يميز الشائعة .

مزج الموضوعات فى الشائعة :

اذا أردنا أن نعرض للعواطف التى تعتمل وراء اطلاق الشائعة ودعمها نجد انها مهمة شاقة لأن الدوافع اليها معقدة وذات عمق بالغ . وقد بذلت محاولة فى أثناء الحرب العالمية الثانية لتصنيف الشائعات على أساس الدافع الذى تعكسه الشائعة ، وقد دل التحليل الذى أجرى على ألف شائعة من شائعات الحرب التى كانت سائدة فى عام ١٩٤٢ على أن معظم القصص تقريبا كانت تعبر عن العداء أو الخوف أو الرغبة . وكان تصنيف الشائعات طبقا لدوافعها أسهل فى وقت الحرب منه فى وقت السلم . ولكن حتى فى وقت الحرب كان تصنيفها طبقا للشعور بالبغض أو الخوف أو الرغبة ميسرا أكثر مما يجب . فيمكن مثلا أن يكون مبعث شائعة الخوف « مثل وحشية العدو » عناصر من الرغبة فى الجنس أو المغامرة أو الشعور بالتفوق الأدبى . ان الدوافع التى تدعو الى استيعاب شائعة هى دوافع معقدة مركبة ذات صبغة شخصية .

واذا أردنا أن نعرف لماذا يروى فرد قصة معينة فلا بد من دراسة اكلينيكية لهذا الفرد . ونتيجة لتنوع الدوافع وامتزاجها فى الشائعة نجد أن أى تصنيف سيكولوجى لها يصبح عاديا وبدائيا .

ولهذا يجب ألا نتوقع وجود شائعة واحدة ذات صلة بعاطفة واحدة أو بميل ادراكى واحد . ان عملية الاستيعاب لا تعمل على أساس الوحدة ، وقد تخدم القصة التى تبدو سهلة لأول وهلة كمفسر ومبرر ومخفف لمزيج من العواطف .

أسس التحليل :

وحتى يستطيع الشخص أن يكتسب الدراية في تحليل الشائعة عليه أن يلم بالمبادىء التى سبق أن بسطناها ، ثم عليه بعد ذلك أن يتدرب على تطبيقها • فمما لا شك فيه أن الشخص يحتاج الى درجه معقولة من التشكيك فيما يصل الى أسماعه أو ما يقع تحت بصره ، كما يجب أن يكون من طبيعته مراجعة هذه الوسائل على تجاربه الماضية المتصلة بها ثم طرحها ــ على قدر الامكان ــ على أدلة موضوعية مقننه •

وفي هذا الفصل ندعو القارىء الى أن يقوم بفحص عينات مختارة من الشائعات • واذا بدا بعض هذه الشائعات قديما فانه يتبين أنها سريعة الزوال • ان الشائعات قصيرة الاجل لأن دائرة اهتمام الناس تتغير دائما وبسرعة • ويمكننا أن نتعلم الشيء الكثير من دراسة أمثلة من شائعات مأخوذة من أجواء اجتماعية مختلفة حتى ولو كان بعضها مؤرخا •

ولا يمكن أن يكون التحليل كاملا من جميع الوجوه بسبب أن الاحوال السيكولوجية والاجتماعية الدقيقه التى راجت فيها القصة لا نعرف عنها الا جزءا صغيرا عن طريق الاشارة فقط • وفضلا عن ذلك ليس هناك قصة واحدة توضح كل مبادئ الشائعة وان كانت معادلة الشائعة الاساسية يمكن أن نراها في كل حالة •

فاذا تعذر تطبيق المعادلة على الحالة فمعنى ذلك أن العينة التى تدرسها ليست شائعة ، أو أن المعادلة خاطئة • والحقيقة أن سلامة كل المبادىء التى سبق أن ذكرت تبين نجاح المعادلة في شرح أمثلة الشائعات الملموسة • واذا وجدنا أن بعض المبادىء لا تنطبق على الشائعة فانه يجب أن نطرحها جانبا أو نراجعها •

بعض حالات لدراسة الشائعات :

ولندرس بتفصيل دقيق نموذجين من الشائعات ، واذا كان هذان النموذجان قديمين فهما يوضحان أنهما قصيرا الأجل ، وذلك لأن مجال اهتمام الانسان

يتغير تغيرا سريعا • ومع ذلك فانه يمكننا أن نتعلم من دراسة الأمثلة الشيء الكثير، وهي مشتقة من أجواء اجتماعية مختلفة •

ولا يمكن مطلقا أن يكون تحليل أية شائعة كاملا لأن الاحوال السيكولوجية والاجتماعية الدقيقة التي تقال فيها الشائعة معروفة فقط معرفة جزئية ، وتكون هذه في الغالب عن طريق الاستدلال وحده ، هذا بالاضافة الى أننا لا نتوقع وجود قصة توضح كل مبادىء الشائعة ولكن يمكن الكشف عن قوانينها في كل حالة •

ولقد قام جوردون و• البورت(١) بتحليل لهاتين الشائعتين ، والتعليق عليهما وتعتبران من أفضل النماذج للدراسة والتجربة •

النموذج الأول :

انتشرت عقب وقوع زلزال سان فرنسسكو في ١٨ من ابريل عام ١٩٠٦ مباشرة أغرب الشائعات في المدينة • وقد أورد جوتشمبرلين في صحيفة « صنداى صان » في عددها الصادر في ٣١ من مارس ١٩٤٦ أربعا منها :

- ابتلعت موجة من المد مدينة نيويورك في نفس الوقت الذى وقع فيه زلزال سان فرنسسكو •
- انزلقت شيكاغو وغرقت في بحيرة متشيجان •
- كان من نتيجة الزلزال أن خرجت حيوانات حديقة الحيوان من أماكنها وقامت بالتهام اللاجئين الى حديقة جولدن جيت •
- شوهد الرجال وفي جيوبهم أصابع سيدات لأنه لم يكن لديهم الوقت الكافي لنزع الخواتم من أصابع السيدات • ويرتبط بالقصة الاخيرة أن مرتكبي هذه الجرائم كانوا يشنقون دائما على أقرب عمود للنور •

---

(١) Personality and Social Encounter, by Gordon Allport, 1960, Beacon Press, Boston, PP. 319 - 323.

التعـــليق :

ان القارىء الذى يوصف بالشك ليعجب من أن هذه الشائعات التى يوردها صاحبها بعد وقوع الحادث وتداولها بأربعين سـنة قد تناولها التحوير وأنواع التحريف الاخرى . ومثال ذلك كلمة « دائما » فى الشائعة الاخيرة ، اذ يصعب بكل تأكيد أن نقيم الدليل على أن كل قصـــة من هذه القصص كانت تنتهى بمحاكمة وصدور نفس الحكم .

ولقد سجلت هذه الشائعات التى تداولها الناس عقب الكارثة . ويمكننا أن نفترض ـ لغرض التحليل ـ انهـا لم تتغير كثيرا عن الشائعات التى راجت وقت الحادث .

١ ـ ان المبدأ الواضح الذى تبينه هذه السلسلة هو خصوبة الشائعـة ومقدرتها على التكاثر . وكانت الاهمية البالغة والغمـوض الـكبير مسئولين عن رواج القصة الغريبة وراء القصة الغريبة الاخـرى ، وكثير منها هى صور متغيرة لقصص أخرى . ان سلسلة الترابط واضحة : لقد دمرت مدينة كبيرة ، فلماذا لا ينطبق هذا على المدن الكبرى الاخرى ؟ .

٢ ـ ويحاول الناس قياس أهمية الحادث كمرحلة أولى تستهدف الوصول الى معنى . وكان الناس يقولون مجازا « لايمكن أن تسوء الأشياء أكثر مما ساءت » . فبعد أن فقدوا بيوتهم وخسروا احباءهم بالغوا فى وصف شعورهم بالقلق والحزن بأن أضافوا ما قام به الحيوانات المفترسة والمجرمون من فساد ، وما لحق مدينة أو مدينتين كبيرتين من دمار . وعن طريق هذه الزخارف نقلوا شعورهم نقلا مجازيا بالكارثة الشاملة التى وقعت .

٣ ـ وعندما يحاول النـــاس الوصول الى معنى فانهم يقومون بعـــدة استدلالات كثيرة بعضها معقول وبعضها غير معقـــول . ومن بين

الاستدلالات المعقولة احتمال أن يفك الزلزال سراح الحيوانات التى كانت فى الحديقة • ولا نستطيع فى الوقت الحاضر أن نجزم ما اذا كان هناك ظل من الحقيقة فيما قيل أو لم يكن • ومن المحتمل أن تكون الاقفاص التى تهشمت قد سمحت لبعض الحيوانات أن تهرب • ولكن كان من المحتمل عندما انتشرت الشائعة أن بعض العبارات كانت قد سويت لدرجة أن زيدت حدة اندفاع الحيوانات • كما يبدو أن تركيز القصة هو الذى جاء بهذه النهاية المفجعة للاجئين • ويلعب الخيال ـ فى الشائعة كما فى الاحلام ـ دور الموحد بين الاحداث المتباينة ، فهو يحيل الاشياء المعقدة الى أشياء عادية ، كما يخلع الترتيب والنظام على الفوضى والاضطراب • وفى هذه الحالة المعينة كانت الحيوانات موجودة فى حديقة جولدن جيت كما كان اللاجئون فى حديقة جولدن جيت أيضا ، فكانت النتيجة أن أصبح اللاجئون فى بطون الحيوانات •

٤ ـ أما شنق المجرمين فيمثل نهاية ذات مغزى وانتقاما خياليا • ولما لم يكن هناك سبب شخصى للكارثة فقد كان سالبو الموتى هم كبش الفداء فى طوفان هو من صنع الله •

٥ ـ وشائعات الفزع هى المرحلة الاخيرة من مراحل شائعات التمرد ، فليس هناك شىء غريب لا يمكن تصديقه بشرط أنه يفسر أو يخفف الاضطرابات السائدة • ولكن على خلاف شائعات التمرد فان القصص التى يسببها الفزع ليس لها مراحل سابقة ما لم يتطور هذا الفزع بالتدريج ، وهذا موقف غير عادى •

٦ ـ وهنا لا نستطيع أن نقيم الدليل على وجود سلاسل من الشائعات • لقد كونت الكارثة وحدة كاملة من الاهتمام لدرجة أننا نستطيع أن نتخيل أن أحدا ممن نجوا منها قد قص هذه القصص على رجل غريب • ولا يمكن أن نتصور أن مواطنا من نيويورك أو شيكاغو

يصدق الخبر الذى يقول بتدمير مدينته • ان سكان هاتين المدينتين الكبيرتين لهم مستوى معين من الأدلة مما يجعل تصديقهم لهذه القصص حقيقيا • ومن المشكوك فيه أيضا أن تكون الصحافة قد نشرت أى شائعات يمكن التحقق من صدقها • لقد نشرت قصصا لا يمكن التحقق من صدقها بلا دليل الا دليل السمع فقط واستمر الناس يصدقونها فى جميع انحاء البلاد حتى فقد الموضوع اهتمام الناس به •

٧ ـ ويمكننا أن نتخيل بعد الصيت الذى يظفر به راوى هذه القصص المرعبة • ان الامة جميعها كانت فى حالة من الاضطراب يجعلها تواقةالى الاستماع الى أخبار من أىنوع•فحالما عرفتالخطوط العريضة للكارثة شعر الناس بنهم الى التفاصيل التى تكمل الصورة ورحبوا بها• ولذلك كان الجار الذى يقدم آخر الاخبار محل الترحيب وموضع الاستماع وحتى يمن هذا الجار على جيرانه كان يضيف الى قصته تفاصيل من نسج خياله •

النموذج الثانى :

لقد ذاعت القصة التالية فى أثناء زيارة مدام شانج كاى شيك لامريكا فى عام ١٩٤٣ ويقال ان القصة وقعت فى مدينة بالتيمور • وتقول القصة : انه حدث فى أحد الايام أن دخل رجل محلا لبيع الجواهر وطلب شراء ساعة ثمنها ٥٠٠ دولار • ولم يكن صاحب المحل يبيع سلعا بمثل هذا الثمن المرتفع ، ولكنه استطاع أن يجمع له ساعات قيمة ليختار من بينها ما يريد • فاختار المشترى عددا من الساعات يبلغ ثمنها ٧٠٠٠ دولار • وعندما سأله صاحب المحل عن الطريقة التى سوف يسدد بها الثمن قال المشترى أنه سكرتير مدام شانج وطلب منه أن يضيف الثمن خصما على معونة الاعارة والتأجير •

التعـــليق :

كانت هذه من الشائعات التى انتشرت فى أيام الحرب العالميــة الثانيــة المسماه شائعات « دق الاسافين » ، وكان الغرض منها الوقيعـــة بين الولايات المتحدة وبين حلفائها • وكانت هذه القصص تقض مضاجع المسئولين فى الحكومة• ومن نفس هذا النمط القصص التى كانت تذاع عن استخدام الروس للزبدة التى تصل اليهم من أمريكا طبقا لقانون الاعارة والتأجير لتشحيم مدافعهم • كما كانت هذه القصص تروى أن البريطانيين كانوا يستخدمون أموال المعونة لشراء الجوارب النايلون وغيرها من الادوات الكمالية والادوات الاخرى النادرة ، وهكذا كانوا يحرمون المواطنين الامريكيين من السلع التى كانوا يهفون اليها •

١ ــ ويتضح بالدليل أنه يمكننا أن نتوقع رواج مثل هذه القصص فقط بين جمهور محدود من جماهير الشائعات • ففضيحة مدام شـــانج تستهوى الناس الذين يضمرون الحقد للصين ، أو ــ وهــذا أكثر احتمالا ــ للحكومة الديمقراطية فى واشنطون •

٢ ــ وهذه الشائعة ــ مثل الشائعات العدائية ــ هى نتيجـة الشعــور بالفشل وخيبة الأمل • فكان نقص الأشياء وقت الحرب فى ازدياد ، وكانت الضرائب فى ارتفاع • فاذا كانت السلع التى بهـــا نقص ترسل الى خارج البلاد ، واذا كان ايراد الضرائب يبعثر بغير حساب بواسطة حكومة غير حــكيمة ، ألا يجعلنا هذا نشــعر بالاســتياء ؟ ونحن على استعداد لأن نقدم التضحيات من أجل الحرب ، ولكننـــا لا نشكو من الحرب نفسها ، انما نشكو من عدم كفاية هذه المجموعة من الاساتذة طوال الشعر ومن « ذلك الرجل » الموجود فى واشنطون• وتمثل الشائعة مزجا متقنا للعداء مع خيبة الامل ، وهى تخـــدم غرضين : شرح عدائنا السياسى ، وتبريره •

٣ ـ ويتضمن الدافع أيضا التهرب من الشعور بالذنب • فعندما كانت الحرب على أشدها ، كان كثير من الناس ينغمسون فى الكماليات التى ما كانوا يستطيعون الانغماس فيها وقت السلم ، وما كان هـــذا ليتفق مع التأكيد على ضرورة التضحية وضرورة شراء سندات الحرب، ولكن اسرافنا الطفيف هذا يمكن أن نتناساه ونصفح عنه اذا ما قورن باسراف مدام شانج البالغ ـ وهى شخصيــة من أبرز شخصيـات الحرب ـ حيث كانت تبعثر أموالنا القومية لشراء الكماليات الخيالية•

٤ ـ وربمـا كان يوجد عنصر من عناصر التشبيه بالاعتقـاد الذائع عن اسراف كبار الموظفين فى الصين وفسادهم • ولـكن هـذا العنصر ـ ان وجد ـ يكون عنصرا صغيرا حيث أن ضحايا هذا الاختلاس هم الامريكيون لا الموظفون الصينيون •

٥ ـ وحتى يمكن تصـديق القصـة ابتعدت عن التجريد واعتمدت على الحقائق الملموسة ، وعلى ذلك ذكرت مبالغ محددة : ٥٠٠ دولار ، ٧٠٠٠ دولار • واحيطت القصة بما يشبه التفاصيل الدقيقة حتى يكون هذا جزءا من عملية جعلها قصة منطقية •

٦ ـ وبالرغم من أن مكان وقوع هذه القصة ليس مدينة بالتيمور فى كل الاوقات فاننا نعرف أن الاسم الذى خلع على هذه القصة يبقى دون تغيير ، ولا سيما اذا كان هذا الاسم يقع فى بداية القصة • فالعناصر الاولى من القصة هى التى تظل عالقة بالذاكرة •

ولو رويت هذه القصة دون ذكر اسم مدام شانج لما تغيرت المهمة المقصود منها ولكن تعيين اســم شخصية معروفة هى طريقة شـائعة لتجسيد الشـائعة ولتحويلها الى موضوع يثير اهتمام الناس فى ذلك الوقت بشكل عام وبشكل تقليدى •

دليل لتحليل الشائعات :

ولقد قام البورت بوضع دليل لتحليل الشائعات ، يعتبر من أفضل المراجع التى تساعد أى محلل للشائعات ، كما أنها قد تعين القارىء فى تحليل شائعات مما يسمعه كل يوم • وفيما يلى بعض الاسئلة التى تعينه فى عملية التحليل ، ويستند كل سؤال منها على مبدأ مقرر من مبادىء الشائعات • ولسنا فى حاجة الى أن نقول : أنه ليس من الضرورى امكان تطبيق كل الاسئلة على كل الشائعات •

- هل القضية المطروحة قضية تنال التصديق وتستخدم للاشارة الى الموضوعات السائدة ؟
- هل يعوز راوى القصة والمستمع اليها الدليل على صحتها ؟
- هل تحتوى القصة على عنصرى الغموض والاهمية ؟ وأى العنصرين أبرز من الآخر ؟
- كيف تعكس الشائعة محاولة للوصول الى المعنى ؟
- هل تقدم الشائعة تفسيرا اقتصاديا أو مبسطا لموقف بيئى أو عاطفى معقد ؟
- هل تفسر نوعا من التوتر الداخلى ؟
- هل أساس هذا التوتر عاطفى أو غير عاطفى ؟
- هل هذا التوتر من نوع القلق أو العداء أو الرغبة أو الذنب أو حب الاستطلاع أو حالة عقلية أخرى ؟
- هل تبرر القصة وجود عاطفة أخرى غير مقبولة فى نفس الراوى ؟
- ما الذى يجعل القصة مهمة بالنسبة للراوى ؟
- كيف تقوم رواية الشائعة بعملية تخفيف ؟
- ما هى العناصر المنطقية التى تحتوى عليها القصة ؟

- هل تحتوى القصة أو الشائعة على ما يجعلها تحتمل أن يكون المقصود منها هو الاسقاط ؟
- هل تشبه الشائعة حلم اليقظة ؟
- هل يجوز أن تخدم مهمة التهرب من الذنب ؟
- هل تعكس اعتداء فى غير موضعه ؟
- هل يحتمل أن ينال راوى الشائعة سمعة من وراء روايتها ؟
- هل يجوز أن تكون رواية الشائعة بقصد جلب السرور الى نفس صديق أو لاسداء معروف ؟
- هل يجوز أن تكون الشائعة مجرد حديث عابر ؟
- هل يمكن أن يكشف الانسان جوهر الحقيقة التى تطورت منه الشائعة ؟
- هل هى شائعة محلية ؟
- الا يمكن أن يكون فيها أخطاء عند ادراكها الاول ؟
- ما هو الطريق الذى سارت فيه الشائعة منذ أن خلقت ؟
- ألا يحتمل أن تحتوى الشائعة على اضافات ؟ ومن أى نوع ؟
- هل تحتوى الشـــائعة على تحريف فى الاسماء أو فى التواريخ أو فى الأرقام أو فى الوقت ؟
- هل تحتفظ بمكانها أو باسمها ؟
- ألا يحتمل أن يكون فيها تغيير تام فى موضوعها .
- هل هناك دليل على محاولة خلق تقليد أو ابتكار مفترى ؟
- ما هو التمثيل الثقافى الذى يبدو أن الشائعة تعكسه ؟
- هل تشترك الشائعة فى صفة من صفات الاسطورة ؟

- هل يمكن أن تحوى قلبا للحقائق ؟
- هل تميل الى الناحية الفكاهية ؟
- هل توضح الحالات التى راجت فيها الشائعة خصوبتها ؟
- ماذا يمكن أن يكون قد حذف منها ؟
- هل احتفظت الشائعة بكلامها الغريب أو الاصرارى ؟
- هل زادت حدة الشائعة نتيجة تداولها ؟
- هل لعبت الحركة أو الحجم أو الرموز المعروفة دورا فى زيادة حدتها ؟
- هل تجسدت الشائعة أو تحولت الى شيء ملموس ؟
- ما الذى توضحه الشائعة من الميول ؟
- هل تعالج الشائعة الاحداث الجارية ؟
- هل تتسم الأحداث الماضية بسمة الأحداث المعاصرة ؟
- هل تعكس ميولا فكرية أو ميولا عاطفية ؟
- هل كل التفاصيل مهضومة فى الموضوع الأساسى ؟
- هل حدث تركيز فى العناصر ؟
- هل هناك دليل على استمرارها استمرارا طيبا ؟
- كيف يتفق الاستيعاب مع المتوقع ؟
- هل تعبر عن عادات لغوية ؟
- هل هناك استيعاب بالنسبة للاهتمام النفسى الخاص بالمهمة أو الطبقة الاجتماعية أو الجنس أو غير ذلك ؟
- هل هناك استيعاب بشأن التحيز ؟

- هل يمكن أن يستند أى جزء من الشائعة على سوء الفهم ؟
- هل تمثل الشائعة مزجا من الانفعال والكراهية ؟
- ما هو المعنى التعبيرى أو المجازى للشائعة ؟
- هل تنتقل الشائعة على هيئة سلسلة من الشائعات ؟ ما جمهورها ؟
- هل تستهوى هذه القصة المعينة الناس لأن عقولهم مقفلة أكثر من اللازم أو لانها مفتوحة ؟
- هل يمكن القول بأنها : شائعة خوف ، أو شائعة عداوة ، أو شائعة رغبة؟
- هل يمكن أن تكون جزءا من حملة همسية ؟
- ما علاقتها ـ اذا كانت ثمة علاقة ـ بالاخبار ؟ بالصحافة ؟
- هل توصف القصة على أنها شائعة أو حقيقة ؟ هل تنسب الى مصدر مسئول ؟ وما تأثير ذلك ؟
- هل يمكن أن تمثل مرحلة من مراحل أزمة نشر الشائعات ؟
- ما أفضل وسيلة لتفنيدها ؟

حالة من مجتمعنا :

والآن سنحاول أن نحلل شائعة خلقتها الرجعية العربية والصهيونية العالمية للهجوم علينا لمحاولة النيل من انطلاقتنا واشاعة عوامل الخوف والقلق بين مواطنينا .

الشائعة :

تبارت الصحف والاذاعات الاجنبية المعادية فى ترويج هذه الشائعة التى نشرتها صحيفة « الجريدة » اللبنانية بتاريخ ٢٣ من يوليو١٩٦٥ تحت عنوان كبير

هو : « محاولة انقلاب عسكرى للاطاحة بنظـام الحـكم فى مصر » وقد أخذت فى سرد بعض الافتراءات الكاذبة فقالت :

١ ـ ان أحداثا خطيرة كادت تطيح بنظام الحكم القائم فى١٦من يوليو الجارى اذ وضـع بعض ضباط الطيران بالاتفـاق مع بعض ضباط البحرية وضباط القوات البرية خطة انقلاب لوضع حد لحرب اليمن ٠

٢ ـ كانت الخطة تقضى بقصف مقر رئيس الجمهورية الصيفى بالاسكندرية ومقر قيادة أركان حرب الجيش ، حتى اذا ما تم ذلك زحفت وحدات من القطاع العسكرى الشرقى على القاهرة ٠

وبعد هذه المقدمة وصفت تفاصيل هذه المؤامرة الوهمية فقالت :

فى صباح السادس عشر من تموز وصل الى مطار « الدخيلة » قائد السرب محمد عصام النصر يرافقه بعض العسكريين وحاولوا تعبئة القنابل على متن احدى الطائرات المطاردة زاعمين أنهم مكلفون بتهيئة العرض الجوى احتفالا بيوم ٢٣ من يوليو ٠ وعندما أبدى المسئول عن عنبر الذخيرة دهشته من الحاجة الى استعمال ذخيرة فى العرض أطلعه قائد السرب محمد عصام النصر على أمر بالمهمة غير أن المسئول عن الذخيرة شك فى التوقيع الذى يحمله الامر، وانسحب ليتصل برؤسائه بينما انصرف المتآمرون لتعبئة الطائرة بالقنابل ٠ وعندما تأكد المسئول عن الذخيرة من أن التوقيع مزور صاح بقائد السرب محمد عصـام النصر وبرجاله فبادروه باطلاق النار عليه وعلى رجال الحامية الذين أجابوا بالمثل على اطلاق النار ودحرجوا البراميل على مدرج المطار ليمنعوا الطائرة من الاقلاع ٠ لكن قائد السرب ـ النصر ـ ورفاقه تمكنوا من التحليق بالطائرة تاركين وراءهم أربعة منهم على أرض المطـار ٠ واتجهت الطائرة المعبـأة بالذخـيرة نحو الاسـكندرية تطاردها طائرات « الميج » ٠

وضع حد لحرب اليمن :

ولسنا نعلم أكثر من هذا عن تطورات هذه الحادثة ، ولكننا واثقون من بعض الأحداث ٠

وتروى المعلومات الواردة جانبا من الاحداث التى تلت ذلك كما يلى :

١ ـ اسقطت طائرة قائد الاسراب النصر بعد اقلاعها فى منطقة وادى النطرون ٠

٢ ـ أعلن حالة الاستنفار فى الجيش وألغيت جميع الاجازات ٠

٣ ـ ألقى القبض على عشرات الضباط من القوات الجوية والبحرية ٠

٤ ـ تم ابدال جميع حراس عنابر الذخيرة فى جميع أراضى الجمهورية العربية وعززت بقوات اضافية ٠

٥ ـ وضعت جميع قوى الشرطة تحت تصرف قيادة أركان حرب الجيش ٠

٦ ـ عززت القوات المرابطة على الحدود الليبية الجنوبية لتحول دون هرب بعض الضباط المشتركين فى المؤامرة الذين لم يتم اعتقالهم ٠

وتشير المعلومات أخيرا الى أن المؤامرة التى لم تنجح كانت تعبيرا عن النقمة على حرب اليمن الباهظة التكاليف ، وغير المجدية ووضع حد للسلطة الفردية وللانهيار الاقتصادى فى البلاد ٠

التعليق :

هذه الشائعة فرية كاذبة من خلق الاستعمار والرجعية التى تساندە ، وهى تتكرر فى مثل هذا الوقت من كل عام ، وان كانت تتلون بألوان مختلفة ٠

ولقد اختير هذا الوقت بالذات لاشاعة الخوف والقلق فى نفوس الجماهير فى وقت يستعدون فيه للاحتفال بأسعد مناسبة فى تاريخهم الحديث ·

١ ـ هذه الشائعة تعكس عداء الاستعمار والرجعية التى هالها انطلاقتنا الثورية ، وترى فى وجود « عبد الناصر » خطرا يهدد مصالحها الاستعمارية والاستغلالية ، وهى تحمل بين طياتها عناصر الحقد والكراهية ، وتعبر عن أمانى ورغبات أعداء الوطن ·

٢ ـ من الواضح أن معادلة الشائعات تنطبق هنا · فأهمية الحدث هنا لا تؤثر على المصريين فقط ، بل يتأثر بها كل أبناء الوطن العربى الذين يعتبرون القاهرة ركيزة التحرر والانطلاق · أما الغموض فهو يظهر بشكل واضح من تسلسل حوادث القصة ، والتفاصيل التى ترويها · فالناس لا يستطيعون أن يتبينوا ما اذا كان هناك انقلاب حقيقى أم لا ، الا اذا وقع فعلا ، كما أنهم لايمكنهم أن يتأكدوا من حقيقة المعلومات التى تضمنتها هذه الشائعة ، فاذا أضفنا لذلك أثر الحرب النفسية المسعورة التى تعرضت لها البلاد فى ذاك الوقت وجعلت الناس فى قلق وخوف ـ نجد أن كل هذه العوامل ساعدت على اشاعة الغموض ، وزادت من صعوبة اكتشاف لب الحقيقة ·

٣ ـ وعلى الرغم من أن هذه القصة كلها من نسج الخيال ، فان هناك بعض عناصر المنطق التى تجعلها مطروحة للتصديق ·

فالناس كلهم يعرفون أن هناك احتفالا سنويا لعيد الثورة ، كما أن الرئيس يقيم فى مقره الصيفى بالاسكندرية بعد احتفالات يوليو ، وكذلك فان القوات المسلحة تشترك فى العرض العسكرى الذى يقام لهذه المناسبة ·

وبالاضافة لذلك قام خالقو الشائعة باضافة بعض التفاصيل التى تساعد على استيعاب الشائعة ·

٤ ـ ولكن القصة منجهة أخرى يعوزها الدليل بالنسبة للمستمع، وبالرغم من الاختلاقات والتحريفات التى صيغت بها القصة لتجعلها مستساغة عند سماعها ، فان تسلسل الاحداث وصياغتها يدعوان الى الشك •

ان أول كذب في الشائعة هو عدم وجود ضابط طيار فى القوات المسلحة باسم محمد عصام النصر، كما أن تفاصيل تطور الأحداث التى وصفتها تلك الصحيفة تدعو المستمع المحنك العاقل الى الشك في هذه التفاصيل : فاكتشاف تزوير التوقيع ، وشرح المعركة بين رجال الحامية والمتآمرين الوهميين ، ودحرجة البراميل لمنع الطائرة من الاقلاع ، لا نستطيع أن نصفها بأكثر من خيال طفل يحلم بما يراه فى أفلام طرازن أو أعمال قراصنة البحار •

٥ ـ على أن هذه الشائعة ما هى الا أحدى الحملات الهامسة التى تعرضت لها بلادنا من كل أعداء الوطن ، ويجد فيها القارىء من ناحية التحيز نوعا من الاستيعاب • فربط هذه الشائعة بحرب اليمن والتشهير بها وبالوضع الاقتصادى فى البلاد تبرز الحقد الكامن فيمن خلقها وروجها وتحيزلها. ان حرب اليمن ـ وهىمعركة المصير بينالاستعمار والرجعية وبين التحرر والتقدم ـ لابد أن يتصدى لها أولئك الذين يستغلون ثروات الجزيرة العربية ، وكذلك الذين يخشون على عروشهم من المد الثورى ، كما أن التشهير بالوضع الاقتصادى فى الجمهورية العربية له شقان : الأول هو محاولة اظهار نظامنا الاقتصادى أمام الدول المتحررة بأنه فشل ، أما الشق الآخر فهو يهدف الى ضم صفوف الاقطاع الرجعى والرأسمالية المستغلة فى مصر لتشترك فى الخيانة وتبث سموم الافتراءات الكاذبة • ومن ثم فان التحيز يظهر بوضوح فى هذه الشائعة من جانب من يهمهم زوال هذا النظام الذى يحمى مصالح الشعب من براثن أعدائه •

٦ ـ كما كان لهذه الشائعة صفة الاستمرار ، فقد عملت الاذاعات المعادية من استعمار ، ورجعية ، وصهيونية على تغذيتها ، فى وقت كانت فيه

بلادنا معرضة لحملات التآمر ، وللحملات الهامسة ، والضغط الاقتصادى • مما جعل عقول كثير من الناس غير مستقرة • وفى مثل تلك الأحوال يحاول الناس الوصول الى « المعنى » وهم بذلك يصلون الى استنتاجات كثيرة بعضها معقول وبعضها بعيد عن المنطق • ونجد فى تفاصيل هذه الشائعة بعض الحوادث شبه المنطقية التى تكون مثارا للجدل والنقاش مما يساعد على نشر الشائعة واستمرارها • ولقد استمرت هذه الشائعة فترة ليست قصيرة الى أن كذبها الرئيس عبد الناصر فى أحد خطاباته وفند أساليب الاستعمار والرجعية ، فذهبت الى الجحيم مع من خلقها وروجها •

وفى الختام سنقدم للقارىء خمس شائعات الغرض منها أن يقوم هو بنفسه بتحليلها مسترشدا بدليل الشائعات ، على أننا نود أن نذكر القارىء أن هذه الشائعات هى من صنع العدو، وهى تعبر عن أمانيه ورغباته العدوانية ضد وطنه، ويقصد من ورائها بث السموم التى تهدف الى العمل على تقويض مجتمعنا وتقييد انطلاقتنا • وقد أدرجنا تعليقا يسيرا بعد كل شائعة قد يساعد القارىء فى التحليل •

الشائعة الأولى :

نشرت جميع صحف لبنان المعادية يوم ١٨ من ديسمبر سنة ١٩٦٥ أن غواصة مصرية لجأت الى احدى الموانى الفرنسية بعد أن تعطلت ، وذلك للحصول على بعض قطع الغيار اللازمة لها •

• تلك شائعة مغرضة قصد بها تشويه الزيارة الودية التى قامت بها غواصة مصرية لميناء فرنسى ، وتهدف الصحف من نشر هذه الشائعة ايهام الرأى العام بأن الأسلحة المصرية التى وردت من المعسكر الشرقى هى أسلحة تنقصها المعدات وقطع الغيار •

الشائعة الثانية :

نشرت جريدة الجمهورية اللبنانية فى ٢٤ من يونيه سنة ١٩٦٤ تقول : ان البدر حذر من استملاك الاراضى فى اليمن وقال أنه سيرد الاراضى الى أصحابها عندما يتسلم الحكم فى اليمن ، ثم تقول الجريدة : والجدير بالذكر أن عددا كبيرا من المصريين قد استملكوا مساحات شاسعة من الاراضى فى اليمن .

• تلك شائعة وفرية كاذبة قصـــدت منها الجريدة ايغار صدور شعب اليمن وسائر شعوب البــلاد العربية عامة على المصريين ، فتدعى أنهم ذهبوا الى اليمن لامتلاك الأراضى وطرد أصحابها منها .

الشائعة الثالثة :

نشرت جريدة الحيــاة اللبنانية فى ٩ من ديســمبر ١٩٦٥ أن المشير عامر عقد اجتماعا يوم ١٦/١٠/١٩٦٥ أثناء وجوده فى باريس مع محمد ابن عم البدر ودارت بين الطرفين مناقشات حول مشكلة اليمن تمسك فيها المشير بالنظــام الجمهورى ، وانفض الاجتماع دون خصام على أمل عقد اجتماع آخر بينهما .

• هذا الخبر على أهميته لم ينشر فى أى جريدة غربية أو شرقية أثنــاء رحلة المشــير الى باريس وما بعــدها حتى الآن .. وهــذا يدل على أنه مجرد شائعة ساقتها الجريدة التى تعبر عن رأى الحلف المركزى .. وتمولها المخابرات الأمريكية وقد قصد من نشر هذه الشائعة فى الوقت الذى تعثرت فيه محادثات مؤتمر حرض التــأثير فى المؤتمر والتقليل من أهمية اتفاقيــة جــدة التى وقعهــا الرئيس عبد الناصر شخصيا مع الملك فيصل .

الشائعة الرابعة :

نشرت جريدة الجمهورية اللبنانية فى ١٧ من يوليو سنة ١٩٦٥ تعليقات عن القروض المصرية من دول العالم .. وبعد أن عددت أنواع القروض والقيم المالية

لها ·· وكذا الدول التى وردت منها سواء من الشرق أو الغرب قالت : « انه لم تفتح مدرسة ، ولم يفتح مستشفى جديد أو تستصلح أراضى ·· فأين ذهبت تلك الأموال الطائلة التى لم يظهر لها أثر فى مصر ·· ولكن ظهرت المجاعات والاستنجاد بروسيا وأمريكا لتوريد الغذاء واللحوم ·

* هذه شائعة هادمة قصد بها الاساءة الى موقف مصر المالى والسياسى، والى ثورتها الاشتراكية وأهدافها القومية ،وتناست الجريدة الاصلاحات الشاملة التى قامت بها الثورة فى شتى المجالات ومنها مجال التعليم والاصلاح الزراعى وغيره كثير وكثير ···

الشائعة الخامسة :

نشرت مجلة الدبور اللبنانية فى عددها الصادر فى ١٨ من أكتوبر سنة ١٩٦٥ زجلا باللغة اللبنانية الدارجة أيدت فيه الاقتصاد الرأسمالى والتجارة الحرة فى البر والبحر حتى لا تنقلب الحياة الى عيشة مرة ثم قالت :

يا ألف لعنة عالاشتراكية خلتنا نمشى حد الشيوعية

وكل من بده يتبع هالطريق حيوصل للهلاك ميه بالميه

* ان الأزجال والنكات من أهم وسائل ترويج الشائعات ، وهذا ما لجأت اليه المجلة حينما أرادت أن تربط بين الاشتراكية والشيوعية من جهة ، وحينما أرادت تشويه المبادىء الاشتراكية التى تدين بها القاهرة ·



مقاومة الشائعات

سبق أن بينا أن الشائعات ذات أثر بالغ على الروح المعنوية القومية لأى مجتمع ، وفى وقت الحرب تزداد خطورتها بما تسببه من خسائر فادحة فى جبهة الوطن نتيجة ما تشيعه بين المواطنين من روح الهزيمة والانقسام داخل البلاد .

وفى هذا الفصل سنحاول أن نتفهم المشكلات الرئيسية التى تجابه المجتمع فى مقاومته للشائعات ، مسترشدين فى ذلك بخبرة الحرب العالمية الثانية ، وهادفين الى أن نصل الى حل معقول لهذه المشكلة .

لقد سببت الشائعات ازعاجا كبيرا للمسئولين فى الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية، وعلى الرغم من أن أجهزة الدولة بها كانت تدرك طبيعة دور الشائعات ومدى تأثيرها على الشعب ، فان المشكلة التى كانت تحيرها هى كيفية تحديد خطة العمل ، ووضع الوسائل الملائمة التى تمكنها من مقاومة الشائعات .

لقد كان أثر الشائعات التى انتشرت فى الولايات المتحدة خطيرا لدرجة جعلت الرئيس روزفلت يلجأ بنفسه الى الاذاعة لينفى شائعة معينة .

وسرعان ما أدرك المسئولون أهمية مقاومة هذا الوباء ، فأسندت مسئولية مقاومة الشائعات الى جهازين رئيسيين: أحدهما مكشوف ويتبع ادارة الاستعلامات الحربية الامريكية ، والآخر سرى كان يطلق عليه « عيادة الشائعات » (١) •

ولقد قام الجهازان ــ وقد كان لكل منهما اتجاه وفلسفة ــ بمقاومة الشائعات ، وبذلا مجهودات مشكورة فى توحيد صفوف الشعب ، ورفع معنوياته •

كانت فلسفة الجهاز الاول تعول على ايمان بالقاعدة التى تقول بأن « الشائعة تروج اذا غاب الخبر » • ولذلك ركز هذا الجهاز نشاطه على تحسين مستوى النشرات الاخبارية وزيادة ثقة الشعب فيها ، وكان من رأيه أن ترديد الشائعات بغرض تفنيدها يؤدى الى نتائج عكسية على أساس أن خنق الشائعة بواسطة الحقائق أفضل من محاولة اثبات كذبها عن طريق تفنيدها ، فقد يخشى فى أثناء هذه العملية أن تساعد الظروف على انتشارها •

أما عيادة الشائعات فقد كانت سياستها تسير فى اتجاه مضاد ، اذ كانت تركز مجهودها على تفنيد القصص الزائفة ، وكانت فلسفتها تعتمد على أن الناس لا يمكنهم الربط بين الحقائق الا اذا وضحت لهم • ولذا كانت تنادى بأن أنجح وسيلة فى مقاومة الشائعة هو ترديدها ثم سحقها بشدة •

---

(١) اصطلاح أطلق فى الحرب العالمية الثانية على أسلوب لمقاومة الشائعات فى الولايات المتحدة ، على أساس استخدام الصحافة فى تفنيد الشائعات المغرضة • ويرجع الفضل فى انشاء هذا السلاح الدفاعى الى الصحفى مستر و • ج • جافين W. G. Gavin من صحيفة هيرالد ترافيلر ببوسطن الذى قام فى المدة من مارس ١٩٤٢ حتى ديسمبر ١٩٤٣ باصدار صحيفة أسبوعية بمساعدة بعض علماء النفس المحليين وغيرهم من المواطنين • وصادفت الفكرة هوى فى نفوس أربعين صحيفة وعدد من المجلات فى الولايات المتحدة وكندا •

كانت الشائعات التى تنتشر عادة عادية والردود قصيرة ، وفى بعض الأحيان كان يقوم أحد علماء النفس بكتابة أحد الاعمدة لنشر بعض المعلومات والمعارف السيكلوجية اللازمة لفهم الشائعات المعقدة فهما سليما •

لقد كانت طريقة العيادة تتلخص فى دحض الشائعات بواسطة الاخبار وأن تمنع القصص الكاذبة بواسطة الحقائق • كانت تساعد الجمهور على أن يميز أو يفرق بين العملين ، وحتى اذا حدث فى بعض أحوال وكان هناك وعى للشائعات أكثر من اللازم فان الشك فى الاخبار وصحتها يكون أخف ضررا من المغالاة فى التصديق •

وعلى الرغم من أن كلا الجهازين استخدم الحقائق والمنطق فى الاسلوب الذى اتبعه فان المعلومات والجدل لم يكونا كافيين لمحو الشائعات التى تعيش على المخاوف والاحقاد ، ففى مثل هذه الشائعات ـ كما وضحنا ـ تكمن فى داخل نفوس مروجيها دوافع ذاتية لا يمكن نزعها منهم بسهولة ، وهم لا يتوانون عن الاستمرار فى تغذية الشائعات وتنويعها بصور وأشكال توحى بتصديقها •

ولذا فان تفنيد هذا النوع من الشائعات يعتبر عديم الجدوى ، وفى مثل تلك الحالات نحتاج الى أكثر من تصحيح المعلومات وأعمال المنطق لاخراس ألسنة مروجى الشائعات المغرضين • ان الأمر يتطلب تخطيطا عاما شاملا على أعلى مستويات الدولة ، كما يتطلب تكاتف جميع أفراد الشعب بروح من الايمان والعقيدة الراسخة للقضاء على هذا الوباء •

والواقع أن أفضل الوسائل هو عدم محاولة ترديد شائعة أو تكذيبها • ان الوسيلة الوحيدة الفعالة فى القضاء عن الشائعات وخاصة التى تحوى بذور الكراهية والحقد هى اصدار البيانات الصريحة التى تقضى على مصدر المتاعب نفسها لا على الشائعة نفسها ، اذ أن الشائعة ليست سوى مظهر من مظاهر المتاعب •

فاذا ما قامت أجهزة الدولة المختلفة متعاونة مع الشعب بالهجوم غير المباشر على مشكلة الشائعة ، باصدار الحقائق المتعلقة بموضوع الشائعة ، وكذا البيانات السليمة التى يجب أن يعرفها الناس ـ أمكن الى حد كبير ازالة كثير من أسباب الغموض الذى يساعد على رواج أى شائعة •

وهنا يبرز دور أجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وغيرهما فى تنمية ثقة الناس بالأنباء ، وتوضيح خطورة تداول هذه الشائعات على الروح المعنوية وبالتالى على الوحدة القومية .

على أن اقتفاء خط سير الشائعات ومحاولة الوصول الى جذورها يساعدان الى حد كبير على وضع يد المسئولين على مروجى الشائعات الذين يرتكبون بخلقهم لها وترويجها جريمة فى حق الوطن كمن يقوم بنسف مصنع أو اداة من أدوات الانتـــاج .

ويستطيع علماء النفس بواسطة الوسائل الحديثة أن يراقبوا عمليه انتشار الشائعات من مكان لآخر ، وأن يقيسوا سرعة انتشارها . وكلما أمكن انتقال شائعة الى مكان استطاع المختصون ادراك السبل التى سارت فيها وانتشرت عبرهـــا .

ان تحليل الشائعات السليم المبنى على الاسس العلمية قد يعطى للمسئولين فى الدولة صورة واضحة عن الدوافع الذاتية والسيكولوجية التى ساعدت على انتشار الشائعة ، كما تمكن من معرفة ما يدور بخلد الناس . اذ أن الشائعات كما سبق أن أشرنا تساهم الى حد ما فى خلق الرأى العام ، ومن ثم يسهل حل الكثير من المشكلات ، ووضع الخطط المناسبة لكل حالة من الحالات .

ولكن هل يكفى اظهار الحقائق، واصدار البيانات السليمة ، وتكاتف أجهزة الدولة المختلفة فى الحد من انتشار الشائعات ؟ الواقع أنه اذا لم يكن لدى الشعب الوعى الكافى بالنسبة لخطورة الشائعات وبالنسبة للدوافع والعوامل التى تعمل على رواجها يصبح من العســير على المجتمع أن يقضى على السموم التى يبـذرها المروجون والمغرضون .

ويقول كل من البورت وبورتسمان فى هـذا الصدد « ليس من الصواب أن نقول : أن المعلومات الذاتية أو البصيرة تشفى تلقائيا كل عاداتنا الشريرة

أو تضفى علينا حرية لا حد لها من الارادة • ولكن المعروف أن معرفة الطريق التى يعمل بها قانون من القوانين تؤدى غالبا اما الى تغييره واما الى ابطاله •

ولذلك فان الناس الذين لديهم وعى بالنسبة للشائعات من غير المحتمل أن يقعوا ضحايا لها • ولهذا نجد ما يبرر جميع الاعمال التى يقوم بها علماء النفس فى زمن الحرب ، وكذلك كتاب المجلات والمذيعون والمحررون الذين يعملون فى عيادات الشائعات • وهنا يثار الجدل حول ادخال دراسة الشائعات ضمن برامج الدراسات الاجتماعية فى المدارس والجامعات ، فالشبان الذين يعرفون قانون الشائعات يكونون أقدر على تحصين أنفسهم فى مواقف كثيرة يكون فيها الدليل غير مضمون • ويجب أن نبذل جهدنا حتى لا يسبب الحرص والتشكك الوصول الى السلبية ، فالشخص الشديد الارتياب فى الشائعة قد يتطور به الحال بحيث لا يصدق حتى أصدق الانباء المحققة » •

وليس هناك شك فى أن الوعى يلعب دورا كبيرا فى مقاومة الشائعات ، ولا سيما اذا كان فى مجتمع تسوده المتناقضات الفكرية والاجتماعية ، أو يكون للخرافات والعادات البالية أثر فى توجيه الناس لحياتهم العامة •

ان لأولئك الذين لا يزالون يؤمنون بأعمال السحر والخرافات الاستعداد لتقبل أى أحاديث أو روايات يسمعونها •

وتشير الدلائل الى أن معظم الذين يؤمنون بالخرافات غير أذكياء الى حد ما ، بل يفتقرون الى الاستقرار العاطفى ، كما أن آباءهم وأمهاتهم ممن يؤمنون بالخرافات • ويمكن القول : ان الخرافات وثيقة الصلة بالشائعات ، ومن الواضح أن الاشخاص ذوى الاطلاع والدراية يميلون الى عدم قبول الشائعة •

ومن هنا يتضح لنا الدور الكبير الذى يجب أن يلعبه المدرسون والاساتذة فى المدرسة والجامعة فى خلق الوعى اللازم ، والقضاء على تلك الافكار البالية التى قد تكون موجودة فى هذا الجيل الصاعد ، على أنه لكى يكتمل الأمر يجب ألا يغيب

عن بالنا أن توعية الأب والأم من أهم الضروريات • فالمدرسة والبيت متلازمان ، وهما التربة التى يخرج منها النشء بأفكاره وعقائده •

ولنعد الان الى الحديث عن « عيادة الشائعات » التى سبق أن أشرنا اليها • لقد قامت المجلات الامريكية ذات التوزيع الواسع بعمل دعايات واسعة جدا لأغراض عيادات الشائعات ، وعن طريق القصص المختلفة أمكنهـا أن تخلق فى الجمهور بصفة مؤقته وعيا بشأن الشائعات ، كان على هذه العيادات أن تستمد معلوماتها من مصادر مختلفة ، فدعت قراءها كى يصبحوا « مراسلى شائعات » وهكذا أصبح القراء المهتمون بالموضوع المصدر الرئيسى لها • وأنشىء فى بعض المراكز قسم لتحليل الدعايات تحت اشراف لجنة الامن العام المحلية • وفى بعض الاماكن كان ضباط الاشراف على الغارات الجوية وغيرهم يجتمعون اجتماعات دورية ليبلغ كل منهم فيها عن محصول الشائعات التى سمعها فى منطقته خلال هذه المدة • وكان عمال السيارات وسائقوها والحلاقون يعملون كمبلغين عن هذه الشائعات •

ولكن بعض عيوب خطيرة ظهرت نتيجة لاستـخدام مواطنـين غير مدربين للعمل كمبلغين عن الشائعات. فمن جهة كان كثير من الناس يأنفون من هذا النوع من العمل ، بالرغم من أنه لم يكن محتما ذكر اسم الشخص الذى يقوم بترويج الشائعة • والاخطر من ذلك اكتشف أن قلة من غير المدربين هم الذين كان فى مقدورهم أن يتعرفوا على شائعة ، ويسجلوها وينقلوها لدى سماعها ، ولا سيما أن بعض الناس كانوا يتحرون الصـدق فيما يسمعون ، وعلى ذلك لم يكونوا يميلون الى اعتبار ذلك شائعة • ومن جهة أخرى كانت هنـاك حقـائق ثابتة بالوثائق ، ولكنهـا كانت توصف بأنها من قبيل الشـائعة اذا كان سـامعها لا يستسيغها • ومع ذلك وبالرغم من هذه الصعاب اشترك كثير من الناس فى عملية السيطرة على الشائعات ، وشعروا بالرضا التام عن عملهم الذى ساهموا به فى بناء الروح المعنوية ، وفى الوقت نفسه تعلموا كيف يتجنبون الثرثرة •

ولقد تعرف رجال علم النفس خلال تجربة عيادة الشائعات على كثير من المشـكلات التى كانت تقف عقبة فى طريق عملهم ، وحاول البعض تقييمها من

ناحية أسلوب عملها وأثرها في مقاومة الشائعات ، فيقوم البورث وبوستمان بتحليل رائع لمدى خطورة أسلوب عيادة الشائعات واحتمال نشر القصص الكاذبة في أثناء تفنيدها لها ، وهما يتساءلان في هذا المجال : « هل من المحتمل أن يحدث عند محاربة شائعة أن ننشرها دون قصد ؟ » ولقد أدليا في هذا المجال برأيهما ، ونحن نلخصه فيما يلي :

لا يبدو محتملا أن عملية نفي الشائعة أو السخرية منها يمكن أن يتجاهلها القارىء • كأن من يقرأ الأعمدة الخاصة بالشائعات هم العقلاء من السكان الذين تتسم دوافعهم بالوطنية بينما تستطيع عقولهم نقد الدعاية اذا قدمت لهم المعونة للتعرف عليها • وكانت هذه الاعمدة المكتوبة تعليمية في محتوياتها وفي شكلها . لم تكن تنشر أى شائعة الا ومعها نقضها مستندا الى برهان أو حجة ، وكان هناك تحليل موضوعي للشائعة وتفنيد لها ، وكانت الاحتياطات المتخذة تتضمن ـ الى جانب النفي والنقض بالحجة ـ لفت النظر الى عملية الطبع والى الاسلوب ، اذ يستحسن عدم طبع الشائعة بحروف كبيرة واضحة • والأهم من ذلك يجب افساد ما قد يكون فيها من موسيقى لفظية وروح فكاهية خفيفة •

أما بالنسبة لعيادات الشائعات على الهواء فالأمر يختلف ، ويكمن الخطر في أن المستمع قد يدير جهاز الراديو ليسمع نص الشائعة ثم يقفل الجهاز قبل أن يستمع الى تفنيدها •

وقد أظهرت احدى التجارب التي أجراها مكتب الاستعلامات الحربي الامريكي عدم سلامة هذه الطريقة السلبية ، فقدم برنامجا اذاعيا خاصا بالشائعات الى عدد من المستمعين ـ رجال ونساء • وقد أظهر تحليل تصرفاتهم اتجاهات غير مرضية • فأولا لم ينجح المستمعون تماما في التفنيدات التي سمعوها عن طريق الراديو ، وحتى نفس الشائعات التي أنكروها منذ البداية كانوا لا يتذكرون منها سوى واحدة من كل ثلاث • ومن بين الشائعات التي أذيعت في هذه التجربة كان ٧٠ ٪ منها لم يسمع بها من قبل أو كانت قد نبذت لاقتناع الناس بكذبها ، أما الـ ٣٠ ٪ الباقية وهي التي سمعت وصدقت من قبل فقد ظل ١٤ ٪ منها محل التصديق حتى بعد اذاعتها على الهواء •

ولكن هذه النتيجة لا تعنى أن ننكر قيمة الاذاعة فى الحد من الشائعات • كما أن دور التليفزيون قد زاد من قيمة ذلك على أساس أن الموضوعات المعقدة والعسيرة يمكن تفهمها بطريقة أفضل عن طريق العين • ومن هنا يمكن استغلال الاذاعة والتليفزيون فى نشر برامج مسلية هادفة ، ومن هذه البرامج يمكن تقويض الدعائم الأساسية التى ترتكز عليها الشائعات ، وزيادة الوعى لدى الجمهور » •

وينتقل البورت وبوستمان فى بحثهما الى نقطة أخرى متسائلين :

« هل ساعدت عيادات الشائعات على تخفيض انتشار الشائعات ؟ وفى اجابتهما عن ذلك يقولان : « من الصعب اعطاء اجابة حاسمة ، ولكن هناك خطين من الأدلة فى متناول أيدينا ، وهما حتى الآن فى صالح عيادات الشائعات • ففى المدن التى انتشرت فيها هذه الاعمدة أصبح واضحا أن الجمهور قد نضج وعيه بالنسبة للشائعة • وكانت الاحاديث التى تدور تبين هذه النقطة • فكان اذا سمع أحدهم شائعة يقول : سوف أرسل هذه الشائعة الى العيادة ؟ وقد دلت حوادث لا حصر لها على أن نوعا من المناعة العامة قد زرع فى الناس نتيجة مجهود هذه العيادات •

« وعلى سبيل المثال أجريت تجربة واحدة لاختبار مدى المناعة ضد الشائعات التى حصل عليها قراء هذه العيادات • ففى مدينة سيراكيوز أجرى اختبار شخصى لعدد من السكان عن مدى تصديقهم لبعض القصص الشائعة الخاصة بالاسراف والمحسوبية • فوجد من البحث والتحريات أن تصديق من كانوا يقرأون أعمدة عيادة بوست ستاندرد أقل من تصديق من لم يكونوا يقرأونها بمقدار ٦ر٥ ٪ •

« واذا جمعنا القراء المنتظمين على القراء غير المنتظمين دل على أن مناعتهم بلغت زيادتها ٤ر٤٪، وعلى الرغم من أن الفرق ليس كبيرا ـ وقد يكون ذلك متأثرا بمستوى

التعليم – فان معناه كبير ، لأن ٢٧٪ فقط من السكان هم الذين تقبلوا الشائعة • ومن ثم كان مدى تصديق القراء النظاميين للشائعة هو ٢٥٪ اذا قورن بمدى تصديق غير القراء •

« واذا فرضنا أن هذه العيادات نجحت فى خلق درجة معينة من المناعة العامة فهل هذا أدى الى خلق نوع من الريبة فى كل الاخبار ؟ اننا نذكر أن شيئا شبيها بهذا حدث فى أعقاب الحرب العالمية الاولى • فقد أصبح وعى الجمهور بأعمال الدعاية قويا لدرجة أنه كان يشتبه فى وجود دعاية خلف كل شجيرة وتحت كل سرير • وقد انتقل هذا الشعور الى الحرب العالميـة الثانية لدرجة أن أى تقارير كانت ثابتة ومحققة بالوثائق بخصوص معسكرات الاعتقال وغيرها من أعمال النازى الوحشية – كانت محل تكذيب الجماهير على أنها من اختراع أعمال الدعاية . ولكن ليس هناك دليل على أنه كان لعيادات الشائعات أثر مثل ذلك » •

السيطرة على الشائعات :

وبوجه عام فان النقاط والقواعد التالية التى تقوم فى الواقع على ملاحظات فنية يمكن الاسترشاد بهـا فى السيطرة على الشائعات ، وسيجد أولئك الذين يحاولون محاربة الشائعات فائدة كبيرة فى اتباعها :

١ – الايمان والثقة بالبلاغات الرسمية ، اذ أنه لو فقدت الجماهير الثقة فى هذه البلاغات فان الشائعات تأخذ فى الانتشار •

٢ – عرض الحقائق على أوسع مدى ، ويجب أن تستغل الصحافة، والاذاعة، والتليفزيون فى تقديم أكثر ما يمكن من الأنباء ، مع حذف التفاصيل التى قد ينتفع منها العدو • أن الناس تريد الحقائق فاذا لم يستطيعوا الحصول عليها فانهم يتقبلون الشائعات •

٣ ـ الثقة في القادة والزعماء أمر جوهري في مقاومة الشائعات ، فقد يتحمل الناس الرقابة على النشر أو نقص المعلومات ، بل قد يحسون أن ما يسمعونه ليس الا أكاذيب غير صحيحة اذا ما كانت لديهم ثقة بقادتهم • وفي مثل هذه الاحوال يكون لدى الناس الوعي الكافي لادراك أسباب نقص المعلومات التي لو نشرت قد تفيد العدو •

والثقة بالقادة والزعماء تعني الثقة بالجهاز الحاكم ابتداء من رئيس الجمهورية حتى أصغر موظف في الدولة • أما في القوات المسلحة فيجب أن تشمل الثقة كل الرتب من أكبر القادة الى أصغر عريف •

٤ ـ ان الملل والخمول ميدان خصب لخلق الشائعات وترويجها ، فالعقول الفارغة يمكن أن تمتلىء بالأكاذيب ، والأيدي المتعطلة تخلق ألسنة لاذعة • ولذا فان العمل والانتاج وشغل الناس بما يعود عليهم بالنفع يساعد الى حد كبير في مقاومة الشائعات •

٥ ـ غالبا ما تكون الشائعات الهجومية المسمومة نتيجة دعاية العدو ، أما من يقوم بترويجها فهم أولئك الذين يعتبرون أعداء للوطن • ولذا فان النجاح في كشف دعاية العدو بطريقة سهلة واضحة ومحاربة مروج الشائعات بكل وسيلة لهما دعامتان أساسيتان يرتكز عليها تخطيط مقاومة الشائعات •

ولقد سبق أن شرحنا قيمة « عيادة الشائعات » في مجال مقاومتها ، ولذا يمكن استخدام هذا الاسلوب بصورة مصغرة في أي مؤسسة أو مصنع أو تشكيل ، ويشجع الافراد على أن يسألوا عن الحقائق وتفند لهم الاكاذيب والأباطيل •

ويستطيع كل مصنع أو معسكر أن يقاوم الشائعات محليا بطريقة سهلة ميسرة ، اذ توضع لوحة في مكان ظاهر ويسجل فيها كل الشائعات الكاذبة ،

وبعد قليــــل ستملء اللوحة بشائعات متناقضة ، ومن ثم لا يمكن لأى فرد أن يصدق ما يسمع •

على أننا نود أن نشير الى نقطة هامة وهى صعوبة جعل كل أفراد الشعب مشغولين ، ولذا فانه يمكن مواجهة ذلك عن طريق عيادة الشائعات والحملات المضادة •

كمـا يجب أن نضـع فى أذهاننـا أن الانشغال الزائد عن الحـد المعقول يجعل الفرد يهمس لنفسه برغبات ، وتدور من ثم بخاطره بعض عوامل القلق مما يجعله يبدأ بالحدس والتخمين فيصبح نهبا للشائعات •

ولقد ظهر لنا بوضوح فى خلال الفصول المختلفة من هذا الباب أن الشائعة تتغلغل بعمق داخل نسيج المجتمع • ورأينا أن أحداثا تاريخية كثيرة قد حسمها تصرف الناس حيال الشائعات ، كما أن كثيرا من معتقداتهم كانت وليدة القصص والأساطير القديمة •

ان سمة الخداع التى تتسم بها الشائعة هى نتيجة كون الشائعة ـ وأن تكن مثيرة ـ تلبس لباسا زائفا ، كأنها الأداة التى توفر الأنباء الموضوعية • والحقيقة أن وظيفتها الخفية أهم بكثير من وظيفتها الاخبارية المزعومة •

وكما سبق أن بينا أن صفة التملص التى تتسم بها الشائعة هى نتيجة المزج المركب لعاطفتى الحب والكراهية فيها • ان معناها الوظيفى يمكن التعرف عليه بالتغلغل فى أعماق شــخصية الفرد وفى حياته العقلية • فبعض الجماهير المعينة يستهويها أنواع معينة من الشائعات • وتعتمد سلاسل الشائعات على مدى ما يكون لهذه الشائعات من قدرة على استهواء الافراد الذين يبتكرونها • وكلما اشتد الاضطراب كثر عدد حلقات سلسلة الشائعة • وتعمل الحروب والشغب والانتخابات على توليد هذا النوع الماكر من الشائعات الذى نطلق عليه عادة اسم « الحملات الهامسة » • ومن المؤكد أننا اذا أردنا السيطرة على الشغب يجب أن نحذر الشائعات •

ولما كان الناس لا يعرفون الشائعة عندما يصادفونها ، ولما كانوا لا يمتنعون عن تصديقها لأنها توصف بأنها شائعة ، فاننا نستنبط من ذلك أن الجمهور لم يصل بعد الى مرحلة الوعى تجاه الشائعات • انه لم يحصل بعد على مناعة ضدها •

ولا يمكننا أن نتوقع أن نقلل من أهمية الشائعة فى المجتمع الا اذا تحققت عدة أشياء • يجب أن تكون الأنباء أكثر دقة ، وأن تنجح أكثر من ذى قبل فى التغلغل فى عقول كل من يستمعون اليها • ويجب أن يجد الناس الذين يريدون أن يعرفوا تفسيرا لما يجرى حولهم التوضيح الكافى لما يريدون • اذا حدث هذا قلت حالات الكراهية ، وحالات الخوف التى تجد تخفيفا عنها بواسطة التخيلات • وأخيرا يجب أن نصل الى طريقة لعلاج التشويه الديناميكى الذى يحدث لكل عمليات الادراك والتذكر •

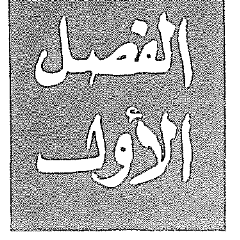
ولما كان من غير المحتمل أن تتحقق الأشياء سالفة الذكر فى المستقبل المنظور ، فكل ما يمكن للفرد أن يعمله ليحصل على مناعة ضد الشائعات هو أن يكون ملما على قدر الامكان بمظاهر الشائعة السيكلوجية والاجتماعية ، وعن طريق التدرب المستمر تزيد قدرته على التعرف على الشائعات اليومية التى تصل الى أسماعه وتحليلها •

الباب السادس

الدعاية والرأى العام

- الفصل الأول
  تأثير الرأى العام
- الفصل الثانى
  وسائل استخدام الدعاية
- الفصل الثالث
  دور بحوث الرأى فى تقييم الحرب النفسية





تأثير الرأى العام

قد يتساءل القارىء : ما علاقة دراسة الرأى العام بالحرب النفسية ؟ والاجابة عن ذلك سهلة • ان الرأى العام ـ أكثر من أى قوة أخرى ـ هو الذى يحدد كيف يفكر الناس وكيف يتصرفون •

ولقد سبق أن قلنا : ان الحرب النفسية توجه ضد عقل الانسان وضد ما يفكر فيه ، ومن ثم كان لدراسة الرأى العام اتصال وثيق بموضوع هذا الكتاب •

على أننا يجب ألا نجرى وراء الخيال فنقول : ان الفصل سيغطى موضوع الرأى العام ، ولكننا سنعرض له فقط من زوايا معينة هى التى تتصل بموضوعنا .

تعريف الرأى العام :

ان « الرأى العام » تعبير غير دقيق ، أو غامض • ولكن عمليات تحديده قد تكون عديمة الجدوى فى معظم الاحوال ، وذات قيمة فى بعض الاحوال •

لقد اختلف العلماء فى وضع تعريف محدد له ، فمن قائل : انه التعبير عن موضوع مختلف عليه ، ومن قائل : انه رد الفعل الذى يقوم به الناس دون فهم واضح لما يؤمنون به أو لآرائهم وموقفهم وحكمهم •

ولكن مثل هذين التعريفين ضيق ، ولذا علينا أن نعرض كثيرا من التعريفات الأخرى التي قد تنير الطريق . ووفقا لتعريف حديث نقول : ان الرأى العام يعنى اتفاق وجهة نظر الناس تجاه موضوع ما طالما كانوا أعضاء فى مجتمع واحد ، ويحتمل أن يجمع كثير من الخبراء على هذا التعريف .

وكثيرا ما يردد خبراء البحوث الخاصة بالرأى العام أنه ليس هناك رأى عام « مفرد » لأن الرأى العام يستوعب آراء عامة . حتى كلمة « العام » تستبعد آراء غير العقلاء والصغار والمسنين والمسجونين وغيرهم . ويواصل هؤلاء الخبراء الكلام فيقولون ان الجماهير نفسها تنقسم الى أنواع . فمن الناحية النظرية نرى أن عدد أنواع الجماهير فى مجتمع من المجتمعات هو عدد فى تجمهرات الافراد . ومن هذه النقطة نقول : ان الرأى العام هو مجموعة آراء فردية بغض النظر عن اتفاقها أو وحدتها . ان درجة تجانسها لا تعتبر شرطا أساسيا فى وجود الرأى العام .

بهذا التعريف الذى نتخذه كنقطة ابتداء نقول: ان الظاهرة الجديرة بالملاحظة فى عصرنا الحالى هى أطراد أهمية الجماهير الغفيرة . لقد اتسع نطاق الاتصالات الانسانية وكانت نتيجة ذلك تزايد أهمية العلاقات العامة . ولا ينبغى هنا أن نقصر كلمة « الرأى العام » على جماهير الشعب . وذلك لأنه كان من نتيجة زيادة الجماهير الكبيرة الذين تنتظمهم العلاقات الانسانية ان زاد الاهتمام البالغ بالرأى العام .

ويرى ادوارد الزورث روس[1] Edward Alsworh Ross — العالم الاجتماعى المعروف — ان الرأى العام يتضمن : الحكم العام ، والميل العام ، والعمل العام. ويبنى روس هذا الحكم على الاكتشاف الذى يقول : ان رأى الفرد عن نفسه

(١) روس ، ادوارد الزورث (١٨٦٦ – ١٩٥١) من بواكير كتاب علم النفس الاجتماعى الامريكيين خريج جامعتى برلين وجون هوبكنز ، كان يجيد عرض كتاباته العلمية وقد بذل جهدا لاستمالة الاهتمام بمشكلات الأبحاث الاجتماعية أول كتبه Social Control صدر سنة ١٩٠١ ، واخرج بعدها علم النفس الاجتماعى سنة ١٩٠٨ آخر كتبه New Age Sociology صدر سنة ١٩٤٠

لا يتكون نتيجة ادراك الحواس وانما يشكله الايحاء • فنادرا ما يحدث أن ينظر شخص الى عمل على انه خير اذا كان الآخرون يرون أنه شر • كذلك لا يمكن أن ينظر الشخص الى نفسه على أنه بطل اذا كان الآخرون ينظرون اليه على أنه جبان • ويسترسل روس فى ذلك فيقول : ان السيطرة الاولى للناس على شخص ما هى الا نتيجة قدرتهم على اثارته ضد نفسه • ونادرا ما يحس الشخص العادى بسيطرة الرأى العام عليه لأنه ألف ذلك • ففى عالمنا الحديث ـ على خلاف الأزمان الماضية ـ يكاد يستحيل علينا أن نفكر فى شىء الا فى ضوء تسليمنا ورضانا بما تقرره الجماهير • وليست المسألة خوفا من غضب الجماهير وانما هى العجز عن الوقوف دون تأثر فى مواجهة تعليقات الجموع المعادية ، كما هى العجز عن الحياة على الرغم من الخلاف الدائم فى الضمير والشعور مع هؤلاء الذين يعيشون من حوله •

وهناك محاولة أخرى أكثر طموحا لتعريف الرأى العام ، هى التى قام بها فلويد هـ• ألبورت Floyd H. Allport استاذ علم النفس السياسى والاجتماعى • وقد ظهر هذا التعريف فى المقال الاول من العدد الاول من « صحيفة الرأى العام » التى تظهر كل ثلاثة شهور •

يعرف البورت الرأى العام بقوله :

« تطلق كلمة « الرأى العام » على موقف عدد من الافراد يعبرون فيه أو يطلب منهم التعبير فيه عن موافقتهم أو تأييدهم ـ أو عكس ذلك ـ لحالة محدودة أو شخص محدد أو اقتراح محدد تكون له أهمية واسعة سواء من ناحية : العدد ، أو القوة ، أو الدوام ممايؤدى الى احتمال التأثير فى العمل ـ المباشر أو غير المباشر ـ الذى يحقق بدوره الهدف المنشود » •

اكتشف البورت أن الظواهر التى تدرس تحت كلمة « الرأى العام » هى أساسا أمثلة من أنواع السلوك تصدق عليها الاحوال الآتية :

- انها سلوك الافراد .
- انها تتضمن اللغو .
- يمارسها أفراد كثيرون .
- يدفع اليها ويوجهها هدف أو موقف معروف من الجميع .
- ان الهدف أو الموقف الذى يتصل بها ذو أهمية للكثيرين .
- انها تمثل العمل أو الاستعداد للعمل على شكل موافقة أو عدم موافقة على الهدف العام .
- وغالبا ما يؤديها الشخص وهو مدرك أن الآخرين يتصرفون فى نفس الموقف بنفس الطريقة .
- يعبر الأفراد ـ أو على الأقل يبدون استعدادهم للتعبير ـ عن وجهة النظر أو الرأى الذى تتضمنه هذه الانواع من السلوك .
- ويجوز أن يكون الافراد الذين يقومون بها فى حضور آخرين أو فى غيبتهم .
- يجوز أن تتضمن أشياء شفوية ذات طبيعة ثابتة أو متغيرة .
- قد تكون طبيعتها محاولات لمعارضة شىء أو لعمل شىء يختلف عن السلوك الثابت .
- ولما كانت هذه عبارة عن محاولات لتحقيق هدف مشترك فغالبا ما تأخذ طبيعة المنازعات بين الافراد المتشيعين لكل من الجانبين المتعارضين .
- وهى متعددة وتتسم بالقوة الكافية التى تؤدى الى احتمال تحقيق هدفها .

ومن شأن كل هذه الاستعمالات لكلمة « الرأى العام » ان تستخدم كموجة قوى لنا فى بحثنا عن طبيعة الموضوع الذى نقوم بمناقشته ، لكن مما يؤسف له أنه ليس هناك اتفاق على وحدة المعنى وهـذا يتطلب منا دراسة أوفى لكثير من العناصر التى قد تبدد لنا هذا الظلام •

أهمية الرأى العام :

قال هـوم(١) Hume « سـوف تحافظ الطبيعة دائما على حقوقهـا وتتغلب فى النهاية على أى حجـة أو منطق مجرد مهما كان » • أى بمعنى آخر ان طبيعـة الكون هى التى تحـدد فى النهاية تفكير النـاس وتصرفهم • ومع ذلك فان الطريقة التى يتصرف بها الناس فى المواقف المختلفة يحددها لا ما هو كائن ، ولكن ما يؤمن به الرأى العام • فاذا كان الرأى العام مطابقا للحقيقة تصرف الانسان بما يطابق الحقيقة ، اما اذا لم يتقبل الرأى العام الحقيقة أنكرها الانسان كأساس لتصرفاته •

وحتى يستطيع الانسان أن يحقق السلام والرخاء يجب عليه أن يقدر نفوذ الرأى العام تقديرا كليا • ويمكننا أن نتنبأ بتصرفات الناس على أساس أنماط الرأى العام الكبرى • ان القدرة على التنبؤ بتصرفات الناس المستقبلة ذات قيمة كبرى لأنها تتيح الفرصة لتوجيه الجهود الانسانية الى الطرق البناءة •

والواقع ان الانسان يعيش بالحقيقة كما يعيش بالرأى • وبالنسبة الى أعماله نرى أن الرأى يلعب دورا أكثر أهمية من الحقيقة • وهذا يصل بنا الى أن نوجه السؤال التالى : لماذا نعتبر الرأى مهما ؟ •

---

(١) دافيد هوم (١٧١١ - ١٧٧٦) فيلسوف ومؤرخ اسكتلندى ترك الدراسـة من جامعة ادنبره دون الحصول على درجة علمية ، درس وحده آراء البر ايزاك نيوتن ، قرر فى سن مبكرة احداث ثورة فى فلسفة العلوم المعنوية ، والفلسفة ، والاقتصاديات ، كما أحدث نيوتن ثورة فى علم الفيزياء •

ودون أن نغزو ميادين الدين والفلسفة بالنسبة الى طبيعة الانســـان ومصيره يبدو واضحا أن كلمة « الثقافة » هى المفتاح الذى يؤدى بنا الى معرفة السبب فى اهتمام الناس بما يؤمن به الناس الآخرون • ان « الثقـــافة » هى الكلمة التى تكتسح العلوم الاجتماعية وهى تعنى باختصار ـ كما سبـــق أن ذكرنا ـ ان الناس يتبعون انماطا مكتسبة من السلوك سواء فى : أعمالهم أو فى تفكيرهم • ويشكل الرأى العام قسما كبيرا من الثقافة ، وفى كثير من الاحوال يستحيل علينا فصل الاثنين الا اذا استخدمنا طريقة صناعية •

وقد قام ستيوارت تشيس[1] Stuart Chase بعرض العناصر التى تمثل كل قسم من أقسام العلوم الاجتماعية ليستخلص منها ما يلعب دورا كبيرا فيها ، وكان اختياره الأول هو « الثقافة » واختياره الأخير « بحوث الرأى العام » •

واذا نحن جمعنا مادة الثقافة على مادة بحوث الرأى العام أمكننا أن نقطع شوطا بعيدا فى معرفة كنه سلوك الانسان • وكما تبين الثقافة الدوافع العميقة والأسباب التى تدفع الانسان الى العمل ، فان بحوث الرأى العام تفسر عملا معينا ذا طبيعة مباشرة •

واذا طرحنا جانبا ـ وبصفة مؤقتة ـ الأسباب الخفية لأهمية الرأى العام يمكننا أن نورد بعض الظروف التى توضح لنا أهمية الرأى العام • ولقـــد صرح ايرل ل• فانس Earl L. Vance فى مقال له عن التربية ان الخبر لا يؤثر فقط على تفكيرنا بل أنه تفكيرنا نفسه بقوله :

---

(١) ستيوارت ، تشيس ولد ٨ من مارس سنة ١٨٨٦ درس فى معهد التكنولوجيا بمساسوتس لمدة عامين ثم تركه ليدخل جامعة هارفارد حيث تخرج سنة ١٩١٠ بمرتبة الشرف أهم كتبه فى ميدان العلوم الاجتماعية :

The Proper Study of Mankind (1948)

The Power of Words (1954).

والثانى كتبه بالتعاون مع زوجته ماريان تيلر •

« ان ما نسميه « تفكيرنا » الخاص بمعظم الاحداث والموضوعات ـ الدولية والقومية والمحلية ـ التى تشكل جزءا كبيرا من حياتنا هو الى حد كبير مجرد وظيفة من وظائف « الخبر » • ان تفكير الملايين من الناس يصبح عملا لحفنة من الاشخاص الموزعين توزيعا استراتيجيا : فهذا رجل يقف أمام ميكروفون الاذاعة، وثان يجلس الى مكتب الأنباء ، وثالث يجلس أمام آلة الكتابة ـ وكلهم يبتعدون آلاف الاميال •

« وبغض النظر عن حدة عقل الفرد ، فان فى هذه الأمكنة السابقة يتكون تفكير الشخص وتتكون آراؤه • فالرأى فى جوهره هو خلاصة للمعلومات التى تصل الى الشخص •

« ان السؤال الملح لم يعد كما كان فى الماضى « ما رأيك ؟ » وانما « ماذا قرأت ؟ » و « الى من استمعت ؟ » • هنا يولد العمل • وبالنسبة لما نقوم به من عمل لم يعد يهم : ما شكل الارض ؟ ، ولكن المهم ماذا قيل عن شكل الارض ؟ أن تصرفنا حيال العالم غير مبنى على العالم كما هو ولكن على ما دفعنا الى الاعتقاد عن كنهه • ان الرجل البدائى كان يقدم القربان الآدمى لتهدئة سورة غضب الآلهة ، ولم يكن يهم ما اذا كانت الآلهة موجودة أو غير موجودة لاستلامها • المهم أن الضحية قد ماتت وقد تشعر بها الآلهة •

« ويتصرف الانسان اليوم بما يشبه ذلك تماما ، فمثل العلماء الذين أعطونا القنبلة الذرية ، والسياسيين الذين يقررون استخدامها كمثل الانسان البدائى تماما • انه يتصرف حسبما وصلت اليه المعلومات • فاذا كانت نتيجة العمل وبالا فهو لم يكن يدرك النتيجة من قبل كالبدائى• ان الناس يتصرفون الآن وفق ما دفعوا الى الاعتقاد بأنه الصالح فاذا ثبت بعد ذلك أن ما دفعوا الى الاعتقاد به غير سليم أو أنه كانت هناك حقائق لم يعرفوها اذن فليساعدنا الله » •

ويمضى فانس فى كلامه فيقول « ان ما نسميه بالشخص المتعلم فى أمريكا يحصل على معلوماته الجارية من نفس المصادر التى يحصل منها الرجل الأمى

معلوماته • هناك مكان واحد يستقى منه معظم الافراد شرحا للاحداث الجارية ، ألا وهو رأى الآخرين » •

ومن المؤكد أن رأى الآخرين يلعب بالنسبة للفرد فى حياته العادية دورا لا يمكننا تجاهله ، ومن جهة أخرى فمن الواضح أن قليلين هم الذين لديهم فكرة محددة عن الاشخاص الذين تحترم آراءهم •

ان العامل الذى يقرر كثيرا من سلوك الانسان هو ما يعتقد الناس أن الناس الآخرين يعتقدونه ، وذلك لأن تقدير الفرد لما يعتقده الناس هو الموجه لأعماله • وهكذا يصبح الرأى العام هو المعيار • انه يصبح الحكم النهائى لما يعمل وما لا يعمل • وبالنسبة الى العمل فان هذا النوع من الرأى العام له واقعية يمكن قياسها •

ولما كان الرأى العام نادرا ما يعتمد على الحقيقة قدر اعتماده على ما يعتقد أنه الحقيقة يصبح خرقه موضوعا خطيرا لأنه ليس هناك مخرج من كسر الآراء التى ثبت قبولها • واذ لا يجد معظم الناس طريقا لتقرير صحة رأى بالمقارنة برأى آخر كان تقبل الرأى هو المعيار • وبالاضافة الى ذلك فان الحقائق يصعب عادة الوصول اليها لدرجة أن عمليات الحياة العادية تسير وفق تقنين المعتقدات ، أو وفق ما نسميه بالرأى العام •

ان الرأى العام بمعناه الواسع هو الموجه الأول للفرد فى تقرير سلوكه ، وطالما ظل الرأى العام مستقرا ، وطالما ظل بعيدا عن أنه لا يصطدم بشدة مع الحقيقة ، فانه يكون صالحا لتوجيه سلوك الانسان صلاحية الغريزة فى توجيه سلوك الحيوان •

طبيعة الرأى العام :

تلك كانت أهمية الرأى العام ونستطيع بعد ذلك أن نؤكد أن الرأى العام هو قوة اجتماعية تنظيمية تدلنا على اتجاهات الناس وتسيطر عليها أيضا •

وهناك أنواع مختلفة من الرأى العام • هناك الرأى العام الخاص بالمجتمع الصغير ، وهناك الرأى العام الخاص بالأمة ، والخاص بالعالم ، وأول أنواعه ربما كان أبرز مظاهره •

ولقد عرف جينزبرج M. Ginsberg الرأى العام بقوله : « انه الآراء والأحكام الجماعية التى تعمل فى مجتمع تشكل بصورة محددة تقريبا ويتمتع باستقرار محدد وهو نتيجة العمل المشترك لكثير من العقول » •

وفى هذا المجال أو على هذا الاساس يختلف الرأى العام عن الرأى الشخصى، ومع ذلك فان هناك بعض التقارب والتشابه • فالرأى الشخصى يهيىء القاعدة الضرورية لتشكيل الرأى العام ، اذ ينتج عن تفاعل الآراء الشخصية لعديد من الناس خلق الرأى العام • وقد يكون لرجل آراء شخصية عن أمور كثيرة مثل أسعار اللحم ، أو تكاليف المعيشة ، أو ما شابهها • ولكن الرأى العام يوجد فقط عندما يكون هناك موضوع أو مسألة تتطلب الانتباه العام • ويجب أن تكون هذه المسألة حيوية بما يكفى لحث الناس على اتخاذ موقف بصددها • فقد يكون لكل من زيد أو عمرو آراء شخصية بصدد أزمة المساكن ولكن هذه المسألة لن تصبح رأيا عاما ما لم تشتد مشكلة الاسكان بحيث تصبح مسألة عامة يهتم بها الناس ، ويعبرون عن ذلك عن طريق الرأى العام •

كما أن الرأى العام يضبط بشكل ما الفعل الفردى • ويخضع الفرد ارادته لارادة الشعب كما تخضع آراؤه الى الرأى العام • فقد تكون لدى كل منا رغبة فى أن يسلك سلوكا معينا يخالف رأى الآخرين ، ولكننا نلتزم دائما بما يعتقده الآخرون خشية الرأى العام •

والرأى العام ليس الارادة الجماعية للشعب • فانه ينمو فقط عندما يكون هناك اختلاف أو اتفاق فيما يتعلق بموضوعات معينة • فاذا كان هناك اجماع فليس هناك حاجة لوجود الآراء • فالرأى يستلزم وجود الجدل والنزاع •

ويعرف بلومر Blumer (١)الرأى العام بأنه : « رأى مركب مكون من عدة آراء يتمسك بها الشعب ، أو النزعة الرئيسية التى تنشأ عن النزاع بين هذه الآراء المنفصلة » .

ولفت لورنس لوويل Lawrence Lowell (٢) الانتباه الى قوة الايمان كعامل فى تكوين الرأى العام فيقول : « ان هناك انطباعا عاما بأن الرأى العام يعتمد على عدد الأشخاص الذين يقفون فى أحد جوانب مشكلة ما ، ولكن هذا أبعد عن أن يكون صوابا . فاذا كانت نسبة تسعة وأربعين فى المائة من مجتمع ما تقف بدرجة قوية جدا الى أحد جوانب مسألة ما بينما تقف نسبة واحد وخمسين بفتور الى الجانب الآخر ، فان الرأى السابق يعنى أن القوة العامة الأعظم هى التى خلقته . ومن المؤكد أن ينتشر فى النهاية ، اذا لم ينتشر فى الحال . وآراء الأشخاص الذين لديهم أعظم قدر من المعلومات بصدد موضوع ما تكون أيضا أكثر وزنا من آراء عدد مساو لهم من الجهلاء . فالشخص الواحد الذى يتمسك تماما بما يعتقده أقيم بكثير ممن يتمسكون بآرائهم بضعف ، لأنه يكون أكثر تهجما وعدوانا وبذلك يجبر الآخرين ويخيفهم بما يدعوهم الى الاتفاق الظاهرى معه أو على الأقل الى السكون والركون الى السلبية . وباختصار فان الرأى العام ليس هو بالتحديد رأى الأغلبية العددية ، ولا تقيس أية صورة من صوره التعبيرية مجرد الاغلبية لأن الآراء الفردية توزن وتحسب أيضا الى حد ما . ودون محاولة دراسة كيف يمكن أن نقيس بدقة القوة والذكاء ، فانه مما يكفى لتحقيق غرضنا أن نشير الى أنه عندما نتكلم عن رأى الاغلبية فاننا نقصد ، الأغلبية الفعالة ذات التأثير ، لا أغلبية العددية .

---

(١) بلومر ، هيربرت أستاذ جامعى ولد ٧ من مارس سنة ١٩٠٠ حصل على الدكتوراه من جامعة شيكاغو سنة ١٩٢٧ عمل أستاذا للعلوم الاجتماعية فى عدة كليات عضو الجمعيات الأمريكية للعلوم الاجتماعية والسياسية كان عضوا للجمعية الدولية للدراسات الاجتماعية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٥ تولى تحرير كتاب « الجانب الانسانى للتخطيط الاجتماعى » Humen Side of Social Planning.

(٢) الأسقف لورنس لوويل (١٨٥٦ ـ ١٩٤٣) من رجال التربية والمحاماة الأمريكيين ، كان رئيسا لجامعة هارفارد من ١٩٠٩ الى ١٩٣٣ . معجم ويبستر ص ٨٧٠ .

القوى المحركة للرأى العام :

يشير « كمبال يونج Kimball Young »[1] الى مراحل ثلاث لنمو الرأى العام هى :

١ ـ نشأة الموضوع :

يبدأ الرأى العام بمشكلة عامة ، اذ طالما كانت الأمور تسير بطريقة تلقائية روتينية ، والمسائل العامة تعالج طبقا للعادات والقوانين فلن يشغل أحد نفسه بالتفكير ؛ لأنه قلما يشغل أحد نفسه بالتفكير لمجرد النقد . ولقد ذكرنا فعلا المثال الخاص بالاسكان . فطالما كانت هناك مساكن كافية فى المدينة فلن يهم أحدا مجرد التفكير بشأن هذا الموضوع ، ولكن حينما تظهر المشكلة فان الناس تبدأ فى ترديد السؤال : ماذا تفعل وزارة الاسكان أو لماذا لا تحل هذه المشكلة ؟

٢ ـ مناقشة الموضوع والحلول المقترحة :

تبدأ هذه المرحلة « بمحاولة » للتعرف بالموضوع ووضع الأمل فى ايجاد حل فى صورة فعل . ويتبع هذا مناقشة أكثر تفصيلا ولكنها تظل فى مرحلة تفسيرية وأولية . ويجرى فحص السمات المختلفة للمشكلة مثل مدى خطورتها وانعكاساتها المحتملة الوقوع على السمات الأخرى للحياة الجماعية . وفى الوقت الذى تتقدم فيه المناقشات والمحادثات والمشاورات تبرز حلول مختلفة ، وغالبا ما تكون متعارضة مثل ذلك ، يجب أن تعمل الحكومة على زيادة المساكن الشعبية والمتوسطة ، أو يجب مساعدة القطاع الخاص للمساهمة فى مشكلة الاسكان ، أو يجب العمل على وقف الهجرة للمدينة وتحديد العلاقة بين المالك والساكن .. الخ

وأما بالنسبة لسبل حل الموضوع فغالبا ما تظهر اختلافات شديدة فيها . وفى هذه المرحلة تبدو عوامل الاختلاف وعوامل الاتفاق أكثر وضوحا . وفى

---

(١) Kimball Young, Social Psychology, F. S Crofts and Coy, Nnw York, 1936.

الوقت الذى يتم فيه التعبير عن الآراء المختلفة تتكون جماعات صغيرة تدافع كل منها عن وجهة نظر معينة • ثم تتبلور الآراء ، وتنبــذ الحلول الخيــالية ويتم الوصول الى حل وسط ، أو قد تؤدى الاختلافات الى عدم التوفيق بينها • وأحيانا تبذل محاولات لضم حلين أو أكثر فى حل واحد شامل •

٣ ـ الوصول الى اتفاق عام :

عندما تكون الموضوعات عاجلة لا يمكن أن نستمر فى المناقشــات الى مالا نهاية • والوصول الى حل ما أمر حيوى • فعندما يكون هناك مشكلة اسكان فان النقاش يحدده رأى الأغلبية ، ولا يمكن أن يحدث اجماع عام أو تام • ولكن غالبا ما يكون هناك اتفاق على الاختلاف ؛ فيعطى أحد الحلول المعينة فرصة اثبات قدرته حتى ولو كان البعض غير مقتنع بأنه أفضل حل ممكن • هذا هو السلوك العام ، ولكن هناك اختلافات وفروقا عديدة • ان القوى الاجتماعية لا تعمل دائما طبقا أو وفقا للنمط الموضوع • ان من السهل أن نصل الى اتفاق عام فى مجالات معينة كما أنه من الصعب الوصول الى ذلك فى مجالات معينة أخرى ، وحتى فى أوقات الأزمات نميل الى أن نتبع أهواءنا فيما يتعلق بالطعام والملبس ، بينما قد نكون أكثر استعدادا للتخلى عن بعض أموالنا • وللثقافة أيضا دور كبير فى هذا ، فبعض الثقافات تشجع الفردية بينما تمجد غيرها السير على نمط واحد •

قياس الرأى العام :

الواقع أن أفضل سبيل لمعرفة ماذا يفكر الشعب فيه هو السؤال عن ذلك . ولكن الأمر ليس سهلا كما يبدو ، ففى الغالب لا نستطيع أن نسأل كل الشعب .

ومن هنا برزت الحاجة الى الأخذ بطريقة « العينة » ، ولـكن قد تتشوه الأسئلة فى أثناء عملية توجيهها ، كما قد تقدر الاجابات على أساس اعتبارات

تختلف عن تلك التى أثارتها الأسئلة ، أو قد تتدخل قوى معطلة سواء بطريقة شعورية واعية أو بطريقة لا شعورية • وبالاضافة لذلك فان الناس فى هذه العملية قد لا تذكر كل شىء سواء عن قصد أو عن غير قصد • ومن ثم فان المشكلات الخاصة باخفاء المعلومات وتشويهها تعتبر عاملا معطلا فى قياس الرأى العام •

ويذكر أسش Asch (١) ان السنوات الاخيرة شهدت نمو حركة جديدة فى العلوم الاجتماعية هى عمل استفتاءات أو مسح للرأى العام • وتحظى هذه باهتمام عام لأنها تزعم أنها تتأكد بصورة دقيقة من آراء السكان بصدد موضوعات تؤثر على رفاهية الشعب • ومثل هذه المعلومات ، اذا أمكن الحصول عليها ، تمدنا بمعلومات عن الاحتياجات والنوايا العامة ، كما انها تعد مصدرا أساسيا للمعلومات والتحريات فى العلوم الاجتماعية • لذلك سوف تحل محلها الاعتماد على الملاحظات المبنية على غير أساس والتى غالبا ما تكون منحرفة ، ويذكرها القادة السياسيون والمعلقون والصحف أيضا » •

والاقتراع أهم أشكال قياس الرأى العام • ففى الاقتراع يوجه للشعب عدد من الأسئلة : اما شفاها « فى المقابلة » ، واما كتابة « الاستفتاء » • وهناك نوعان من الأسئلة ، أسئلة ذات المجال المفتوح ، والاقتراع • ففى النوع الاول تكون الاجابة المطلوبة هى الى حد ما لها طابع المناقشة المفتوحة بينما تكون الاجابات المختلفة الممكنة فى النوع الثانى مدونة ومحددة وعلى الشخص أن يختار واحدة منها •

ويمكننا أن نذكر الآن الخطوات العامة للقيام ببحث عن الرأى وهى :

١ ـ القيام بدراسة للاسترشاد لجماعة صغيرة أو لعينة فرعية ، وذلك عن طريق استفتاءات مفتوحة ، وهو الأمر الاكثر احتمالا •

---

(١) Asch, S. E., Social Psychology. Prentice Hall, New York, 1952.

٢ ـ اجراء مقابلات مع عينة أكبر عددا للاجابة بواسطة الاقتراع ، أو بواسطة عبارات محددة ، أى عن طريق استفتاء مقنن ٠

٣ ـ دراسة عينة فرعية صغيرة ، وذلك بنمط من الأسئلة مفتوح المجال لسبر الغور عن أحد فروض الدراسة الكبيرة ٠

٤ ـ تفسير النتائج فى ضوء أبحاث الرأى الأخير ٠

وسواء كان الاقتراع يوضح الحقيقة فيما يتعلق بالرأى العام أو لا يعطى الصورة الحقيقية ، فان نتيجة الاقتراع تكون من المؤكد أفضل من تعميمات بنيت على أساس مشاعر تم جمعها من بضعة أحاديث عشوية مع عدد ضئيل من أفراد المجتمع ٠ وحتى مع الاعتراف بأننا نتحسس طريقنا فى الظلام ، فانه يبدو أننا نتلمس طريقنا الى هدف ، كما يبدو أيضا أن هناك بصيصا من الضوء يبدد هذا الظلام ٠

لقد كان هـ٠ بلومر H. Blumer واحدا من أقسى نقاد اتباع أسلوب الاقتراع فى جمع الرأى العام ٠ وقد ذكر أنه جرت عمليات اقتراع واسعة ، ولكن المعلومات التى توافرت ، نتيجة لها ، عن طبيعة الرأى العام كانت ضئيلة جدا ٠ فهناك قلة أو ندرة ان لم يكن نقص تام فى التعميمات الخاصة بالرأى التام بالرغم من القدر الكبير من الدراسات القائمة على الاقتراع والخاصة بالرأى العام .

ومن النقاط الهامة ـ فيما يتصل بقياس الرأى العام ـ تلك الخاصة بالشدة . فقد تعطى لنا أحد أبحاث الاقتراع صورة على أن الشعب يتمسك بآراء معينة ٠ ولكن هذه المعرفة ليست كافية ٠ فاننا يجب أن نعلم أيضا ما اذا كان يتمسك بها على اعتبار أنها مبادىء يعتز بها ، ولديه الرغبة فى الثبات عليها بأى ثمن ، أو أنها سطحية الى الدرجة التى يكون فيها على استعداد لنبذها لدى أتفه اثارة ٠

كما اقترحت أيضا دراسات النماذج كطريقة أخرى من طرق زيادة كفاءة عمليات مسح الرأى العام • وفى هذه الطريقة يتم اجراء المقابلات مع جماعة صغيرة ممثلة ، وذلك بصورة متكررة خلال فترة من الزمن لدراسة تغيرات الرأى التى تحدث •

أخطار عمليات مسح الرأى العام :

وجه كل من كريش Krech (١) وكرتشفيلد Crutchfield الانتباه الى بعض هذه الأخطار : « ان لدينا جميعا رغبة طبيعية وأحيانا رغبة سقيمة لمعرفة شىء عن المستقبل • وعمليات مسح الرأى العام أحيانا تحاول أن تتنبأ باتجاهات الأحداث المستقبلة • وهناك خطورة فى التنبؤ ، فقد لا تكون التنبؤات صحيحة كما أنها قد تثير خيبة الأمل أو تضلل • على أن هذه الاخطار قلت بدرجة كبيرة ، لأن الرحلة عبر المستقبل أصبحت مبنية على دراسات علمية بحتة للحاضر • ولكن العلوم البحتة ليست سهلة جدا فى هذا المجال • فلسوف يكون هناك دائما عنصر عمل قائم على التخمين ، وأن يصبح أقل وأقل بتحسن الأساليب •

ويشير المؤلفان الى أن اضعاف القيادة السياسية أو الزعامة خطر محتمل آخر فيقولان : « من الخير للقائد أن يعرف فيما يفكر الشعب فيه ، ولكن من الضار أن يفكر فيه طوال الوقت • فالقائد ينبغى عليه ألا يتبع الرأى العام عن عبودية ، ولا يتملقه بصفة مستمرة • فأحيانا يكون الجهل نعمة حقا ، لأنه يمنح القائد الفرصة للاستمرار فيما يعتقد أنه حق دون الالتفات كثيرا جدا الى ما قد يقوله الناس الآخرون • وعمليات مسح المعلومات العامة قد تمد القائد بمعلومات كثيرة

---

(١) Krech, D. and Crutchfield, R. S. Theory and Problems of Social Psychology, Mc. Grew Hell, New York, 1948.

جدا ، ولكنه قد يشعر بالخوف أو التوتر ، كما أنه سيكون أكثر شجاعة اذا كان لا يلتفت الى كل هذه المعلومات » •

والواقع أن هناك ظروفا يفضل فيها أن تتجاهل القيادة السياسية الرأى العام ، فمثلا فى الرأى الذى يعبر عنه الشعب بصدد موضوع لا يعرف عنه الا القليل جدا ، أو اذا نصح الرأى العام بعدم القيام بأى نشاط فى أمور معينة • فان القيـــادة الحكيمـــة يجب ألا تعتمد على هـــذا الرأى كعذر لتجنب نتـــائج معينـــة •

وبالاضافة لذلك هناك أيضـــا الخطر الاساسى من أن الرأى الذى تجمع نتيجة لعملية الاقتراع قد لا يمثل حقا ارادة الشعب ، وأنه بالرغم من أنهم قد يختارون أمورا بديلة فان أفكارهم الحقيقية تكون بعيدة عنها •

تغـــير الرأى العام :

على أن وسائل الدعاية التى عرضنا لها فى هذا الكتاب هى كلها من وسائل تغيير الرأى العام • ومن الطبيعى أن العقل والادراك يبينان لنا أن أفضل السبل لتغيير الرأى العام ــ اذا ما كان على خطأ ــ هو أن نقدم للشعب مزيدا من المعلومات ذات الطابع الخاص لتصحيح معلوماته ، وليرى موضع الخطأ ، وبالتالى يغير موقفه واتجاهه • ولكن لسوء الحظ لا يتلقى الشعب دائما مثل هذه المعرفة !

كما أن الفرد حينما يوفق بين بضعة آراء معينة يكون ذلك نتيجة رغبته فى التوافق والمطابقة ، وبسبب أناس آخرين يرون هذه الآراء ، وهو يرغب فى أن يعتبر عضوا نافعا فى الجماعة • ويمكن تحقيق التغيير فى وجهة النظر باثبات ان التوافق والمطابقة قد يكونان متفقين مع المنطق •

يجب أن تكون المعتقدات التى يعتنقها الفرد مفهومة له فيما يتعلق بكونها صورا دقيقة صادقة للعالم الذى يعرفه • كما أن الحقائق الجديدة التى قد تؤثر على رغبته فى التوافق والمطابقة يجب تقديمها اليه ، بخلق اطار جديد يجهل المقاييس القديمة •

وهناك أسلوب آخر لتغيير الاتجاه وهو ما يعرف بأسلوب الثواب والعقاب ، فنحن لا نتقبل الآراء فقط ، ولكننا أيضا نغيرها بما يناسب الشعب أو الجماعة التى نعيش معها • فاذا نال الفرد استحسان الجماعة بتغيير رأيه فقد تتولد لديه الرغبة فى دراسة التغيير ، حتى ولو لم يكن هو شخصيا مقتنعا بالحاجة اليه • وهذا عكس المبدأ الاول • ففى الاول يضطر الفرد الى تغيير رأيه على حساب عدم رضا الجماعة بسبب الأسس المنطقية والمعقولة ، وأما فى الثانى فان الرأى الزائف لأحد الافراد يتغير الى رأى حقيقى يتفق مع التطابق والموافقة والاستحسان العام •

واقترح البعض أسلوب التنفيس عن النفس كوسيلة ثالثة لتغيير الرأى العام ، فالمناقشة الحرة بين أعضاء احدى الجماعات تساعد على اخراج كل المشاعر المكبوتة أو الكامنة ، ويتبع ذلك خلق جو ملائم لتغيير الرأى • اذ أن مشاعر الذنب والعداء والتوتر تختفى كلها فى الحرية التى تتولد عن الاختلاط العقلى ، وهذه هى الفكرة التى تكمن خلف مائدة المؤتمر • فليس شكل المائدة هنا هو المهم ، ولكن التفتح الذهنى للمشتركين هو الذى يساعد على سير المناقشات • ومثل هذه المناقشات تساعد الفرد المشترك على أن يعبر عن نفسه وبذلك يوضح عن نواحى الصراع الداخلى • وهذا التوضيح يؤدى الى ادراك أسلم وهذا بدوره يمكنه من أن يستغل ذكاءه بصورة أكثر فاعلية فيما يدور من مناقشات •

طريقة تحليل المضمون :

وكما أن الوقوف على اتجاهات الرأى العام الداخلى يعتبر من الأمور الهامة ، فان معرفة الرأى العام العالمى لا تقل أهمية عن سابقتها ، اذ من الضرورى أن

تحاط الحكومات علما بآراء الشعوب واتجاهاتها فى الخارج ، ليتسنى لها رسم سياستها الخارجية تجاه هذه الشعوب بنجاح • وتهتم أغلب الدول بدراسة اتجاهات الرأى العام فى جميع دول العالم ، وعلى الأخص فيما يتعلق بسياستها ازاء الموضوعات والمشكلات المختلفة •

ولعل من الواضح أنه لن يتيسر دراسة اتجاهات الرأى العام العالمية باستخدام طريقة الاستفتاء أو المسح كما ذكرنا من قبل ، ولذلك لجأ علماء الرأى العام الى معرفة اتجاهات الرأى العام العالمى نحو دولة ما ، بدراسة اتجاهات الصحف والمجلات والنشرات والكتب التى تصدر فى الدول المختلفة ، وكذا برامج الاذاعة والتليفزيون التى تمس هذه الدولة باعتبار أن هذه المواد الاعلامية تعبر عن اتجاهات موجودة بالفعل ، أو تعمل على تكون اتجاهات جديدة • فهى تأخذ من الرأى العام وتعطيه ، وتؤثر فيه وتتأثر به ، تقود الجمهور وتنقاد له ، توجه الحكومات وتتلقى توجيهاتها ، وهكذا • وبذلك يعتبر كل ما يصدر عن هذه الوسائل تعبيرا عن اتجاهات الرأى العام فى صورة ما لا تصل فى دقتها الى معرفة حقيقة الرأى العام ، ذلك لأن وسائل الاعلام المختلفة وأخصها : الصحافة ، والاذاعة ، والسينما ، أصبحت تتسم بالطابع التجارى أو تعبر فى كثير من الأحيان عن رأى الحكومة اذا كانت الصحيفة تنطق باسمها ، أو كانت الرقابة محكمة بحيث لا يرى منها الا مكان ممثل لوجهة نظر الحكومة ، وحتى البلاد الديمقراطية فانها قد تقع تحت تأثير بعض الأفراد والهيئات الرأسمالية ، وقد يصل الحال الى درجة الاحتكار •

ولعل أبرز مثال على ذلك موقف الصحافة والاذاعة الأمريكيتين اللتين تسيطر عليهما المنظمات الصهيونية الرأسمالية •

وبالرغم مما يوجه لهذه الطريقة من عيوب فانها الى حد ما تعطى فكرة عن الرأى العام فى بلد ما بخصوص المسألة التى تخص دولة أخرى باعتبار أن وسائل

الاعلام تتأثر بالرأى العام وتؤثر فيه ، وباعتبارها الوسيلة الاقرب الى الموضوعية وهى الوحيدة التى يمكن الالتجاء اليها فى معرفة اتجاهات الرأى العام الخارجى ٠

وتستخدم طريقة تحليل مضمون المقال فى قياس اتجاهات الرأى العـام العالمى ازاء مشكلة معينة فى وقت معين ، وكذلك تستخدم فى الكشف عن بعض المفاهيم التى استقرت فى دولة ما ، وسنبين فيما يلى الطريقتين :

أولا ـ الطريقة الأولى :

لما كانت بحوث الرأى العام بنوعيه الداخلى والعالمى تهدف فى النهاية الى ترجمة الاتجاهات النظرية الى أرقام لها دلالات احصائية ـ أى ابرازها فى صورة نسب مئوية توضح الاتجاهات المؤيدة والمعارضة والمحايدة ـ لذلك جرت معاهد الرأى العام العالمية على تجميع جميع المواد الاعلامية التى تناولت موضوعا يخص دولة أخرى فى فترة معينة ، ثم تحليلها بطريقة المضمون ، وهذه الطريقة عبارة عن تلخيص لكل وحدة اعلامية سواء كانت هذه الوحدة : مقالا صحفيا ، أو حديثا اذاعيا ، أو برنامجا تليفزيونيا بحيث يبرز هذا التلخيص جميع الآراء والأفــكار التى تتضمنها هذه الوحدة الاعلامية الى جانب روح المقال الذىيكشف عن الاتجاه الذى يغلب عليها « مؤيد ، معارض ، محايد » ٠

وفيما يلى نموذج لتحليل احدى المقالات التى نشرتهـا جريدة « فرانس أوبزرفاتور France Observateur » الفرنسيــة الاسبوعيــة تحت عنـــوان « مصر عبد الناصر » بقلم الكاتب الفرنسى ألبير بول لانتات جاء فيها ما يلى :

« ان ثورة الرئيس عبد الناصر هى امتداد للانتفاضات الثورية الشعبية التى بدأت عام ١٩١٩ ، ولكن انقلاب ٢٣ من يوليو يبدو فى حلقات هذه السلسلة الطويلة من الانتفاضات ذا معنى خاص فى تاريخ العرب الحديث ٠

لقد أعلن هذا الانقلاب عمليا بأن اقطاعيـة الارض لم تعد صـاحبة الكلمة الأخيرة فى تقرير مصير الجمهورية العربية المتحدة ، بل ان الشعب هو صـانع مصيره ، فبعد أن كانت مصر حتى عام ١٩٥٢ مجرد حقل كبير لانتـاج الاقطان التى تحتاج اليها المصانع البريطانية ، ولا سيما مصانع لانكشاير ، فقد بدأت بعد الانقلاب تتخذ شخصية جديدة ، هى شخصية البلد المصمم على تصـنيع نفسه ، وتطبيق سياسة الاكتفاء الذاتى فى أقل الاعتبارات •

ان الثورة قد ردت الى مصر كرامتها ضامنة للبلاد استقلالا وطنيا حقيقيا فى الداخل وفى الخارج ، أما فى الداخل فهو فى انشاء اقتصاد مستقل عن طريق سياسة التصنيع الواسعة وسياسة التنمية الزراعية المتكيفة مع حاجات البلاد الداخلية ، وأما فى الخارج فهو فى الالتزام بمبدأ الحياد الايجابى أو سياسة عـدم الانحياز » •

ويصير تحليل مضمون هذا المقال على الوجه التالى :

الاشادة بثورة ٢٣ يوليو ، على أساس أنها نجحت فى الداخل بتصنيع البلاد والعمل على توسيع الرقعة الزراعية ، بقصد تحقيق الاكتفاء الذاتى • وفى الخارج باتباع سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وواضح أيضـا أن روح المقال مؤيد •

ويخضع للتحليل ـ فى عملية قياس الرأى العام العالمى ـ جميع المقالات التى تصدر فى كل صحف مختلف الدول ، وكذا تعليقات الاذاعة والنشرات والكتب التى تتعرض لهذا الموضوع بالتأييد أو المعارضة أو الوقوف موقف الحياد ، ثم تبوب وترتب فى صورة احصائية ليتسنى تفسير نتائجها •

ثانيا ـ الطريقة الثانية :

وبما أن الصحف تختلف فى درجة توزيعها ، ومدى تأثيرها ، ومكان نشر المقال ، ودرجة بروزه فى الصحيفة ، فلا شك أن كل ذلك يوجد مشكلة تقويم تأثير المقال بصورة كمية . وقد رأى أحد علماء الرأى العام أن يحل هذا الاشكال بمعرفة العدد التقريبى لجمهور كل وسيلة من وسائل الاعلام المختلفة على حدة ، ثم بعد ذلك يضع الوسائل المؤيدة فى جانب ، والوسائل المعارضة فى جانب آخر ، والمحايدة فى جانب ثالث ، ثم يجمع جمهور المؤيدين والمعارضين والمحايدين كل على حدة فى المسألة موضوع الدراسة ، ويقارن هذه الاعداد ويعرف نسبها المئوية التى تؤدى الى نسب الاتجاهات المؤيدة والمعارضة نحو هذا الموضوع • غير أنه وجه الى هذه الطريقة نقد شديد ، اذ أنها تتجاهل تأثير كل وسيلة • فقد يحدث أن توجد صحيفة تتمتع بتوزيعها المرتفع ، ولكنها قليلة التأثير ، والعكس صحيح • كذلك تجاهلت هذه الطريقة مكان نشر المادة الاعلامية ، وطريقة بروزها ، لأنه لا يعقل أن يكون تأثير مادة اعلامية لها عنوان كبير « مانشيت » أو مقال افتتاحى التأثير نفسه لمادة اعلامية على شكل خبر ، مجرد خبر ، أو فى داخل طيات الصحيفة • ولذلك اتفق على أن يراعى فى تقدير الاتجاهات النظرية التى تتضمنها الوسائل الاعلامية المختلفة الشروط التالية :

- أن يقدر لمضمون المادة الاعلامية درجة واحدة •

- أن يضاف لمضمون المادة الاعلامية درجة ثانية لانتشار الوسيلة الاعلامية مثل التوزيع فى حالة الصحف •

- أن يضاف لمضمون المادة الاعلامية درجة ثالثة لشدة تأثير الوسيلة الاعلامية ، فصحيفة مثل التايمز توزع ثلث مليون نسخة ولكنها أقوى تأثيرا من صحيفة نيوز أوف ذى ورلد التى يزيد توزيعها على أربعة ملايين نسخة •

- أن يضاف لمضمون المـادة الاعلامية درجة رابعـة لمكان النشر ودرجة البروز فى الصحف • كما ينطبق ذلك أيضا على مكان الخبر بالنسبة للنشرة الاذاعية ، أو التليفزيون ، أو السينمائية ، وباتباع هذا المعيار يصـــير تقـــويم كل مقال بين درجة وأربع درجات بحسب الشروط السابقة • وعلى ذلك ينبغى على خبير الرأى العام أن يعرف عند قيامه بعملية تحليل الرأى العام العالمى درجة انتشار كل وســـيلة اعلامية وشدة تأثيرها •



وسائل استخدام الدعاية

كتب صن تزو Sun - tzu الاستراتيجى العسكرى الصينى فى القرن الخامس قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام يقول فى القتال الليلى :

« تستعمل الطبول والنيران العالية بكثرة ، وفى القتال النهارى تستعمل أعداد كبيرة من : الاعلام ، واليفط ، وبذلك ترهب عيون العدو وآذانه » ٠

وفى الكتاب الهندى الكلاسيكى عن « فن الحكم » المسمى « ارثازاسترا لكويتليا » نجده يقول : « ان المنجمين وغيرهم من أتباع الملك يجب أن ينفخوا فى الجيش عن طريق تأكيد الصبغة القوية لتنظيمات جيشه ، كما يجب أن يقوم العملاء السريون بالاختلاط بقوات العدو لنشر الشائعات عن هزيمته الأكيدة ٠

كما توجد وثائق منذ العهد اليونانى الرومانى « الجريكورومان » تشرح طريقة التغلب فى المناقشة وطريقة كسب الانتخابات ٠ ويحتوى أدب الدعاية على وثائق تشرح طريقة تبشير الكفار ، والتأثير على الشباب ، ونشر المؤامرات ومنعها ، والحصول على الهدايا وعمليات البيع ، بل لا نجد موضوعا لم يكتب عنه كتاب متخصص ٠

وعلى الرغم من ذلك فان العلماء والمفكرين لم يبدأوا الا منذ عهد قريب فى قياس مكان التأثير الجماهيرى فى التطور الاجتماعى ٠ وهناك دوافع كثيرة معروفة

للنشاط الدعائى ، فقادة الثورات السياسية والاجتماعية يرون أن فى استطاعتهم انقاذ الجنود ، وتوفير الاموال عن طريق استعمال عبارات تثير الرغبة فى الطاعة للنظام الجديد • وقد وضعت الاسس الأولى لاقامة الامبراطوريات حين تعلم الغزاة أهمية تحويل البلاد المغزوة الى جانبهم بدلا من القضاء عليهـا • ولعل طريقة الطابور الخامس التى تستهدف التغلغل فى صفوف العدو لاغراض سياسية جاءت نتيجة لدراسة عمليات التبشير الناجحة التى قامت بها الاديان المختلفة •

والواقع أن كلمة « دعاية » بالانجليزية Propaganda وثبت عـام ١٦٢٢ من ذلك القسم فى الفاتيكان « الكرسى البابوى » الذى كان واجبه نشر العقيدة والدعوة للايمان ، على الرغم من أن حقيقة الدعاية ترجع الى قديم الزمان •

التعاريف الواسعة والتعاريف الضيقة :

هناك فى تعريف الدعاية عدد من التعريفات لا حصر له ، ومن بين الكتاب الذين كتبوا الكثير من الكتابات التاريخية والتحليلية والنقدية عن « الدعاية » نجد وولتر ليبمان وهارولد لاسويل وليونارد دوب ، كذلك أسهم عدد كبير من الاساتذة العالمين فى محاولة تعريفها وايضاح اتجاهاتها ، وأعمال بعض هؤلاء لها أهميتها الكبيرة • وقد نستطيع أن نقول عن الدعاية هنا انها « تتكون من الاستخدام الذى يقوم على تخطيط معنى به لأى صورة من صور الاعلام بقصـد التأثير فى العقول ، والعواطف ، وفى أعمال جماعات معينة لغرض خاص » •

وقد يقال : ان هذا تعريف واسع ، ومن ثم يجب أن تستبعد صور الدعاية التى تستهدف التأثير فى الاغراض الخاصة غير السياسية ، وبذلك يمكن أن يقال :

« تتكون الدعاية من الاستخدام المعنى به لاى صورة من صور الاعلام العامة أو الشعبية بقصد التأثير فى العقول والعواطف لجماعة معينة لغرض عام معين سواء أكان هذا الغرض عسكريا ، أم اقتصاديا ، أم سياسيا » •

وقد يكون هذا التعريف الاخير هو التعريف العادى للدعاية ، كما يستعمل فى أغلب كتب التعليم المدنية فى الجامعـات ، على أنه من الضرورى للاغراض العسكرية أن نهذب من أطراف هذا التعريف من جهة واحدة أو أكثر مع تطبيقه بدقة على العدو وجعله كما يلى :

« تتكون الدعاية العسكرية من الاستخدام المعنى به لاى نوع من وسائل الاعلام بقصد التأثير فى عقول وعواطف : جماعة معادية معينة ، أو جماعة محايدة ، أو جماعة صديقة أجنبية لغرض استراتيجى أو تكتيكى معين » ٠

لكنه ما لم يكن الاستخدام لوسائل الاتصال والاعلام طبقا لخطة موضوعة فانها لا تكون دعاية ٠

وبالاضافة الى ذلك يجب أن يكون للدعاية غرض معروف ، وهذا هو الجوهر الأساسى الذى يجب أن يتضمنه التعريف ٠ وتحـدث فى وقت الحرب والسلم اتصالات كثيرة بشتى صور الاعلام ، حيث يسبب سرور المذيع أو الكاتب فى السخرية والاستهزاء بالعدو ردودا عكسية على المستمع ٠ ولقـد عرفت الحرب الماضية اسلوبا طريفا بارسال صور كاريكاتورية لليابانيين بها رسوم تهدف الى السخرية منهم والاستهزاء بهم ، كما أرسلت بطاقات للالمان فيها سـخرية باللغة الألمانية ، وأطلقت أسماء أو نعوتا غير كيسة على الايطاليين ، وقد وجـد مرسلو هذه البطاقات متعة وسرورا فى هذا النوع من السخرية ٠

ولقد كان هذا العمل فى الواقع دليلا على الحماقة لأن التأثير الفعلى الواقعى لهذه الصور والرسوم أغاظ الجانب الآخر وزاد من رغبته فى المقاومة ومتابعة القتال ٠

ولا شك أن ازعاج العـدو ومضايقته لا تزال لهما مكانتهما فى الدعاية العسكرية الحديثة ولهما دورهما ، ولكن هذا الدور يعتبر دورا خاصا من النادر استخدامه ، فاذا ما استخدم وجب أن يوضع له تخطيط جيد ٠

أنواع الدعاية :

قد لا نستطيع أن نتفهم الدعاية دون أن نبحثها من زوايا معينة ، فالمصدر مثلا يلعب دورا كبيرا فى تقسيمها الى أنواع مختلفة • فاذا كان المصدر مكشوفا ومعروفا فان الحكومة التى تصدر الدعاية تعرضها باسمها أمام العالم كله ، ومن ثم يجب أن تصدر هذه الدعاية بقـدر كاف من الكرامة مقدرة كل الاحتمالات للمستقبل ، واذا كان المصدر مزورا فمن المهم أن تثق الحـكومة أو الجيش بأن التزييف جيد جدا ، وأنه ليس من السهل تعقب الدعاية لمعرفة مصدرها وما بها من زيف •

ويستخدم هنا اسلوبان مختلفان كل الاختلاف ، فالمصادر العلنية المكشوفة تتطلب موظفين عموميين مسئولين. ويفضل الرجال ذوو الشهرةالدولية الذى يمكن ان يحققوا أفضل تأثير من أسـمائهم ومن التسهيلات التى توفرها الحـكومة . واستخدام المصدر المكشوف فى الغالبية ـ وليس دائما ـ يشمل ايمان رجل الدعاية بصحة المادة التى يقوم بتوزيعها ، وتتطلب المصادر المزيفة « المفبركة » أشخاصا مهرة بارعين فى قوة التخيل والتزييف والاختلاق ، ونتيجة لهذا الفهم المبنى على تقسيم الدعاية من ناحية المصدر وجدت الانواع الثلاثة التالية :

الدعاية البيضاء :

تصدر من مصدر معروف وفى العادة يكون المصـدر وكالة من الوكالات الحكومية بما فى هذا القيادات العسكرية على مختلف مستوياتها ، ويشترك هذا النوع من الدعاية مع العمليات النفسية العلنية المكشوفة •

دعاية رمادية :

لا توضح أى مصدر •

دعاية سوداء :

تدل على أنها تنبعث من أى مصدر غير المصدر الحقيقى ، ويشترك هذا النوع من الدعاية مع عمليات الحرب النفسية السرية المغطاة • ونظرا لاهمية هذا النوع فاننا سنعود اليه فيما بعد •

ومن أنواع الدعاية البيضاء النشرة التى ألقيت على الوحدات الألمانية فى الحرب العالمية الثانية حاثة الجنود على الاستسلام ، وقد طبعت باللغـات الانجليزية ، والفرنسية، والألمانية وتقول : ان الجندى الالمانى الذى يحملها يقدم دليلا على رغبته فى الاستسلام، ومن ثم ينزع عنه سلاحه ويعنى به، ويقدم له الغذاء والعلاج الطبى الذى يحتاج اليه ثم يرحل من المنطقة الخطرة بأسرع ما يمكن • وقد علا النشرة الأختام الرسمية لبريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة ، ووقعها دوايت أيزنهاور بامضائه كقائد عام لقوات الحلفاء وبذلك يكون المصدر واضحا •

كما وزع الحلفاء نشرة مضادة للدعاية الالمانية طبعت بالانجليزية والالمانية خاصة بالضباط ، وبها معلومات صحيحة ، ولكن لم يذكر المصدر مما جعل كثيرا ممن قرأوها يعتقدون أنها مرسلة من داخل الاراضى الالمانية نفسها •

ولقد كانت الحاجة ماسة الى هذين النوعين المختلفين من الدعاية ، فكل منهما كانت تكمل الاخرى ، ولكن رئى أن تبقيا منفصلتين الى غاية ما يمكن •

ولقد كان الفرق بين الدعاية البيضاء والدعاية السوداء فى مجال الاذاعة أكثر وضوحا ، ففى أثناء الحرب العالمية الثانية كان جو أوروبا مشحونا بالنداءات الموجهة من محطات الاذاعة العامة والسرية ، فكان الانجليز يتحدثون الى الالمان من الاذاعة البريطانية B. B. C. دون أن يبذلوا أى جهد لاخفاء حقيقةأنهم انجليز، ولكنهم كانوا يتحدثون الى الالمان من محطات سرية فيزعم المتحدثون أنهم من النازيين الأحرار ، أو أنهم من محطات اذاعة الجيش الألمانى ، أو من جماعات حرة

أخرى ، وكان الالمان يرسلون الانباء الالمانية الرسمية الى الولايات المتحدة باللغة الانجليزية ، ولكنهم كانوا يزعمون أنها اذاعة أمريكية من الاراضى الامريكية فى الغرب الاوسط .

وفى بعض الاحوال كانت الدول المتقاتلة تستخدم أجهزة الاذاعة للدعاية العلنية والدعاية الخفية السرية ، ولقد عرفنا من قبل أن اذاعة «سيبان» وهى تحت ادارة الامريكيين كانت فى أغلب الوقت بديلة لاذاعة برامج محطة سان فرانسيسكو واستعارتها « منظمة الخدمة الاستراتيجية » O S S فصارت محطة « يابانية » .

على أنه من ناحيـة التوقيت يمكن أن تقسـم الدعاية الى نوعين : دعاية استراتيجية ودعاية تكتيكية ، وتدار الدعاية الاستراتيجية دون أن يكون لها تأثير مباشر واضح مرئى ، وغرضها اجهاد العدو بتغييرات سيكولوجية يمكن أن تمتد على مدى شهور ، أما الدعاية التكتيكية فهى تهدف الى تحقيق غرض مباشر قصير الاجل ، وهى عادة لا تغطى فترة زمنية طويلة .

ويمكن أن نعرف هذين النوعين على النحو التالى :

١ ـ دعاية استراتيجية : توجه ضد قوات العدو ، وضد شعوب العدو ، وضد المناطق التى يحتلها العدو متناسقة مع تخطيط استراتيجى ، وتوضع بقصد تكملة نتائج مخططة ينشد تحقيقها على مدى أسابيع ، أو شهور ، أو سنوات .

٢ ـ دعاية تكتيكية : توجه لمستمعين معينين يذكر أسماؤهم فى الغالبية ، وتعد وتنفذ لتعضيد عمليات القتال المحلية .

على أنه من الممكن ابراز فروق مميزة أخرى ، ويتوقف هـذا على العـلاقة بين عملية الدعاية التى يقوم بها أحد الجانبين وعملية الدعاية التى يقوم بها العدو فى الوقت نفسه ، أى أن تكون هناك دعاية هجومية ، ودعاية دفاعية .

ولقد ظهرت أهمية هذا الفرق قبل الحرب العالمية الثانية ، ولكن التجربة فى كل الجبهات دلت على أن هذا لم يكن يعنى الا القليل عندما يطبق على الاحتياجات اليومية فى الاجراء الفعلى ، وتنسق الدعاية تنسيقا وثيقا مع الانباء ومع موقف الرأى حتى انها لتحمل فى الغالبية تحليلات متقنة محكمة سابقة للعمليات ، ولكن التخطيط المتقن ينتهى فى الغالبية الى الملفات المغلقة ومن ثم فان التمييز على أسس « هجومية » و « دفاعية » يكون قليل المعنى فى العمل الروتينى الرتيب •

الاستراتيجية :

تعتمد الاستراتيجية الصحيحة للدعاية على الاطار العام للسياسة وللظروف التى تساعد على النجاح أو تقف فى طريقه • والغرض الأساسى للسياسة يمتد من اعادة بناء المجتمع الى موضوعات محلية عاجلة ، ومن الاعتماد الكامل على الاقناع الى القضاء التام على الدعاية •

واذا كانت هناك خطة شاملة للتغير الاجتماعى يراد اتباعها عن طريق الوسائل السلمية ، فان المشكلة الاساسية للتخطيط الاستراتيجى هى : هل يمكن الاسراع فى النجاح على حساب الاستغناء عن بعض التفاصيل ؟ ففى وقت ما فى الصين مثلا لبس الجزويت ملابس العلماء المحليين كوسيلة لتعديل غرابة طريقة الحياة المسيحية •

وهناك موضوع آخر متصل بالاستراتيجية وهو كيف يمكن التركيز على نشر دعوة ما ، وما مدى استعمال نداءات مساعدة ؟ فمن عمل البعثات التبشيرية نجد أن نواحى النشاط الثانوية هى التى صارت الوسيلة المتبعة للاتصال غير المباشر بالسكان المحتمل تبشيرهم • فبعثات التبشير البوذية دائما تشجع الاعمال الخيرية ، ولكن يقال : أنه فى الصين استطاعت ترجمة مبادىء البوذية أن تلعب دورا هاما فى اثارة اهتمام بعض الطبقات •

وأحيانا ما تكون مهمة الدعاية هى اعداد الطريق لبعض نواحى النشاط التى لابد من أن تفشل اذا تم شرحها مقدما ، فقبل الاستيلاء على السلطة فى ألمانيا كانت

استراتيجية الحزب الاشتراكى الوطنى هى منع تجمع الاشتراكيين والشيوعيين والمحافظين ، ذلك التجمع الذى كان من شأنه أن يقف ضدهم· وبمجرد أن استولت الاشتراكية الوطنية على الحكم ، انتقلت المشكلة الى نطاق السياسة الدولية وصارت مهمتها منع كل من الشرق والغرب من اتخاذ أية خطوات عملية ، بينما قامت ألمانيا بالتسلح واحتلال أرض الراين واستيعاب النمسا ، وتقسيم تشيكوسلوفاكيا ، ثم بدأت الحرب ضد بولندا · وبعد فسخ العلاقة مع السوفييت صار الغرض الاستراتيجى الأساسى هو الفصل بين الشرق والغرب حتى يمكن الهرب من القتال على جبهتين ·

التكتيك :

ان مشكلات الدعاية التكتيكية تنتج من تكييف الموقف حسب الحدود التى تفرضها ، ويجب اختيار الجماهير الصالحة والوسائل الصالحة حتى يمكن الحصول على التأثير المطلوب ، كما يجب خلق هيئة لها القدرة والاخلاص المطلوبان لتحقيق هذه الاغراض ·

وعند تقرير ما يراد نشره يجب مراعاة أبعاد الجماهير ، وهذه الابعاد هى : مزيج من المفاهيم للنفس، ومن الرغبات المطلوبة، والاعتبارات المنتظرة·ويمكن تصنيف الابعاد حسب الثقافة والطبقة والشخصية · ولنفترض أن المشكلة التكتيكية هى جعل أكبر عدد من جنود العدو وضباطه يسلمون أنفسهم · فى هذه الحالة سيدرس الداعية ثقافة العدو وهل تجعل الشرف العسكرى مثلا أعلى ؟ سيحاول أن يكتشف هل هناك ظروف يعترف فيها العدو بأن التسليم شرف أيضا ؟ وفى هذه الحالة سيقوم الداعية بتوزيع بيانات بأن أية مقاومة بعد ذلك ليس لها أى معنى عسكرى · وسيقوم فى نفس الوقت باعداد أمر عال يجب اطاعته ·

كما أن ابعاد الجمهور من الأمور الهامة التى يجب أن تراعى فى المجال التكتيكى حينما يقرر المعلومات التى يجب منع نشرها · ففى الحرب العالمية

الثانية كانت الفكرة السائدة هي أن الجماهير الالمانية كانت على حذر شديد من أن تقع فريسة مرة أخرى لخديعة الحلفاء وأنها حذرة ضد الدعاية • ومن هنا قرر الداعون الانجليز والامريكيون اتباع الطريق الطويل الذى يرمى الى كسب ثقة الجمهور عن طريق اعطاء معلومات دقيقة . وكانت الخطة هى كسب « معركة الثقة » عن طريق اتباع الحق ، وذلك بنشر بيانات فى استطاعة الجماهير الالمانية التأكد منها • وكنتيجة لدراسة طبيعة الجماهير فى ألمانيا ، كانت البيانات الحقيقية كثيرا ما تخفف لهجتها حتى تبدو معقولة ، فكانت الحقائق عن الانتصارات العسكرية وانتاج الاسلحة والاغذية والمعدات كثيرا ما يقلل من شأنها حتى تبدو حقيقية •

ومن المعروف أنه من الصعب اخفاء الحقائق عن الجماهير ، ومن ثم صار من المعتقد أن نشر المعلومات السيئة فى الحال أقل ضررا من اخفائها أو من نشرها بصورة غير كاملة • لقد تعلمت السكك الحديدية ، وتبعتها شركات الطيران أن تنشر أخبار حوادثها بمجرد وقوعها . وغالبا ما توجد حقائق غير مرضية للجانبين، وفى الخلافات المريرة نجد من الطبيعى أن يحاول الداعون الحصول من المخابرات على معلومات يمكن استعمالها بطريقةخاصة للضغط على الخصم وارغامه على ألا ينشر معلومات معينة •

والمشكلة الدائمة التى تواجه رجل الدعاية التكتيكى هى مدى مدح النفس والهجوم على العدو • ونجد أن المتنافسين التجاريين مثلا يبتعدون عن الهجوم ضد منافسيهم على أساس أن الشك يمكن أن يثار لا على « الماركة » بل على نفس السلعة التى يراد بيعها • وبعكس الدعاية التجارية نجد أن الدعاية السياسية تتصف بتقديم السياسة كدراما تتصارع فيها قوى الخير وقوى الشر • وتحاول الحركات الثورية أو الاصلاحية أن تخلق شعورا بالجرم بين منافسيها ، وشعورا بالصلاح بين مؤيديها • وقد ينجح هذا التكتيك فى اثارة نضال فى الضمائر •

تكنيكات الدعاية السوداء :

والآن ننتقل الى الحديث عن تكنيك الدعاية السوداء ومتطلباتها التى تعتبر من أخطر أنواع الدعاية فى الحرب النفسية ، وأكثرها استخداما ٠

والواقع أن كل شخص يعمل فى ميــدان الحرب النفسية يجب أن يعلم ماهيتها ، وكيف تعمل ، وأن يكون قادرا ما أمكن على ألا يفسد فاعلية الجهود التى تقوم بها القوات التى ينتمى اليها بالحديث دون حذر ٠

وكقاعدة عامة ليس من الضرورى فى حرب الدعاية أن يعلم رجل الدعاية المكشوفة ما يقوم به رجل الدعاية الخفية ، وبمعنى آخر لا داعى الى أن تعرف اليد اليمنى ما تفعله اليد اليسرى ٠ ان أحسن طريقة لضمان سلامة عمليات الدعاية السوداء هى عدم الكشف عن وجودها الى أى شخص الا اذا كانت هناك ضرورة تستدعى المعرفة ٠

ان الدعاية السوداء من العمليات الاخبارية الهامة ، لا لأنها تتخــذ المادة الاخبارية ذخيرة لها فحسب ، ولكن لانها كذلك مناورة مستقلة تتم فى جو من السرية والخفاء ٠ وان الدعاية السوداء لا يمكن أن نتعرف على مصدرها الحقيقى ، وهى تتظاهر بأنها تبدأ داخل أراضى العدو أو الاراضى التى يحتلها أو بالقرب منها ، وان الذى يقوم بها عناصر هدامة بين الاعداء ٠ انها نشاط بالغ السرية ذلك لان كشفها يقضى على فائدتها ٠

ان بريطانيا بصفة خاصة تتمتع بمهارة فائقة فى أعمال الدعاية السوداء ٠ ان أكثر الجهود التى فاقت بها أية دولة نجاحا حتى الآن هى العمليات السرية التى قامت بها الوكالات البريطانية فى أثناء الحرب العالمية الثانية ٠ وكان من أهم هذه العمليات انشاء محطة ارسال سرية اسمها « المذيع السرى رقم ١ » كانت ترسل عليها اذاعات أحد رجال الدعاية الذى اتخذ لنفسه اسم «الزعيم» وكان هذا الزعيم صحفيا بريطانيا اسمه سيفتون ديلمار Sefton Delmer وقد صار واحدا من

رجال الاسرار المبدعين فى الحرب العالمية الثانية عندما اختفى فجأة • وكان زملاؤه يطلقون عليه «اللحية» لانه كان يترك الشعر على جانبى لحيته طويلا . وكان يسمى فى الولايات المتحدة « هنرى الثامن » لانه كان يذكر الناس بذلك الملك • وكانت مهارته محل اعجاب فى جميع أنحاء العالم ، ويعتبر ديلمار فى الوقت الحاضر من أبرز الاخصائيين ممن يزاولون الدعاية السوداء •

وعند الارسال كان ديلمار يدعى أنه من كبار ضباط الجيش الالمانى ممن لهم سجل حافل بالاعمال العظيمة فى الحرب العالمية الاولى . لقد كان يظهر «وطنية» متطرفة ولكنه كان يعارض كل شيء . كان يكره : البريطانيين واليهود والسوفييت والنازى ، وكل شخص فى هذه الدنيا • ان هذا الخليط من الكراهية جعله عنيفا ولكن الجنود كانوا يحبون أن يستمعوا الى شخص يبدو كما لو كان صدى لآلامهم . وكان هناك شيء آخر يجذب المستمعين الى « الزعيم » • لقد كان لا يقيم أى وزن للقيم ولا للاخلاق ولا للاديان • وكان يتلاعب بالالفاظ الخاصة بالجنود ولكن هذه الالفاظ كان يقولها بطريقته الخاصة فكانت تسمع وكأنها ألفاظ التعزيز والتكريم .

وكان الزعيم يذهب الى أبعد ما يمكن لكسب ثقة مستمعيه الالمان ، فقد حدث مرة أن تخير ضابطا ألمانيا معروفا بعدم كفاءته وبأن أخطاءه قد تسببت فى القضاء على احدى الكتائب ، وندد به فى احدى اذاعات هيئة الاذاعة البريطانية العلنية الموجهة الى ألمانيا . وقد علم فيما بعد أن هذا الهجوم كانت له آثاره السيئة على هذا الضابط ، فقد أمرت القيادة الالمانية العليا بالقبض عليه وحاكمته أمام مجلس عسكرى . ولما رأى الزعيم « أن الأمر قد وصل الى هذا الحد قرر أن يتدخل فقام بحملة عنيفة على القيادة العليا الألمانية لأنها تصرفت بناء على اشـــارة من الاذاعة البريطانية، وأخذ يتساءل بحماس قائلا « متى بدأنا نتلقى أوامرنا من هؤلاء البريطانيين الملاعين ؟ » ومن هم هؤلاء البريطانيون وكيف يسمحون لانفسهم بأن يقولوا لنا ما الذى يجب أن نعمله مع ضباطنا ؟ ان هذا الحال اذا استمر فسنجد كل ضباطنا يقدمون الى المحاكمة أمام المحاكم العسكرية ، أليس هذا ما يريده

هؤلاء البريطانيون الملاعين ؟ ان الخطأ من طبيعة البشر أليس كذلك ؟ ان معظم ضباطنا يخطئون من آن لآخر ولا ذنب لهم فى ذلك اذا كانت النتيجة هى القضاء على احدى الكتائب ! ان الحرب هى كذلك !

لقد كان هذا « الزعيم » الذى تحرر من جميع القيود والقيم يتحدث فى الاذاعة موجها حديثه الى الالمان بطريقته العابثة المستهترة حاملا اليهم أخبارا مثيرة تخفى بين ثناياها ـ بطريقة ماكرة ـ الدعاية التى يريدها ۰ وكان يتحدث عن أدق تفاصيل حيـاة هتلر الخاصـة ، ويكشف الغطاء عن الخـلافات داخل القيـادة الألمانية العليـا حول بعض خطط العمليـات ۰ وكان يثير الفضـائح والأقاويل ۰ وكان هذا انتصارا للأخبار كدعاية ، وكان هذا يبين امتياز المـادة الاخبارية التى كان « الزعيم » يبنى عليها فضائحه وأقاويله المبتذلة ۰

وبالرغم من أن الجنود الالمان كانوا يستمعون بانتظام الى الزعيم فانهم لم يساورهم الشك فى أن هذه الاذاعةكانت اذاعة من الاعداء۰ ومما هو جدير بالذكر أنه حتى يونية عام ١٩٤٢ لم يعرف جهاز المخابرات العسكرية الامريكى بالدليل القاطع أن محطة الاذاعة هذهكانت حيث هى۰ ولم يطلع البريطانيون أى شخصعلى السر ، ولكن كشفوا هذه العملية الاخبارية المدهشة لاثنين من رجال المخابرات الامريكية حينما واجها البريطانيين بدلائل قاطعة استطاعوا الحصول عليها بعد عملية دقيقة من عمليات المخابرات ۰

والى جانب الاذاعة كانت الدعاية السوداء تستعمل وسائل أخرى متعددة مثل الصحف السرية التى تقلد فى مظهرها الصحف اليومية المشهورة ۰ ومن الأمثلة المشهورة لهذه الوسيلة الصحيفة التى ظهرت تقليدا لصحيفة « سوار » SOIR الواسعة الانتشار ، وكان البلجيكيون ينشرونها سرا فى أثنـاء الحرب العالمية الثانية ۰ ومن الوسائل الاخرى التى تستعملها الدعاية السوداء تهريب المطبوعات الهدامة الى عناوين معينة عن طريق البريد ۰ وتشمل العمليات الألمانية فى هذا الميدان ارسال خطابات الى الجنود الفرنسيين من قراهم أو مدنهم تؤكد

أن زوجاتهم يرتكبن أعمالا فاحشة ٠ وكان النازى يرسـل كميات ضخمة من دعايتهم بهذه الطريقة عن طريق البريد الامريكى ، كما كانت مطبوعات مماثلة ترسل عن طريق البريد اليابانى وكلها كانت ترسل من مصادر سرية ٠

ان ارسال كميات ضخمة من الرسائل البريدية يتم مع الاعتقاد بأن كثيرا من هذه الرسائل قد لا يصل الى الجهات المرسلة اليها ، وبالرغم من ذلك فان لها فائدتها لأنها تثقل كاهل الرقابة وتعمل على تعطيل البريد العادى ، وهى بهذه الطريقة تؤثر على الروح المعنوية ٠

ان النشرات السوداء تعتبر ذات فاعلية كبرى عندما تحسن صياغتهـا ويحسن توزيعها ٠

ان وسائل الدعاية السوداء متعددة ، ويمثل بعضها خرقا لا مبالاة فيه للقانون الدولى ، ويسبب مضايقة لا حـد لها للعـدو ٠ ومن هذه الوسـائل الجريئة : تزوير العملة والنقد الخاص بالاعداء ، وتزوير بطاقات التموين وأوراق تحقيق الشخصية ٠ واذا لم يكن لهذه العمليات فائدة ، فانها على الأقل تشغل الأجهزة الادارية للأعداء وتعطلها ، كما تشغل رجال الأمن الذين يشغلون فى البحث والاستقصاء ٠ ان أساس هذا ـ كما هو الاساس فى كل أنواع الدعاية السوداء ـ احداث الارتباك فى أجهزة الدولة المعادية ٠

تقييم الفاعلية :

ليست هناك مشكلة من مشكلات الحرب النفسية أكثر تعقيدا من مشكلة ضرورة القيام بمحاولات من وقت لآخر لتقييم النتائج التى أمكن الحصول عليها من العمليات الدعائية السابقة ، ولكن ليس هناك ما هو أكثر صعوبة من هـذا ٠ والواقع أن الانسان اذا كان صادقا كل الصدق فى اجابته ، فانه لا بد من أن يعترف بأنه لا يمكنه أن يثبت أن الدعاية التى تنشر تحقق النتـائج المرجوة ، بالرغم من تيسر الوسائل السليمة التى تستطيع أن تحدد مدى فاعلية أعمال الدعاية ٠

ان مشكلة تحديد مدى الفاعلية تحددها عدة عوامل ، فالعلوم الاجتماعية الحديثة توصلت الى وسائل فنية للتقييم، كما أن لها فائدتها فى تقدير مدى مايصل اليه البرنامج ، ولكن لم يتم التوصل الى نفس المستوى فى الوسائل التى تقيس بطريقة علمية التأثير الذى تحدثه رسالة معينة أو مجموعة من الرســـائل على مجموعة من المستمعين • أى أنه من السهل نسبيا التأكد من المدى الذى يحققه البرنامج، ولكن من الصعب جدا معرفة مدى التأثير الذى وقع على عقلية المستمعين.

وعلى الرغم من ذلك فان الابحاث التى أجريت فى وســائل الاتصــال وفى أبحاث الاسواق ، والتطوير المستمر الذى أدخل عليها أظهر أن كثيرا من هــذه الوسائل مفيدة فى قياس النتائج فى عمليات الأخبار والمعلومات الأجنبية وعمليات الحرب النفسية • واذا كانت النتائج التى أمكن تحقيقها باستخدام احدى الوسائل لا تصل الى درجة كبيرة من الدقة ، فان هذا لا يمنع من استعمال هذه الوســائل بحيث تكون مفيدة ونافعة •

وعند تقييم النتائج فى الحرب النفسية بعكس الحال فى الدراسات التى تمت فى ابحاث الأسواق المحلية ، فان المشكلة ليست مشكلة اختيار بين الوسائل المختلفة ، ولكنها مشكلة استعمال الفطنة والخيال وتحسين تطبيق وسائل البحث المتحدد الأطراف ، وتقدير مدى فاعلية أحد البرامج أو الاعمال الدعائية ، وكذا لتأكيد التأثير المحتمل على المجموعة أو المجموعات التى تتلقى الدعاية •

على أننا نرجو أن نلفت نظر القارىء هنا الى دراستين هامتين فى هذا الكتاب وهما تقييم الدعاية فى أثناء المعارك ، ودور ابحاث الرأى فى تقييم الحرب النفسية ، اذ أنهما يمثلان للقارىء جزءا كبيرا من العقبات التى لابد من التغلب عليها قبل أن نستطيع أن نتأكد من التأثيرات التى يمكن الحصول عليها من أى مجهود محدد •

كما نرجو أن نشير الى أن هذه الدراسات ليست كافية لتغطية الموضوع ، فهناك الكثير من الأبحاث وتجارب الماضى تؤكد أهمية الوسائل الناجحة فى تقييم

النتائج التى يمكن الحصول عليها • وليس هناك ما يوحى بأن جميع الوسائل والتكنيك المفيدة في تقييم العمل قد نوقشت فى هذا الفصل •

على أننا من ناحية الوصف يمكن أن نحدد عملية التقييم بأنها تشمل على الأقل ثلاثة أنواع من النشاط :

١ ـ قياس الانتاج ويشمل تحديد مدى كفاية الادوات المستعملة •

٢ ـ تحديد نوع الاستقبال المحتمل لوسائل الدعاية المختلفة المستعملة •

٣ ـ تحديد التأثير الممكن أو المعروف للرسالة أو الحملة أو الخطة الاستراتيجية على المجموعة التى توجه اليها الدعاية ، أو بمعنى آخر تحديد نوع التغييرات التى حدثت فى السلوك والاتجاهات بين المجموعة التى يراد التأثير فيها والتى يمكن ارجاعها لمجهودات الحرب النفسية •

ومن بين أبسط وسائل التقييم المستخدمة فيعمليات الحرب النفسية طريقة تجميع ملخصللانتاج بالنسبة لعدد الوسائل، مثل: النشرات، وصحائف الاخبار، وعدد ساعات الاذاعة ، والافكار التى أمكن تغطيتها • فمثلا فى حالة النشرات وصحائف الاخبار يسجل عدد كل منهما ونوعه ، وفى الصحافة والمطبوعات تسجل الاعداد المتداولة ، وفى الافلام والمعارض الفنية يسجل عدد الاشخاص الذين يشاهدون كلا منها • وبالنسبة للاذاعة وعمليات الارسال يسجل بيان بعدد ساعات الاذاعة وكمية البرامج المختلفة كما لو كانت كمية النشاط نفسها برهانا على الفاعلية •

ويجب ألا يغالى الانسان فى الافتراض بأن لكمية الانتاج أو تنويع البرامج أية علاقة بدرجة الفاعلية أو مداها ، ولكن بالرغم من ذلك فان المشرفين علىالدعاية نظرا لأنهم ينقصهم المقاييس العلمية الصحيحة لتحديد مدى الفاعلية ، فقد جعلوا هذه الارقام أول دليل على هذا ، بالرغم من أنه ليست هناك علاقة مباشرة واضحة بين مقدار الدعاية أو كميتها ، والتأثيرات الناتجة بالنسبة لتغيير الاتجاهات ، وأنواع السلوك بين المجموعات التى توجه اليها الدعاية •

ان تجميع المعلومات عن الانتاج هو مجرد وسيلة للاحتفاظ بعمليات ضبط التشغيل والتكنيك ، وهى الاشياء التى يسمح تحليلها فى المستقبل باجراء دراسات فعالة • ومن الامثلة التى تبين كيفية استعمال عمليات تجميع الانتاج فى دراسات مدى الفاعلية المثال الآتى :

« فى أثناء العام الأول من الحملة الكورية كان الأفراد القائمون على عمليات الحرب النفسية فى قيادة الشرق الاقصى بطوكيو بالرغم من قلة عددهم بشكل واضح يحتفظون بسجلات رائعة لعدد كل نشرة صدرت والمكان الذى القيت عليه والوقت الذى القيت فيه • وقد تم خلال الاسابيع الستة الاولى من حملة كوريا طبع عدة ملايين من النشرات ، وتم توزيعها • ومنذ بداية القتال قام أفراد المخابرات – وهم أشخاص ليسوا مشتركين اشتراكا مباشرا فى عمليات الدعاية – باستجواب أسرى كوريا الشمالية عن تأثير دعاية الأمم المتحدة فى اقناعهم بالقاء أسلحتهم ليصبحوا أسرى حرب • وقد قرر حوالى ثلث عدد الاسرى الذين تم استجوابهم أن دعاية الامم المتحدة لعبت دورا كبيرا فى اغرائهم بالاستسلام • وقد شعر موظفو الحرب النفسية المسئولون عن التخطيط للنشرات وانتاجها بكثير من الرضا لهذا الاكتشاف ، ولكن ظهر فيما بعد أنهم ضللوا باجابات بعض الاسرى من كوريا الشمالية فى عمليات استجوابهم •

ولقد ظل موظفو الحرب النفسية القليلو العدد فى « قيادة الشرق الاقصى » طوال شهرى يونية ويولية وفى الاسبوع الاول من أغسطس سنة ١٩٥٠ يعملون بلا توقف • فقد كانت تجهز عدة نشرات وتطبع ، وكانت ملايين النسخ توزع ولكن فى كل حالة طوال هذه الفترة الاولى من القتال كانت النشرات توجه الى قوات كوريا الجنوبية والموالين ، ولم توجه أية نداءات للقوات الشيوعية فى كوريا الشمالية •

ولم تجهز أول نشرة أعدت خصيصا للجنود فى كوريا الشمالية وألقيت عليهم الا بعد الأسبوع السابع من الحملة • وعلى الرغم من ذلك فقد ظهر فى أثناء

استجواب أسرى كوريا الشمالية أن حوالى ½ جنودها ممن وقعوا فى الاسر فى هذه الفترة المبكرة قد استجابوا لنداءات دعاية الأمم المتحدة ، وهكذا نسب الى الحرب النفسية فضل لم تكن تستحقه ٠

تقييم دعاية المعارك :

واذا كانت عملية تقييم نشاط الحرب النفسية تعتبر شيئا آخر غير العملية الاخبارية ، فانها على الرغم من ذلك أقل العمليات التى تتوافر لها الامكانيات من بين جميع مظاهر عملية الدعاية ٠ ان هذا صحيح سواء كان الانسان مهتما بالمظهر الاستراتيجى العام لاحدى العمليات ، أو مهتما بالمظاهر التى ترمى للتأثير على قوات العدو عبر الخطوط ٠ ولكننا نجد الشخص المسئول عن الحرب النفسية يسأل دائما السؤال الآتى :

هل للحرب النفسية حقيقة أى تأثير ؟ ٠

الواقع أنه لم يعط التفكير الكافى لمشكلة توفير الاجابات الشافية لوضع اجابة عن هذا السؤال ونحوه ، كما أن مشكلة التقييم لم نعط التفكير اللازم ، وكانت النتيجة أن تأثر برنامج الحرب النفسية ٠

ان لتقييم عمليات الحرب النفسية أهمية ، وذلك لسببين :

أولا : ان المعلومات التى يتم الحصول عليها نتيجة عملية التقييم تعتبر موردا جديدا لقسم المعلومات، لاخطار العاملين وغيرهم عن المدى والوسائل التى أمكن بها التأثير على المجموعة الهدف ٠

ثانيا : ان التقييم القائم على التكنيك الصحيح يمكن القيادة العسكرية أو غيرها من الجهات أن تتأكد بوسائل غير مجرد التخمين من أنه اذا كان من المرغوب فيه أو غير المرغوب عنه الافادة بنسبة مئوية أكبر أو أقل من الموارد المتوافرة من الرجال والمواد فى عمليات الحرب النفسية ٠

الأهداف الكبرى التى يخدمها تقييم البرامج الجارية :

على أن الرجال الذين يقومون بعملية التقييم ويستخدمون تكنيك العلوم الاجتماعية الذى يمكن تطويره لاستعماله فى مناطق القتال ، قد يستطيعون تقديم بعض الأدلة المفيدة التى تفى بالاحتياجات العاجلة المستمرة لمعلومات أكثر فيما يختص بما اذا كان انتاج الدعاية يصل الى الهدف المقصود بالطريقة المطلوبة وبالنتائج المتوقعة ·

ان لمادة التقييم من الناحية الكمية والنوعية فائدتها من حيث هى مصدر جديد للأخبار · وهكذا تمكن المادة النافعة القائم بالدعاية من أن يقرر كيف يمكن تحسين برنامج اليوم التالى أكثر من برنامج اليوم السابق ·

ومن الأغراض الاخرى التى يخدمها التقييم تلك العملية التى يمكن أن توصف « بالعلاقات العامة » · وعلى سبيل المثال : تعرض مديرو عمليات الدعاية من أعلى المستويات فى واشنطون الى الموظف الذى يعمل نصف الوقت فى عمليات الحرب النفسية مع موظفى احدى الفرق المحاربة من آن لآخر ــ لهجوم عنيف بسبب نشاطهم الذى يوصف بأنه « مضيعة للوقت ولا فائدة منه » · وقد طلب أعضاء لجان الكونجرس وضباط أركان الحرب فى بعض القيادات العسكرية ممن لايميلون الى الحرب النفسية وغيرهم أدلة على فاعلية هذه الحرب النفسية كشرط ضرورى للموافقة على استمرار تأييدهم لبرامج الحرب النفسية · ولم يكن من المستطاع دائما الرد على اعتراضات النقاد ، ذلك لأنه لم يتحقق الا القليل فيما وصلت اليه هذه الجهود وفى مدى ما حققته من نتائج بطريقة علمية · ومما هو جدير بالذكر أن النقاد والافراد الذين يعملون فى ميدان الدعاية لم يستطيعوا أن يكونوا فهما واضحا لرسالة الدعاية وطبيعة عملياتها ·

ولكن كان هناك استنباط بأن ثمة علاقتى سبب ونتيجة بين تأثير الدعاية والاستجابة السلوكية ، ولم تظهر الا أمثلة قليلة ثبت فيها صحة هذا القول وذلك عن طريق استعمال تكنيك العلوم الاجتماعية · وهكذا ، فان كثيرا من المناقشات حول فاعلية الحرب النفسية قام بها بعض المديرين أمام لجان الميزانية أو لجان

الكونجرس ، أو على صورة تقارير شخصية ظهرت فى الصحف أو المجـــلات أو المذكرات • وكان معظمها يتسم بصبغة العلاقات العامة لمواجهة النقد الذى كان يوجهه الافراد غير المؤمنين باستخدام الحرب النفسية فى تحقيق أهداف قوميـة أو عسكرية •

صعوبة تكون عملية تقييم علمية يعتمد عليها :

ولقد كانت معظـم جهود التقييم فى الماضى ذات قيمـة محـدودة لأسباب ثلاثة هى :

١ ـ لم يكن لدى الاشخاص المشتركين فى عمليات الدعاية ، ولا الاشخاص القائمين بعملية تقييم نتائج العمليات فهم واضح ثابت لطبيعة هذا النشاط ورسالته •

٢ ـ لا يوجد فى الوقت الحاضر مقياس واضح لمعرفة تأثير الدعاية الا فى مواقف محددة ومحدودة •

٣ ـ وجود عوامل أخرى تعوق نجاح من يقوم بأعمـال التقييـم لنتائج العمليات التى تتم فى أثناء المعارك •

ونظرا لأهمية هذه العوامل ، فاننا نرى من الأوفق أن نعرض لها بشىء من التفصيل ، حتى تتضح لنا معالم المشكلة •

نقص الفهم الواضح :

ان أولى الضروريات لرجال التقييم لكى يستطيعوا أن يقيسوا مدى فاعلية الحرب النفسية بصفة عامة ، أن يضعوا أمام أعينهم الحقائق التالية :

١ ـ الحرب النفسية لا يحتمل أن تحقق نجاحا يذكر بمفردها لأنها سلاح مسـاعد •

٢ ـ تأثير الدعاية لايتحقق الا بعد مؤثرات متكررة ، فهى ليست موضوعا بهذه البساطة بحيث يستطيع الانسان أن يوجد التأثير فى صورة نشرة أو نشرتين أو ثلاث ثم يتوقع بعد ذلك أن يحقق نتائج سريعة ٠

٣ ـ لاجدال فى أن حملة تأثير الدعاية السابقة الى جانب الموقف الحربى القائم تعتبر من العوامل الاخرى التى لا تقل أهمية عن الدعاية الحالية فى التأثير على قوات العدو ، لتجعل جنوده تهرب من الميدان أو تتصرف بأى طريقة أخرى يراد الوصول اليها ٠

على أننا نود أن نشير هنا الى اجابة عن سؤال وجه عام ١٩٥٠ الى ضابط أمريكى كان مسئولا عن « راديو سيول » (١) ٠

وقد دلت اجابته على أنه ربما كان لا يميل الى عمله ولا يهتم به ، أو أنه ربما لم يكن يفهم المسئولية الملقاة على عاتقه ٠ ونورد فيما يلى نص الاجابة :

« ان الموظفين الكوريين الذين يعملون فى عمليات الاتصال ليس لديهم مفهوم تام عن ضرورة المواظبة على المواعيد ، كما أن الوطنيين الذين يكتبون للاذاعة والذين يعملون تحت اشرافى يقدمون موضوعات من المفروض أن تذاع فى فترة خمس عشرة دقيقة ، ولكن كان لا يمكن اذاعتها فى أقل من ١٧ أو ١٨ دقيقة ٠ كما أن المذيعين أو المعلقين الذين يجب أن يبدأوا ارسالهم فى الساعة ١٢ ظهرا يبدأون عملهم متأخرين سبع دقائق بعد الميعاد ٠ ونظرا لطول الموضوعات التى تكتب وعدم دقة المواعيد التى يبدأون فيها عملهم ، فانهم غالبا ما كانوا يتأخرون عن موعد الانصراف بحوالى عشر دقائق أو اثنتى عشرة دقيقة ٠ ولذلك فاننى أعتقد ان من أهم واجباتى تدريب هؤلاء الكوريين الجنوبيين من أصدقائى ممن يعملون فى الاذاعة على ضرورة بدء العمليات حسب الميعاد المقرر لها ، والانتهاء منها فى الوقت المحدد لذلك » ٠

---

(١) محطة اذاعة كانت تقوم بعمليات الحرب النفسية التكتيكية التابعة لقيادة الشرق الاقصى الأمريكية ٠

ويقول دانيال ليرنر Daniel Lerner (١) فى تحليله المفصل للحرب النفسية فى المسرح الاوروبى فى الحرب العالميه الثانية أنه وجد عددا كبيرا من الاشخاص لديهم خبرة فى الدعاية فى هذه المنطقة • ومن بين الأسئلة التى كان يسألها لهم « ما رأيك فى رسالة الحرب النفسية أو مهمتها فى أوروبا فى أثنا الحرب العالمية الثانية ؟ » وقد تلقى ٢٩ اجابة معقولة تحتوى على ٥٦ واجبا منفصلا ونضعها أمام القارىء فى الجدول التالى :

جدول استفتاء لتحديد أهداف الحرب النفسية

مسرح العمليات الأوروبى فى الحرب العالمية الثانية

الأهداف	عدد من ذكرها
اضعاف رغبة العدو فى المقاومة	١٣
القضاء على رغبة العدو فى المقاومة . . .	٦
تحطيم رغبة العدو فى المقاومة	٤
القضاء على رغبة العدو فى النصر . . .	١
الاغراء على الاستسلام	٨
تقصير الحرب	٦
تشجيع المقاومة فى المناطق التى يحتلها العدو . .	٦
وضع الاساس لسلام عادل	٣
القضاء على مركز حكومة النازى	٢
اظهار أهداف الحلفاء ومثلهم بوضوح . . .	٢
تسهيل التعامل مع العدو عندما يستسلم . .	٢
تأييد الحملة العسكرية	٢
السيطرة على السكان فى المناطق التى يحتلها العدو .	١
المجموع	٥٦

(١) Daniel Lerner, Sykewar: Psychological Warfare Against Germany, D - Day to VE - Day, George W. Stewart Publisher, Inc., New York 1949, P. 303 FF.

ويبدو أن ليرنر افترض افتراضا أو أكثر عندما سأل أسئلته ، وكانت افتراضاته قائمة على أساس خاطيء. لقد كان السؤال يوحي بأن هناك هدفا واحدا أو على الاقل هدفا واحدا أساسيا للحرب النفسية فى مسرح العمليات الاوروبية ، ولكن هذا الافتراض لا يمكن أن يكون دقيقا الا اذا كان قائما على قاعدة عريضة مثل « المساعدة فى كسب الحرب » والسلام . كما أن السؤال يعنى أن الانسان يستطيع أن يقدر نتائج الدعاية التى تنشر فى أثناء المعارك وغيرها من وسائل الحرب النفسية بصفة عامة دون اشارة محددة للأهداف المعروفة ، ومثل هذا التصرف لا يؤدى الى أى نتائج نافعة .

أهمية السجلات الدقيقة :

على أن طبيعة السجلات الرسمية للاحداث الماضية غالبا ما كانت تترك كثيرا من الشكوك فى عقول القائمين بعمليات التقييم نحو الهدف الذى يحتمل أن تحققه دعاية معينة ، ولذا فانه لاغراض التقييم لابد من وجود السجلات الدقيقة التى توضح الامور التالية :

١ ـ ماذا حدث بعد الدعاية ؟

٢ ـ ما أنواع النشاط الاخرى التى كان من الممكن أن تؤثر فى النتائج ؟

٣ ـ طبيعة الهدف الذى يهاجم ، هل كانت روحه المعنوية عالية أو هابطة ؟

٤ ـ طبيعة الأرض .

٥ ـ طبيعة الاحوال الجوية .

٦ ـ درجة دقة الأخبار المتعلقة بالهدف .

ان كل هذه العوامل مجتمعة او بعضها من الممكن أن تؤثر على درجة النجاح الذى تحقق فى عملية معينة ، ولكى يكون هناك تقييم علمى له معناه لنشاط

الحرب النفسية أو عمل من أعمالها فانه لا بد من أن يكون للانسان فكرة سليمة وفهم واضح للغرض المطلوب الذى يرمى اليه رجل الدعاية ، كما أن التقييم لابد من أن يكون فى ضوء أهداف محددة ليست عامة ، كذلك لابد لتقارير العمليات المباشرة والمساعدة من أن تحتفظ بتفاصيل لا تترك مجالا للشك فى عقول القائمين بالتقييم نحو ما كان يراد تحقيقه وما حدث فعلا . ولكن حتى الآن لم يعط الاهتمام الكافى لضرورة الاحتفاظ بمثل هذه المعلومات التى تمكن من القيام بعملية تقييم علمية .

المعايير اللازمة لقياس النتائج :

من المتفق عليه بصفة عامة أن للتقييم فى عمليات الحرب النفسية مظهرين كبيرين . أولا : لابد من تحديد ما اذا كان الهدف المطلوب قد تحقق بالقوة والثبات المطلوبين ، وأخيرا : لابد من التأكد من مدى تأثير هذه الجهود على الافراد أو الجماعات التى تخاطب .

ان رجال الدعاية وأفراد العلوم الاجتماعية المتخصصين لعمليات الحرب النفسية لم يتوصلوا بعد الى تكوين معايير علمية لتقييم نتائج الحرب النفسية . وهذا شىء لابد منه فى موقف لا يتوافر فيه الفهم أو الاتفاق حول الاهداف التى يراد تحقيقها . وحتى اذا كان هناك اتفاق حول رسالة الحرب النفسية فهناك صعوبات كامنة حول اقامة معايير مقبولة لقياس النتائج أو تقييم التأثيرات .

وقد أشرنا فى مجالات كثيرة من هذا الكتاب الى أن الافراد المشتغلين بالعلوم الاجتماعية ممن حاولوا تقييم نتائج الحرب النفسية يفضلون استخدام وسائل القياس الكمى . وكثيرا ما كان رجال الدعاية أنفسهم يعتمدون على ابراز أرقام ضخمة بخصوص الانتاج مثل عدد النشرات المطبوعة التى وزعت وعدد برامج الاذاعة وساعات الارسال ومجموع الوقت الذى استنفد فى الاذاعة بمكبرات الصوت على خطوط الجبهة كما لو كانت هناك علاقة بين كمية الانتاج والنتائج التى أمكن الحصول عليها .

ورغم أن قدرا كبيرا من الدعاية فى الماضى كان يوجه لاغراء جنود الاعداء على الاستسلام ، بالاضافة الى أن من الامور السهلة نسبيا سرد عدد الجنود الذين استسلموا فى فترة معينة ، فلم يكن سهلا اكتشاف دوافع معينة فى سلوك جنـود العدو . وحتى أسرى الحرب قد لا يمكنهم أن يصفوا بدقة السبب الذى جعلهم يتصرفون بطريقة خاصة . فمثلا ليس هناك من يستطيع أن يجزم بأن أحد جنود العدو استسلم بسبب رسالة فى احدى النشرات ، وليس بسبب الجوع وقلة الذخيرة ، أو لأنه قد سئم الحرب .

ان المادة الخام التى تستعمل فى التقييم لابد من أن تأتى نسبة كبيرة منها من أسرى الحرب أنفسهم من الاجابات التى يدلون بها عند استجوابهم والتحـدث اليهم ومناقشتهم . وبصرف النظر عن الوسائل المستعملة فى تحليل المادة أو المعلومات فان النتائج لا يمكن أن تكون أكثر صحة من الاجابات التى يتم الحصول عليها من الأسرى ثم تدخل فى التحليل . وهناك عوامل متداخلة فى مواقف القتال بحيث يمكن أن يكون لها تأثير مضاد على المادة أو المعلومات التى تجمع لتحليلها .

وبالرغم من أنه لاتوجد طريقه سهلة أو معتمدة للحصول على تقييم صحيح ومضبوط يبين دقة نشر الدعاية ، فان المشكلة تثير مصاعب أقل من المصاعب التى يقابلها الاشخاص الذين يحاولون قياس تأثير احدى الرسائل ، أو مجموعة من الرسائل، أو غير ذلك من أعمال الحرب النفسية على الآراء وعلى سلوك المجموعة التى يراد التأثير عليها . ويزيد من هذه الصعوبة ظروف العمـل فى مناطق القتال وقت النزاع المسلح .

ولقد استخدم أسرى الحرب فى عمليات التقييم بثلاث طرق رئيسية :

أ ــ للحصول منهم على معلومات (كمية) عن طريق الاستفتاءات الشفهية والمكتوبة التى صيغت بطريقة خاصة لضمان الحصول على أشيـاء معينة .

ب ـ للحصول على معلومات ذات صبغة نوعية أو ذاتية يتم الحصول عليها عادة من مجموعة مختارة من أسرى الحرب عن طريق المقابلات الشخصية ٠

جـ ـ عن طريق تقارير صيغت بعناية لمناقشات أسرى الحرب ، حيث كان يوجه انتباه الشخص الذى يسأل الى نقط معينة لها أهميتها بالنسبة للأفراد الذين يقومون بأعمال الحرب النفسية ٠

وعند استخدام أسرى الحرب للحصول على معلومات كمية كان التكنيك المستعمل فى الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية لقياس الرأى العام هو نفس التكنيك الذى استخدم فى الحرب ٠ وقد وصف ليرنر الأعداد الضخمة من أسرى الحرب الالمان فى أوروبا فى الحرب العالمية الثانية الذين أمكن استجوابهم بواسطة أجهزة الحلفاء بأنها « أعداد خيالية » ٠ ان التحليل الكمى للاستجوابات يتطلب عينة كبيرة متجانسة فى ناحية واحدة على الأقل ٠

ولقد سبق أن ناقشنا فى الفصل السابق مسألة مدى تمثيل أسرى الحرب لقوات العدو التى لا تزال مشتركة فى القتال ، ولكن مما لا شك فيه أن هناك أوجه شبه كثيرة مشتركة بين أسرى الحرب وقوات العدو مثل التراث الثقافى والآمال الوطنية واللغة ٠ أن الفرق الهام بينهما ـ وهو الفرق الذى يجب أن يعمل له حساب فى تحليل ردودهم ـ هو أن الاسرى حسب طبيعة وضعهم فى الاسر يقلقهم نوع من المشكلات مختلف عن مشكلات جنود العدو الذين لا يزالون مشتركين فى القتال ٠ ان هذه الحقيقة وهى تعتمد على الظروف والثقافة قد تشكل بطريقة شعورية أو لا شعورية الردود التى تعطى فى أثناء المقابلات الشخصية أو الاستجوابات ٠

أن أسرى الحرب يندر أن يستجيبوا لأغراض الحرب النفسية فى الساعات الاولى لأسرهم ، فهناك أنواع أخرى من النشاط لها أولوية واضحة ومنطقية فى جمع الاخبار ٠ وهكذا فانه ليس غريبا أن يستجوب الاسرى عن الامور المتعلقة

بالحرب النفسيه فى المعتقلات بعد مرور أيام أو أسابيع من وقوعهمفى الاسر ، وهذا يمكنهم من أن يشكلوا سلوكهم بطريقة تظهرهم أمام الآخرين فى صورة مقبولة بالنسبة لتراثهم الثقافى • وحتى فى أحسن الظروف ومع الاسرى الذين تتسم نواياهم بالصدق فانه لا ينتظر منهم أن يعطوا أى قدر من الاهمية للعوامل المختلفة التى كانت تتحكم فى تصرفاتهم وتوجيهها •

وفى الحرب العالمية الثانية كان من الاشياء العادية أن يسأل رجال الاستجواب الاسرى اليابانيين ان يصفوا لهم الطريقة التى وقعوا بها فى الاسر • ولقد وصفوا جميعا كيف أنهم خدعوا أو وقعوا فى الأسر وهم نيام وبدون أن يكون لديهم فرصة أو وسيلة للانتحار • أما فى المواقع الخلفية فكانوا كثيرا ما يقررون أنهم وقعوا فى الاسر على غير رغبة منهم وفى ظروف لا حيلة لهم فيها • وكان من النادر أن تتفق هذه التقارير مع التقارير التى كانت تصدرها الوحدات التى قامت بعملية الأسر • وكان هذا الخلاف يرجع الى أن الجندى اليابانى كان يظهر السلوك بطريقة تجعله يتناسب مع طبيعة السلوك الذى ينتظر من مواطن يابانى •

وبالرغم من أن استخدام أسرى الحرب لأغراض الاستجواب قد تكون له فائدته ، فان استخدامهم دون بعد نظر كاف ، أو مراعاة للاعتبارات الثقافية لهم قد يؤدى الى نتائج سيئة •

وكما هو الحال بالنسبة لجميع الامور المتعلقة بالحرب النفسية وبالنسبة للاستجوابات ، فان أعظم نجاح يمكن أن يحققه أولئك الذين يقومون بالاستجواب يبرز من بين أولئك الذين كان لديهم أكبر قدر من المعلومات عن المجموعة التى يراد التأثير فيها أو لديهم اهتمام بشأنها •

ومن الخطر اصدار أحكام عامة عن أحسن الطرق التى يمكن للانسان أن يتبعها بالنسبة لثقافة أو أخرى لتحقيق أحسن النتائج فيما يختص باستجواب الاسرى • ان الاجراءات التى قد تنجح تحت ظروف معينة مع مجموعة معينة قد لا تنجح مع مجموعة أخرى مختلفة الثقافة •

وعموما فهناك اتفاق فى الرأى على أن الاسرى الذين يجرى تنظيمهم على هيئة مجموعات متعاونة للمناقشة تكون لهم فاعليتهم فى أى منظمة للحرب النفسية • وبهذه الصورة يمكن تشجيعهم جماعيا وفرديا لمناقشة فائدة طرق الدعاية المختلفة ومدى فاعلية الوسائل المختلفة •

ومن السهل نسبيا تحديد مدى تأثير مجموعة من البرامج أو عمليات الدعاية ، ولكن لا يوجد حتى الآن الا وسائل قليلة يمكن الاعتماد عليها علميا لقياس التأثير الذى يظهر على مجموعة من الاشخاص نتيجة تعرضهم للدعاية • والحق أن التقييم يقوم على الحكم الناتج عن الخبرة أكثر من قيامه على القياس العلمى •

تحديد ظروف القتال :

هناك ظروف كثيرة فى مواقف القتال تجعل من الصعب استخدام وسائل العلوم الاجتماعية لقياس فاعلية الدعاية التى تحدث فى أثناء المعارك ، فهناك دائما حد أقصى تفرضه الاعتبارات العسكرية يحدد عدد الافراد الذين يمكن ضمهم لاحدى العمليات العسكرية للقيام بأعمال خاصة •

كما أن استخدام وسائل قياس الرأى العام يتطلب قدرا من التدريب المتخصص لابد من توافره فى الافراد الذين يقومون به ، وهذا مالا يتوافر فى أنظمة الجيش • ولكن ليس هناك احتمال كبير فى أن يتوافر الشخص ذو التدريب الكافى والخبرة اللازمة للقيام بأعمال التقييم فى الفرق العسكرية عند اللزوم •

وحتى اذا عين مثل هذا الشخص الذى يتمتع بهذه المميزات للقيام بهذا العمل ، فان الاعتبارات الخاصة ــ مثل ضرورة الحصول على اجابة تقريبية عن عمليات الغد بدلا من الانتظار للحصول على اجابة أكثر دقة فى الاسبوع التالى عندما يكون الموقف الحربى قد تغير ــ تقضى على كثير من الوسائل والتكنيك المتبع فى التحليل الذى يستخدم فى وسائل الاعلان الحديثة وعمليات قياس

الرأى العام ، واذا كان الموقف على ما أوضحناه ، واذا كان تطور العلوم الاجتماعية الحديثة خاليا من الوسائل المفيدة التى يمكن استعمالها فى مناطق المعارك لقياس الفاعلية ـ فكيف استطاع رجال الدعاية فى الحرب العالمية الثانية وفى غيرها من من عمليات القتال أن يتأكدوا مما اذا كانوا يصيبون الهدف المطلوب ، واذا كانوا يصيبونه فما النتيجة ؟ ليست هناك اجابة واحدة عن ذلك ولكن هناك اجابة جيدة كتبها مارتن هيرز Martin Herz (١) وهو من أقدر كتاب النشرات فى الحرب العالمية الثانية . ويتحدث فى التقرير التالى عن الخبرة التى اكتسبها فى أوروبا :

« كيف يمكن الحكم على الفاعلية ؟ »

ومن المعقول جدا أن يسأل كيف أمكن أن يعرف فى أثناء الحرب العالمية الاخيرة ما اذا كانت النشرات التى تنشر فى أثناء المعارك ناجحة أم غير ناجحة . ان الضابط المختص باخبار الحرب النفسية لا يمكنه الا فى أندر الظروف أن يلاحظ فى أثناء المعركة سلوك وحدات العدو التى ألقيت عليها نشرات معينة .

« ان الدلائل على الفاعلية أو عدم وجودها قد أمكن الحصول عليهـا من المصادر الآتية :

١ ـ عدد النشرات التى وجدت مع الأسرى .

٢ ـ تذكر الأسرى لفحوى النشرات وتعليقهم عليها .

٣ ـ مناقشـات الجنود التفصيليـة خلف الخطوط الالمـانية كمـا جـاء فى التقارير الجماعية للاسرى .

٤ ـ الوصف التفصيلى للجنود عن استسلامهم .

---

(١) Martin Herz, « Some Psychological Lessons From Leaflet Propaganda in World War II. » Public Opinion Quarterly, 13 : 472-73 (1949) .

٥ ـ اهتمام الدعاية الالمانية المضادة بنشرات خاصة من نشرات الحلفاء بما فى ذلك ما تستعيره دعاية الالمان من أفكار ٠

٦ ـ تعليقات قيادة الأعداء عن الروح المعنوية للجنود وهى التعليقات التى وجدت فى الوثائق التى أمكن الحصول عليها ٠

« وفى بعض الحالات التى رئى فيها ضرورة الاستمرار فى نشر نشرة معينة كان من الممكن استعمال رد الفعل لدى الجنود لزيادة فاعلية النشرة كما فى حالة نشرة « المرور الآمن » المشهورة التى صدرت الطبعة الاولى منها فى الأيام الأولى بعد غزو نورماندى وعليها ختم الولايات المتحدة والشعار الملكى البريطانى وبها نص باللغة الانجليزية واللغة الالمانية يطلب الى جنود الحلفاء عند الخطوط الامامية أن يعاملوا أسراهم معاملة طيبة ٠ وعندما طبعت الطبعة السادسة من النشرة كان قد ادخلت عليها التغيرات التالية نتيجة للمقابلات والاحاديث مع أسرى الحرب :

١ ـ وضع النص الالمانى فوق النص الانجليزى ٠

٢ ـ أضيفت ملحوظة تقول: ان النص الانجليزى هو ترجمة للنص الالمانى.

٣ ـ أضيف للنشرة توقيع الجنرال أيزنهاور ٠

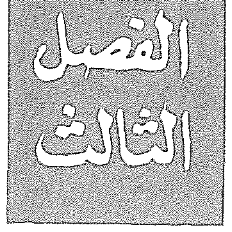
٤ ـ كتب اسم ايزنهاور بالحروف وكتابة لأنه عرف أن الالمان لم يكونوا يعرفون أن التوقيع المذكور هو توقيع ايزنهاور ٠

٥ ـ طبعت النشرة باللون الأحمر بدلا من اللون الأخضر مما جعلها أكثر وضوحا وهى ملقاة على الارض ٠

٦ ـ أضيفت ملاحظة تحت عبارة « المرور الآمن » تشير الى أن الوثيقة صالحة « لفرد أو لأكثر ممن يحملونها » ٠

وقد نتجت هذه التحسينات من الفحص المستمر لفاعلية المنشور » ٠

وهكذا ، كما يظهر من قراءة خاتمة الموضوع الذى كتبه هيرز فان معظم عمليات التقييم المفيدة التى تمت فى أثناء الصراع الأوروبى كان من النوع الكيفى لا الكمى ٠ ان رجال التقييم القلائل الذين أرسلوا الى الميدان خصيصا لتقييم النتائج كانوا يميلون الى الاهتمام بجمع المعلومات الكمية ٠ وبالرغم من ذلك فانه نظرا للظروف الخاصة لمنطقة القتال - وهى الظروف التى تحد من القدرة على جمع المعلومات وتحليلها علميـا - فـانه لابد من زيادة الاعتمـاد على التقييم النوعى أو الكيفى، ولو أن لهذا التقييم عيوبه٠وكما هو الحال بالنسبة لتقييم برامج الاخبار الاستراتجية فان تقييم الدعاية التى تنشر فى أثناء المعارك صعب ، فليس هناك الا القليل يمكن عمله لقياس التأثير غير الاستمرار فى الاعتماد على الأدلة غير المباشرة وغير العلمية ٠ وعلى كل حال فمن المعتقد أن لمثل هذه الدلائل قيمة كبيرة . ان مثل هذا التقييم يعطى نقطة للبداية يمكن أن ترتكز عليها العمليات التالية والابحاث التى يدخل فيها استعمال الحرب النفسية فى العمليات التكتيكية ٠



دور بحوث الرأى فى تقييم الحرب النفسية

على الرغم من الدور الكبير الذى أسهمت به بحوث الرأى فى تقييم الدعاية الاستراتيجية ، فانه لا تزال هناك بعض الصعاب يتحتم التغلب عليها ٠

وفى هذا الفصل سنحاول عرض دور بحوث الرأى فى تقييم الحرب النفسية. وابراز الاسهامات التى اضطلعت بهـا ، وما عجزت عن تحقيقه ، والاساليب المقترحة لعلاج ذلك ٠

دور بحوث الاتصالات فى تقييم الاذاعة الدولية :

يعهد عادة الى الاجهزة التى تقوم بدراسة البرامج ، بمهمة تقييم جميع مراحل عملية الاتصال ابتداء من عمليات الانتاج الاذاعى الى بيان أثر الاذاعة على المستمعين ٠

وفى لغة بحوث الاتصالات ، نستطيع أن نقول أن هذا العمل هو تقييم عملية الاتصال التى تحاول بها احدى الوسائل العاملة فى بلد ما ابلاغ رسائلها الى الجماهير المستمعين فى معظم أنحاء العالم ٠

ان المشكلات والاساليب فى هذا المجال ، تشبه فى كثير من جوانبها المشكلات والاساليب المعروفة التى تحدد العمل اليومى فى بحوث الاتصال الداخلى، أى العمل

اليومى فى أحد أقسام البحوث التى تعمل فى تقييم أثر برامج الدولة اليومية المتعددة ٠

الا أن المشكلات المختلفة فى الاذاعات الدولية تظهر نتيجة لاشراف الحكومات على الاتصال ، وتوجيهه الى البلاد الاجنبية ٠

ان تقييم الاذاعة الدولية يشترك مع كل بحوث الاتصال الاخرى فى اسلوب عام وفى هدف نظرى عام كذلك ٠

والهدف النهائى ، مثله مثل كل الاهداف النهائية، عسير المنال على الارجح، اذ يتضمنه الوصف المعروف الذى وضعه لاسويل لبحوث الاتصالات ، فيقول : « ثمة عملية تحليل لأربعة أشياء : الناقل WHO ، والمادة المنقولة، Says What والمنقولة اليه To Whom ، ومدى التأثير With What effect ٠

ان النجاح النهائى لبحث الاتصالات لابد أن يتضمن القدرة على اجابة هذه الأسئلة بدقة لا بالنسبة لحالة اتصال قائمة فحسب ، بل كذلك بالنسبة لاى حالة منظورة أو مرغوب فيها ٠

فرجل الحرب النفسية لن يحتاج الى أكثر من أن يحدد للباحث الآثار التى يريدها ، أما الباحث الذى لا يزيد عن متخصص فنى فانه يعمل على صياغة الرياضيات ليحدد بالتالى المضمون الدقيق الذى سينشر من خلال رسائل محددة الى جمهور محدد لتحقيق النتائج أو الآثار المرغوب فيها ٠

وفى الممارسة اليومية ، يمكن الاجابة عن الاسئلة الخاصة بالعناصر التى ذكرناها جزئيا وبشروط خاصة ، ولكن تتعذر الاجابة عن سؤال منها بدقة كاملة، أو يصعب تحديد العلاقة بين العناصر من زاوية السببية الضرورية أو الكافية ٠

عنصر الناقل The Element of Who :

عادة ما يحذف السؤال الخاص بتحديد المتحدث ـ فى معرض تقييم الاذاعة الدولية ـ من مهمة الذين يتولون عملية التقييم أو عملهم ، وذلك لأن المتحدثين أنفسهم هم الذين ينظمون عملية التقييم هذه . ومن ثم فان سؤال تحديد المتحدث، لا يدخل فى اختصاص الهيئات الحكومية التى تشتغل بأبحاث الاتصالات فعلا .

عنصر المضمون The Element of Content :

يمكن الاجابة عن السؤال الخاص بالمادة المنقولة ، اجابة تفصيلية بواسطة تحليل المضمون .

وليست الحاجة كبيرة الى عرض امكانيات تحليل المضمون ، ويدرك الباحثون فى الرأى ادراكا تاما أن تحليل المضمون فى أيدى المتخصصين المدربين ، يمكن أن يصف مادة معينة مثل الاذاعة فى ضوء أى جوانب تكون هى نفسها قابلة للوصف بواسطة المعايير الموضوعية .

ولبحوث تحليل المضمون فوائد قيمة ، وفى معظم الدول الكبيرة بل المتوسطة يوضع انتاج الاذاعات الخارجية بكل اللغات خلال فترة زمنية ـ ولتكن اسبوعا مثلا ـ موضع تحليل المضمون ، ويستطيع بذلك مخرجو البرامج فى « الاذاعات الدولية » ، من أن يتحققوا من كيفية تنفيذ سياستهم ، اذ يمكن مقارنة البرامج بعضها بالبعض الآخر ، وكذلك مقارنتها بالاذاعات المنبعثة من بلاد أخرى .

ولبحوث تحليل المضمون قيمة اضافية وهامة هى توضيح معايير العمل الحقيقية التى تصاغ على أساسها النصوص والبرامج Scripts and Programming .

ولقد سبق أن أشرنا الى دراسات تحليل المضمون فى الفصل الأول من هذا الباب ، ونشير هنا الى أن الاختلافات فى أسلوب المناقشة والجدل كانت ماثلة فى الاذاعات الموجهة الى البلاد المختلفة ٠

لقد كانت هذه الاختلافات، تعكس فى جزء منها الاحتياجات المختلفة بالفعل، والتى ينطوى عليها الوصول الى مختلف المستمعين والاحتفاظ بهم ، ولكن هذه الاختلافات تمثل ــ فى جزء منها ــ ميولا أو أهواء عشوائية نحو أساليب معينة فى الجدل والمناقشة ٠

ونتيجة لتحليلات المضمون ، يمكن ادراك هذه الميول والاهواء وابعادها عن الاذاعات حيث وجدت ٠

أما التحليل الكمى للمضمون ، فانه لم يعالج بنجاح حتى الآن سوى أجزاء من الاذاعة منفردة كانت أو فى تكوينات عديدة ، الا أن ذلك النجاح لم يتعد أجزاء معينة ٠

وثمة تحد للتحليل يكمن فى ضرورة رصد الاوصاف الدقيقة الموضوعية لجوانب المضمون التى لا تقبل الوصف الكمى بالرغم من أهميتها الواضحة ٠

وفضلا عن ذلك ، فليس ثمة تحليل للمضمون ــ سواء كان كميا أو نوعيا ــ يمكن أداؤه مع التأكد الحقيقى بأن المكونات التى يبرزها التحليل هى بالضرورة العناصر الضمنية Contextual elements التى ترتبط ارتباطا سببيا بأى تأثير ملحوظ أو مرغوب فيه على المستمعين ٠

فاذا كان هناك ــ على سبيل المثال ــ تعليق سياسى موضع انتقاد بوصفه بعيدا عن العاطفة أو الانفعال بعض الشىء ، فلن نستطيع التأكد مما اذا كان رد فعل المستمع نتج عن بعد « المادة » كثيرا عن اهتماماته أو مصالحه المباشرة ، أو أن الاهتمام ركز أكثر من اللازم على المشكلات الدولية القائمة دون أن يوجه

بنفس القدر الى الامل فى عالم أفضل ، أو أن رد فعل المستمع كان ناتجا عن نوع من « الاصطلاح أو القول » الذى لا يشك فيه المحلل أدنى شك، وكذلك لا يشك فيه المستمعون ٠

وقصارى القول ، أن الوصف الكامل للمضمون فى اطار عناصر الاتصالات المتصلة بها لا يمكن أن يتحقق الا حين ينجز تحليل المضمون أو أى اسلوب آخر شيئين يعتبران فى الوقت الحالى متجاوزين لامكانياته الظاهرة ألا وهما :

١ ــ أن يستطيع وصف الجوانب غير الملموسة حاليا فى المضمون ٠

٢ ــ وأن يستطيع الربط بطريقة منهجية لا بطريقة التجربة والخطأ ، بين مضمون معين أو عناصر معينة، وبين الآثار الملموسة أو المنظورة .

عنصر المستمع The Element of Audience :

ويمكن لبحوث الرأى أن توفر فعلا للمشتغلين بالحرب النفسية قدرا عظيما من المعلومات المفيدة القيمة ، بيد أن هناك معلومات كثيرة يريدها رؤساء أركان الحرب النفسية تقصر بحوث الرأى عن تزويدهم بها ٠

ونجد غالبا فى الجانب الدائن من الحساب ، كل المعلومات التى يمكن لاساليب الاستفتاء الدقيقة أن توفرها ٠ فاذا أمكن مثلا تحديد عينة تمثل السكان والاتصال بهم ، فان هذه الوسيلة تنجح غالبا فى أن توضح بدقة كبيرة الحجم الطبيعة الاجتماعية والاقتصادية لجمهور المستمعين ٠

ويبدو أن الاستقصاءات المرسومة بعناية أو الاساليب المشابهة لها ، بما فى ذلك المقابلات ، قادرة على توفير معلومات كثيرة عن قنوات الاتصال غير الرسمية ، وعن نوع المادة التى تناقش على نطاق واسع ، وربما عن سرعة الانتشار والذيوع ودقتهما ٠

كما أن الاساليب المماثلة ، المخططة أو الموجهة بالتعاون مع علماء الاجناس البشرية وخبراء المنطقة الهدف، يمكنها أن توفر معلومات عن الرموز الفعالة والقيم السائدة بين المستمعين ، وكل هذه المعلومات ذات قيمة لا تقدر بالنسبة لكل من يعمل بالحرب النفسية •

ولقد قام رجال التقييم فى مكتب الاذاعة الدولى بالولايات المتحدة باجراء استقصاءات عادية فى بلاد عديدة هى : النمسا ، ألمانيا ، فرنسا ، ايطاليا ، النرويج ، السويد ، فنلندا ، شيلى ، وأروجواى ، ولكن رجال الحرب النفسية يريدون معلومات مماثلة عن جميع دول العالم • ان رغبتهم هذه تطرح تحديا جديد أمام علم الاجتماع ، لان جزءا كبيرا من الكرة الارضية ليس ميسورا سهلا لاجراء البحوث المنهجية فيه •

وعلى سبيل المثال هناك بلاد كثيرة ، لا يزال فيها علم الاجتماع الكمى : اما أنه غير معروف على الاطلاق ، واما أنه لا يزال يحبو فى مدارجه الاولى •

وفى مثل هذا البلد ، نجد أن الافتقار الى البيانات الاحصائية أو الخاصة بالتعداد لا توفر الا معلومات قليلة ناقصة عن خصائص السكان ، بحيث يتعذر تحديد عينة تمثل السكان كلهم • وفضلا عن ذلك فان أى مقابلة علنية منهجية تعتبر أمرا غريبا ، وينظر اليها بعين الشك والاستغراب بل الكراهية بحيث تكون البيانات التى يحصل عليها من أى عمليات مسح علنى موضع شك ، أو ينظر اليها بحذر شديد •

ونتيجة لذلك نجح « مكتب الاذاعة الدولية » فى الولايات المتحدة فى استخدام ما يمكن أن يسمى « منهجا انثروبولوجيا مشاركا » ، اذ درست عادات الاتصال للسكان على يد مراقبين مدربين تدريبا خاصا فى اطار الانماط العامة للثقافة ، والانماط العامة للمعيشة اليومية •

ولقد أتى هذا الاتجاه العريض فى البحث بنتائج طيبة للغاية • ويتجه المرء للاعتقاد بأن المناهج الجامعية المعدة اعدادا دقيقا والتى تتيح التدريب فى مجموعة

كبيرة من العلوم الاجتماعية ، يمكن أن تخرج باحثين فى الرأى ذوى سعة فى الأفق والخيال وكفاءة فنية يندر وجودهم اليوم •

ومن التحديات الاخرى المطروحة على علماء الاجتماع ، مشكلة اعداد السكان الهائلة الذين يتعذر سياسيا اجراء استقصاء منهجى عليهم•وتنشأ هذه الصعوبة بطبيعة الحال كلما وجد التوتر بين أمتين أو بين مجموعات من الأمم ، ومؤدى ذلك القول : ان هذه الشعوب عسيرة المنال ، أو الوصول اليها سياسيا صعب عسير .

أن الحصول على معلومات عن سكان يتعذر اجراء البحوث عليهم يعتبر مشكلة جديدة ، وهذه المشكلة تظهر الآن بوصفها تحديا لعلماء الاجتماع • ان صياغة المشكلة فى حد ذاتها توحى باسلوبين أو بمنهجين على الاقل يستحقان البحث ، ولكن قبل تحديد هذين المنهجين يحسن أن نلاحظ كيف تظهر المشكلة من جديد حين تحاول بحوث الاتصال الاجابة عن أكبر سؤال ينطوى عليه تقييم الحرب النفسية ، ذلك هو بطبيعة الحال السؤال الخاص بالتأثير وهو : ماذا ينتظر أن تفعله ذخيرة الاتصال بالنسبة للمستمعين ؟

مسألة التأثير The Question of Effect :

ولعله من الادق هنا أن نتكلم عن ردود الافعال ، وعن الرأى المتغير على نحو يمكن تحديده وتعريفه •

وفى اقتفاء ردود الافعال هذه أو تتبعها نرى أن أدوات بحوث الرأى المألوفة ذات فائدة عظمى ، اذ أن اختبارات البرامج وجهاز تحليل البرامج ، وجداول المواقف والاتجاهات ، وتحليل الصفات الكامنة الموضوعة أحيانا فى اطار التجارب المحكومة مع المجموعات المتكافئة المستمدة من عينات سكانية مرتبة أفقيا ـ كل هذه الاساليب أتاحت ـ بطبيعة الحال ـ كنزا من المعلومات لرجال الحرب النفسية •

ويكفينا هنا الاشارة الى المشكلات القديمة ، فهناك على سبيل المثال ، الصعوبة المألوفة عن ربط العلة بالنتيجة • فازاء حقيقة معينة لابد أن نبحث

مثلا الامتزاج بين : المضمون ، والموقف الاجتماعى النفسى ، وكذلك الظروف التى يمكن فى ظلها تكرار التأثير أو منعه ، وما التطور المحتمل مثلا خلال ثلاثة شهور مقبلة أو أربعة • ثم هناك بعد هذا المشكلات المألوفة التى يستطيع الباحثون فى الاتصال أن يذكروها ، ولكن تقييم الاذاعة الدولية ـ ولا سيما الاذاعة السياسية فى المضمون والغرض ـ تنطوى على تحديات جديدة •

أما الصعوبة الأولى الخاصة بتحديد التأثير فانها تظهر فى التعقيد الذى ينفرد به نوع التأثير الذى نهتم به • فاذا كنا نتردد فى الحديث حديثا مطلقا عن تأثير اعلان معين لنوع معين من السلع الاستهلاكية فانه لابد من أن يكون ترددنا أكبر كثيرا منه حين نتحدث عن المواد المعقدة الخاصة بالاتجاهات السياسية الشخصية •

ان التحولات أو التغيرات الدقيقة التى قد تكون الحلقات الاولى فى سلسلة من ردود الأفعال ، من العسير بل من المستحيل أحيانا تعريفها ، بل أن مثل هذه التغيرات لا يمكن الافتراض بسهولة أنها ناتجة عن اتصال معين •

ولا شك أن قوى عديدة تشكل اتجاه الفرد نحو نوع من السلع ، ولكن كم عدد القوى التى تتجمع لتشكيل مفهوم الفرد ونظرته الى السياسة العالمية ؟

يبدو أن الرد على هذا التحدى يكمن أساسا فى حماس أكبر نحو تحسين امكانياتنا وقدراتنا فى المنهاج التجريبى •

ولكن ثمة مشكلة أكثر صعوبة تظهر فى محاولتنا تحديد آثار الاذاعة الدولية ونتائجها ، وهذه المشكلة كامنة فى المستمعين الذين يتعذر الوصول اليهم .

وقد تنشأ هذه الصعوبة ـ كما سبق القول ـ من : قصورالعلوم الاجتماعية الكمية فى المنطقة الهدف، أو من التناقضات التى تسببها السياسة الدولية ، أو من أى أشياء أخرى • ولكن مهما كان السبب ، فان فى مناطق عديدة من العالم تنعدم فرصة استخدام أى عدد كبير من السكان كمواد للبحث، وبحيث يشكلون أنفسهم المجموعة التى نهتم بها •

التحدى الكبير والحلول المحتملة :

لهذا فان عالم الاجتماع الذى يطلب منه تقييم الاذاعة الدولية يواجه فى عمله بنفس التحدى ، أى مشكلة للحصول على معلومات دقيقة عن أعداد كبيرة من السكان دون استخدام منهجى للسكان أنفسهم ، ويمكن ذكر هذا التحدى بوضوح وعلى نحو لا يحتمل اللبس •

وعلى الرغم من حدة المشكلة ، فانه يبدو أنها قد صيغت صياغة مجردة ، فضلا عن اكتشافها بواسطة البحث الاجتماعى • ولقد ظهرت المشكلة قبل ذلك فى البحوث خارج نطاق الرأى والاتصال فى محاولات وصف النمط السلوكى للمجتمع شبه العالى •

وفى كل حالة، وضعت صيغة معتدلة أو اقترح حل وسط لمواجهة احتياجات الاستفسار المباشر ، ومثل هذا الحل الوسط أو الصيغة المعتدلة والادراك العام يوحى باسلوبين على الاقل يستحقان البحث المنهجى، ويمكن أن يطلق عليهما للافتقار الى تسميات أفضل « الاسلوب الاقرب تماثلا » The Most - Like Approach و « أسلوب الحكم المؤهل » The Qualified Judge Approach

الأسلوب الأقرب تماثلا The Most-Like Approach :

ان المنطق الغامض وراء هذا الاسلوب ، يبدو أنه يتصور فردا أسطوريا يشبه عضوا فى الجماعة موضع البحث فى جميع النواحى عدا انتمائه لعضويتها ، ومن ثم يكون له نفس التكوين النفسى •

ودون الوصول الى هذا النموذج الاسطورى ، يظهر أن هذا المنطق يفترض ارتباطا من التشابه العام والتماثل النفسى المحدد •

لقد استخدم رجال التقييم فى » مكتب الاذاعة الدولية » هذا الاسلوب ، فى مقابلة اللاجئين للحصول على معلومات عن الجماعات الموجودة وراء الستار

الحديدى ، فاللاجئون على أية حال يشبهون غير اللاجئين فى الاصل القومى ، وفى التاريخ الثقافى واللغوى • ويمكن جمعهم لتمثيل السكان الاصليين فى التعليم والسن ، وفى كل وجه من الوجوه فيما عدا وجها واحدا • ذلك أن اللاجئين هربوا من أرضهم الاصلية وغيرهم لم يتركها، ولهذا لابد من ربط هذا الاختلاف مع الرأى بطريقة غاية فى التعقيد •

ولكن ما هذه الطريقة ؟

لقد حاول مكتب الاذاعة الدولية وضع تقدير معين لميول اللاجئين « الاقرب شبها » عن طريق أسئلة معدة اعدادا دقيقا تفحص مفهوم اللاجىء ونظرته الى غير اللاجئين ، وأعدت كل البيانات موضع التحليل بواسطة المتخصصين فى المنطقة• ولقد أثبت هذا التقدير الفائدة الكبيرة لهذه الأساليب، وسيظل الاسلوب الوحيد الممكن حتى يتاح أن تصاغ تجريبيا تعريفات أفضل لهذا المنهج •

أسلوب الحكم المؤهل :

وفى هذا الاسلوب يطلب من الشخص الذى يعتقد أنه يعرف الجماعة موضع البحث وضع تقديرات معينة عن الجماعة عسيرة المنال • ولا يلزم أن يكون الشخص المختار ــ باعتباره مصدرا للمعلومات ــ شبيها بالمجموعة موضع البحث، بل يجب أن يكون بالاحرى حكما مؤهلا ، ومقدرا حكيما لسلوك هذه الجماعة وآرائها •

ويستخدم هذا الاسلوب على نطاق واسع فى تقييم الحرب النفسية ، ومن ثم نجده يسعى دائما نحو الافراد المؤهلين لمعرفة السكان الذين يتعذر الوصول اليهم ، ويعهد الى هؤلاء الافراد بالقيام بعمل ملاحظات أو تحليلات اجتماعية دقيقة •

وبهذا الاسلوب يتحقق تكامل محقق لمناهج العلوم الاجتماعية ، فالمعلومات التى تجمع بواسطة دراسات على مستوى محدود ، انما تحلل بمعرفة علماء

الأنثروبولوجيا ، كما أن أفضل تخمينات هؤلاء العلماء تخضع بدورها لتقييم علماء السياسة وخبراء المنطقة.

على أنه من جهة أخرى فان ذلك الاسلوب يفرض قيودا مصدرها انعدام المعرفة التجريبية للخصائص المطلوبة فى « الحكم المؤهل » .

فعلى سبيل المثال قام مكتب الاذاعة الدولية بسلسلة من « الاختبارات اللغوية » وضعت فيها برامج اذاعة صوت أمريكا بلغات مختلفة موضع نقد لجان مختارة . ولما كان من المتعذر اختبار البرامج اللغوية المختلفة أمام جمهور من المواطنين الامريكيين ، فقد استبدل بهذا الجمهور لجنة يمثل جزء منها اللاجئين ، أى المستجيبين المماثلين للأصل ، أما الجزء الآخر فيتكون من الأشخاص الذين يعتقد أنهم من القضاة أو الحكام المؤهلين . وقد أختير هؤلاء الحكام على أساس معرفتهم الدقيقة بالعادات اللغوية للبلد الهدف ، وكان من بينهم صحفيون ومدرسون ، وكانت تعليقاتهم ذات فائدة كبيرة .

وقصارى القول فان الصفات المطلوبة « للحكم » غير معروفة ، كما اننا فى استخدام منهج « الحكم المؤهل » لا نتجاوز مستوى أفضل تخمين ممكن تماما كما يحدث عند استخدام الاسلوب الاقرب تماثلا !

الخلاصة :

وفى تلك المجالات أو الميادين التى يمكن لبحوث الرأى أن تقدم أفضل تخمين ممكن ، يتحتم علينا أن نواجه اهتماما منهجيا منظما ، ولقد أكد هذا البحث شيئين :

١ ــ ضرورة الاسلوب المنهجى لربط تحليل المضمون بدراسات التأثير .

٢ ـ ضرورة البحث أن الدراسة التجريبية لوسائل الحصول على معلومات عن مجموعات كبيرة من الاشخاص الـذين يتعذر وضعهم موضـع البحث ٠

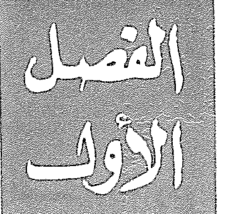
وبالنسبة للشيئين ، فان بحوث الرأى التى أسهمت اسهاما كبيرا فى الحرب النفسية لا تستطيع أن تقدم سوى أفضل تخمين ممكن ٠

ولا سبيل للتقليل من شأن التخمينات، اذ أنها ارهاصات ضرورية، أوتمهيد لازم للبحث التجريبى وللصياغة النهائية للعلاقة ، وهى الدافع وراء أى علم جاد نشيط ٠ لقد لعبت بحوث الرأى دورا نشطا فى تقييم الحرب النفسية ، ولكن هذا النشاط لابد من أن يتبعه منهج ناضج متكامل حتى يؤتى ثماره ، ويحقق نتائجه ٠

الباب السابع

المخابرات والتحليل

- الفصل الأول
  دور المخابرات في الحرب النفسية
- الفصل الثاني
  مخابرات الدعاية .
- الفصل الثالث
  تحليل الدعاية .



دور المخابرات في الحرب النفسية

يتوقف مستقبل أى أمة على دقة المعلومات التى تصل اليها المخابرات(١) ، والتى تنير الطريق أمام القرارات العليا للدولة فى سياستها القومية ، ولا سيما فى عالم مضطرب تتقاطع فيه أغراض قوى عديدة، وأيديولوجيات متباينة ٠

ففى هذا العصر عصر التطور الذرى ، يتوقف كيان الدولة وأمنها على مدى المعرفة التى تتجمع لديها ٠ والمعرفة المبكرة للدولة أمر لابد منه لتجنب المفاجأة ، ولتمكنها من وضع سياستها وادارة دفة دبلوماسيتها قبل المعارك الاستراتيجية الطاحنة ٠

ولم تكن الحرب يوما تعتمد على الشجاعة والتجربة فقط ، فقد كانت الموهبة العقلية تفرض نفسها دائما فى الحروب ، ولكن الحرب الشاملة غيرت المفهوم التقليدى للحرب ، بما كان يعتمد عليه فى الماضى من مظاهر القوة المادية

---

(١) اختلفت آراء الشراح والمفسرين فى تعريف معنى المخابرات ، فالمعنى العادى لها هو : القدرة على التعلم والاستفادة من التجارب والاستجابة السريعة لأى موقف جديد ٠ أما التعريف الفنى للمخابرات فهو يحدد بوضوح مهمتها وواجباتها « فالمخابرات كعملية أو كنشاط هى عبارة عن المجهود المنظم لجميع المعلومات وتقديرها قطعة قطعة ، وتجميعها معا حتى تتكون منها صورة أكبر وأكثر وضوحا الى الحد الذى يمكن من رؤية صورة الأشياء المتوقعة ٠ انها مجهود متواصل لاختراق الضباب المخيم على الحرب والدبلوماسية حتى يمكننا أن نرسم خطط الغد » ٠

والعسكرية • ومع تطور المجتمع نفسه ، لم تعد الحروب مقصورة على الجيوش التى تقاتل فى ميادين منعزلة ، بل امتدت الى ميادين عديدة •

ومن أهم هذه الميادين ما يسمى بحرب الدهاء أو حرب المواهب العقلية • وفى هذه الحرب تحتل قوة المواهب العقلية مكانها الى جانب، القوة الأرضية، والقوة البحرية ، والقوة الجوية ، وباقى القوات التقليدية للحرب • ويمكن القول بصفة عامة أن الحرب الحديثة أدت الى تحسين الحرب فى جملتها بتحويلها من الاعتماد على المادية الى مظاهر ذهنية فى النزاع البشرى ، والمخابرات هى العنصر الفعال فى تلك الحرب •

والمخابرات لا تكون مجدية قط الا اذا أديرت على قواعد علمية صحيحة ، ترتبط فيها الاسباب والمسببات ارتباطا وثيقا ، وفى كلمة موجزة يمكن القول أن المخابرات بجميع فروعها تهدف الى الوصول للحقيقة •

والمخابرات متشعبة الواجبات ، ولكننا يمكن تقسيمها بصورة عامة الى قسمين رئيسيين : مخابرات ايجابية Positive Intelligence ومخابرات وقائية Passive Intelligence •

وليس هذا الفصل مجال بحث واجبات المخابرات عامة ، ولكننا نرى من الأفضل أن نلمس هذين القسمين لمسة خفيفة حتى يمكن أن يتضح للقارىء فكرة عامة عن هذه الواجبات تمهيدا لدراستنا لدور المخابرات فى الحرب النفسية •

المخابرات الايجابية :

يشمل نشاط المخابرات الايجابى الاجراءات التى تتبعها أجهزة المخابرات لتحصل على المعلومات سواء : بالملاحظة والمتابعة ، أو القيام بعمل ايجابى « أعمال التجسس » أو بعبارة أخرى النشاط الذى يهدف الى الحصول على جميع المعلومات التى يجب أن نعرفها قبل أن نبدأ فى اتخاذ طريق معين ، حتى يكون المسئولون على علم مقدما بما سيواجههم به العدو من اجراءات قبل وقوعها ، ومثل ذلك الامر ينطبق على المخابرات : السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والعلمية، وغيرها .

ويشمل نشاط المخابرات الايجابى أيضا : أعمال التخريب ، والاعمال السياسية ، والمظاهرات ، والدعاية ، وحرب الشائعات ، وكل ما يتطلب خططا ايجابية لتنفيذ أغراض معينة للمعاونة فى التغلب على العدو فى أى ميدان من ميادين : الحياة العسكرية ، أو السياسية ، أو الاقتصادية ٠٠ الخ ٠

المخابرات الوقائية :

أما المخابرات الوقائية فهى اصطلاح شامل لجميع الاجراءات والعمليات التى تقوم بها الدولة لتحقيق أمنها وحفظ أسرارها من نشاط الجواسيس وضد التخريب المادى والمعنوى والدعاية ، هادفة بذلك الى المحافظة على كيانها ، وحدودها ومنشآتها ، كما تشمل المخابرات الوقائية جميع الاجراءات التى تحرم العدو ومنظمات مخابراته من مفاجأتنا ، كذا الاجراءات الوقائية التى تمكننا من الحصول على التفوق على العدو والانتصار عليه فى النواحى : السياسية والاقتصادية والعسكرية ٠٠ الخ ٠ ويطلق عليها فى بعض الاحيان اسم المخابرات المضادة ٠ وتنقسم المخابرات الوقائية الى العناصر الآتية :

(أ) مخابرات الأمن ومسئولياتها : مكافحة التخريب ، والتآمر والتمرد ، والنشاط الهدام ، وكذا مسئولية الأمن بمفهومه الشامل من : أمن شخصى ، وأفراد ، ومنشآت ، ومعلومات ٠٠ الخ ٠

(ب) مقاومة التجسس ٠

أ ــ مخابرات الأمن Security Intelligence :

ويقصد بمخابرات الامن المجهودات التى تبذل لاخفاء السياسة القومية والمعلومات العسكرية أو القرارات الدبلوماسية وغير هذا من المعلومات ذات الطابع

السرى الذى يؤثر على أمن الدولة ، ومنع تسرب هذه المعلومات لغير المختصين عن طريق تحديد وصولها الى الاشخاص المسئولين الذين يجب أن يلموا بها وحدهم ٠

وأساس مخابرات الامن السرية بصفة عامة ، ويتشعب اختصاصها فى مختلف النواحى فى الدولة ٠ فهى تستصدر القوانين والتشريعات التى تمنع الافراد من محاولة الحصول على معلومات ليس من حقهم الحصول عليها ، وهى تتولى اختيار الاشخاص الذين يمكن الوثوق بهم والذين تتوافر لديهم موهبة تقدير أهمية الامن للقيام بالأعمال الخاصة ، وهى تضع الخطة اللازمة لصيانة الموارد الطبيعية ، ومناطق الانتاج الصناعى ضد أعمال المخابرات والجاسوسية والتخريب التى يلجأ اليها العدو ٠ وبالاضافة الى ذلك تقوم بعمليات مخادعة لتضليل العدو عن طريق نشر معلومات غير صحيحة ٠

وهناك فرق واضح بين مخابرات الامن ومقاومة التجسس بالرغم من وحدة الهدف الذى يربط بين الاثنين ، وهو منع العدو من الحصول على المعلومات ذات الطابع السرى ٠ فاذا قلنا أن عملية مخابرات الأمن هى عملية وقائية فان مقاومة الجاسوسية هى عملية ايجابية تهدف الى اصطياد الجواسيس والقبض عليهم قبل أن يرسلوا معلومات ذات قيمة للاجهزة التى يعملون لحسابها ٠ لذا يرى بعض الاخصائين فى علوم المخابرات أن أعمال مخابرات الامن تتسم بطابع التوجيه والتوعية أكثر من أجهزة مقاومة الجاسوسية التى يتسم عملها بالطابع الايجابى ٠ ولعلنا نكون قد أوضحنا بعد هذا التقديم لواجبات مخابرات الأمن مدى ضخامة المسئوليات الملقاة على عاتقها ٠

وفى الواقع توجد وظيفتان رئيسيتان للمخابرات فى الحرب النفسية تقوم بها كل من المخابرات الايجابية والوقائية ، وبالرغم من أن هاتين الوظيفتين منفصلتان من ناحية الشكل فهما مرتبطتان موضوعيا :

١ ـ الوظيفة الأولى هى ما تسمى بتحليل الدعاية ونعنى دعاية الدولة وكذا دعاية العدو ، والتى سوف نشرحها بالتفصيل فى الفصلين القادمين ٠

٢ ـ الوظيفة الأخيرة وتتلخص فى الحصول على المعلومات لمن يقومون بادارة الحرب النفسية • ان الذى يقوم بواجب توجيه الحرب النفسية لن يستطيع التأثير فى الجماهير الا اذا دعم بمعلومات دقيقة عنها ، وفى أثناء الحرب تأتى معظم هذه المعلومات عن طريق وسائل التجسس، ولذلك يكون من الصعب غالبا الحصول عليها • ومن جهة أخرى نجد أن هناك صراعا طبيعيا بين موظفى المخابرات الذين يحاولون دائما الاحتفاظ بسرية هذه المعلومات ، وبين موظفى الحرب النفسية الذين يبحثون دائما عن الجزء الواقعى من المعلومات لتقوية الرسائل التى يوجهونها • وهذه المشكلة تعانى منها كثير من الدول بل لا تزال هذه المسألة عرضة لخلافات واسعة النطاق حتى فى الدول الكبرى • ان الوسيلة الوحيدة للتغلب على تلك المشكلة هو التنظيم الجيد للتنسيق بين الطرفين، وتفهم كل منهما لمسئولية الآخر.

على أن عليها واجبا ثالثا يتفرع من هاتين الوظيفتين، وهو مسئولية اجراءات الامن فى الحرب النفسية • وكما سبق أن أشرنا الى الصراع الذى يحدث غالبا بين موظفى المخابرات ، وموظفى الحرب النفسية نتيجة طبيعة عملهما ، ومن ثم كان من المنطق أن نحاول ابراز أسباب هذا المشكل ، وذلك قبل أن نخوض فى تفاصيل الواجبات • هذا المشكل سنطلق عليه قيود الامن •

قيـــود الأمن :

لا ريب أن أية دولة من دول المجتمع الدولى تسعى دائما الى تحقيق أمنهـا وان اختلفت وسائل الامن فى كل منها • الا أن القيود التى تنشأ من مشكلات الأمن كثيرا ما تؤثر على أعمال الحرب النفسية اذا لم يبذل الجهد فى تذليل هذا التعارض ، وتفهـم كلا الطرفين المسئوليـة المشتركة للعمليتين • فمن ناحيـة يستهدف الامن دائما منع وصول المعلومات السرية الى العدو ، على حين تحرص عمليات الدعاية على أن يصل الى العدو أكبر كمية من المعلومات الحقيقية التى قد تتعارض مع سريتها • كما يتطلب الامن منع الانباء العسكرية عن العدو على حين تهدف الدعاية الى اخطار العدو بالانباء أسرع مما قد تصل اليه عن طريق مصادره الخاصة وهو يهدف من ذلك الى تقليل قيمة ما يذيعه العدو من أنباء على مواطنيه •

وفى اختيار الافراد الذين يعملون فى ميـدان الحرب النفسيـة يظهر هذا التعارض بصورة واضحة بين الدعاية والامن ، اذ يحاول الامن ابعاد الاشخاص المشكوك فيهم أو المشتبه فى صلتهم بالعدو بعيدا عن وسائل الاتصال ، أما رجل الدعاية فغالبا ما يكون اختياره للأفراد الذين يعملون معه على أساس الكفاية والمواهب التى يتمتع بها الافراد كقدرتهم على النطق بلغة العدو جيدا أو تفهـم نفسيته وغير ذلك من العوامل المطلوب توافرها فى رجل الدعاية • وغالبا ما يغفل رجل الدعاية عامل الامن حينما يبحث بعينه الفاحصة لالتقاط هؤلاء الافراد من بين الجموع الغفيرة •

ولذا نجد أن رجـال الحرب النفسيـة ورجـال الامن غالبـا ما تتعـارض مسئولياتهم ، مما يثير صعوبات قد يكون لها أثر بالغ فى تحقيق أهداف الطرفين. ولكن ليس من الصعب أن تنسق الجهود المشتركة التى تساعد على تحقيق أهداف الامن والحرب النفسية ، وذلك بانشاء منظمة للرقابة تساعد على التنسيق وتفهم كل منهما مسئولية الآخر وحدودها •

ان اجراءات الامن العادية يجب أن تطبق فى جميع الظروف ، والطريقـة المثلى لتحقيق ذلك فى ميدان الحرب النفسية هى توعية جميع القائمين بها فى زمن السلم بأهمية الامن سواء كانوا مدنيين أو عسكريين ، فغالبا ما يتحدث كثير من هؤلاء الافراد الى بعض من يثقون بهم بدافع غريزى فى موضوعات هامة تتعلق بأعمالهم قد تبدو لهم أنها لا قيمة لها لايهام هؤلاء الناس بأنهم عليمون ببواطن الأمور مما قد يؤثر تأثيرا بالغا فى مجهودات الأمن •

وهناك سلاح خطير لو تفشى بين القائمين بالحرب النفسية لاستطاع أن يهدم الكثير من مجهوداتهم ألا وهو سلاح الشائعات والاكاذيب التى قد أفردنا لها بابا خاصا لأهميتها • لذا يجب ألا يتأثر القائمون بادارة الحرب النفسية على جميع المستويات بأى شائعات أو أكاذيب ينشرها العدو ، بل أن واجبهم هو فل هذا السلاح وتحذير الشعب والجنود من التأثر بما ينشره العدو من دعايات مغرضة •

ان اجراءات الامن التى تتبع فى الحرب النفسية هى نفس القواعد التى يعنيها مفهوم الأمن بشكله العام • وبالرغم من أن تحقيق الأمن يتطلب اتباع قواعد معينة فان الحس والذوق الغريزى يلعب دورا فعالا فى الاجراءات التى يجب أن تتبع ولا سيما فى عمليات الحرب النفسية ، ونستطيع لمجرد الدراسة أن نوجز القواعد الاساسية التى قد تحقق الغرض فى القواعد الآتية :

تقييم المواد من ناحية درجة السرية :

ونعنى بذلك أن يكون تصنيف المواد أو المعلومات التى تستخدم فى الحرب النفسية تبعا لدرجة سريتها ، وكثيرا ما تنشأ مشكلات لرجال الأمن نتيجة لعدم اعطاء درجة السرية المناسبة للمعلومات التى تحتفظ بها الادارات المختلفة التى تعمل فى هذا الميدان • وكقاعدة عامة يجب الا تعطى درجة سرية عالية لأى معلومات لا تفيد العدو • ان مسئوليه تقدير درجة سرية المعلومات غالبا ما تترك الى ضباط مدربين على هذا الواجب • وقد ترتب على اهمال هذا العامل فى الحرب العالميـة الثانية كثير من المشكلات العسكرية ، فمثلا وجد فى أحد ميادين الباسفيك وثيقة ذات درجة عالية من السرية فى أحد أدراج مكتب سكرتيرة قائد أمريكى . واستطاع العدو أن يحصل عليها بمنتهى السهولة ، لان هذه السكرتيرة لم تستطع أن تقدر درجة السرية للمعلومات التى كانت بها ، وفى الحقيقة لم تكن هذه مسئوليتها بل مسئولية أولئك الذين لم يضعوا على هذه الوثيقة درجة السرية التى تستحقها •

تحديد الأفراد الذين يتعاملون مع المعلومات السرية :

وحينما يحدد الافراد المسموح لهم بالتعامل بالاطلاع على المعلومات ذات درجات السرية المختلفة ، يجب أن يطبق الامن على كل من يستخدمها ، اذ غالبا ما يحاول الافراد الذين يعملون معهم ويحرمون من هذه المعلومات أن يبحثوا بالغريزة عما وصل لأولئك الافراد من معلومات، فاذا ماتحصلوا عليها لايستطيعون أن يقدروا قيمة هذه المعلومات بل غالبا مايحسون بالامتعاض والاستياء من اخفائها

عنهم . وهم في بحثهم عن هذه المعلومات لا يتعدى أن يكون الدافع هو الفضول وحب الاستطلاع . ومن ثم نجد أنه من الناحية النفسية يشعر هؤلاء الأفراد أنهم غير مرتبطين بالابقاء على سريتها ، ولذا فان اجراءات الأمن بالنسبة لتداول المعلومات السرية يجب أن تطبق على المجموعات المختلفة كليا وليس فرديا .

التفرقة بين اجراءات الأمن والرقابة على النشر :

ويجب أن نفرق بين اجراءات الامن التى تتخذ فى عمليات الحرب النفسية وبين عمليات الرقابة على النشر ، فالرقابة على الصحف Censorship وظيفة أخرى لها ظروفها وقواعدها . ان اجراءات الأمن غير السليمة واعطاء سلطات تحكمية فى مسائل الرقابة لضباط الامن قد تغرى ضابط الامن بأن يعبر عن تفضيله لاشخاص فى ميادين التحرير أو الفن أو السياسة تحت ستار المحافظة على الامن ، والمعقبات التى لا معدى عنها لهذا العمل عدم توفيق الأمن وعدم نجاح الاجراءات .

وان الرقابة يجب أن تطبق بتنسيق تام مع سياسات الرقابة القومية أو سياسة الرقابة الخاصة بمسرح العمليات ، ومن جهة أخرى فان تقدير قيمة الانتاج الاذاعى أو انتاج النشرات يعتبر وظيفة أخرى الغرض منها تقييم الانتاج ، ومدى تمشيه مع خطة الدعاية الاستراتيجية .

ومن السهولة بدرجة كافية القيام بالرقابة على المواد المطبوعه فى مسرح العمليات ، اذ يمكن ارسال النشرات الى أركان الحرب للعمليات رقم ٢ G. 2 لفحصها ، أو الى الشخص الذى توكل اليه وظيفة الامن .

الرقابة على الاذاعة :

ولكن مشكلة أمن الاذاعة شيء آخر ، وتدلنا تجارب الحرب العالمية الثانية على أن الأنباء العاجلة الخاطفة Spot News لا يمكن أن تتبع الاجراء الروتينى للأمن . وأنها يجب أن ترسل بسرعة ، ولهذا فانه من المرغوب فيه دائما أن يكون ثمة نوعان من الرقابة يكمل كل منهما الآخر .

١ ـ أما النوع الأول فيمكن تحقيقه باقامة خدمة اتصال للأمن Security Liasion على أساس عمل متواصل طوال الأربع والعشرين ساعة مع العاملين فى الاذاعة ، وذلك لسرعة تمرير الأنباء العسكرية ، ويجب أن يلقن ضابط الأمن « المنوب » المبادىء التى تحقق التعاون التام على أساس تفهم قيمة الدعاية • ويجب أن يدرك أن مهمته هى أن يوضح لرؤسائه احتياجات الدعاية الاذاعية بدلا من أن يتجه الى اعتبار نفسه أسمى من العاملين فى الاذاعة • ولهذا سبب نفسى معقول ، فان وجود ضابط الامن الودود المشجع يزيد من التعاون من جانب مذيع الدعاية ، أما الموقف غير الودود فانه يدفع بالاذاعى الى أن يعمل دائما للاحتفاظ بالكرامة الوظائفية لمكتبه ولمركزه ، فاذا ما زاد التنافر بين ضابط الامن والكاتب الاذاعى أو المذيع فان ذلك يؤدى دائما الى أسوأ النتائج بخاصة اذا ما أثر هذا التنافر على الروح المعنوية لرجال الدعاية •

٢ ـ أما النوع الآخر فانه يمكن ممارسته باشراف الأمن ورقابته بواسطة الوسائل الميسرة للاستماع : أى يمكن أن يزود ضباط الأمن بأجهزة استقبال جيدة فينصتون للاذاعات دون مقابلة المذيعين ، ومن المرغوب فيه أن يكون لهؤلاء الضباط طاقة من الوعى وقدرة على النقد ، اذ هم على نقيض ضباط الاتصال ليس من الضرورى أن يكونوا متعاونين عن قرب ، فان نقدهم يجىء بعد أن تكون العملية قد تمت والاذاعة قد وجهت ، وبذا يمكن أن يبرزوا نقدهم بمعدلات صارمة عنيفة للعمل بها فى المستقبل •

ومن هنا كانت العمليتان مختلفتين من ناحيتى الشكل والتوقيت ، فالأولى تقوم بمراجعة انتاج الدعاية فى أثناء الارسال ، والاخرى يبتدىء دورها بعد انتهاء العملية •

ان النقطة الرئيسية التى يجب أن تكون دائما فى أذهان من يقومون بادارة الحرب النفسية ألا يخلقوا من ضباط الأمن رجال دعاية، اذ أن ذلك مثل من يحاول أن يخلق من المذيع رجل أمن • ان الطريقة المثلى هو أن يتفهم كل منهما مسئولية الآخر ويعرف حدوده ، وأن يبذل كل منهما جهده فى التعاون لتحقيق رسالة الآخر •

ونستطيع الآن أن ننتقل الى بحث وظيفة أساسية من وظائف المخابرات فى الحرب النفسية وهى مهمة جمع المعلومات •

مهمة جمع المعلومات :

يمكن أن تتم عملية جمع المعلومات الخارجية بطرق مختلفة ، ليست كلها غامضة أو سرية • وهذا ينطبق بصفة خاصة على المخابرات المكشوفة التى تستقى معلوماتها من : الصحف ، والكتب ، والمطبوعات ، والتقارير الرسمية ، والاذاعة ، والتليفزيون ، وقد تحتوى قصة ما أو أية مسرحية على معلومات نافعة عن حالة أمة من الأمم •

ان كل المعلومات المكشوفة هى « طحنة » تدخل طاحونة المخابرات • ولكن هناك من تلقوا تدريبا يمكنهم من أن ينتقوا حبة القمح من بين جبال « التبن » • وفى البلاد ذات الصحافة الحرة والتى لا تتدخل فيها الحكومة عند نشر البيانات الرسمية تكون عملية المخابرات المكشوفة ذات قيمة خاصة ، وذات فائدة مباشرة فى اعداد تقديرات المخابرات •

ان المجهود الذى يبذل فى عملية الجمع السافرة هو مجهود واسع وضخم • انه يحاول ألا يغفل شيئا يمكن الحصول عليه وله فائدته • ولكن ربما كانت هناك موضوعات قد تكون حاجتنا اليها شديدة ولكن لا تغطيها هذه المادة ، أو قد تنقص هذه المادة التفاصيل الكافية، أو لا تكون حاسمة ، أو لا تكون موضع الثقة التامة • فمثلا لا يمكن أن نعول على ما تفصح عنه اسرائيل ـ سواء بقصد أو

بغير قصد ـ فيما تحتاج حكومتنا الى معرفته • انها لا تفصح الا عما تريده منا أن نصدقه ، فاذا هى أدلت ببيانات رسمية فانه لا يمكن أن تكون هذه البيانات موضع ثقتنا •

ومن جهة أخرى يمكن التلاعب فى الصور الفوتوغرافية كما يمكن تزييفها على نحو ما حدث عندما عرض السوفييت ـ لغرض الدعاية ـ صورة كومة من المهملات وقالوا : انهم أسقطوا طائرة أمريكية من طراز « ى ٢ » كذلك عرض السوفييت فى يوم استعراض الجيش الاحمر صاروخا شاهده وصوره رجال الصحافة الغربية والملحقون العسكريون ، ولم يكن فى الحقيقة الا شيئا لا قيمة له مكونا من أجزاء متفرقة من صواريخ مختلفة لا يمكن أن تكون قذيفة صالحة • وكما هو سهل أن نجمع المعلومات المكشوفة فمن اليسير أن نحيط هذه المعلومات بعنصر الخداع • لكل هذه الاسباب يجب أن يظل جمع المعلومات بالطريقة السرية « التجسس » هو النشاط الأساسى للمخابرات •

ان عملية الجمع السرية هى أساسا عملية التغلب على العقبات بقصد الوصول الى الهدف • اننا نختار الهدف ويقوم خصومنا بوضع العراقيل والعقبات ، وهو عادة يدرك أى أهداف يهمنا أن نصل اليها ، ثم يحيطها بكل ما يستطيع من العقبات الوعرة •

ويستغل الجمع السرى الافراد فى هذه العملية فيستخدم : « العملاء » و « المصادر » و « المبلغين » ، كما تستخدم الآلات • وهناك آلات تستطيع أن تفعل ما لا يقدر الانسان أن يفعله ، وان ترى أشياء يعجز عن أن يراها • ولما كان كل جانب يحاول وقف هذا النشاط اذا استطاع أن يحدد مكانه أو اذا أمكنة الوصول اليه فان كلا منهما يقوم بهذا النشاط بطريقة سرية ، ولهذا يطلق عليه اسم الجمع السرى ، والكلمة التقليدية التى تطلق عليه هى « التجسس » •

ان جوهر التجسس هو الوصول الى الهدف • يجب أن يتمكن انسان ما أو آلة ما من الاقتراب من هذا الشيء ، أو هذا المكان ، أو هذا الشخص ليرى أو يكتشف الحقائق المطلوبة دون أن يثير انتباه من يتولون حراسته . ثم بعد ذلك لابد من أن تبلغ هذه المعلومات الى من يطلبها من المسئولين ، ويجب أن يتم ذلك بسرعة حتى لا تفقد قيمتها ، كما يجب ألا تضيع أو يقطع عليها طريق العودة •

ان التجسس فى أقل صـــوره لا يعدو أن يكون نوعا من الاســتطلاع المستتر • وقد يكفى هذا عندما يقتصر المطلوب على القاء نظرة خاطفة • فيقصد العميل هدفا من الاهداف ويلقى عليه نظرة ثم يقفل راجعا ليبلغ عما رأى • وفى هذه الحالة يكون الهدف عادة كبـيرا وسـهل الرؤية ، مثـال ذلك : تجمع القوات ـ التحصينات ـ المطارات ، وأحيانا يستطيع العميل أن يجد طريقه الى داخل المكان المقفل ويستطلع ما فيه أو يخرج منه بوثائق • وعلى كل حال تكون فترة بقائه محدودة لأن بقاء العميل مـدة طويلة أمر صعب طالما وجـد بطريقة سرية وغير شرعية •

وهناك ما هو أكثر قيمة من الاستطلاع ونعنى « التغلغل » الذى يقـوم به العميل ويستطيع فيه أن يصل الى داخل الهدف ويبقى فيه • ومن بين الطرق المستخدمة فى هذا النوع أن يتسلل العميل الى المكاتب أو الى دوائر الصـفوة المختارة بحيلة ما وبذلك يكون فى موقف يستطيع منه أن يسـتخرج المعلومات المطلوبة من الاشخاص الذين يأتمنونه ، والذين لايدركون دوره الحقيقى ، ويطلقون على هذه العمليـة اصطلاحا يسـمى « الزرع » وهى من أقدم أنواع الطرق فى التجسس •

ويستند هذا النـوع من التغلغل الى مظاهر الولاء والاخلاص التى غالبا لا توضع موضع الاختبار • كما أنه ليس من السهل اختيارها ولا سيما اذا كان الخصوم يتكلمون نفس اللغة ، ولكن فى الوقت الحاضر عندما أصـبحت الخطوط التى تفصل أمة ومذهبا سياسيا عن أمة أخرى ومذهب سياسى آخر واضحة ،

أصبح الاحتفاظ بمظاهر الولاء والاخلاص لفترة طويلة عسيرا ، وان كان يمكن تحقيقه • ومن بين عمليات التجسس السوفييتية المشهورة قبل الحرب العالمية الثانية وفي اثنائها هي عملية الشبكة الجاسوسية في الشرق الأقصى التي كان يتولى ادارتها ريتشارد سورج ، وهو ألماني كان يعمل في طوكيو كمراسل لصحيفة فرانكفورتر زايتونج • لقد كان سورج يقوم « بزرع » مواطنيه في السفارة الالمانية في طوكيو ، ونجح فعلا في الحاق نفسه بقسم الصحافة بالسفارة وكان هذا بمثابة ستار له يعمل من ورائه مع عملائه اليابانيين فضلا عن أن هذا كان يوفر له الفرصة للحصول على المعلومات المباشرة عن سير حرب النازي وعلاقتهم مع اليابان •

وحتى يستطيع سورج تحقيق ذلك كان يلعب دور النازي الصالح ، وقد أحرز في ذلك كل النجاح بالرغم من أنه كان يمقت النازي • لقد كان رئيس الجستابو في السفارة كما كان السفير والملحقون أصدقاء له • ولو نقب الجستابو ماضيه ـ كما فعلوا بعد أن قبض عليه اليابانيون عام ١٩٤١ ـ لعرفوا أن سورج كان عميلا شيوعيا في ألمانيا في السنوات العشرينية وأنه أمضى بعض سنواته في موسكو •

ولننتقل الآن الى دراسة الواجب الاخير من دور المخابرات في الحرب النفسية وهي ما يتعلق باجراءات الأمن ، ويمكن تقسيم هذا الواجب الى أقسام رئيسية :

- مقاومة التخريب — Counter Sabotage
- مقاومة التآمر والتمرد — Counter Insurgency
- مقاومة النشاط الهدام — Counter Subversion
- الأمن الداخلي — Domestic Security

وفى نطاق هذه المسئوليات تتولى مخابرات الامن بأجهزتها المختلفة حماية أسرار الدولة ومنشآتها ٠

مقاومة التخريب Counter Sabotage :

التخريب(١) صورة من الحرب المدمرة ، وهو عادة يستهدف اتلاف النظام ، أو تدمير التنظيم العسكرى ، أو الاقتصادى للعدو ٠ وهو عمل مضاد لنظام العدو الادارى ، وانتاجه الصناعى والغذائى ، وقواته المسلحة ، وخطوط مواصلاته ، بل عموما ، ضد أى شيء يعاون المجهود الحربى للعدو ٠

ويحدث التخريب فى عدة صور متباينة ليس من الضرورى أن تبدو كلها عنيفة ٠ فهناك عمليات مباشرة أى عمليات تخريب نشيطة عنيفة مفاجئة ضد الأغراض والأهداف الرئيسية ، وهناك أيضا أعمال غير مباشرة أى سلبية ضد معنويات العدو وموارده المادية فى أسلوب وبوسائل غير عنيفة ٠ كما أن هناك صورة أخرى تسمى التوجيه السيكلوجى Psycological Training الهدف منه تكوين اتجاه عام وسط الجماهير للقيام بالاضراب أو لنشر الذعر والفوضى والاضطراب ٠

وتنفذ الأعمال المباشرة بعدة وسائل وعلى مستويات مختلفة ، وقد توجه ضد أغراض أساسية هامة كالمصانع فى المناطق التى تتوافر للعدو فيها مؤسسات هامة ، أو ضد أهداف صغيرة كأكشاك التحويل على الخطوط الحديدية وغيرها من

---

(١) جاء الاصطلاح الانجليزى Sabotage أى الاتلاف والتخريب ، من الكلمة Sabot وتعنى هذه الكلمة الحذاء الخشبى الذى كانت ترتديه الطبقات الفقيرة فى بعض البلاد الاوروبية ، وقد اعتبر هذا الحذاء الخشبى رمزا للثورة من جانب عمال الزراعة وغيرهم ممن يعملون فى أملاك السيد أو الامير ٠ وكانوا يلقون بهذه الاحذية الخشبية فى آلات المصانع طوال فترة الاضطراب فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ٠ وقد اصطلح فيما بعد على اطلاق كلمة Sabotage على التخريب المقصود لممتلكات الغير طبقا لأهداف خاصة وسمى الذين يقومون بهذا العمل Saboteurs ٠

الأهداف التى تعرقل فى النهاية المجهود القومى • ويعتبر الاحراق ، والتدمير ، والقاء المتفجرات ، وتعطيل الآلات أو نسفها ـ الصورة العادية لاعمال التخريب المباشر ، وتتفاوت الوسائل طبقا لطبيعة الهدف وظروفه •

ويعد التخريب البحرى وهو الذى يوجه ضد السفن ، والمنشآت البحرية ، وطرق الملاحة ـ من أخطر أعمال التخريب ، وذلك لفداحة الاضرار التى تترتب عليــه •

أما العمليات غير المباشرة أو عمليات التخريب السلبية فانهــا تصل الى تحقيق أهدافها دون عنف واضح، والصورة المألوفة لهذا هى التشجيع على تخفيف مستوى الانتــاج أو الابطاء فى اتمام الأعمال الانشائية ، أو الاهمال الذى يبدو غير متعمد ، ولكنه يؤدى فى النهاية الى الاضرار بالكفاءة الانتاجية ، أو السلب المنظم للمستودعات وما الى ذلك •

على أن التخريب السيكولوجى الذى يستهدف ازعاج العدو فى عقر داره أو فى المناطق التى تحتلها قواته المسلحة يعد من أخطر الانواع كما سبق أن أشرنا الى ذلك • كما أن للتخريب السيكولوجى الذى يعتمد على الشائعة والنكتة آثارا لا تقل فى خطورتها عن التخريب العنيف بل يفوقه أحيانا كما ظهر لنا فى الباب الخاص بالشائعات •

وعمليات التخريب تعد سلاحا رئيسيا من أسلحة الحرب النفسية ، وهى كأعمال المخابرات تتطلب تحضيرات عسكرية، واقتصادية، وفنية ، وسيكولوجيه، وتعتمد فى خطتها أساسا على المعــلومات التى توفرها لهــا أجهزة المخابرات الايجابية ، وغالبا ما يقوم بتنفيذها عملاء من رعايا الدولة نفسها التى تتم فيها الحوادث •

ومن أجل هذا تقوم المخابرات الوقائية باجراء الاحتياطات المضادة عن طريق تأمين المنشآت والمصانع والمرافق الحيوية بعد دراسة دقيقة للموقع ونظام العمل وطبيعته ، والافراد الذين يعملون فيه ، وهذا ما يسمى بمشروع الأمن •

على أن أسلوب مقاومة التخريب يجب أن يهدف الى مقاومة جميع الأعمال التخريبية في جميع أشكالها وصورها مادية، أو معنوية ، مباشرة ، أو غير مباشرة . وتعتمد مقاومة التخريب على الدراسة العلمية لاحتمالات التخريب والأماكن المعرضة له ، وعموما تعتمد على العناصر الآتية :

١ ـ استعمال الدراسة والمعرفة فى توجيه الاعمال التنفيذية ٠

٢ ـ اعتقال المخرب قبل أن يبدأ عملياته ، ومن الأمثلة الحية التى مارستها مخابراتنا فى هذا المجال قضية العميل الاسرائيلى « وولف جانج لوتز » الذى كلفته المخابرات الاسرائيلية بما يلى :

- جمع معلومات عن المجهود الحربى ٠
- جمع معلومات عن الخبراء الأجانب الذين يعملون فى تطوير المجهود الحربى بغرض مباشرة عمليات التخريب المادى بالقيام بأعمال التدمير والاغتيال ، وكذا مباشرة تعليمات التخريب المعنوى بارسال خطابات التهديد لهم ، وتوزيع المنشورات المعادية التى تهدف الى التفرقة والانقسام ٠

ومن ذلك يتضح فى هذه الحالة أنه لا يمكن أن نفرق بين مقاومة التجسس ومقاومة التخريب ٠

مقاومة التآمر والتمرد Counter Insurgency :

والمقصود بالتآمر والتمرد هو وجود تدبير للقيام بثورة ضد السلطة الحاكمة يهدف الى تغيير نظام الحكم ، أو الشخصيات الحاكمة ، أو فرض مطالب معينة لتحقيق أهداف القائمين بالتآمر ٠ وتعنى كلمة التآمر فى ابعادها : التمرد والعصيان ، ورفض اطاعة السلطات أو القانون السائد ٠ ويستعمل اصطلاح العصيان المدنى Civil Disobedience فى بعض الحالات بديلا لكلمة التمرد ٠

وقد يكون التآمر فى بعض الحالات نابعا من داخل الشعب نفسه دون تحريض أو مساعدة من الخارج ، ولكنه غالبا ما يكون موجها من الدول التى تتعارض مصالحها مع نظام الحكم القائم ٠

ومهمة مخابرات الأمن الكشف عن أى محاولة للتآمر أو التمرد ، والقضاء عليها ، والقبض على مدبريها قبل أن تتم ٠

وتستخدم مخابرات الأمن فى عمليات مكافحة التآمر والتمرد أساليب المخابرات المختلفة ، مستفيدة من كل العناصر والامكانيات البشرية والفنية التى تتشابه الى حد كبير مع الوسائل المتبعة فى مكافحة الجاسوسية ـ أى أن مخابرات الأمن تقوم بنشاط ايجابى مضاد فى هذا المجال ٠

والمؤامرات والانقلابات التى تحدث فى الدول ما هى الا سلسلة من الاعمال الموجهة من الخارج أو الداخل، وعادة تكون بتوجيه من جهات أجنبية أو تشجيعها، ولذلك تعتبر من الواجبات الأساسية للأمن القومى ٠ ان مقاومة التآمر هى الأداة التى تساعد على الاحتفاظ بالاستقرار القومى ، وتعتبر العناصر الآتية أساسا لمقاومة التآمر ٠

١ ـ استخدام جميع أساليب المخابرات الفنية ووسائلها لغرض الحماية والسيطرة على الميادين ، والهيئات ، والمؤسسات التى يحتمل أن يباشر أفرادها أى نشاط ضد الحكم القائم ٠

٢ ـ تحديد الدول التى ينتظر أن تساند مثل هذه المؤامرات ، أو تشجيعها وذلك بدراسة الأهداف والمبادىء السياسية التى تعتنقها الدولة ، والتى لا تتفق مع أهداف تلك الدول وسياستها ٠

٣ ـ مراقبة نشاط الفئات ، والأفراد ، والهيئات التى تعتبر هدفا لمدبرى المؤامرات والانقلابات ٠

٤ ـ يعتبر الوقوف على مشـاعر الجماهير ومـدى تجاوبها وأحاسيسها بالنسبة للاحداث الجارية « الرأى العام » ووضع المسئولين فى صورة كاملة من هذه الأحاسيس أساسا للوقاية ضد المؤامرة ٠

مقاومة النشاط الهدام Counter Subversion (١) :

تعتمد مقاومة النشاط الهدام أساسا وفى الدرجة الأولى على التوعية ، لأن النشاط الهدام عادة يبدأ بالتشكيك فى مذهب الدولة أو اتجاهها ، وفى معظم الأحوال يتبنى عقيدة مضادة لعقيدة الدولة ٠ ويعمل النشاط الهدام على الترويج للمذهب المضاد ولا سيما فى الاوساط المهيأة نفسيا وعقليا لتقبله ٠ وبالرغم من أن نشاطه عادة يكون نشاطا سريا ، فهو يكتفى فى مراحله الاولى بغزو العقل دون اللجوء الى العنف ٠ لذا فان الطريق السليم لمكافحة النشاط الهـدام هو مقارعة الفكرة بالفكرة وتنظيم الحملات الفكرية المدروسة ٠ وهذا لا يمنع مخابرات الأمن من اللجوء الى الأساليب الايجابية لمواجهة النشاط الهدام ، بخاصة اذا ما كانت قوانين الدولة تحرم مثل هذا النشاط ٠

على أنه يجب أن نشير هنا الى أن مسئولية حماية نظام الدولة الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحـدة من واجب كل مواطن ، وعليه أن يتفهم العقيدة الاشتراكية والعقائد الاخرى المتباينـة ، ويتحتم على كل فرد مداومة الاطلاع ومتابعةالانتاج الفكرى فى العالم ، والتعمق فى دراسة الايدلوجيات والنظريات المختلفة ٠

---

(١) أصل الكلمة Subvert أى اسقاط أو تدمير شىء قائم ، ويمكن أن تعنى نشر الفساد والفوضى فى الاخلاق والمبادىء والمعنويات وهذا هو المعنى المقصود ٠ ويختلف النشاط الهدام من دولة الى أخرى طبقا لمبادئها السياسية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية ٠

وهناك فرق ولا شـك بين النشاط الهـدام ، وبين التآمر والتمرد ، فعادة يسبق الأول الثانى ، وبالاضافة الى ذلك هناك فروق أيضا فى طريقة المكافحة ٠

الأمن الداخلى Domestic Security :

عبـارة عن جميع الاجراءات الوقائية التى تتخـذها الدولة للتحفظ على أسرارها لاخفاء السياسة القومية، والمعلومات العسكرية، والعلمية ، والاقتصادية، والقرارات الدبلوماسية ، وغير ذلك من المعلومات ذات الطابع السرى والتى تؤثر على أمن الدولة وسلامتها ، كما يحقق الأمن الداخلى مقاومة لجاسوسية العدو ، وذلك بتحديد حركات عملائه ، ومنع تسرب أى معلومات لها قيمتها الى مخابرات العدو ، ففى الدول الدكتاتورية والفاشية حيث يسيطر على الدولة الأسلوب البوليسى ، نجد أنه يسهل على أجهزة الأمن استمرار السيطرة على جميع المقيمين بالدولة ، بعكس الدول الديمقراطية التى يتمتع فيها الفرد بحرية أوسع مما يعرقل كثيرا من مجهودات الأمن ٠

وتتدرج اجراءات الأمن الوقائية من التحفظ على المعـــلومات ذات الطابع السرى ومنع تسربها ، الى مقاومة أى تسلل الى المراكز الحساسة فى جميع قطاعات الدولة ٠ وتكون المرحلة النهائية هى تدابير مقاومة التجسس ، ويجب ألا نغفل هنا أهمية وعى الأمن لدى الشعب الذى يساعد كثيرا على نجاح خطة الأمن ٠

ب ــ مقاومة التجسس :

تعتبر مقاومة الجاسوسية الجانب الايجابى من المخابرات الوقائية ٠ ويمكن أن نعرفها بأنها المعرفة ، والتنظيم ، والتحليل ، والنشاط الذى تستخدمه مخابرات الدولة لشل نشاط المخابرات المعادية ٠

ويوجه نشاط مقاومة الجاسوسية ضد جهود الجاسوسية الاجنبية ، ومهمتها الأساسية هى التعرف على نشاط عملاء العدو السريين ، واستغلاله والسيطرة عليـه ٠

ان الهدف الشامل من تلك الجهود ، هو وقاية أمن الدولة وسلامتها ، وكذا منع تسلل عملاء العدو داخل المراكز الحساسة بها • وهى فى هذا المجال تحاول أن تصل عن طريق المعرفة الى ازاحة القناع عن نشاط منظمات العدو ، وكشف خططه ونواياه •

وبالرغم من أهمية الأهداف Targets التى تسعى اليهـا أجهزة مقاومة الجاسوسية والمخابرات المضادة ، فان تحديد الغرض Object يسبق دائمـا تحديد الأهداف • وللدراسة الدقيقة ، والتحليل الشامل أهمية كبيرة فى تقدير قيمة الهدف وأهميته •

ويهتم رجال مقاومة الجاسوسية عامة بأربعة مجالات أساسية لها أهمية كبيرة فى تحديد المعلومات الايجابية اللازمة لمقاومة التجسس ، كمـا أن هذه المجالات تسهم أيضا فى جمع المعلومات الايجابية الهامة للمخـــابرات ، وهى التى تبنى عليها خطة العمل والتنفيذ •

١ ـ أول هذه المجالات ، الافراد الذين يعمـلون فى أجهزة المخـابرات المعادية وعملاؤهم وخاصة الذين يعملون فى الدولة التى تعتبر هدفا للجاسوسية • ان اكتشاف الاشخاص الذين يشك أنهم عملاء للعدو يعتبر واجبا يتطلب وقتا كافيـا ، كمـا يستدعى الدقة ، اذ غالبا ما يكون اتصال رجال مقاومة التجسس مع منظمات العدو عن طريق هؤلاء العملاء • لذا يجب أن توجه عناية كبيرة لفحص هؤلاء العملاء ومحاولة الحصـول على معلومات تفصيلية شـاملة عن نشـاطهم ، وأسرارهم ، ومعارفهم ، وأصدقائهم •

٢ ـ أما المجال الثانى فهو الاسلوب الذى تستخدمه منظمات العدو فى عمليات التجسس ، ويتضمن هذا الاسلوب كثيرا من العناصر منها استخدام الساتر ، وطريقة التجنيد ، والاتصال ، والتمويل ، واختيار محطات العمل السرى. وعلى الرغم من أن هذه العناصر تحكمها عوامل تكنيكية ثابتة Techinques ، فان لكل منظمة عادة أسلوبا فنيا فى نشاطها • وتكرار هذا الأسلوب ، حتى يثبت نجاحه أكثر من مرة كثيرا ما يؤدى الى كشف نشاطها وشل عملياتها من جانب رجال مقاومة الجاسوسية ، وهذا يرغمها على تغيير خطتها وأساليبها، وقد يدفعها لتجميد نشاطها لفترة قد تطول • لذا فان الابتكار والبحث عن طرق جديدة دائما ، وتهيئة الجو المناسب للعمل ـ هو أساس نجاح عمليات التجسس •

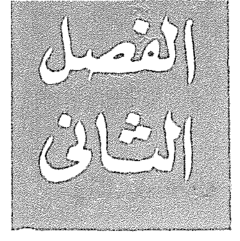
٣ ـ والمجال الثالث الذى يبحث فيه رجال مقاومة الجاسوسية ، هو مركز حشد قوات العدو ، ونوع المعلومات التى تحظى باهتمامه الخاص ، وأى الميادين يصلح للاثارة او النشاط الهدام ، ومدى الاستجابة المتوقعة . وينبغى أن تغطى المعلومات عن هذه الأهداف كل ما يختص بالأماكن والمواقع ، كما تشتمل على كل ما يختص بالأفراد •

٤ ـ والمجال الرابع والاخير الذى يهتم به رجال مقاومة التجسس هو الاغراض والنوايا القريبة والبعيدة لمنظمات التجسس •

هذه المعلومات قد لا يمكن الوصول اليها بطريق مباشر ، ولكن الدراسة والتحليل للاهداف المعروفة لمنظمات التجسس ، ودرجة كفاءة هذه المنظمات ،

ومدى تطبيق تعليمات الأمن فى الدولة الهدف ٠٠ كل هذا يساعد رجال مقاومة التجسس على التكهن بالاهداف التى تسعى هذه المنظمات لاختراقها ، وتنير الطريق أمامهم ٠

هذه المجالات الأربعة التى يهتم بها رجال مقاومة التجسس لا يمكن اعتبارها أهدافا أو أغراضا ، ولكنها تعتبر الميادين الاساسية التى يهتمون بها للحصول على المعلومات التى تساعدهم فى تنفيذ مهام عملهم ، ووضع خطتهم وتنفيذها ٠



مخابرات الدعاية

الخيال الخصب والعمل الجاد :

ليس هناك بد لنجاح عملية المعلومات من خيال خصب وعمل جاد ، ولقد قدم لنا صحفى ألمانى مثالا رائعا لفاعلية البحث وتحليل المعلومات، ولقد اشتهرت حالة بحثه فى جميع أنحاء العالم فى مارس عام ١٩٣٥ •

لقد خطف هذا الرجل ـ واسمه برثولد جاكوب ـ بواسطة عملاء البوليس السرى الالمانى من سويسرا • وكان جاكوب قد سبق أن كتب بتوسع عن الجيش الألمانى الذى كان فى ذلك الوقت يمر بمرحلة اعادة التسليح ، وكان قد نشر كتابا صغيرا قدم فيه كل التفصيلات عن هيئة أركان الحرب العامة التى أعيد تنظيمها من جديد ، كما نشر معلومات تفصيلية عن قيادات الجيش ، وعن المناطق العسكرية المختلفة ، والوحدات العسكرية التى شكلت حديثا ، وأورد بالكتاب قوائم لعدد ١٦٨ من قواد الجيش ، وصورا لتاريخ حياتهم •

وعندما أطلع هتلر على الكتاب ثار وغضب ، واستدعى الكولونيل والتر نيكولاى مستشاره فى شئون المعلومات وسأله :

« كيف تسنى لرجل واحد أن يكتشف كل هذه المعلومات ؟ وقرر نيكولاى أن يعرف الرد عن ذلك السؤال من جاكوب نفسه، فكلف عميلا اسمه هانز ويزمان بالاتصال بجاكوب وايقاعه فى فخ •

ولتنفيذ الخطة قام ويزمان ـ وكان يعيش في سويسرا ـ بانشاء دار للنشر بالقرب من الحدود الالمانية ، ومثل دور لاجيء • وأخذ يعقد صداقات مع عدد كبير من المنفيين من ألمانيا النازية ، ثم اتصل بجاكوب فى لندن ودعاه للحضور الى سويسرا لمناقشة صفقة أدبية •

وذهب جاكوب الى « باسل » ومعه زوجته واستقبله ويزمان ، وتركا مسز جاكوب فى فندق ثم ذهبا الى مطعم فاخر لتناول الغذاء • وفى أثناء الحديث الممتع بينهما اعتذر جاكوب عن ذهابه الى دورة المياه وخلال غيابه وضع ويزمان مخدرا فى كأسه • وعاد جاكوب وشرب الكأس وهو لا يشك فى شيء • وجلس ويزمان فى كرسيه يراقب جاكوب وهو ينام تحت تأثير المخدر • واعتذر ويزمان للساقى عن سكر صديقه وطلب منه مساعدته لكى يحمله معه الى عربة كانت فى الانتظار • وبعد لحظة كان جاكوب فى طريقه الى ألمانيا وبذلك نجح ويزمان فى اختطافه •

ووصل جاكوب قبل منتصف الليل بقليل الى برلين وهو يدرك تماما ما حدث • ثم سيق مباشرة الى مقر رياسة الجستابو ، واقتيد الى غرفة فى الدور الثانى حيث كان فى انتظاره لجنة من الضباط والمدنيين •

وكان على رأس اللجنة الكولونيل والدز نيكولاى ، وفى اللحظة التى دخل فيها جاكوب الغرفة ، انقض عليه نيكولاى بهذا السؤال : « اخبرنا ياهر جاكوب من أين حصلت على البيانات التى كانت أساسا لكتابك ؟ » •

وبدأ جاكوب يشرح شرحا بدا للسامعين أنه عمل باهر من أعمال المخابرات وقال « كل شيء فى كتابى جاء من تقارير نشرت فى الصحافة الالمانية ، فعندما ذكرت فى كتابى أن ماجور جنرال هاس كان الضابط القائد للوحدة السابعة عشرة وموقعها فى نورمبرج ، فاننى استقيت معلوماتى هذه من اعلان وفيات فى جريدة نورمبرج ، اذ جاء فى الجريدة أن جنرال هاس الذى قدم من نورمبرج وهو قائد الفرقة السابعة عشرة المنقولة حديثا حضر جنازة فى نورمبرج » •

واستطرد جاكوب « وجدت فى جريدة U. L. M. فقرة فى صفحة المجتمع عن حادث سعيد ، وهو زواج ابنة كولونيل فيرو للماجور ستيمرمان، ووصف فيرو فى الفقرة بأنه الضابط القائد للفرقة ٣٦ فى الوحدة ٢٥ • ووصف ماجور ستيمرمان بأنه ضابط الاشارة فى الوحدة ، وكان يحضر حفل الزواج أيضا ماجور جنرال سكالر الذى وصف فى القصة بأنه قائد الوحدة الذى كان قد قدم ـ كما قالت الجريدة ـ من شتوتجارت حيث كان مقر قيادة الوحدة » • وهكذا انتهى الاستجواب •

ولحسن حظ جاكوب كان نيكولاى يحترم عمل المعلومات الجيد وكان اعجابه بالعمل الذى قام به جاكوب السبب فى أن يعامله معاملة انسانية • هذا بالاضافة الى المجهودات الجبارة التى بذلتها زوجة جاكوب لكى تنجح فى اطلاق سراح زوجها • وصارت قضية جاكوب حادثا دبلوماسيا ، فقد طالبت سويسرا بأن تفرج ألمانيا عن جاكوب فورا • وأحس المكتب الخارجى الالمانى بالحرج وأجرى البحث عن جاكوب ، واكتشف أنه فى سجن الجستابو ، وبعد شهور أعيد جاكوب الى سويسرا حيث قص تفاصيل مغامرته •

ورفع نيكولاى تقريرا لهتلر عن نتائج بحثه « لم يكن لجاكوب شريك سوى مجلاتنا العسكرية وصحفنا اليومية • لقد أعد تقريره عن نظام المعركة Order of Battie من قطع من المعلومات اكتشفها فى اعلانات الوفيات واعلانات الزواج وغيرها » •

وأضاف نيكولاى بصوت خافت وبلهجة تدل على الاعجاب : « جاكوب هذا يعتبر أنبغ رجال المخابرات الذين صادفتهم فى حياتى التى دامت ٣٥ عاما فى هذه الخدمة » •

وبدت القضية فى أول الامر أنها سوف تتكشف عن فضيحة جاسوسية سوف تهز الجيش الالمانى ، ولكن لم يكن بها جاسوس بل كانت عبارة عن نجاح ساحق حققه رجل مدنى ممتاز كانت كل أدواته مقصا ، وزجاجة صمغ ، وملف بطاقات ، وعقلية ضابط مخابرات •

هذه القصة الطريفة قد تكون مفيدة لكل من يعمل فى ميدان المعلومات . وقد آثرنا أن نذكرها فى أول هذا الفصل حتى تكون واضحة دائما للقارىء عند بحثنا للدوافع التى يتضمنها هذا الفصل .

طبيعة مشكلة المعلومات :

كتب صن تزو فى كتابه « فن الحرب » :

« اذا عرفت العدو وعرفت نفسك ، فليس هناك ما يدعو الى أن تخاف نتائج مائة معركة . واذ عرفت نفسك ولم تعرف العدو ، فانك سوف تقاسى من هزيمة مقابل كل انتصار . واذا لم تعرف نفسك ولم تعرف العدو ، فانك أحمق وسوف تواجه الهزيمة فى كل معركة » .

ان نصيحة صن تزو لا تزال الى اليوم سليمة كعهدها منذ ٥٠٠ عام قبل الميلاد ، ومن الممكن تطبيقها على مجـال الاتصالات الدولية . والحرب النفسية والدبلوماسية ، والحرب التقليدية .

وتعتمد الحرب النفسية على المعلومات الموجودة فى كل نواحى عملياتها . وبدون معرفة حديثة بقدرة المرء ، وادراك متعاطف واقعى بآمال الاشـخاص وأمانيهم وتواريخهم السياسية والاجتماعية والثقافية، فانه من المؤكد أن مجهودات الحرب النفسية التى توجه لهم سوف تبوء بعدم التوفيق . وكلما ازدادت معرفة المرء بالناس الذين يوجه لهم نداء الدعاية ازداد أثر هذا الشخص على هؤلاء الناس وعلى سلوكهم وآرائهم ، وعن طريق هذا يؤثر على أنماط سلوكهم .

ومن الممكن أن نعرف « معلومات » الحرب النفسية بأنها المجموعة من المعرفة الناتجة من الجمع ، والتقييم ، والمقارنات ، والتفسير ، وذلك فيما يتعلق بالآراء ، والاتجاهات ، والمعتقدات ، والاحساسات ، وأنماط السلوك المنطقى، وغير المنطقى، التى قد تميز جماعة ما يأمل المرء أن يؤثر فيها عن طريق نداءات الدعاية والأجهزة الاخرى .

احتياجات المعلومات :

وهذا النوع من البيانات Data الذى يتعلق بأهداف الحرب النفسية، والذى يطلق عليه كلمة « معلومات » مطلوب لاغراض ثلاثة رئيسية فى عمليات الحرب النفسية :

١ ـ فهى تساعد المخططين من اعداد خطط واقعية صالحة تقوم على التعرف على خطط العدو ومواقفه ٠

٢ ـ وتمد القائمين بالتنفيذ بمادة من الممكن استخدامها فى انتاج الدعاية ٠

٣ ـ وتمكن أخيرا الذين يعملون فى ميدان الحرب النفسية من تقييم فاعلية العمليات السابقة ٠

المعلومات من أجل التخطيط :

ان أهم وظيفة للمعلومات بل أكثرها أهمية فى عمليات الحرب النفسية هى الوفاء بحاجات التخطيط ٠ فسواء أكان من يعمل بميدان الحرب النفسية موجودا فى وحدة عسكرية فى الخطوط الاولى من منطقة القتال ، أو فى قيادة استراتيجية بعيدة كل البعد عن الناس الذين توجه اليهم مجهودات الحرب النفسية ، فان هذا الشخص سوف يحتاج الى بيانات عن الجماهير التى توجه اليها الحرب النفسية ٠ ويطلق على عملية جمع المعلومات ، وتحليلها ونشرها الى أشخاص من الممكن أن يستخدموها ـ اصطلاح « تحليل الهدف » ٠

« وتحليل الهدف » يعنى الفحص الدقيق ، أو التقييم لكل البيانات المطابقة المتوافرة التى تتعلق بالجماعات أهداف الحرب النفسية ، ويدخل فيه الظروف العسكرية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية التى قد تؤثر على الاستعدادات النفسية ، والايديولوجية ، السابقة لهذه الجماعات ٠

والغرض من وراء جمع هذه البيانات وتقييمها هو التأكد من نواحى ضعف نفسية يمكن توجيه هجوم نفسى عليها بوسائل ملائمة • واذا كان العامل فى ميدان الحرب النفسية مسئولا فقط عن جمع المعلومات وتقديرها لاستخدامها فى مناطق اهتمام ضيقة كجبهة قتال ، فان البنود الرئيسية للاهتمام سوف تتضمن ما يأتى :

١ ـ سلوك القوات والضباط فى معسكر الاعداء ازاء الصراع القائم ، ودرجة اشتراكهم الشخصى فيه ، والظروف التى يجبرون فى ظلها أن يخوضوا المعارك •

٢ ـ سلوك الضباط والرجال تجاه حكومتهم القومية ، وقادتهم وأى جماعات أو دول متحالفة معهم فى الكفاح المشترك •

٣ ـ معلومات مفصلة لتاريخ حياة الأشخاص ويشمل ذلك قادة العدو فى الميدان ، وكذا الضباط الموجودين من القوات الصديقة عبر خط القتال مباشرة •

أما فى عمليات الدعاية الاستراتيجية ذات المستويات العالية فان احتياجات المعلومات تتطلب سمة فنية من أولئك الذين يعدونها أو يستخدمونها ، وهذه البيانات اللازمة لأغراض التخطيط تضم :

١ ـ بيانات خاصة بحجم أو « تكوين » جماعة معينة تكون هدف الحرب النفسية ، وكذا معلومات عن ايديولوجيتها واستعداداتها وميولها السابقة نحو ذلك •

٢ ـ بيانات تدل على الاشخاص والقوى التى تؤثر فى الجماعة ، وأسباب هذا التأثير وقدره فى المنطقة الهدف ، ومن هم الأشخاص الذين يجب مخاطبتهم فى اتصالات الحرب النفسية •

تحليل الهدف :

وبالرغم من أن التجارب السابقة أثبتت أهمية الحاجة الى تحليل الهدف، فان الاجابة عن احتياجات هذا التحليل التى تتطلب معلومات لا حد لها ليست بالشيء السهل الذى يمكن تنفيذه بطريقة مرضية دائما ٠

ولقد طور محللو العلم الاجتماعى منذ الحرب العالمية الثانية تكنيكات وطرقا لتحليل الهدف ، وقد نتوقع تطويرا وتحسينا أكثر من ذلك فى المستقبل ٠

على أنه فى هذا التطوير يجب أن تقوم التحليلات على فهم للعلاقات القائمة بين الأنظمة السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية للمنطقة ، وطرق الاتصالات بين الاشخاص كأفراد ، وبين الجماعات كمجموعة ، وبين القوى المحركة المحتملة التى تؤدى الى تغيرات فى الاتجاهات والسلوك من جانب الافراد والجماعات ٠

وفى المرحلة الحالية لتطور العلوم الاجتماعية ، يكون من السذاجة أن نصر على طريقة معالجة واحدة أو اسلوب واحد فى تحليل الهدف ٠ فكل جماعة « هدف » للحرب النفسية تتطلب اعتبارات خاصة ، وهذا يتطلب تعديلات فى الاسلوب أو المنهاج ٠

وعلى سبيل المثال جاءت البيانات اللازمة عن العدو لتحليل الهدف فى أثناء الحرب العالمية الثانية من مصادر ثلاثة :

- تقارير استجواب أسرى الحرب ٠
- الوثائق التى ضبطت ، والبريد الذى وقع فى أيدى الجانب الآخر ، ومطبوعات العدو الدورية التى احتفظ بها فى البلاد « المحايدة » ٠
- تقارير اذاعات العدو ٠

وعند مناقشة المصادر التى نحصل بها على بيانات رئيسية من أجل تحليل الهدف ، جدير بنا أن نذكر مصدرين آخرين هما : استفتاءات الرأى العام ، والدراسات الاساسية التفصيلية التى تجرى على منطقة أو دولة ٠

على أننا نرجو قبل أن ننتقل الى شرح التكنيك الحرفى لتحليل الهدف أن نشير الى أثر التحليل السليم أو الخاطىء على التخطيط ٠

ففى دراسة جويل بريمان لحرب الدعاية اليابانية الموجهة للولايات المتحدة صورة صحيحة توضح الاثر البالغ لتحليل الهدف حينما يكون تحليلا خاطئا ، أو غير تام ، أو قديما جدا ٠

لقد حلل بريمان محتويات عدد من الاذاعات اليابانية على الموجة القصيرة الموجهة للولايات المتحدة فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وعن طريق مثل هذه التحليلات استطاع بريمان أن يبنى من جديد تقدير معلومات الدعاية اليابانية للظروف التى كانت سائدة فى الولايات المتحدة خلال الحرب ٠ وظهر من هذه الدراسة أن مخطط الدعاية اليابانى لم تكن لديه صورة دقيقة عن الاحداث والقوى المحركة فى أمريكا ، ولذلك فان معظم مجهودات الاذاعة اليابانية لم تصب الهدف المحدد ٠

وخلال الحرب العالمية الثانية أعد طبيب نفسى بريطانى دكتور ه٠ف ديكس عددا من التقارير المفيدة جدا لقسم الحرب النفسية الانجليزية الامريكية فى القيادة العليا للحلفاء ٠ ولقد استطاع دكتور ديكس بفضل معرفته وفهمه للغة الالمانية والشعب الالمانى والثقافة الالمانية ، أن يدخل معتقلات أسرى الحرب متنكرا فى زى فاعل خير ، وأن يستجوب الجنود النازيين الأسرى من غير أن يعرفوا شخصيته الحقيقية ، أو أغراضه من دخول السياج الحصين ، وتمكن من أن يستطلع بفراسته اتجاهات جديدة فى كيانهم النفسى ، وأن يعرف العوامل الرئيسية التى دفعتهم لهذا السلوك ٠

واستطاع أطباء نفسيون ، وعلماء نفس ، واخصائيون في علم الأجناس أن يطوروا وينقحوا في نصوص أخرى الطرق التي استخدمها دكتور ديكس وزملاؤه في وقت الحرب ـ من تحليل الخلق الالماني • وتضمنت الطرق اجراء عـدد من المحادثات غير الرسمية، والمقابلات الشخصية الممتدة مع مساجين من رتب مختلفة. ودرست الوثائق المضبوطة المناسبة ، وأجريت محادثات استطلاعية مع رؤساء قسم المخابرات والقائمين على الاستجواب بغرض تفهم أنماط الخلق النازى • وكانت نتيجة الاساليب المختلفة بحثا تركيبيا جديدا لبيانات المعلومات الموجودة التى تؤدى الى تشخيص جديد للجندى الالمانى ، وهو الهدف الاول لمجهودات الحرب النفسية الانجليزية ـ الامريكية المشتركة •

الأنباء كمعلومات :

ان رجل الدعاية الذى لا يستطيع أن يوصل الى العدو تلك الانواع من المعلومات التى تستهدف تمزيق وحدته ، والتى تجعل تقديراته وتوقعاته مرتبطة بهذه المعلومات ، لا يكون قد أدى مهمته على أكمل وجه• ورجل الدعاية لا يستطيع أن يفعل هذا بواسطة اسطوانات الموسيقى ، أو المحاضرات الثقافية أو السياحية بغض النظر عن مدى جمال الموسيقى أو طرافة المحاضرات • انه يجب أن يتحول بكل جهده الى أول سلاح للدعاية ونعنى « سلاح الانباء » •

ورجل الدعاية المحترف ليس بصحفي حتى ولو كان أصل صناعته الصحافة، فهو يتحدث باسم جيش أو باسم حكومة ، كما أن كل ما يتلفظ به له مسئوليته الرسمية • وهو يجب أن يكون دقيقا فى توقيت دعايته ، أى تصدر فى موعد محدد مهما كانت وسيلة الاعلام المستخدمة ، وهذا شبه ما يحدث فى صحافة أيام السلم التى لا تتأخر عن الصدور فى موعدها المحدد ، ولكنه فى نفس الوقت يجب أن يكون حريصا حرص مندوب صحفى حكومى • وهو فى الواقع تتجاذبه مسئوليتان : مسئولية نحو عمله فى الدعاية وذلك يتطلب منه الحصول على معلومات طريفة يبعث بها عن طريق الاذاعة ، أو عن طريق النشرات الى العدو بسرعة ،

ومسئولية تجاه السياسات الرسمية لحكومته • وهذا يلزمه بألا ينشر أو يذيع شيئا غير مؤكد أو يكون ضارا بوطنه أو حكومته •

ومصادر الانباء كثيرة متعددة ، فمثلا تحتوى التقارير عن العمليات الواردة من الميدان على مواد فى غاية الطرافة والاهمية للعدو ، ولكن هناك أسبابا واضحة تحول دون وصــول مثل هذه المعلومات لرجال الدعاية لانهم يفكرون أولا فى المستمع ، ثم يفكرون بعد ذلك فى موضوع الأمن • وهنا يلعب التعارض بين الأمن والدعاية دورا كبيرا فى حجب الكثير من المعلومات الطريفة والهامة عن رجل الدعاية •

وفى البلاد المتقدمة تقوم الهيئات العاملة فى الصحافة والاذاعة بالاعمال المألوفة فى الانباء ، والعادة أنها تقوم بعملها أفضل مما يقوم به موظف هاو فى خدمة الحكومة •

والواقع أن طبيعة الانباء لا تتأثر بالتصنيف الذى يحدد درجة سريتها ، والفرق بين الانباء التى تصدرها الهيئات الحكومية وتلك التى تصدرها الهيئات التى تعمل فى ميدان الأنباء خارج الحكومة هو أن الأخير أفضل من ناحية الطابع المهنى أى طابع الحرفة •

أما من ناحية اجتذاب الانتباه فانه يجب أن تنافس المعلومات التى تستخدم فى عمل الدعاية ما ينشر بالصحف الكبيرة فى بلاد العــدو ، اذ يجب أن تكون حديثة جيدة الاعداد موثوقا بها ، فليس من محل فى الدعاية للكذب أو الهزل أو السخرية بأكثر مما قد يكون فى صحيفة من الدرجة الاولى ، وحتى اذا ظهرت مبالغات أو توافه فى الصحف التجارية فان رجل الدعاية يجب أن يعتبر نفسه أركان حرب للعمليات ، وظيفته أن يرسل للعدو الأنباء ذات الفاعلية التى لها تأثير سيىء عليه ، ولكنها يجب أن تشير الى كل موضوع هام يستحق الذكر ، وأن يكون هذا فى شكل مستساغ مقبول •

ولكن هناك مسألة تستحق الذكر هنا ، وهى أن فى العقل البشرى ناحية خداعة قد تعاون كل رجال الدعاية على ارسال الانباء التى يجب أن يكون لها تأثير سيىء • اذ يكمن فى داخلية أغلب الناس جزء من الميل نحو اللامسئولية ، وهذا يجعل الأنباء السيئة لهم أكثر طرافة من الأنباء الجيدة، فهم يتوقون للأنباء السيئة، ويميلون الى نشرها وتناقلها ، وهى تزيد من حدة التوتر فى الفرد منهم وتزيد اهتمامه بالاشياء ، على حين ترفع الانباء الجيدة عن كاهل الفرد التوتر والقلق •

ويستطيع رجل الدعاية أن يحصل على الانباء من مختلف المصادر باشتراكه فى كل الاجهزة التى تشتغل بالانباء ، مثل الصحف ، شركات الانباء ، أجهزة التيكر « الانباء بالبرق » وغير ذلك ، أما فى الميدان فان ضابط الدعاية يستطيع أن يسترق الأنباء عن طريق التقاط اذاعات الأنباء من وطنه ، أو من دول الحلفاء •

تواؤم المعلومات مع الموقف :

وتحتاج بعض مواد الدعاية البيضاء وكل مواد الدعاية السوداء ، الى أن تكتب بحيث تتواءم مع ما يطالعه العدو ، أو يستمع اليه ، أو يتحدث عنه فى وطنه • واستخدام لغة عامية قديمة مهجورة ، أو فكاهة قديمة مبتذلة ، أو اشارة الى رجل عظيم باعتباره حيا مع كونه مات منــذ سنوات طوال ، ونقص تفهم الاحــوال والظروف وألوان القلق التى يعيش فى ضوئها المستمعين •• كل هــذا يفسد برنامج الاذاعة • ومن ثم فان رجل الدعاية الاذاعية يجب أن يعيش فى العصر والظروف التى يعيش فيها المستمعون لاذاعاته •

ولما كان غير معقول أن يتحرك رجل الدعاية بحرية بين وطن العدو ، وبين محطة الاذاعة التى يعمل فيها كان من الضرورى أن يكون على صلة بسير الأمور فى بلاد العدو حتى أقرب دقيقة ، والا فانه يفقد فاعليته ، ويصبح متحدثا عن أشياء قديمة لا تأثير لها على الموقف الذى يحاول التأثير فيه •

على أنه ليس من الصعب أن يكون رجل الدعاية دائم الصلة ببلاد العدو وذلك عن طريق أحدث المطبوعات التى يصدرها العدو ، أو عن طريق استجوابات الاسرى أو المدنيين الأعداء ، أو عن طريق تحليل اذاعات العدو لمواطنيه •

وعلى سبيل المثال أخطأ النازيون بافتراضهم أن دعاة العزلة فى الولايات المتحدة استمروا على حالهم بعد عملية « بيرل هاربر » • وقد يكون الالمان على صواب فى افتراضهم بوجود كثير من الناس يبدون مشاعر معادية لروزفلت ، كما كان هناك الكثيرون ممن لا يريدون تدخل الولايات المتحدة دوليا • ولكن الألمان أخطأوا فى استخدام لغة منتصف عام ١٩٤١ فى منتصف عام ١٩٤٢ لأنه حدث تغيير جوهرى فى الشعب الامريكى بعد بيرل هاربر وتعرف الى آراء جديدة ومعتقدات أخرى ، ولذا فقد بدا الالمان فى أعين الناس جهلة لا يعرفون مجريات الأمور ، ولم يكسبوا أنصارا لدعايتهم •

لقد كان ينقصهم عنصر الملاءمة ، وكان فى قدرتهم أن يتغلبوا على ذلك بشراء أحدث المطبوعات الامريكية من لشبونة والقيام بدراستها للتعرف على سير الامور بين الشعب الامريكى •

التعرف على خطط العدو ومواقفه :

للدعاية طبعها الذى لا معدى عنه ، والذى يظهر تدريجيا واضحا تماما للقائم بتحليل الدعاية ، فاذا كان حريصا أريبا يعنى بدقة الحكم فى تقدير قيمة المهام الخاصة ، فسيجد أن ملفاته تزخر بأهداف مباشرة ، وأهداف طويلة المدى للعدو • ويصبح هذا مستطاعا فقط حينما يكون ثمة مادة كافية هى حصيلة انتاج فترة زمنية مناسبة • وهذه المادة تعطى بيانا كاملا عن الاغراض المحتملة لدعاية العدو للمدة التى تغطيها المادة المتوافرة للقائم بالتحليل •

على أنه يمكن ملاحظة هدف الدعاية وقصدها بالصورة التى يمكن بها ملاحظة العمل والاجراء الذى يقوم به العدو ، كما أنه من الممكن عن طريق الدعاية التى

يطلقها العدو أن نتوقع وننتظر الاجراء الذى سيقوم به ، دون حساب للمدى الزمنى الذى يمكن أن يتم الاجراء فيه • واذا ما تقرر الاجراء ، فانه يمكن تعقب العلاقة بين موضوعات الدعاية الاخرى ، وبين هذا الاجراء •

والواقع أن أى اجراء فى الحرب يستهدف الاضرار بالعدو من ضربات توجه ضد انتاجه الى اثارة للفزع بين مواطنيه ، ومن ايجاد مشاعر عدم ثقة بين قراء صحفه والمستمعين لاذاعتـه الى خلق تفكك لوحـدة الزعامة السياسية فى بلده مما يوجد توقفا فى الحركة العامة فى البلاد •• وهكذا ، أما الاجراء فى وقت السلم أو فى الفترة السابقة للعمليات ، فانه يستهدف القضاء على طاقة استمرار الحرب أى أنه يوجه ضد الحرب نفسها •

تقدير موقف دعاية العدو :

وبالاضافة الى عرض صورة أهداف العدو وتقدير الوسائل السيكولوجية التى تعتبر مفيدة لتحقيق هذه الأهداف ، فان لتحليل الدعاية فائدته فى عرض موقف دعاية العدو ، فالعدو يتجنب بعض الموضوعات المعينة لانه يجد لزاما عليه أن يفعل هذا ، ثم هو يتحدث عن موضوعات أخرى لان الظروف ترغمه على أن يفعل هذا •

فمثلا ، لو حدث أن توقف الالمان فى أثناء الحرب العالمية الثانية عن ترديد الدعاية ضد ما يستهلكه اليهود فى ألمانيا من مواد غذائية أولى بها أفراد الشعب الالمانى المحارب ، لكان معنى هذا أنه اما أن يكون الشعب الالمانى قد شبع من الدعاية ضد السامية ، واما كرأى تبادلى ، ان السلطات النازية ألغت بطاقات التموين لليهود وتركتهم يتضورون جوعا • ولو اتبع الألمان هذا بتصريح عن سوء محصول الشعير لكان من الممكن أن يعنى هذا أنهم يعـدون الناحية الانسانية والمشاعر العاطفية فى مستمعيهم لتقبل التصريح بتضور اليهود جوعا •

ويمكن فى الأغلب تقدير معنويات العدو عن طريق تحليل الدعاية قبل أن يمكن الحصول على وصف هذه المعنويات بوساطة شاهد عيان ، وهنا عدة ملاحظات قد يكون لها تقديرها عند التحليل ، فاغفال الهجوم على معتقدات الناس مثلا قد يدل على أن المشكلة الدينية صارت حساسة ، والتحدث عن الاطفال قد يدل على حقيقة شكوى الآباء من المدارس التى لا تتوافر فيها معدات الدراسة مع سوء الغذاء أو عدم تيسر الرعاية الطبية ، كما أن اللهجة الهادئة فى الدعاية تدل على أن الروح المعنوية عالية • وعموما فان الروح المعنوية السيئة تظهر من النقيضين المتطرفين : الصمت المطبق ، أو الحدة البالغة •

تحليل الدعاية Propanal كمصدر للمخابرات :

يمكن أن تخدم تحليلات الدعاية ـ أو على ما يقال لها اختصارا Propanal على أنها مصدر قيم للمخابرات حتى وان لم تكن مرتبطة مباشرة مع عمليات الدعاية المضادة ، والعدو يجب ـ لكى يجتذب الانتباه للدعاية ـ أن يقدم بعض الأنباء وبعض التعليقات التى تدل على اتجاهات رأيه ، كما يقدم بعض المواد الترويحية والترفيهية •

والمحتويات العرضية للدعاية فضلا عن تكوينها هى فى حد ذاتها مادة صالحة للدراسة ، فاذا كان خبر نشراته رديئا مثلا والورق سيئا واللغة ركيكة كان معنى هذا أن العدو يحس نقصا فى المواد والافراد ، واذا تفاخر العدو بانتصاراته فانه قد يكشف عن تسمياته لبعض المناطق وبذلك يعاون الجانب الآخر فى اعداد خرائط القتال ، واذا ما ذكر أسماء الابطال فانه قد يكشف عن تنظيم المعركة وتوزيع قواته ، واذا ما قدم حديثا ضافيا عن موقفه الاقتصادى فانه يسد الثغرات الموجودة فى الاحصائيات حتى ولو كانت الارقام مزيفة • وهذه يجب أن تزيف عن قصد ، ولكن يمكن استخدامها الى جانب غيرها لاعداد التقديرات •

ولا يماثل المخلوق البشرى فى الحذق والذكاء الا مخلوق بشرى آخر ، وما يحاول رجل ما أن يحققه عن طريق الخداع والتضليل يستطيع رجل آخر أن يتصوره ويتخيله • كما أن مواد الدعاية تمتلىء بالمعلومات عن العدو ، وعن رأيه فى نفسه ، وعن رأيه فيك ، وحالته الفكرية ، وتوزيعه لقواته ، وتنظيمه للمعركة ، ونظامه الاقتصادى وكل ما عدا هذا •

ولقد أبقت الحكومة اليابانية الولايات المتحدة طوال الحرب الاخيرة على دراية تامة بالاحوال التى تسودها ، اذ كانت تذيع لها بالانجليزية التغييرات التى تحدث فى الوزراء وكبار الموظفين فى الحكومة مما أعطى الولايات المتحدة فكرة جيدة عن الموقف السياسى دائما • ويبدو أن مجلس المعلومات الامبراطورى Joho Kyoku قد افترض أنه لا فائدة من اخفاء هذه التغييرات لفترة طويلة، ووازن بين اتجاهين، ورأى أن مثل هذه المعلومات ستجعل رجال الصحافة الامريكيين والموظفين والضباط الأمريكيين وغيرهم يطالعون وينصتون لمواد الدعاية للحصول على الحقائق •

وبالاضافة الى ذلك فان الامداد المباشر بالأنباء غير الممتزجة بغيرها وبالمعلومات المستنبطة من دعاية العدو فى وقت الحرب أو فى أوقات الازمات ، يقدم دليلا ومرشدا يوضح استراتيجية العدو •

ففى عام ١٩٤١ / ١٩٤٢ بدأت الاذاعة اليابانية فى اذاعتها باللغة اليابانية، وباللغات الاجنبية تبرز اهتماما بجزر كريسماس على أنها ذات أهمية من ناحية الاستراتيجية البحرية ، وقد تبع هذا أن احتلت القوات المسلحة اليابانية تلك الجزيرة ، ولقد سر اليابانيون عندما عرفوا من اذاعاتهم أنه قد تم الاستيلاء على هذا الموقع الاستراتيجى الهام • والواقع أن جزيرة كريسماس لم تكن بالاهمية التى صورتها لها الاذاعة اليابانية ، ولكن الشىء الهام هو أن الاذاعة اليابانية قد تحدثت عنها سابقة للزمن ، فأعطت للحلفاء بذلك انذارا مبكرا باعتزام اليابان احتلالها •

وقد يسبق توقع العدو للهزيمة استهانته بأهمية المنطقة التى ستحدث فيها الهزيمة ، أو قد يسبق هذا أن يوصف للمستمين فى الجبهة الداخلية القوة الكبيرة التى للعدو فى تلك المنطقة · على أنه يمكن ـ اذا ما توافر للعدو وعى للأمن ـ أن ندرك أن شيئا ما وراء صمته المطبق بالنسبة لموضوع معين ، ولا شك أنه كان غريبا أن يتوقف الامريكيون تماما عن التحدث عن انشطار الذرة فى الوقت الذى لم يكن يمر شهر فيه خلال السنوات التى سبقت الحرب العالمية الثانية دون أن تنشر صحف نيويورك مقالات عن هذا الموضوع ·

وقد تزعم الدولة التى تعد عدتها لتوجيه ضربة قوية فى منطقة ما أن العدو يعد العدة للاعتداء ، وقد تطلق الدولة التى تجمع أمرها على نقض السلم ، دعاية عجاجة صياحه محاولة أن تجعل المستمعين يلقون بالمسئولية على الدولة التى ستكون ضحية للاعتداء ، وعلى سبيل المثال كان هتلر يتحدث عن حبه لحياد النرويج عندما وجه اليها ضربته زاعما أنه فعل هذا لحمايتها من الانجليز ·

الواقع أنه لا توجد قواعد ثابتة لكل الحروب ولكل المقاتلين ، فلقد عمل الالمان على أساس طابع معين وعمل اليابانيون بطابع آخر غيره ·

وعلى سبيل المثال حرصت القيادة الألمانية العليا على أن تتجنب التفاخر أو التباهى بما لا تستطيع أن تحققه فعلا ، وكان الالمان يوجهون ضربتهم دون أى انذار أو تحذير ، ولم يقولوا قط انهم سيوجهون ضربة ما عندما كانوا يعتقدون أنهم لا يستطيعون القيام بهذا·ولقد أعد الانجليز والامريكيون جدولا زمنيا لهذا ، وكان فى استطاعتهم أن يقدروا عن حدس السرعة التى يظن الألمان أنهم سيتقدمون بها فى داخل الاراضى السوفييتية ، وعلى أساس هذه المعرفة وضع الانجليز والأمريكيون خطتهم لدعايتهم كعامل مضاد للمباهاة والتفاخر من جانب الآلمان ، وحاولوا أن يثبتوا أن الالمان لن يستطيعوا الاستيلاء عليها ، وذلك ليوضحوا لشعوب أوروبا أن ألمانيا النازية قد ازدردت ما لا تستطيع أن تهضمه ·

ولقد تذكر الحلفاء فيما بعد هذه العادة الالمانية عندما بدأت الاذاعة الالمانية تتحدث عن أسلحتهم السرية ، وعندما بدأت بريطانيا تقذف « روافع » Ramps

الصواريخ ف ـ ١ على الساحل الفرنسى بالقنابل صمتت الاذاعة الألمانية عن هذه الأحاديث ، ومن ثم توافرت للانجليز فرصة للتأكد من أن هذه الروافع التى حطموها كانت جزءا من الأسلحة السرية التى تفاخر الألمان بالحديث عنها ٠

وسرعان ما عرف الانجليز أن الالمان قد يحاولون العمل ضد التأثير السيكولوجى لاعلان الحلفاء عن « يوم الغزو » D - Day لقلعة هتلر الاوروبية باذاعة أنباء براقة من جانبهم ، وعندما عاد الالمان الى ذكر الاسلحة السرية شك الانجليز فى أن الالمان قد أصلحوا التلف الذى سببوه لآلات اطلاق الصواريخ ٠

وجاء يوم الغزو وفى اذاعة واحدة أراد الألمان أن يؤثروا فى اليابانيين والصينيين ، فأعلنوا أن عمليات الأسلحة السرية تكاد تبدأ ، وأن الكثير من الأسلحة السرية ستستخدم الواحد تلو الآخر ٠ وبعد يوم واحد أصاب أول صاروخ ف ـ ١ مدينة لندن ٠

ولكى يمكن تعقب هذا اللون من الدعاية يحسن اعداد لوحة لرسم بيانى لفترة مدتها ثلاثة شهور ، وتختار بعض الموضوعات البارزة ٠ وعلى مثال ما يجرى فى الرسوم البيانية يكون لكل موضوع لون خاص فى اللوحة ، وترسم الخطوط على اللوحة لبيان عدد المرات التى يذكر فيها كل من هذه الموضوعات فى اذاعات العدو ، وتكفى اذ ذاك نظرة الى اللوحة لبيان سير اهتمام العدو بكل من هذه الموضوعات فى مدة زمنية محددة ضمن المدة التى يغطيها الرسم البيانى ٠

ومن الممكن أن يشتمل هذا الرسم البيانى على عدد الكلمات التى يعرض بها العدو لكل من هذه الموضوعات الرئيسية ، وكذلك المساحة التى يخصصها فى صحفه لكل منها ٠

وقد أعد بول لاينبارجر لوحة تقدم سير دعاية الالمان عن ثلاثة موضوعات رئيسية هى « الغذاء » و « الحرب البحرية » و « الاسلحة السرية » فى المدة من أول يناير سنة ١٩٤٤ حتى الثلاثين من يونيو من نفس السنة ، وقسم المدة

الزمنية الى فترات كل منها عشرة أيام ، ودلت اللوحة على أن الالمان استمروا يتحدثون عن الامداد بالغذاء وعن الحرب البحرية حتى منتصف شهر مارس على أساس افتراضهم أن سفنهم ستجيء بمزيد من الغذاء • وفى مايو عندما اعترف الالمان أنفسهم بالموقف البحرى السيىء أسقطت الحرب البحرية من حسابهم ولم يذكر عنها شيء قط ، واستمر الامداد بالغذاء يذكر باعتدال نظرا لأنهم راحوا يتحدثون عن صعاب أخرى ، ولكن الألمان عندما شعروا بالحاجة الى شيء جديد يشعل الحماس ، ويشجع المستمعين فى الجبهة الداخلية ـ بدأوا يتحدثون عن الأسلحة السرية •

وسواء أكانت هناك أسلحة سرية أم لم تكن ، فان الامر كان يتوقف على مظهر السلوك القومى ، ولقد زعم كل من الألمان واليابانيين أن لديهم الكثير من الأسلحة السرية التى يعدونها ـ والتى سوف تهز العالم ، وأطلقوا فعلا بعض الأسلحة السرية ، أما اليابانيون فلم يكشفوا عن شيء حتى انتهت الحرب •

على أنه اذا أعدت مثل هذه اللوحات الاحصائية عن دعايتنا ، وقورنت باللوحات الخاصة بدعاية العدو ، فانها تبين كيف استطعنا أن نرغم العدو على أن يتحدث عن شيء لم يكن يود أن يخوض فيه •

ويمكن اعداد مثل هذا الفحص الاحصائى بطريقة فعالة اذا احتفظ للعدو بسجلات تقيد بها دعايته ، واتجاهاته ، والموضوعات التى تعرض لها ، مع اعداد ملف لكل من الموضوعات الهامة ، ومع تقييد الوقت الذى يخصص للحديث عن كل من هذه الموضوعات ، والمساحات التى يغطيها فى مواد الدعاية المطبوعة وذلك بالنسبة للفترة الزمنية موضع الفحص •

ولهذه المادة الاحصائية نفعها فى تحليل الدعاية ، ولا يمكن تجاهل قيمتها بالنسبة للحرب النفسية • فمن جهة تنخل المعلومات العادية عن الدعاية ، ومن جهة أخرى تجمع المعلومات ذات القيمة لرجال المخابرات لاستخدامها بدورهم ، ثم الى جانب هذا تعد التحليلات اللازمة لاغراض الحرب النفسية •

[illegible]

وسؤال « ماذا تظن أنك تظن ؟ » يبدو سخيفا ، ولكى يكون هذا السؤال مفيدا يجب أن يتجه الى التخصيص ، كأن تقول : « ماذا تظن فى سعر معطف جديد ؟ » و « ماذا تظن فيما تتناول من أجر ، وهل هو كاف ؟ » •

ان ما يفكر فيه شخص ما « رأيه » له صلة عملية بما يقوم به ، وفى الحياة العملية يكون لرأى الشخص تأثيرة لانه جزء من رأى الجماعة •

ويقول لاينبـارجر « ان بعض الجماعـات تتكون بسبب اشتراكها فى رأى واحد دون أى عامل مشترك آخر ، ففى الاجتماع الدينى تجد مدير البنك يجلس الى جانب المرأة التى تحمل له الفحم الذى يستخدم فى مدفأته . ان أغلب الجماعات تتكون بحيث تضم أناسا من نوع واحد (زنوج مثلا) ، أو تضم أناسا يعملون فى مهنة واحدة ، كما تتكون بعض الجماعات على أساس ما يملكه أعضاؤها (ملاك أراض ، أصحاب عمارات) ، والمجتمع العملى يجعل الجماعة ذات رأى واحد نظرا لابرازه المشكلات التى يظن أنهم جميعـا يواجهونهـا ولهـا تأثير على مصـلحتهم المشتركة ، وهذه الجماعات ليست (جماعات رأى) فحسب بل هى (جمـاعات مصالح) ، وهذه الجماعات ذات الطابع الجماعى والتى تجمع بينها حرفه واحدة أو مصلحة مشتركة هى التى تحاول الدعاية اثارتها وتحريكها ضد بعضها بعض مع العمل لادراك هذا الهدف بكل وسيلة مستطاعة •

ولا ينبغى أن يعتقد رجل الدعاية أنه نظرا لوجود جماعات مختلفة فى المجتمع يكون هذا مصدرا للضعف أو سببا للانقسام ، فلا يقف العمال دائما موقف التضاد من المؤسسات التى يعملون بها ، ولا يقف كبار السن دائما ضد الشباب، ولا النساء ضد الرجال ، ولا بحارة السفن ضـد رجال السكك الحديدية • وفى المجتمع الجيد التوجيه يكون للجماعات مصالحها الخاصة الى مدى محدود ولأغراض معينة ، ورجال السكك الحديدية ليسوا دائمـا أعـداء لسـيارات نقـل الركاب ولا لشركات الطيران ، ولكنهم أحيانا يفقدون عقولهم ويظهرون استياءهم ضـد شركات التأمين عندما يختلفون مع هذه الشركات على تقديراتها للتعويضات » •

ورجل الدعاية الضعيف هو الذى يحاول التدخل فى كل خلاف بين الجماعات ، بل يحاول التدخل مع عدم وجود أى خلاف ، ولكن الدعاية الحكيمة هى التى تتخير « الموضوعات الجماعية » المستحكمة بالقدر الذى يجعلها لا تستطيع معه العزوف عن تقبل معاونة صغيرة من الخارج ٠

فاذا ما كانت هذه المعاونة من الخارج مثلها مثل « قبلة الموت » للجماعة التى تتقبل المعاونة ، كان من الواضح هنا أن الدعاية المستخدمة هى «الدعاية السوداء» لا « الدعاية البيضاء » ، وعلى أية حال فان الاستخدام الحكيم المعقول للمعلومات هو العامل الأول فى محاولة « المعالجة السيكولوجية » لجماعة العدو ٠

الاستفتاء :

يمكن أن يقدم تحليل الرأى منظرا جانبيا للرأى العام للعدو ، وللحصول على هذا المنظر الجانبى أبدأ العمل على نحو ما تعمل عند تجميع سلخات الخرائط التى تلتقطها آلات التصوير الجوى ٠ قسم كل بلاد العدو الى جماعات أساسية حسب النسبة المئوية لمجموعات السكان ، تخير هذه الجماعات التى يهمك التحدث اليها ، ولو توافر لك عدد من الانصار الموالين أرسلهم الى بلاد العدو ليسألوا مواطنى العدو سؤالا واحدا معينا تضعه لهم ، على أن يوضع محل الاعتبار التمثيل النسبى للجماعات المختلفة داخل أرض الهدف ، وكذا توزيع السكان بين الحضر والريف ، والقوى السياسية التى لها تأثير على شعب الاعداء ٠

ولا ينبغى أن يوجه السؤال للجميع بشكل واحد ، ولكنه يجب أن يتضمن كل التفاصيل ، وتستطيع أن تستكمل نتائج الاستفتاء عندما يعود مندوبوك ، فاذا لم يكن لديك هؤلاء المندوبون تستطيع أن تحصل على هذه النسبة من كتب المراجع ٠ وحاول أن تقدر عدد الجماعات التى تشعر بمرارة بالنسبة لموضوع خاص ، ومن ثم تتوافر لك القاعدة التى تبدأ منها عملك ٠

الاستجواب :

وعندما تقوم بعملية استجواب الاسرى فان الطريقة المثالية أن تعمل للحصول منهم على معلومات معنوية الى جانب المعلومات العسكرية ، فلا ينبغى أن تستهدف الاسئلة مثلا معرفة الى أى مدى يعتقد الاسير فى وجود الله ، أو ما رأيه فى زعمائه وفى بلاده ، بل يجب أن تسأله عن الاشياء التى يهتم بها الاسير نفسه :

- اسأله عما اذا كانت زوجته قد كتبت لـه عن أن لدى أطفالـه الغطاء والغذاء الكافى ٠
- اسأله عن خدمة البريد ٠
- اسأله أيشعر بقلق من احتمال أن يشغل أحد عمله السابق الذى كان يقوم به ٠
- اسأله عن الغذاء ٠
- اسأله هل يعامله ضباط الصف معاملة حسنة ٠
- اسأله كم يدخر من مرتبه ٠
- اسأله هـل يظن أن بعض النـاس فى أرض الوطن يكسـبون الكثير من المال ٠

وتذكر أن بعض الافراد عندما يجندون يظل لهـم اهتمـامهم بمشـكلات صناعاتهم قبل التجنيد ، فالنجار مثلا قد يصبح « عريفا » فى المشاة من طراز ممتاز ولكنـه لا يزال نجارا فى تفكيره ويهتم بمشكلات النجارين ، مثل هؤلاء الافراد نستطيع أن نسألهم عن مشكلات الصناع المهرة وأعضـاء النقـابات فى الوطن ٠

على أنه من جهة أخرى يمكن أن تطبق التنظيمات والاساليب التى تستخدم فى استفتاءات المدنيين وتحليل الدعاية على الموقف فى الميدان ٠

ويؤكد بول لينبارجر نجاح ذلك بقوله :

« ... وتستطيع أن ترسم لوحات بيانية لهذا ، وعلى سبيل المثال لو حدث عند استجوابك لعدد ٦٩٩ أسيرا كان منهم ١٦٧ من أعضاء اتحادات العمال فى الحياة المدنية . ووجدت أنه قد ذكر طواعية واختيارا فى أثناء الاستجواب ٣٣٤ مرة شكوى من سياسة الحكومة تجاه اتحادات العمال فان هذه النتائج العددية تكون مرشدا لك ، ولو حدث أى تغيير فيها فى مناسبة أخرى بارتفاع أو انخفاض لكان هذا موجها لك ومرشدا لتوجيه سياستك الدعائية ، ولاحظ أن هذا العمل هو على أساس كمى Quantative أى على أساس العدد ولكنك تستطيع أن تعمل سجلا على أساس نوعى Qualitative ، لما يثار من عوامل عدم الرضا فى أقسام رئيسية مثل نظام التموين بالاحذية والرعاية الطبية ومدى احترام الرؤساء الحكوميين .. الخ . ويجب أن يستجوب كل أسير حرب ، وكل مدنى معتقل فى هذه الموضوعات الرئيسية التى تتخيرها ، ثم ضعه تبعا لرأيك فى اجابته ضمن مجموعة ما ، وتستطيع فى النهاية أن تخرج بنسبة مئوية لوجهات النظر بالنسبة لكل من هذه الموضوعات ، وبذلك تستطيع أن تقدر نسبة مئوية لعوامل عدم الرضا داخل كل مجموعة قسمت اليها مجتمع العدو .

« على أنه يجب ملاحظة أن هذه الارقام قد تكون مؤثرة من الناحية الشكلية فى الوثائق ، ولكن ليس لها من الناحية العملية الدور الذى للنسبة المئوية التى تجىء من دراسة كل موضوع على حدة ، وعند دراسته فى طابع متخصص من ناحية الموضوعات أو الجماعات .

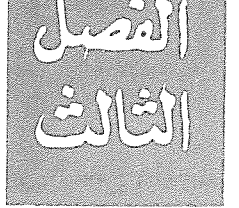
« فاذا شعرت أنك تقوم بعرض لا فائدة منه ، خذ متوسطات النتائج التى وصلت اليها واجمع هذه المتوسطات كلها معا فيما يطلق عليه (جملة متوسطات معنويات العدو) ، ولكن لاحظ أنك لاتستطيع أن تفعل شيئا (بهذه) المتوسطات ولا عن (هذه) المتوسطات وكل ما تستطيع أن تنتفع به هو أن تقيدها فى اللوحة المعلقة فى المكتب الخارجى التى تتغير من شهر الى آخر حيث يمكن أن يشعر الزوار بسرور لان يطلعوا على سر عسكرى عن العدو . ولو حدث أن رأى هذه اللوحة

عميل للعدو، ثم بعث بأرقام المتوسطات الى العدو، فثق أن خبراء العدو سيفقدون عقولهم وهم يحاولون معرفة الوسيلة التى استطعت الوصول بها الى هذه الارقام وماذا يمكن أن تعنيه منها » ٠

حالة التخصص :

وفى النهاية فان مخابرات الدعاية الجيدة تمكن من الحصول على :

- الأنبـــاء ٠
- معلومات عسكرية يمكن أن تذاع وأن تنشر على أنها أنباء ٠
- معلومات عسكرية لا يمكن أن تذاع أو أن تنشر كأنباء ، ولكن الالمام بها يمكن أن يمنع رجل الدعاية من ارتكاب أخطاء أو سوء تقدير فى سرد الأنباء ٠
- أنباء عن العدو ٠
- ألوان عدم الرضا عن سلطات العدو ٠
- التعرف على الشخصيات التى لا شعبية لهـا والتى لها شعبيـة فى صفوف العدو ٠
- كل المعلومات الاخرى التى تمكن من يعمل فى الحرب النفسية من العمل بقوة وبمودة الى جانب أى مجموعة معينة من العدو ضد أى جماعات أخرى للعدو ٠



تحليل الدعاية

تحتاج دراسة الرأى العام الى تحليل الدعاية تحليلا كاملا ، ولكن مما يؤسف له أنه لم يتم بحث عملية تحليل الدعاية على نطاق واسع بسبب الكبر أو الغطرسة. وكما سبق أن ذكرنا فى الفصل السابق يختص تحليل الرأى بما يفكر فيه الناس ، أما تحليل الدعاية فيعنى ما يحاول أحد الناس أن يجعلهم يفكرون ، وكل من هذين اللونين من ألوان التحليل يعتبر من أهم العوامل اللازمة فى ميدان البحث الاجتماعى ٠

ان العالم الحديث ـ كما يبدو ـ لا يتسم بالهدوء ولن يصل الى هذه الحالة بعد وقت طويل جدا ، ولا يبدو محتملا أن يتقدم تحليل أعمال الدعاية أبعد مما حدث فى الماضى ٠ ولذلك جدير بنا قبل أن ندخل فى التفاصيل الحرفية أن نعرض لآراء بعض ذوى الخبرة فى الفترة ما بين نهاية الحرب العالمية الأولى وبداية الحرب العالمية الثانية ، وهى الفترة التى ننظر اليها الآن على أنهـا كانت فترة هدوء نسبى ٠

لقد قال « ادوارد ل٠ بيرنيس Edward L. Bernays (١) فى عشرينات هذا القرن ان الدعاية لا يمكن أن تموت ٠ ويجب أن يدرك العقلاء أن الدعاية

---

(١) Bernays, Edward L., Altitude Polls Servants or Masters, Public Opinion Quarterly Vol 9, 1945.

هى السلاح الحديث الذى يمكنهم من تحقيق الأهداف الانتاجية واحلال النظام محل الفوضى • ويقول بيرنيس « ان ماكان يعيب التربية والعمل الاجتماعى هو أنه لم تقدم لهما الدعاية الكافية » •

وعلى نقيض من بيرنيس يقف نورمان أنجل(١) فى كتابه « العقل العام Public Mind » الذى يمكن تلخيصه بأنه اعتراض على الدعاية لأنها مبنية على الخوف من المخابرات ولأن فيها قلبا للحقائق • ولم يكن انجل موفقا لأن السنوات العشرينية كانت تتم فيها صفقات بيع كبيرة استلزمت الدعاية بأشكالها المختلفة •

أما فى الثلاثينات فقد عادت فكرة تقييم الدعاية الى الظهور • فكتب فردريك لاملى Frederick Lumley (٢) كتابا مدرسيا بعنوان « تهديد الدعاية » ساعد على جعل الدعاية حقلا للدراسة فى مجال العلوم الاجتماعية. وأعقب ذلك ظهور كتاب « الدعاية : نفسيتها وأسلوبها » تأليف ليونارد دوب Leonard Doob (٣) وقد كتب يقول « ان الدعاية ضرورية ما دام العلم لم يقدم لنا حلول المشكلات التى تواجهنا • ولكن أى نوع من الدعاية يجب علينا أن نقبله وأيها يجب أن نرفضه ؟ ان أسباب طرح هذا السؤال واضحة ، ولكن أين الجواب ؟ ليس هناك جواب » • وأعقب الكتاب الاخير سلسلة من المقالات مثل « الدعاية والدكتاتورية » لهارولد لورنس تشيلدز Harword Laurence Childs وقد كتب يقول ان الدعاية فى الدكتاتوريات والديموقراطيات كانت وما زالت شيئا لا بد منه للسيطرة والاشراف الاجتماعى •

على أنه فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ازدادت المؤلفات عن تحليل الدعاية بشكل واسع وبدرجة تدلنا على اهتمام الدول المتزايدة بهذا الموضوع •

---

(١) Angell, Norman. The Public Mind, New York, The Macmillan Co, 1927.

(٢) Lumely, Fredrick E. The Propaganda Menace, New York, Appelton Century, 1933.

(٣) Doob Leonard W., Propaganda and Its Psychology and Technique, Henry Holt and Co., New York, 1950.

ان قوائم الكتب العديدة عن الدعاية والرأى العام التى تنتشر فى أنحاء العالم ويعاد طبعها منقحة بين حين وآخر ليست الا أحد ظواهر الاهتمام للوصول بنتائج البحوث الفنية والاجتماعية الى طابع عصرى مستحدث ٠

كما أن كل الدراسات الخاصة بالتعليم النظرى ، والتحول الدينى ، ومنظمات العمل والسياسة العملية ، والتآمر الثورى ، بل حتى الاعلانات التجارية لها أثرها فى تحليل الدعاية ٠

تكنيك العمل :

قد تكون الطبيعة المشتركة للانسان أساس كل الدعاية والسياسة ، ولكن حوافز العمل تتوافر ولا شك فى الدوافع التى تجىء من العوامل الفسيولوجية ، والبيئية ، والثقافية ، وغيرها كما بينا فى الفصل الاول من هذا الكتاب ٠

لقد كتب الصينيون القدامى بضعة سطور فى الحكمة حاول على أساسها ملايين الصينيين أن يتعلموا القراءة والكتابة ، وقد جاء فيها :

« عندما يولد الناس فانهم ينشأون نشأة طيبة ، ومع أنهم كلهم فى طابع متماثل تقريبا فالواجب أن تراهم عندما يتهيأ لهم الوقت ليختلف أحدهم عن الآخر بأن يلتقط العادات من هنا ومن هناك » ٠

هذه الحكمة لا يمكن أن نقول أنها صحيحة بدرجة مطلقة ، ولا يمكن أن نحكم عليها بالبطلان ، فهناك مثلا مسألة « البقاء على قيد الحياة » أو « انتهاء الحياة » التى نعتقد أن كل المخلوقات البشرية تقف منها موقفا متماثلا وتكون استجابتها كلها واحدة متشابهة ٠

ففى مسألة « التسليم » والاستسلام التى سبق أن ناقشناها وضح الخلاف فى التفكير بين الأمريكيين واليابانيين فى مجرد اللفظ ٠

لقد كان للفرق اللفظى بين كلمة « تسليم » وكلمة « استسلام » أهمية كبيرة كالفرق بين الحياة والموت ، فاليابانيون لا يمكن أن يقبلوا البقاء على حساب

شرفهم ، ولكن اذا شعروا بأن شرفهم قد حوفظ عليه ، فانهم يستطيعون التوقف عن متابعة القتال ٠

ومن ثم فان تحليل الدعاية يحتاج الى بصيرة نفـاذة ومعرفة تامة بتفكير الناس محل الدراسة ٠ ويشير بول لاينبارجر فى ذلك بقوله : « ان الدعاية توجه الى التفاصيل الدقيقة الرقيقة من الفـكر التى يحفظ بهـا النـاس تنظيمهم وتوجيههم الشخصى فى عالم مزعزع الصلات بين الناس ٠ ويجب أن تستخدم الدعاية لغة الأم ٠٠ لغة المدرس ٠٠ لغة الحبيب الودود ٠٠ لغة صغار الطير ٠٠ لغة رجل الشرطة ٠٠ لغة الممثل ٠٠ لغة الكاهن ٠٠ لغة « البلطجى » ٠٠ لغة الصحفى ٠٠ وأن تستعمل هذه اللغات على التوالى ، وعمليـة تحليل الدعاية لقياس قيمتها يجب أن تكون أكثر تميزا وادراكا فى تقريرها ما اذا كانت الدعاية جديرة بأن تحقق غرضها أم لا ؟ ٠

مواد الدعاية :

والمطلب الأول لتحليل الدعاية هو الحصول على المواد التى ستحلل فعلا ، والعادة أنه يكفى فى وقت السلم الاشتراك فى الصحيفة ، أو المجلة ، أو سلسلة النشرات ، وشراء الكتب حال صدورها ٠ ولكن من الصعب الحصول على مواد الدعاية هذه دائما ، اذ يتطلب الامر فى الغالب القيام باتصالات فى نفس مكان الاصدار ٠ ولقد استطاع الدكتور دافيد روا أن يحصل من الصين المحتلة فى الأيام الأولى للحرب الصينية اليابانية على سلسلة طريفة من المواد ، ولكن كان لابد من الحصول عليها من ذهابه شخصيا الى الصين وقطع عشرين ألف ميل ليعود بها الى أمريكا ٠

ولكن من الممكن تحقيق نتائج أفضل لو أمكن تتبع نفس المصادر باستمرار ولفترة زمنية مثل أربعة شهور أو ستة شهور ، بل ربما أطول قليلا بالنسبة لبعض مصادر الاعلام ٠ على أنه اذا كان تحليل الدعاية فى هذه الحال مسئولية رجل واحد فى دولة صغيرة أو فى منطقة صغيرة فى وقت السلم ، فان هذا الرجل

يستطيع أن يجمع مختلف أنواع النماذج لوسائل الاعلام فى مارس مثلا ، ثم يقضى بعض شهور متابعا تطور الدعاية ، ولكن فى الوقت الذى يتم فيه اعداد تقريره يكون هذا التقرير أقل طرافة بالنسبة لمستلم التقرير مما اذا كان قد أعده عن الاسبوع السابق لموعد صدور التقرير ، هذا عدا أنه ما لم يكن محلل الدعاية على دراية جيدة بالمنطقة أو الدولة التى يحلل دعايتها فانه قد يتعرض لخطأ تقدير بعض الموضوعات الاساسية وبعض الموضوعات العابرة .

وما لم يكن لدى محلل الدعاية عدد كاف من الموظفين الذين يعملون معه فانه قد يغفل بعض العوامل الهامة التى لها وزنها فى تحليله ، ومن الضرورى أن يتخير بعناية وسائل الاعلام التى يختبرها ، وأن يتقبل نصيحة الافراد الذين يعرفون المنطقة جيدا . ومن الحكمة أن يتخير فى المناطق التى تتوافر فيها السيطرة على الآراء صحيفة دعائية تشرف عليها الحكومة ، وصحيفة شبه مستقلة للمعارضة لو كان هذا ميسورا ، وتعتبر الصحف المحلية مرشدا جيدا للدعاية الداخلية أكثر من الصحف الكبيرة التى تصدر فى العواصم الكبرى ، ورجال الدعاية يعرفون أن الهيئات الاجنبية تعنى بمراقبة الصحف الكبيرة ومن ثم فانهم يحتفظون بجهدهم الأكبر للصحف الاقليمية المحلية .

ومع متابعة الصحف الاقليمية المحلية فى منطقة أو اثنتين يحسن تخيرهما يجب أن يتخير محلل الدعاية عددا من الشخصيات الحكومية ويتعقب كل كلمة تصدر منهم ويحصل هو عليها .

والمبدأ الاساسى أن يقرر محلل الدعاية مدى المواد التى يغطيها بفحصه ، ليزن منذ البداية العمل الذى يقوم به ، وهذا بدوره يتوقف على الوقت المتيسر له ، ودرجة المامه باللغة ، ودرجة قابليته للعمل ، ثم مقدار المعوقات المتوقعة من الموظفين الآخرين وما الى هذا من العوامل الشخصية .

ولكى يكمل محلل الدعاية تحليله يجب أن يتصل بالمستمعين الذين يتلقون هذه المواد ليحصل منهم على تأثير الدعاية التى تلقوها ، ونود أن نشير هنا الى ما جاء فى الحديث عن « الاستجواب » فى الفصل الخاص بمخابرات الدعاية .

المواد المطبوعة :

ليست المواد المطبوعة أيسر المصادر التى يمكن الحصول عليها بخاصة فى وقت العمليات العدائية ، فقد لا يكون من السهل الحصول على وسائل الاعلام المطبوعة بعملية ارسال حوالة بريدية دولية ، والتأخير الذى يمكن أن يحدث فى نقل المواد المطبوعة قد يجعلها عديمة القيمة بالنسبة للتحليلات السريعة الفورية وان كان لها نفعها فقط فى الدراسات الاساسية الطويلة الاجل للتعرف على القوى المعنوية ، وقد يضطر رجل الدعاية الى أن يقرأ عددا من المقالات الافتتاحية فى الراديو .

ويذكر لنا لاينبرجر مثالا لذلك بقوله :

« حدث فى أثناء الحرب العالمية الثانية أن ذعر الضباط والمدنيون الامريكيون عندما سمعوا راديو طوكيو يعلق على مقالات صدرت فى مجلة « لايف » وفى جريدة « النيويورك تايمز » قبل ساعات ، وظنوا أن لليابانيين محطة ارسال على الموجة القصيرة من نيويورك الى طوكيو مباشرة ، وغابت عنهم حقيقة أن ادارة استعلامات الحرب ربما تكون قد أرسلت بعض المقالات بطريقة المورس البطىء الى الصين عبر الباسفيك ، وأن اليابانيين التقطوها واستخدموها فى ارسالها من جديد الى الولايات المتحدة » .

والعادة أن ترسل المواد المطبوعة على الهواء فى أى عملية أنباء رئيسية ، وقبل أن تتطور عملية التليفون الكاتب « التلبرنتر » كانت المشكلة مشكلة عامل الوقت فقط ، ولكن اليوم أصبح من اليسير أن تطبع نسخة من جريدة واحدة فى مدينتين تبعد كل منها عن الاخرى آلاف الاميال وبفرق زمنى غير محسوس ، وقللت الصور المرسلة باللاسلكى هذا الفاصل الزمنى ، وبذلك يمكن ببساطة أن يقرأ كل من الجانبين المتقاتلين الصحف الرئيسية للجانب الآخر .

المواد المذاعة :

والواقع أن الراديو سيظل فى الوقت الحاضر أكبر المصـــادر لامتصـــاص الدعاية ، وهو وسيلة ملائمة مناسبة ، كما أنه من الممكن التقاط الاذاعة بطريقة « غير قانونية » دون الخوف من أن يكشف الجانب الآخر هذا • والاذاعة أرخص وسيلة عندما نفكر فى العدد الكبير من الملايين الذين تصل اليهم المادة المذاعة ، كما أنها معرضة نفسها للالتقاط •

ان الدفاع الوحيد ضد استخدام العدو للالتقاط الاذاعى والحصول على محتويات الاذاعه هو تطبيق نظام الراديو « المتصل بالاســلاك » Wired Radio أى أن تكون كل أجهزة الاستقبال متصلة بشـــبكة التليفونات ، ومن ثم فانه لا يرسل أى شىء على الهواء ، وبذلك يمنع العـــدو من التصنت على الاذاعات والتسمع اليها •

ولكن عملية وضع أجهزة الراديو على شـــبكة التليفون عمليـــة باهظة التكاليف ، وبالمثل فان كبت الاستقبال بالراديو عملية صعبة ، وأولئك الذين ينجحون فى الاستماع سرا للاذاعة قد صاروا بمثابة صحف تسير على قدمين ، فيدورون فى المدن ناشرين الآمال التى تبعث على الطمأنينة •• هذه الآمال التى تعمل سلطات العدو على كبح جماحها • والواقع أن ندرة الانباء تزيد من قيمة هذه الوسيلة ، ولا يمكن تصور الدور الذى تلعبه الشائعات حينئذ •

ويتبع تحليل الدعاية بوساطة الراديو نفس الاعتبارات التى تحكم اختيار المواد المكتوبة • ان تتبع برنامج أو اثنين من محطة واحدة وسيلة أفضل وأكثر ضمانا للخروج بتحليل جيد بدلا من انتقـــاء متنوعات من الاذاعـــات فى جولة عاجلة من هنا ومن هناك •

وللاذاعة فائدة أخرى تفضل بها استخدام المادة المكتوبة للدعاية ، فان عددا قليلا جدا من الأمم هى التى تطبع مواد دعائية منفصلة بكل لغة أجنبية لتعدها بصفة خاصة لمنطقة معينة محددة ، على حـــين أن لكل دولة كبـــيرة بل

حتى لكل دولة متوسطة ترتيباتها للاذاعة باللغات الاجنبية لكى تغطى الاذاعة الموجهة بعض الدول فى كل أركان العالم • ولما كانت برامج الاذاعة الموجهة ترسل الى مجموعات متعددة من الناس بلغات مختلفة كان من الضرورى أن تعد خطوط الدعاية لكل مجموعة من هذه المجموعات تبعا لأسس خاصة نتيجة لدراسات سابقة • ولا شك أن هذه « الخطوط » أو الاتجاهات الدعائية تختلف بين كل مجموعة وأخرى وتتباين لهدفها ، أو تبعا لطبيعة علاقتها مع الدول الموجهة اليها الاذاعة •

والاذاعة ـ على نقيض مواد الدعاية المطبوعة ـ ليس من السهل الاحتفاظ بها كسجل للقائم بتحليل الدعاية ، وليس من الميسور أن تسجل كل اذاعات العدو ليحتفظ بها للرجوع اليها كلما دعت الحاجة الى ذلك •

ولكن من جهة أخرى اذا كان مركز التحليل كبيرا كما لو كان فى جوار مركز رياسة الحكومة، أو مركز رياسة قيادة مسرح الحرب، فانه يمكن التغلب على كل المشكلات الخاصة بالترجمة وبالكتابة على الآلة الكاتبة • ومن المحتمل أن يجيد المستمعون للاذاعات الكتابة على الآلة الكاتبة فيكتبون الاذاعات كاملة كلمة كلمة اما وهى تذاع على الهواء ، واما من الشرائط التى يسجلونها عليها • ويختبر المحرر بعد ذلك الأجزاء الهامة من الانتاج اليومى اما لتسجيلها والاحتفاظ بها ، واما لتوزيعها ونشرها على الجهات المعنية • ومن الممكن أيضا أن تطبع المواد الهامة فى الملخص اليومى لدعاية العدو ، أما الباقى فيرسل للمختصين أو يوضع فى الملفات ، أو يرسل لأقسام المعلومات ، ثم يعدم ما لا حاجة اليه بعد ذلك •

ولقد لعبت التقارير المكتوبة « كلمة كلمة » دورا هاما خلال الحرب العالمية الثانية • لقد قامت هيئة مخابرات الاذاعة الاجنبية بهذا العمل فى الولايات المتحدة طوال سنى الحرب تحت اشراف لجنة المواصلات الفيدرالية ، ثم حولت بعد ذلك الى قسم المواصلات الاجنبية فى وزارة الحرب وانتقلت مرة أخرى من وزارة الحرب الى المخابرات المركزية •

وقد لا تعتبر محتويات هذه التقارير سرية ، وان اعتبرت « محظورة » فى أغلب سنى الحرب ٠

الاستماع بوساطة فرد واحد :

ومن المرغوب فيه حينما يتم الاستماع بواسطة فرد واحد أو بواسطة هيئة صغيرة العدد من المستمعين أن تتعرف على الاذاعة الرئيسية للأنباء ، وأن تقيدها كاملة كلمة كلمة كلما أمكن ٠ هذا الاجراء يعطى للمحلل فرصة الاطلاع على هذه المواد ، ويحول دون أن يصدر حكما سريعا على ما هو هام أو غير هام فى أثناء استماعه للاذاعة ٠

وتختلف أجهزة الراديو فى الاستماع تبعا للأحوال العامة المحيطة بعملية الاستقبال ، ولكن أغلب أجهزة الاستقبال فى سرايا الاشارة للقوات المسلحة بل حتى أجهزة الراديو العادية الكبيرة تستطيع القيام بهذا الواجب على أكمل وجه ، على أنه أحيانا قد لا يمكن تمييز اذاعة محطة ما مهما كانت قوة جهاز الاستقبال المستخدم فى هذا بسبب التدخلات التى يوجدها وضع هذا الجهاز فى مبنى بالمدينة ، وفى هذه الحال فان استخدام سيارة الراديو للاستقبال من منطقة مرتفعة فى الضواحى ، أو من نقطة على حافة بحيرة ييسر عملية التقاط اذاعة تلك المحطة بوضوح تام للتغلب على التدخلات ، على أنه من الضرورى أن تتوافر أجهزة استقبال على الموجة القصيرة لو كان من الضرورى التقاط اذاعات محطات عبر المحيط ٠

وليس من الحكمة التقاط خطبة تلقى بسرعة ، وأفضل استقبال هو ارسال الأنباء بطريقة مورس أو اذاعة الأنباء بطريقة السرعة الاملائية من محطة مركزية مع مختارات من البرنامج اليومى ٠ وتعطى ترتيبات التقاط البرنامج اليومى « كلمة كلمة » مع المراجعة اليومية للانباء بواسطة اجراءات التحليل العادية فرصة جيدة للفحص الكامل لاذاعة العدو ٠

الدعاية ضد الحقيقة :

لا معدى من أن يثار هنا أكثر من سؤال هام :

« ان كل ما سبق قوله يبين لنا كيف ننصت الى اذاعة أجنبية ، ونحصل منها على الأنباء ، المحاضرات ، المسرحيات ، وما عدا ذلك من مواد برنامج الاذاعة . ولكن كيف يمكن أن نعرف ما هو حقيقى وما هو دعاية ؟ كيف يمكن أن نفصل بين هذا وذاك ؟ »

ومع أن هذه الأسئلة تبدو فى طابعها العام محيرة فان اجابتها هينة ومرجعها المستمع نفسه . فاذا اتفق ما يذاع مع ما يؤمن به المستمع وما يعرفه كان حقيقة لا شك فيها ، أما اذا لم يتفق معه فهو دعاية .

فاذا قلنا أن كل ما نسمعه فى اذاعة أجنبية هو دعاية ، فماذا يمكن أن يتحدث بالنسبة لها فى تقاريرنا الخاصة بتحليل هذه الدعاية ؟

ان المخلوقات البشرية تتحدث . وهى تواقة للكلام والثرثرة ، وأغلب المحادثات الخاصة مملة لا قيمة لها ولكن المعتوه وحده هو الذى يمكن أن يتحدث فى المذياع لا لغرض الا أن يسمع صوته . ان الدعاية عرض كلمات لغرض ، وهذا « الغرض » هو الذى يجعلها دعاية ، ولا أهمية هنا لنصيبها من «الصدق» أو « عدم الصدق » .

ان الاذاعات التى تلتقط من أى دولة حديثة فى كل يوم لتحوى من الحقائق أكثر مما يمكن أن يقرأه رجل واحد فى حياته كلها . ان المحررين والكتاب ، ومندوبى الصحف الذين يجمعون الحقائق لا يجمعونها فحسب ، بل أيضا يتخيرونها ، وهم يجب أن يفعلوا هذا . ولكن المسألة الخاصة بالدعاية هى لماذا يتخيرون هذه الحقائق التى يجمعونها ؟

فاذا كانوا يتخيرونها بقصد التأثير فى عواطف مجموعة معينة من النـاس لغرض معين كانت دعاية ، أما اذا كانت تذاع كمجرد أنباء فانها لا تكون دعاية .

ويعطى لاينبارجر مثالا لذلك فيقول :

« اذا ما أعلنت احدى محطات الاذاعة الامريكية أن عاملا ملونا أمريكيا فى جرينز بورو من أعمال ولاية كارولينا الشمالية قد حصل على ثمانين سنتـا كأجر له عن عمل عنيف يوما كاملا فمن الممكن أن يعرض هذا النبأ وأن يفسر كما يلى :

١ ـ مجرد نبأ صغير ، لو كان هناك مزيد للقصة حول ما قاله العامل من أنه كيف أنفق الثمانين سنتا على شراء طعام لحيوانه المدلل .

٢ ـ دعاية مضادة للرأسمالية لو قيل : أن مبلغ الثمانين سنتا هو مبلغ تافه زهيد اذ يدفعه رجال الاعمال الامريكيون لعمالهم .

٣ ـ دعاية معاونة للرأسمالية لو استطاعت الاذاعة أن توضح أن هذه الثمانين سنتا يمكن أن تشترى بضائع اسـتهلاكية بأكثر ممـا يستطيع عامل فى ولاية أخرى أن يبتاعه من أجره لمدة أسبوعين .

٤ ـ دعاية ضد البيض لو وضحت الاذاعة أن هذا العامل أعطى ثمانين سنتا لا لسبب الا كونه ملونا » .

ثم يعلق على ذلك بقوله « وهكذا فانه يمكن الخروج بتفسـيرات كثـيرة مختلفة متباينة ، مع ملاحظة أن الحقائق ثابتة وموجودة فى كل حالة . حقائق خاصة بوجود الرجل ، قيامه بعمل عنيف ، تناوله لأجر جملته ثمانون سنتا ، ان هذا حدث فى جرينزبورو ، وان العمل استغرق يوما كاملا . فالحقائق هنـا هى : « الرجل » و « ماحدث » و « المبلغ » و « المكان » و « الوقت » . وهذا لم يختلف أى عرض فيه ولكن التفسير الذى يصحب النبأ ، ومن الذى يعرضه ؟ ولمن ؟ ولماذا ؟ ومتى ؟ فكلها العوامل التى تجعل من هذا النبأ دعاية .

« وقد تستطيع الا ترضى عن تفسير ، بل تستطيع أن تقتل رجلا لأنه يصدق هذا التفسير الذى لا ترضاه أنت ، وتستطيع أن تقوم بدعاية لتحويله عن اعتقاده ٠ ولكنك لا تستطيع أن تجلس أمام مكتبك لتثبت أن هذا التفسير غير صحيح وغير حقيقى » ٠

ان الحقائق والمنطق نافعان فى الدعاية ، ولكنهما لا يستطيعان أن يرتفعا الى المستوى الذى يمكن معه أن تؤكد ان « هذه دعاية أو هـــذا حديث غير صحيح » ، ولكن غالبا ما تكون كل دعاية جيدة ــ مهما كان نوعها ــ فيهـــا نصيب من الحقائق لأنها تحسن اختيار الحقائق التى تستخدمها ٠

ولا توجــد « وصفــة » سرية يمكن ــ فى ضوئهـــا ــ أن تمدك باختبـــار صائب للدعاية ، وليس من الممكن لشخص لا يلم الالمام التـــام بهذا الجزء من العالم الذى يتأثر بالدعاية ، وبالموضوع الذى يناقش ، وبالأطراف المعنية ، وبالسياسات المباشرة التى يتضمنها الموضوع ــ ان يضع أصـــبعه على النبـــأ ويقول : « ان القصد الصحيح من ذلك دعاية » ثم يلتفت اليك ثانية ليقول : « ولكن التقرير الصحيح ان كل ما قيل حقيقة » ٠ على أنه قد تذكر تقارير غير صحيحة أحيانا لاغراض غيرالدعاية ، كما أن التقارير الصحيحة تكون أحيانا فى حد ذاتها دعاية أو قد لا تكون ٠ كما يجب أن ينتمى من يقوم « بتحليـــل الدعاية » الى الطرف الذى يهتم بالموضوع ، وعليه أن يقرر مبكرا ماذا يمكن أن يعتبره دعاية وما لا يعتبره دعاية ، وهو يجب أن يفعل هذا ليحدد ميدان تحليلاته قبل أن يبدأ العمل ٠ ولا يستطيع فرد واحد ، بل لا يستطيع نفر من الموظفين أن يتعقبوا كل الدوافع وراء بيان واحد ٠

ومحلل الدعاية ينظر عادة فى الاتجاه الذى تسير فيه المادة المذاعة ، فقد يعرف ويحدد « الغرض الدعائى » بالنسبة للأشخاص الذين ترسل من أجلهم هذه الاذاعات على ضوء تقديره لما يتوافر له من معلومات عامة عن الموقف ، وهو اذا لم يعرف الغرض من الاذاعة يستطيع أن يتكهن به من طبيعة المستمعين أو

من التأثير الذى يفترض أن تخلقه الاذاعة فى هؤلاء المستمعين ، ومن جهة أخرى فان المحلل اذا لم يعرف المستمعين فانه يستطيع أن يتعقب الطابع الذى ترسل به الاذاعة ، وبأى لغة تذاع ؟ ومن أين ؟ والى أين ؟ ومتى ؟

ويعطى لنا لاينبارجر أسلوبا نموذجيا معاونا لعملية التحليل وقد وجد انه صالح فى تحليل الاذاعات الالمانية العلنية والسرية ، وفى تحليل مواد الدعاية اليابانية فى الشهور الأخيرة من الحرب العالمية الثانية .

هذا الأسلوب أطلق عليه كلمة STASM وهى مركبة من الحروف الأولى لعناصر التحليل كما يلى :

المصـــدر	(S) ourse	بما فى هذا وسيلة الاعلام
الوقت	(T) ime	
المستمعون	(A) udience	
الموضوع	(S) ubject	
المهمـــة	(M) ission	

وهذا الاشتقاق اللغوى بتكوين كلمة جديدة هى كلمة « ستاسم »STASM انما يقصد به فى الواقع المعاونة على استيعاب هذه العناصر الخمسة التى تتركب منها هذه «الكلمة» . ويقول « ان أفضل استخدام لهذا الاسلوب ، هو استخدامه فى معالجة المواد التى يستمع لها فى الاذاعة ، والتى يعرف مصدرها ، وعند معالجتها يجب أن تجرى الآتى :

« لاحظ أولا طبيعة المصدر ، وهنا فى الواقع يكون له عدة أوجه : فهناك المصدر الحقيقى أى المصدر الذى اذاع النبأ أو الموضوع ، والمصدر الظاهرى أى المصدر الذى ارتبط اسمه به ، والمصدر الاول فى الاستعمال أى المصدر الذى

استعمله لأول مرة ، ومصدر الاستعمال الثانى أى المصدر الذى استغل الموضوع للاستشهاد به أو اقتبس منه عبارات » •

وقد يكون من المفيد أن نعرض الآن لدراسة العناصر المكونة لتحليل موضوع من موضوعات الدعاية :

المصـــدر :

١ ـ المصدر الحقيقى ، من أين جاء الموضوع فعلا ؟

أ ـ مسرب الاطلاق ، كيف خرج الموضوع ؟

ب ـ الشخص أو الهيئة التى تولد الموضوع باسمها •

جـ ـ مسرب الارسال ، من جاءنا به ؟ الشخص أو الهيئة المؤثرة فى وسيلة الارســـال المعروفة • يجب هنا اغفــال ما يتيسر من وسائل لمحلل الدعاية •

٢ ـ المصدر الظاهرى أو الصورى .
ما هو المصدر الذى يزعم بأنه نقل عنه ؟ ، وما مسرب الارسال ؟

٣ ـ مصدر الاستعمال الأول والثانى :

المصدر الأول « هو الذى يقال بأنه أول من استخدمه » ، المصـــدر الثانى « الذى يدعى أنه يقتبسه عن مصدر آخر » •

أ ـ ما العــلاقة بين مصدر الاســتعمال الأول ومصدر الاستعمال الثانى ، والمألوف أن تكون هذه العلاقة فى الشكل الذى يجئ فيه الاقتباس ، ومن النادر أن يكون هذا انتحــالا أو اغتصابا لحق من استخدام الموضوع أولا •

ب ــ التعديل بين الاستعمال الاول والاستعمال الثانى اذا كان النص معروفا فى الحالتين ؟ •

- هل حذفت فقرات ؟
- هل هناك تعديلات فى النص ؟ •
- هل حدث أى دمج مع مواد أخرى مرسلة على الاذاعة ؟ •
- هل هناك تزييف يبدو متعمدا ؟ •
- ما التأثير الذى يحدث نتيجة النقل من لغة الى لغة أخرى •

الوقت :

١ ــ وقت الحوادث الذى يشير له الموضوع •

٢ ــ وقت الارسال •

٣ ــ وقت تكرار هذا الارسال •

٤ ــ الاسباب ــ لو وضحت ــ لهذا التوقيت •

المستمعون :

١ ــ المستمعون المقصودون مباشرة •

٢ ــ المستمعون المقصودون بطريقة غير مباشرة مثل « برنامج مرسل بالانجليزية لأمريكا الشمالية ولكنه يصل الى هونج كونج وسنغافورة بتخطيط مقصود من جانب مرسل البرنامج » •

٣ ــ مستمعون أو مشاهدون غير مقصودين كأن يطلع أحد مواطنى غرب أفريقيا على مجلة الحوادث اللبنانية ، أو يستمع رجل يابانى لخطبة الجمعة التى تذاع قبل الصلاة •

الموضوع ، ماذا يقول ، ماذا يحتوى ؟

١ ـ توضع المحتويات تحت رؤوس الموضوعات الصالحة لها ٠٠ هل هى « مجرد أنباء » دون خداع أو هل هى « معلومات » ٠

٢ ـ تلخيص المحتويات لاظهار أى تكنيك جديد للدعاية ٠

٣ ـ فرز المحتويات التى لها نفعها فى الدعاية المضادة ٠

٤ ـ تقييم أهمية المحتويات لتحليلات المخابرات ٠

المهمـــة :

١ ـ الأمة أو الجماعة أو الشخص الذى يتعرض للهجوم ٠

٢ ـ العلاقة بموضوعات سابقة فى نفس المهمة أو العلاقة بمهام سابقة ٠

الباب الثاني

التطبيق

- الفصل الأول

ثورة ٢٣ يوليو في مواجهة أساليب الاستعمار والرجعية



الفصل الأول

ثورة ٢٣ يوليو
فى مواجهة أساليب الاستعمار والرجعية

مقـــدمة :

فى الثـــالث والعشرين من يوليـو عـام ١٩٥٢ انبثقت الثورة المصرية بعد ما يقرب من قرن من الزمان عاشتها مصر فى ظل الاســتعمار وأعوانه من رجعية وعملاء ـ مفجرة الطاقات الكامنة للشعب المصرى .

وبعد عامين على الأقل من قيام الثورة كانت المسألة الوطنيـة هى التى تمثـل التحدى الأول . ولقد حـاول الاسـتعمار البريطانى ممارســة أساليبه القديمة فى المراوغة والتسويف ولكن ما لبث أن شعر بالمواجهة الحقيقية لأول مرة . وأطلق الرئيس عبد الناصر عبارته المشهورة « على الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل ... »

وبعد توقيع اتفاقية الجلاء فى ١٩ من أكتوبر عام ١٩٥٤ كان هنـاك ثمة شـعور دولى عام بأن الصراع الطويل الذى دام ما يقـرب من ٨٠ عاما بين الشعب المصرى والاستعمار البريطانى قد آن له أن ينتهى . وحاولت الدعاية البريطانية أواخر عام ١٩٥٤ وأوائل عام ١٩٥٥ بأساليبها الماكرة التمهيد لما تسميه بالعلاقات الجديدة فى الشرق الأوسط .

ولكن الموقف في الشرق الأوسط تغير في نهاية العام نفسه ، وتغيرت بذلك أساليب الدعاية الموجهة الى شعوب المنطقة •

لقد أصبح هم اسرائيل منذ قيام الثورة المصرية أن تنبه الى الخطر الذى يهدد كيانها وآمنها من جانب قادة هذه الثورة ، وتزايدت مخاوفها بعد جلاء القوات البريطانية عن منطقة السويس ، وكانت هذه القوات تشكل حزام الأمن للدولة العميلة •

وبدأت تحرشات اسرائيل بالثورة المصرية بالاعتداءات المتكررة على الأراضى المصرية ، وكان الهدف الأساسى من هذه التحرشات اشعار العالم الغربى بصفة خاصة أنه لا بد من ضمان دولى جديد لكيان اسرائيل ، وفى نفس الوقت حاولت هذه الدولة التقليل من هيبة الثورة المصرية أمام الرأى العام العربى •

ولقد كانت قيادة الثورة على وعى كامل بالأهداف الحقيقية البارزة وراء تحرشات اسرائيل وعدوانها المتكرر ، وكان لابد من مواجهة اللعبة الاسرائيلية بالحزم والتصميم •

ولما كانت اسرائيل وما زالت ترسانة للسلاح الغربى فى منطقة الشرق الأوسط ، فقد حاولت مصر الحصول على السلاح اللازم لأمنها القومى من الغرب ، ولكن كل جهودها باءت بعدم التوفيق ورفض الغرب تقديم أى مساعدات.

فالغرب كما هو معروف لا يقدم السلاح للدول العربية الا فى أضيق الحدود وبمساومات سياسية •

وكان لابد من الحصول على السلاح • ان أحد المبادىء الستة الكبيرة لثورة ٢٣ من يوليو هو اقامة جيش وطنى قوى ، وبداهة لا يوجد جيش وطنى قوى بدون سلاح حديث •

وكانت اسرائيل قد تمكنت من الحصول على الكثير من الأسلحة من بعض الدول الشرقية منذ عام ١٩٤٨ وما بعدها • لقد كانت – ولا تزال – تسعى الى الحصول على أى سلاح من أى مورد بصرف النظر عن حقيقته أو عقيدته •

وعقد مؤتمر باندونج الأول فى ١٩٥٥/٣/٢٩ وخرجت الثورة المصرية من نطاقها المحلى العربى الى آفاق رحبة • لقد كانت روح باندونج تجسيدا حيا للواقع النضالى لشعوب آسيا وأفريقيا التى تكافح من أجل : الاستقلال الوطنى ، والحرية السياسية ، والعدالة الاجتماعية •

ولقد قامت مصر بدور قيادى بارز فى الاعداد لمؤتمر باندونج حتى اعلان قراراته الشهيرة ، كما كان المؤتمر أرضا صالحة للتعارف الوثيق بين الرئيس عبد الناصر ومعظم القادة المناضلين فى أفريقيا وآسيا •

وبعد عودة الرئيس عبد الناصر الى القاهرة فى أبريل عام ١٩٥٥ كواحد من أبرز أبطال باندونج بات مؤكدا أن الغرب أصبح لديه الآن ما يزيد من مخاوفه اذا ما تمكن الجيش المصرى من الحصول على أسلحة حديثة •

ويأتى عام ١٩٥٥ مشحونا بالعمل الثورى المصرى على نطاق الأمة العربية .

فى هذا العام بالذات تأكدت المعالم الواضحة لثورة ٢٣ يوليو بعد أن أعلنت القيادة السياسية فى القاهرة محاصرتها لحلف بغداد ، وفى هذا العام بالذات تأكدت المعالم النضالية للثورة المصرية عندما أخذت على عاتقها الوقوف بحزم ضد اتجاهات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فى ربط الدول العربية بالأحلاف العسكرية •

وفى هذا العام بالذات أيضا تمكنت الثورة المصرية من خوض تجربة رائدة كان لها أثرها الدولى البعيد عندما عقدت القيادة السياسة المصرية – ولأول مرة – صفقة الأسلحة التشيكية •

كذلك فانه فى هذا العام بالذات تكشفت تماما النوايا العدوانية للاستعمار الغربى ضد ثورة ٢٣ يوليو وبدأت سلسلة الضغوط ٠٠ النفسية ،

والاقتصادية ، والعسكرية ضد مصر .. هذه السلسلة الطويلة التى بدأت منذ عقد صفقة السلاح التشيكى ولما تنته حتى الآن !

لقد كان تسليح الجيش المصرى فى حد ذاته - وبصرف النظر عن مصدر السلاح - هو الذى أرق الغرب الاستعمارى طويلا .

ان بناء القاعدة المادية لقوة الثورة المصرية متمثلة فى جيشها الوطنى كان هو الخطر الذى حاول الاستعمار تأخيره بكل الوسائل والأساليب . وعندما تمكنت مصر من كسر مبدأ احتكار السلاح كان ذلك سابقة خطيرة فى عرف الدبلوماسية الغربية وسياستها العسكرية .

وبدأت حرب الدعاية بكل وسائلها وكل أساليبها توجه ضد الثورة المصرية من كل عواصم الغرب واسرائيل ، وكل العواصم العربية التى تدين بوجودها واستمرار بقائها للاستعمار نفسه .

ولقد قيل يومها ان مصر قد اشترت سلاحا ملحدا ، وبدأ الاستعمار يكتشف فجأة مدى تعاطفه مع الاسلام وهو الذى استذل شعوبه زمانا طويلا . وارتفعت شعارات الفرعونية ، والأطماع المصرية وأحلام ناصر ، وظهر تباكى اسرائيل على انهيار مبدأ توازن القوى فى الشرق الأوسط الذى لم يعد فى صالح أمن اسرائيل وقوتها العسكرية ، وقال الحكام العرب الضالعون مع الاستعمار : أن الشيوعيين تمكنوا من ايجاد موضع لقدم فى الشرق الأوسط .

وبعد عام واحد من حصول الجيش المصرى على أسلحة حديثة لم يكن أمام الغرب الاستعمارى من سبيل يرتاده ضد الثورة المصرية بعد استنفاد كل ضغوطه الدعائية والنفسية - الا استخدام الحرب المسلحة ضد مصر .

ولقد كانت ملحمة بناء السد العالى هى الفرصة المواتية التى استخدمتها بريطانيا وفرنسا واسرائيل . وقصة تمويل السد من جانب الولايات المتحدة والبنك الدولى وبريطانيا معروفة ، ويتذكرها العالم أجمع كدليل واضح على فساد

الدبلوماسية الغربية وضيق نظرتها وعصبيتها تجاه حركات التحرر الوطنى ليس فى الشرق الأوسط فقط ولكن فى العالم أجمع •

وكما رفض الغرب تقديم السلاح للجيش المصرى لبناء جيش وطنى قوى يحمى مكاسب الشعب المصرى – رفض أيضا وبعناد المساهمة فى تمويل مشروع السد العالى لبناء القاعدة الاقتصادية التى تمكن الشعب المصرى من الوصول الى الحد الأدنى للمستوى اللائق لحياة الانسان فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وكان الرد المصرى الثورى هو تأميم قناة السويس ليكون عائدها فى خدمة تمويل السد العالى •

ولقد كان التمهيد للعدوان على السويس فى حد ذاته من جانب : بريطانيا ، وفرنسا ، وتهيئة الرأى العام العالمى لقبوله ، واستخدام أحدث أساليب الدعاية والاثارة ، وتسخير كل أجهزة الدعاية والاعلام والصحافة والاذاعات على أوسع نطاق ممكن ضد مصر – كان كل هذا مادة تصلح كأساس لدراسات عديدة مستقلة تبحث فى هذه الأساليب ، ومناهجها ، وطرق تخطيطها ، ومدى ما أحرزته من نجاح أو فشل •

كذلك فان بسالة الشعب المصرى ومقدرة جيشه على صد العدوان المسلح وادانة الرأى العام العالمى للعدوان قد جعلت حرب السويس ذات دلالة تاريخية بالغة الأثر • ولم تعد أساليب القهر والعدوان المسلح ، والتواطؤ تجدى فى صد حركات التحرر العالمية أو انحرافها عن أهدافها الحقيقية •

لقد أدان ضمير العالم هذا العدوان ، وكان الانتصار المصرى عليه تجربة رائدة وضعها النضال المصرى فى خدمة الشعوب التى تكافح من أجل استقلالها الوطنى فى : أفريقيا ، وآسيا ، وأمريكا اللاتينية •

وليس صدفة أن قمة المد التحررى فى العالم كله سجلته سنوات ما بعد حرب السويس – وعبثا حاول الاستعمار التقليل من أهمية الخيبة التى أصابته فى حرب السويس ، وكان لابد من تغيير مخططاته • واذا كانت الحرب المسلحة لم تقدم حلا حاسما ، فلا بأس من العودة الى الأساليب التقليدية •

وبدأت الحرب الاقتصادية لتجويع الشعب المصرى ٠

وبدأت عمليات التشكيك على أوسع نطاق فى سلامة الاقتصاد المصرى ، وفى قدرته على الوفاء بالتزاماته الداخلية والدولية ٠

وبدأت عملية عزل ثورة مصر فى داخل حدودها بعيدا عن التيار التحررى الثورى الذى أشعل شرارته المتوهجة حرب السويس لتشمل كل المنطقة العربية ٠

وعاد الخوف الغربى التقليدى من التوغل الشيوعى فى الشرق الأوسط ، واصطنع الغرب مشروع أيزنهاور كبديل مادى لخوف غير منظور فى منطقة أصبح ثابتا ومؤكدا أن أهلها هم الذين يصنعون مستقبلها وفق ارادتهم الحرة .

وكما أن حلف بغداد لم يعد أكثر من مجرد اسم فى التاريخ ، فكذلك كان مشروع أيزنهاور ٠ وفى هذه الفترة تزايد الضغط على الشعب السورى كنوع مباشر من الضغط على الشعب المصرى ، وكان الرد العربى الحاسم هو قيام الجمهورية العربية المتحدة باقليميها المصرى والسورى فى ٢٢ من فبراير سنة ١٩٥٨ ٠

وتزايد اشتعال ريح الدعايات الغربية ضد دولة الوحدة ، ومرة أخرى تزايدت الأحاديث عن امبراطورية ناصر التى تتحكم فى ٩٠٪ من بترول الشرق الأوسط ٠

وبدأت حرب التخريب فى داخل دولة الوحدة ومحاصرتها من خارجها وأقيم الاتحاد الملكى الهاشمى المصطنع فى مواجهتها ٠ ولكن قامت ثورة ١٤ من يوليو فى العراق لتهدم اتحاد التيجان ولترفع اسم بغداد من فوق واجهة الحلف الذى صنعه الاستعمار ورفع شعاراته نورى السعيد ٠٠ وظهر واضحا أن المد الثورى العربى يسير فى طريق قدره ٠

وبصدور قرارات يوليو الاشتراكيه فى عام ١٩٦١ ، واستيعاب الثورة الوطنية لأبعادها الاجتماعية لم يعد أمام الاستعمار الغربى الممثل الشرعى للرأسمالية فى قمتها الاحتكارية الا طريق التآمر ٠

وكان الانفصال فى ٢٦ من سبتمبر ١٩٦١ الذى احتفل به الاستعمار والرجعية العربية رسميا فى شتورة فى أغسطس ١٩٦٢ .

ولكن المد الاستعمارى الرجعى لما ينته قبل أن تثبت الثورة العربية أصالتها وعراقتها وامتداد جذورها فى التربية العربية • فلقد أفاق العالم على ثورة شعب اليمن ضد الطغيان الامامى الرجعى المتخلف فى ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٦٢ •

وقبل أن يتمكن الاستعمار من محاصرة ثورة اليمن فى طريق التخلص منها نهائيا كانت ثورة ٢٣ يوليو المصرية عند التزامها واقفة الى جانب شعب اليمن وثورته •

كذلك قضى شعب العراق على انحرافات عبد الكريم قاسم وشعوبيته فى فبراير عام ١٩٦٣ .

وبرز المضمون الاجتماعى لثورة ٢٣ يوليو عندما اختارت طريق التحول الاشتراكى باعلان الميثاق الوطنى فى ٢١ من مايو ١٩٦٢ واقراره من جانب اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى ٢٠ من يونيو من نفس العام • وقال الاستعماريون : ان الميثاق قابل للتصدير الى كل الدول العربية ، وأن اشتراكية مصر هى اشتراكية عدوانية قابلة للانتشار •

واذا كان الاستعمار والرجعية فى المنطقة العربية قد جربا كل أساليب الحرب الخفية والعلنية ابتداء من حملات : التشكيك ، والتسويف ، وعقد الأحلاف العسكرية ، وبناء كيانات اتحادية هزيلة الى الحرب المسلحة فى السويس ، والحرب المأجورة ضد ثورة اليمن ـ فانهما لجأ الى وسيلة جديدة هى الحلف الاسلامى الذى يتزعمه الملك فيصل فى الدول العربية والاسلامية ، ويعاونه بورقيبة فى تونس ، وشاه ايران ، ويحرك خيوطه صانعو السياسة فى واشنطون ولندن • غير أن مصير الحلف الاسلامى حدده الشعب العربى منذ عام ١٩٥٧ عندما حاول الملك سعود بتكليف خاص من الرئيس السابق أيزنهاور أن يدعو له فى المنطقة العربية •

ان جوهر ثورة ٢٣ يوليو المجيدة هو أنهـا اكتشفت طريق اليقظة العربية التى تمكنت من احراز النصر الكامل فى كل المعارك التى خاضتها وتخوضها فى المستقبل ٠

الوسائل والأساليب :

ولم يتوان الاستعمار والرجعية فى استخدام كل الوسائل النفسية للقضاء على الثورة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكننا أن نذكر عـدة وسائل رئيسيـة استخدمها أعداء ثورة ٢٣ يوليو على مـدى الأربعة عشر عاما الماضية ٠ ولقـد استخدمت هذه الوسائل جميعها فى وقت واحد فى بعض الاحوال كما استخدم بعضها فى ظروف خاصة ، وان كان الهدف النهائى لم يتغير فى كل الأحوال وهو محاولة القضاء على فاعلية الثورة المصرية سواء فى نطاقها الداخلى ، أو العربى ، أو العالمى ٠

١ ـ الاذاعات السرية :

لقد وعدنا القارىء فى الباب (الرابع) بالعودة الى الحـديث عن الاذاعات السرية التى تعرضت لها بلادنا ، ولقد سبق أن وضحنا مدى خطورة استخدام هذا النوع من الاذاعات ٠ والواقع أن اسـتخدام الاذاعات السرية كان من أول الوسائل ـ وأهمها ـ التى استخدمها أعداء الثورة المصرية فى مرحلة مبكرة ، فلقد تم استماع أول اذاعة سرية معادية موجهة الى الشعب المصرى فى أوائل عام ١٩٥٥ وكانت تحمل اسم محطة « صوت مصر الحرة » وآخر محطة سرية ما زالت تذيع حتى الآن هى اذاعة الملكيين التى يديرها الاستعمار والرجعية السعودية الحاكمة لحساب الامام المخلوع أحمد البدر وتوجه اذاعاتها ضد ثورة اليمن ومؤيديها ٠

وتزايد عدد المحطات السرية ونشاطها عام ١٩٥٨ وبلغ عددها احدى عشرة اذاعة سرية توجه كل أحاديثها المحمومة ضد شعب الجمهورية العربية المتحدة . ولقد كان من بين هذه الاذاعات السرية المعادية ما هو موجود بالفعل فى أراض عربية

مثل اذاعة « صوت الحق » وكانت أجهزتها فى بيت نورى السعيد نفسه وجعلت مهمتها التمهيد لحرب السويس فى شتاء ١٩٥٦ ، وأنشأ كميل شمعون اذاعة صوت لبنان السرية فى ١٩٥٨ وكانت توجه اذاعتها ضد الجمهورية العربية المتحدة ٠

كذلك اتبع عبد الكريم قاسم نفس الاسلوب وأنشأ فى بغداد اذاعة سرية تحت اسم « صوت دمشق الحرة » ووجه اذاعتها عام ١٩٥٩ ضد دولة الوحدة ٠ وفى الاردن أيضا تم تجهيز اذاعة سرية بعد ثورة ١٤ يوليو العراقية عام ١٩٥٨ حملت اسم « صوت العراق » وكانت مهمتها مهاجمة ثورة العراق وكان الملك حسين بنفسه قد نبه الى وجود هذه المحطة فى حديث صحفى نشرته له جريدة الصنداى تايمز البريطانية يوم ٢٧ من يوليو ١٩٥٨ وقد سبقت اذاعة اسرائيل الملك الى الاعلان عن هذه المحطة الاردنية السرية ٠

وفى أكتوبر ١٩٦٣ أنشأ حزب البعث الحاكم فى العراق اذاعة سرية باسم « صوت الجماهير » ركزت الهجوم على القاهرة بعد عدم توفيق مباحثات الوحدة الاتحادية الثلاثية بين القاهرة ، ودمشق ، وبغداد ٠

ومن الأراضى الفرنسية ظهرت اذاعات « صوت مصر الحرة » و « صوت الأحرار » ٠

وفى الجزائر أنشأ جاك سوستيل محطة سرية أطلق عليها اسم « محطة كليبر » وكانت تذيع على طريقة اذاعة صوت العرب وتقلد أصوات مذيعها وذلك بقصد تحطيم الثقة التى اكتسبتها اذاعة صوت العرب عند جميع المناضلين الثوريين العرب ٠

كذلك تحولت اذاعة الشرق الأدنى التى كانت تديرها بريطانيا الى اذاعة صوت بريطانيا ابان حرب السويس ، وكانت وظيفتها اذاعة بلاغات العدوان الثلاثى على الشعب المصرى، ولقد توقفت هذه الاذاعة بخيبة أمل المعتدين والعدوان.

ولقد جاءت هذه الاذاعات جميعها بنتائج عكسية تماما ، اذ كان يستمع اليها أفراد الشعب المصرى بالسخرية والاستهزاء ٠ وأكثر من ذلك أن الصحف

المصرية نفسها كانت تكتب عن هذه الاذاعات ، كما أن الرئيس عبد الناصر أشار اليها أكثر من مرة ، وكان تعليقه الدائم عليها « دع الكلاب تعوى ما دامت القافلة تسير » .

وقد يكون من المفيد الآن أن نتناول دور هذه الاذاعات في العمليات النفسيه التي وجهها الاستعمار بشيء من التفصيل .

أنشئت اذاعة مصر الحرة بعد تولى الرئيس عبد الناصر رياسة الجمهورية . وبعد أن أممت مصر قناة السويس بدأ الاستعمار يدبر مؤامراته ضد حكام مصر ولا سيما ضد الرئيس عبد الناصر شخصيا ، حيث ساهمت المحطة المذكورة في المؤامرة التي كانت تدبر في لندن عقب تأميم قناة السويس .

وكان هدف هذه المحطة اثارة شعب مصر ضد الرئيس عبد الناصر ونظام حكمه ، فقامت بتأليب شعب مصر ضد حكامه قبل العدوان الثلاثي لكي يصبح مستعدا لمناصرة المستعمر اذا وقع العدوان منه . وبعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا حاولت بكل جهد تفتيتها والقضاء عليها .

وكانت هذه المحطة تهاجم حكام مصر بألفاظ بذيئة عبرت عنها جريدة التايمز بأنها غير قابلة للنشر ، وكانت تستهدف أن تتعود الجماهير المصرية تحقير زعمائهم .

كما استمرت المحطة في حملاتها دائبة على سياستها الهجومية على نطاق أعنف مستغلة بشكل ظاهر عملاءها من الخونة والمأجورين .

ولما لم تنجح المحطة في تحقيق الاغراض التي وجدت من أجلها توقفت في ١٩٥٩/٧/٣٠ ثم عادت للظهور باسم صوت الاحرار في ١٩٥٩/١٢/٤ .

كان هدف « صوت الأحرار » هو الهجوم على الرئيس عبد الناصر شخصيا ، والتنديد بسياسته الداخلية وذلك بترديد الحديث عن : المعتقلات ، والسجون ،

وارهاب رجال المباحث ، والزعم بتفشى الانحلال الخلقى ، والتشكيك فى مدى فائدة المشروعات الصناعية والانتاجية •

كما جعلت من مبررات التشهير أنها تسير فى الفلك الشيوعى ، وذلك لاثارة الرأى العام العربى فى مصر ، وحاولت مرارا اثارة الكراهية ضد المصريين فى سوريا بعد قيام الوحدة محاولة تفتيتها •

وفى يوم ٥٧/١٢/٣ ظهرت اذاعة « صوت الاصلاح » وادعت بأنها تذيع من سوريا ، وقد توقفت المحطة بعد ذلك عدة أيام ثم استأنفت عملها مما يدل على أنها كانت فى دور التجربة • وقد وجهت دعايتها أول الامر الى حكومة سوريا • ثم استمرت فى اذاعتها المعادية ضد الجمهورية العربية المتحدة حتى توقفت •

وكان هدف المحطة اثارة شعب الجمهورية العربية المتحدة ضد نظام الحكم القائم ، وركزت دعايتها على الاقليم السورى مخاطبة شعبه زاعمة له أن مصر تحاول استغلال سوريا وأنها السبب فى سوء الحالة الاقتصادية • وكان هدفها من هذا واضحا وهو تحطيم الوحدة بين الاقليمين بعد أن خذلت فى منع قيامها •

وابان ثورة لبنان والمقاومة الشعبية لحكم كميل شمعون ، ظهرت اذاعة « صوت لبنان » لتؤيد كميل شمعون وسياسة الاحلاف ، وتهاجم رجال المعارضة اللبنانية •

وفى ١٩٥٨/٧/١٨ ظهرت اذاعة صوت العراق بهدف تحطيم ثورة العراق واعادتها الى حظيرة التاج الهاشمى تحت قيادة الملك حسين ، فأخذت تشكك الشعب العراقى فى ثورة الجيش ، وتهاجم الجمهورية العربية المتحدة وحكومة الثورة فى العراق ، وتتهم مصر بأنها تجر الدول العربية تجاه موسكو •

كما كانت تهاجم الصحافة والاذاعة فى الجمهورية العربية المتحدة ، وتقول: ان أموال الدولة تنفق على الدعاية والاعوان ، وتهاجم نظام الحكم الداخلى، وتحاول تفتيت الوحدة ، واثارة الرأى العام فى الاقليم الشمالى والقول بعدم توفيقها •

أما فى مجال السياسة الخارجية فكانت تعمل على التهوين بقوة الجمهورية العربية المتحدة والاقلال من فاعلية الجيش المصرى فى صراعه مع اسرائيل، والايقاع بين الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الاخرى .

وكانت تزعم بأن السد العالى سلم للاستعمار الشيوعى ، وأنه وسيلة لتحكم السوفييت وتغلغل الشيوعية ، كما كانت تقوم بتحريض أهل فلسطين ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وتهاجم جامعة الدول العربية محاولة هدمها .

وفى فترة الاعتداء الثلاثى على مصر والتمهيد له ظهرت محطة سرية جديدة عرفت باسم « صوت الحق » ، وكان هدفها فى أوائل نشأتها عام ١٩٥٦ هو التمهيد لاثارة الشعب المصرى ضد حكامه لاسقاط الحكم القائم ، والتشهير به وبخاصة الرئيس عبد الناصر فى الميدانين الداخلى والخارجى .

وفى ٢٥ من ديسمبر ١٩٥٩ ظهرت اذاعة عرفت باسم « صوت دمشق الحر » ومقرها بغداد حيث استورد عبد الكريم قاسم محطة اذاعة لتقوية اذاعة بغداد ، ولكنها نصبت فى قصر الحارث قرب أبى غريب لتذيع باسم صوت دمشق الحرة .

وفى ٣٠ من سبتمبر ١٩٦٢ أمكن العثور على محطة أطلقت على نفسها اذاعة الأحرار وتدعو الى الالتفاف حول الامير الحسن ، وتعمل على موجة قصيرة طولها ٤٩٫٨ .

وتعتبر السعودية صاحبة المصلحة الأولى فى هذه المحطة وتسييرها ، كما ترددت أنباء بأن القوات الأمريكية الموجودة فى الظهران ، والقوات البريطانية الموجودة فى عدن قد تقدمت بمساعدة هذه الاذاعة والاشراف عليها فنيا .

وكان هناك اذاعة كليبر وهى الاذاعة السرية التى يشرف عليها جاك سوستيل والمعروفة باسم حركة النهضة الجزائرية والموجهة بخاصة للثوار الجزائريين ،

ولقد اتبعت ادارة المحطة الصادرة من فرنسا طريقة اذاعة صوت العرب ، وبنفس الألحان المميزة لصوت العرب مع احداث شوشرة توهم المستمع بأنها صـادرة من القاهرة ٠

وكان هدف هذه الاذاعة تحطيم الثقة التى اكتسبتها اذاعة صوت العرب لدى الثوار الجزائريين والمناضلين فى شمالى أفريقيا خاصة والعالم العربى عامة ، وكانت تقوم باذاعة الأنباء والمعلومات على أنها صادرة من اذاعة صوت العرب من القاهرة ، بما يتمشى مع المخطط المعادى للقاهرة ٠

٢ ـ النشرات السرية :

وتوزع عادة عن طريق البريد العادى ، أو توضع مباشرة فى صناديق البريد الخاصة فى المنازل ، ويصل الأمر فى بعض الأحيان الى حد وضعها تحت أبواب الشقق الخاصة ٠

وتتضمن النشرات السرية وجهات نظر معادية ضـد نظم الحكم الشرعية وهى فى العادة وجهات نظر لا يستطيع اصحابها الاعلان عنها بالطرق المشروعة ٠

ولقـد تعرض الشـعب المصرى لكثير من أنواع هذه النشرات وان كان الملاحظة بصفة عامة أنهـا جميعهـا كانت تطبع فى الخارج وتتسرب الى داخـل البـلاد عن طريق : البريد ، والمطارات ، والبواخر ، وفى بعض الحالات حقـائب الدبلوماسيين الأجانب ٠

وأساليب النشرات تعتمد فى الغالب على التـأثير العاطفى للقـارىء دون مخاطبة عقله ٠ وطابع السرية فى الكتابة والنشر والتوزيع قد يعطى أهمية للنشر لا تستحقها اذا كانت معروضة بطريقة علنية ٠

وقد ظهرت بعض النشرات تعتمد على الرسـوم الكاريكاتورية دون تعليق أو مع تعليق صغير عليهـا يسـهل انطباعه فى ذهن القارىء ، فمثلا فى عهـد

الوحدة ظهرت نشرة تعتمد على الكاريكاتير وتشير الى أن خيرات الشعب المصرى تذهب الى سوريا ، بينما لا يجد المصريون الا القليل من خيرات بلادهم ، والهدف واضح بالطبع من النشرة ٠

وكذلك فى عام ١٩٦٢ نشطت حركة توزيع نشرات سرية كانت تطبع فى فرنسا وتوزع عن طريق البريد الجوى ، ويتولى الاشراف على العملية نفس الجهاز الذى كان يدير اذاعة مصر الحرة السرية ٠

ولقد وصلت هذه النشرات الى عناوين محددة فى مصر من بينهم ضباط سابقون فى الجيش المصرى ٠ وتضمنت هذه النشرات بعض التعليقات الاذاعية التى تذيعها المحطات السرية ٠ وكانت هذه النشرات تتهم النظام القائم فى مصر بالفشل وتدعو الجيش والشعب الى معاداته ٠

تقليد الأصوات المعروفة :

لقد كانت اذاعات صوت العرب وأصوات مذيعيها هدفا دائما وثابتا لمحاولات تزييفها من جانب أعداء الثورة العربية ٠ كانت صوت العرب وما زالت تمثل الامل لكل المناطق العربية التى ما زالت تكافح من أجل استقلالها الوطنى ٠ وكان خطر هذه الاذاعة أنها تحمل الصدق الوطنى للشعب العربى كافة ٠ ولقد حاول جاك سوستيل المقيم الفرنسى فى الجزائر اقامة اذاعة كاملة تشير فى كل ملامحها ، واذاعاتها ، وحتى فواصلها الموسيقية ، وبرامجها المميزة الى اذاعة صوت العرب فى القاهرة لكى تذيع الى شعب الجزائر ما يريده الاستعمار الفرنسى ولكن سرعان ما تنبه شعب الجزائر الى هذا الزيف وحول مؤشرات اذاعاته الى « صوت العرب » فى القاهرة ٠

ولعل الحادث الذى وقع للطالب الاردنى نبيل محمد فتحى انشاص يشير الى هذا الخطر الذى ما زال يلاحق الحكم الراهن فى الاردن من اذاعات صوت العرب ومذيعيها ٠

فلقد حاول : مدير المخابرات الأردنية ، ومدير الأمن العام ، وقائد شرطة العاصمة ارغام هذا الطالب بالتهديد تارة والترغيب مرة أخرى بتقليد صوت المذيع أحمد سعيد وذلك فى برامج مشابهة لحقائق وأكاذيب بما يتفق مع سياسة الحكومة الاردنية ولكن الطالب الاردنى رفض هذا التزييف .

الصور المزيفة :

نشرت مجلة قرندل العراقية الموالية لحكومة نورى السعيد يوم ٢٧ من مارس ١٩٥٨ صورة بحجم الكارت بوستال عن اجتماع مزعوم بين الرئيس عبدالناصر وبين موشى ديان وكتب تحتها تعليقا جاء فيه :

« هذه الصورة وصلت الينا بالبريد ومن مصدر لا نعرفه لأن المرسل لم يشر الى نفسه . والصور يظهر فيها الرئيس عبدالناصر والمدعو موشى ديان القائد العام للقوات الاسرائيلية .. انها صورة غريبة حقا .. وقد كتب مرسلها تحتها انها التقطت قبيل العدوان الثلاثى فى اجتماع تم بمستعمرة فى شمالى غزة . ونحن ننشر هذه الصورة الغريبة ونستبعد أن يحدث مثل هذا اللقاء بين أى زعيم عربى وهذا القائد الصهيونى وليس بينه وبين عبد الناصر فقط .. اننا نطالب بايضاح من المسئولين المصريين لهذه الصورة العجيبة ! » .

ومن المعروف أنه من الممكن فنيا عن طريق الخدع التصويرية أن يتم تزييف أى صورة تضم مجموعة من الافراد ، وبهذه الوسيلة تمكن المسئولون فى العراق فى ذلك الوقت من تزييف صورة الاجتماع المزعوم بين الرئيس عبد الناصر وبين موشى ديان .

ومن الواضح أن صورة هذا الاجتماع المزعوم ظهرت عقب ظهور توزيع صورة لاجتماع كان قد تم بين نورى السعيد وبين موشى ديان فى أنقرة .

وقد أحدثت هذه الصورة ضجة كبيرة في كل الأوساط العربية ، وحاول نورى السعيد بتزوير صورة الرئيس أن يشكك الرأى العام العربى فى الصورة الحقيقية التى جمعت بين نورى السعيد وديان ، وذلك على اعتبار أن الرأى العام العربى رفض بداهة الصورة المزيفة التى جمعت بين الرئيس عبد الناصر وموشى ديان ، ومن ثم فان نورى السعيد يستطيع أن يصل الى هدفه النهائى وهو التشكيك أيضا فى صورته مع القائد الاسرائيلى ٠

الشائعات :

أما الشائعات التى أفردنا لها بابا منفصلا فى هذا الكتاب فكانت أكثر الاسلحة لدى الاستعمار والرجعية فى شن حربهم الشعواء على النظام ٠

ونعتقد أنه لا داعى هنا الا لنذكر القارىء بخطر هذا السلاح الرهيب من أسلحة الحرب النفسية ٠

على أننا نود أن نشير الى نقطة سبق أن شرحت بالتفصيل وهى أن أغلب الناس بصفة عامة مهيئون لتلقى الشائعة وتصديقها لأنه ليس لديهم من الوقت ما يسمح بمراجعة ما يسمعونه على معايير الصدق أو لصعوبة ذلك ٠

وقد استخدمت جميع أنواع الشائعات التى تحدثنا عنها فى الباب الخاص بالشائعات وهى أساسا تحمل كل الحقد والكراهية للنظام القائم ٠

كما كان الاقتصاد المصرى هدفا لكثير من الشائعات نقدم لها نموذجا ما نشرته جريدة النهضة البيروتية فى ١٨ من يوليو١٩٦٥ عن بيع احتياط الذهب المصرى فى سويسرا ، وما نشرته أيضا جريدة الصفاء اللبنانية عن بيع مصر للقمح الذى تستورده من الولايات المتحدة ٠

ومن نماذج الشائعات السياسية ما يمكن أن يقال بصفة عامة عن مسئولية القاهرة الكاملة والمباشرة عن كل الحركات والانقلابات التى تحدث فى العالم حتى أن ثورة كاسترو فى كوبا كانت من تدبير القاهرة ، واغتيال فيرفورد فى جنوبى أفريقيا كانت القاهرة من ورائه أيضا ٠

الاتحادات :

وبعد أن فشل حلف بغداد فى أداء مهمة تطويق القاهرة وقامت الجمهورية العربية على أساس الوحدة بين مصر وسوريا فى فبراير ١٩٥٨ أنشأت بريطانيا حلفا ملكيا يضم ملكى العراق والأردن وروجت له دعايات حلف بغداد • وقيل يومها : ان هذا الاتحاد الهاشمى هو الطبيعى والممكن والقابل للبقاء • ولكن ثورة ١٤ يوليو العراقية تكفلت بوضع نهاية هذا الاتحاد الذى لم يمارس لحظة واحدة فاعلية وجوده •

شراء جرائد وأقلام عربية وأجهزة تشويش وتقوية اذاعات الاستعمار :

ومن الاساليب التى استخدمت فى مواجهة الجمهورية العربية المتحدة انشاء مكاتب صحفية فى بعض البلدان العربية ، وشراء أقلام تكتب لصالح الرجعية والاستعمار ، وقد تمثل ذلك فيما يلى :

١ ــ تأسست فى بيروت شركة فى عام ١٩٦٠ باسم دار الصحافة رأس مالها الظاهر فى العقد مليون ونصف مليون ليرة يرأسها روبير ايبللا الذى يحمل الجنسية البريطانية ، وقد جئ بشخص بريطانى من انجلترا لادارة هذه الدار التى تصدر ثلاث صحف : اثنتان تكتبان باللغة العربية ولكنهما تنطلقان باسم المولين الحقيقيين فى لندن ، بينما تصدر الجريدة الثالثة باللغة الانجليزية • ومن جهة أخرى حاول الاستعمار القضاء على الصحف القومية فى بيروت وذلك عن طريق تخريب دور هذه الصحف ووضع المتفجرات فيها ففى ١٩٦٠/١٠/١١ وضعت قنبلة فى جريدة الحوادث القومية كما وقع انفجار فى مبنى دار الصياد لصاحبها سعيد فريحة فى ١٩٦٠/١٠/١٣

٢ ــ من جانب العراق عمل رأس المال الانجليزى مع عبد الكريم قاسم على توسيع نشاط صحيفة الحياة البيروتية فاشتريت لها آلات خاصة لنقل الاخبار والصور من جميع أنحاء العالم ٠

٣ ــ وفى الأردن ركزت الحكومة على جريدة الجهاد فقدمت لها ١٠٠ ألف دينار ومرتبات شهرية ثابتة للمحررين ٠

٤ ــ فى السودان وضعت الحكومة هناك يدها فى ١٩٥٨/١٢/١٧ على مستندات تثبت أن حكومة السودان السابقة وافقت على مؤامرة استعمارية لانشاء محطات اذاعة فى أماكن متفرقة من السودان للتشويش على اذاعة الجمهورية العربية المتحدة ٠

هذا ومن المسائل التى استخدمت فى محاربة أجهزة الاعلام العربية أن الكونجرس الأمريكى اعتمد مبلغ ٤٠ مليون دولار لتقوية اذاعة صوت أمريكا عام ١٩٥٩ فى : الشرق الاوسط ، وأفريقيا ، وأوروبا ٠

الأحلاف الرجعية :

لما كان الاستعمار فى محاولة دائمة لتغيير شكله القديم الى أشكال جديدة فهو ينتقل من القواعد العسكرية الظاهرة ، الى النشاط الخفى للشركات الاحتكارية، الى تجميع للحكام والعملاء الرجعيين فى أحلاف تتخذ من العقيدة والدين ستارا لها يخفى طياته النشاط الخفى للشركات الاحتكارية النازحة لثروات الشعوب ٠

فمثلا عندما ووجه نورى السعيد بمقاومة مشروعه الاستعمارى «حلف بغداد» ، حاول أن يعطى الحلف صفة التجمع الاسلامى لكى يمكن قبوله ٠ ولقد قام الملك سعود بعده بثلاث سنوات بنفس الدور عندما حاول أن يضفى على مشروع أيزنهاور عباءته الدينية ولكنه لم يوفق أيضا ٠

ونفس الدور يمثله الآن الملك فيصل امتدادا لحلف بغداد ومبدأ أيزنهاور وهو يدعو الآن صراحة الى الحلف الاسلامى دون مرادفات أجنبية ظنا من الملك انه يتجنب أخطاء نورى السعيد ، والملك سعود ٠

المجـلات :

لعل الظاهرة البـارزة فى وسـائل الاعـلام المعادية ما حاولتـه الدوائر الاستعمارية فى بيروت من تزوير كامل لأعداد من المجلات العربية ذات التأثير فى الرأى العام ومن بينها مجلة روز اليوسف ٠ فقد تم اعداد طبعـات مماثلة تماما من مجلة روز اليوسف وتحمل نفس الاسم ولها نفس مواصفات الطباعة ، والتغليف والرسوم ، والاختلاف الوحيد هو المادة نفسها التى تتضمنها صفحات المجلة بمعنى أن الاستعمار يقوم بعملية تزييف كاملة لمجلة معروفة للرأى العام العربى ولميولها القومية ؛ لكى يفاجىء القارىء بحدوث تغيير فى طريقة تحرير المجلة واتجاهاتها القومية ٠

المزيد من النصر يقابله المزيد من حملات النقد :

واذا كنا قد استعرضنا أهم الوسائل والادوات التى يستخدمها الاعداء والخصوم فى الترويج لوجهات نظرهم المعادية ، فان ذلك معناه أن هذه الادوات جميعها ، أو بعضها ، أو أكثر منها قد استخدمت أو ما زالت تستخدم بطريقة أو بأخرى ٠

والملاحظة العامة التى يمكن أن تعطيها طبيعة القاعدة ، أنه كلما أحرزت الجمهورية العربية المتحدة انتصـارا تزايد نشـاط أساليب الدعايات المعادية وأدواتها وتعددت وجوهها ، وتمايزت مراحلها ، ولكن جميعها تسير فى اتجـاه مصلحة واحدة هى التقليل من قيمة الانتصار، أو التشكيك فيه، أو اتهامه .. الخ .

وبصفة عامة يمكن رصد الحركة التصاعدية للدعايات المعادية والضغوط النفسية التى تعرض لها الشعب المصرى عن طريق رصد نفس الحركة التصاعدية لانتصارات الشعب المصرى وتزايد مكاسبه ، ولقد أشار الرئيس عبدالناصر الى هذه الحقيقة عندما قال فى احدى خطبه : انه يتفاءل من تزايد نباح الخصوم لأن ذلك اعتراف حقيقى من جانب الاعداء بأننا نسجل المزيد من الانتصارات •

وانه لمن الممكن رصد حركات الهجوم المضادة التى قوبل بها كل انتصار أحرزته الجمهورية العربية المتحدة •

القومية العربية فى مواجهة الاستعمار :

للقومية العربية مع الاستعمار تاريخ طويل ومؤامرات منسقة من قبل أطرافه ، وقد كان الباعث الأول للاستعمار على قيامه بمؤامراته ضد القومية العربية هو عزلتها منذ القرن الثالث عشر ، وتفضيلها أن تظل معزولة بالقدر الذى يسمح لها بصد الغزوات التى تعرضت لها ومنها الحملة الصليبية التى كانت تتألف من جيوش مأجورة خرجت من ظلمات أوروبا لتبحث عن المراعى الخصبة تحت ستار الدين •

أما الباعث الثانى للاستعمار فى اقدامه لفرض سيطرته على العالم العربى فقد كان البحث عن الاسواق ومصادر الخامات بعد أن ظهرت الآلة فى أوروبا واجتاحتها موجة من الانقلابات : الاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية، خاصة وان أوروبا كانت قد ذاقت خيرات الشرق الاقصى وعرفت خاماته الطيبة بعد الرحلات التى قام بها : البرتغاليون ، والاسبان والانجليز ، والفرنسيون الى هذه المناطق عن طريق رأس الرجاء الصالح وخلال الفترة التى كان لا يزال العرب فيها يتمتعون بهيبة ومنعة •

أما الآثار التى ترتبت على فرض الاستعمار الاوروبى سيطرته على العالم العربى فهى عديدة ، ولكن هدفها الاول كان التفتيت والتجزئة بالوسائل المختلفة من وسائل الدعاية والاغراء وعن طريق الأعوان المتطلعين الى السلطان ، وعن طريق تسميم الثقافة وبث الشك فى طبيعة أهداف المنطقة التى كانت لديها بالأمس امكانيات غزو أوروبا نفسها لولا أن اعترتها العثرات الداخلية ٠

ونحن لا نتابع الاحداث فى هذا المجال ـ فهذه مهمة المؤرخ ـ وانما نريد أن نكشف عما سببته صحوة القومية العربية المفاجئة لكل من الكتلتين العالميتين ـ بخاصة الغربية منهما ـ من محاولات فى تغيير الخطط والاساليب فى عمليات بسط نفوذها ، أو على الاقل خلق علاقات جديدة تهيىء لها ما تصبو اليه من الحفاظ على البقية الباقية من النفوذ ٠ ومع ذلك كان كثير من المراكز الدولية قد تأثر بهذه الصحوة المفاجئة من القومية بالرغم من المحاولات اليائسة التى بذلت لوقف تطور هذه الصحوة ، ونشير الى بعض التغييرات التى طرأت كنتيجة لهذا التطور فى المحاولات التالية :

١ ـ تغيير أهداف الدعاية وأساليبها الموجهة الى المنطقة حتى تتلاءم مع الظروف الجديدة ٠

٢ ـ تغيير واضح فى مجال العلاقات بين دول الغرب نفسها من حيث تنفيذ التحالف ، ومن حيث زيادة الصراع الذى كان يأخذ صورا عديدة فيما بينها ولا سيما بريطانيا وأمريكا ٠

٣ ـ تغيير فى الموقف العسكرى فى المنطقة نتيجة لجلاء قوات بريطانيا عن بعض المناطق العربية ، ومحاولات انشاء منظمات دفاعية جماعية وفشلها ، وتأثير ذلك على موقف الاتحاد السوفييتى ٠

٤ ـ تغيير فى سياسة الكتلة الشرقية ازاء منطقة العالم العربى بعد أن كانت تنظر اليها على أنها منطقة نفوذ خالص للدول الغربية .

٥ ـ تغيير فى السياسة الامريكية بالذات حتى تبدو فى دور المهدىء وتحل محل حلفائها الذين تقلص نفوذهم فى المنطقة ، وحتى تمنع الكتلة الشرقية من أن تدعم علاقاتها مع هذه المنطقة ، وفشل دورها هذا وعودتها الى حظيرة التحالف الغربى .

٦ ـ تأزم العلاقات بين القومية الصاعدة والدول الغربية الى الحد الذى نتج عنه قيـــام اعلان الحرب من قبـل كل من بريطانيا وفرنسا بالاشتراك مع اسرائيل كمحاولة للقضاء على قيادة هذه القومية فى مصر .

٧ ـ نشأة كتلة جديدة حيادية قوامها الدولالتواقة الى التحرر فى آسيا ، وأفريقيا من مجالات النفوذ ، وتسخير امكانياتها لخدمة شعوبها .

٨ ـ تغيير لأساليب الحكام المحليين فى منطقة الشرق العربى ، وتملقهم للشعوب العربية ، وعدم جدوى هذا التغيير الظاهرى .

وبصفة عامة فان الآثار التى ترتبت على نجاح القـومية العربيـة وحققت شوطا كبيرا من أهدافها ـ كانت بعيدة العمق حتى امتدت الى الحياة اليومية للفرد الاوروبى فى فترة من فترات الصراع الاستعمـارى التى نشـأت عقب تأميم قناة السويس ووقوع العدوان الثلاثى على مصر .

مؤتمر باندونج الأول « مارس ١٩٥٥ » :

ان الأثر العظيم الذى أحرزه انتصار باندونج فى مجال العلاقات الدولية ، والعمل العظيم الذى قامت به مصر من أجل نجاح أول مؤتمر يضم شعوب آسيا وأفريقيا الحرة لأول مرة كان من شأنه زيادة مخاوف الامبرياليين القدامى . لقد

كان انتصار باندونج انتصار الارادة الحرة للشعوب التى غلبت على أمرها ، وعانت طويلا من النهب الاستعمارى المنظم لخيرات بلادها •

لقد كان من بين قرارات باندونج أن الاستعمار شر يجب وضع نهاية عاجلة له ، وأن خضوع الشعوب للاستعباد والسيطرة الاجنبيين يناقض ميثاق الأمم المتحدة ، وانه يجب اعطاء الحرية والاستقلال لكل الشعوب •

وطالب المؤتمر فى قراراته : بفتح باب الامم المتحدة لجميع الدول ، ونزع السلاح ، وتحريم انتاج الاسلحة الذرية والهيدروجينية وتجاربها • ونادى المؤتمر بأن دول آسيا وأفريقيا محتاجة الى التقدم الاجتماعى ورفع مستوى المعيشة ، وأنه لابد من استقرار السلام •

وكان من البديهى أن يهاجم مؤتمر باندونج من جانب أولئك الذين يقفون حجر عثرة فى سبيل تحرير الشعوب من أجل مواصلة نهب خيراتها • ان ذلك هو ما حدث بالفعل ، ولكن الشىء العجيب حقا هو ما أثبتته الدراسات التى أجريت فى القاهرة حول ردود الفعل العالمية للقاء شعوب آسيا وأفريقيا فى باندونج • لقد سجلت هذه الدراسات مثلا أن نسبة الهجوم والانتقاد الذى وجه الى مصر والرئيس عبدالناصر يوازى ثلاثة أضعاف ما وجه الى مؤتمر باندونج ككل •

ان تزايد الهجوم الاستعمارى والرجعى على قائد الثورة المصرية بعد باندونج معناه أن هذه الدعايات المعادية لم تتمكن من تقليل هيبة الزعيم المصرى فى نطاق بلاده ، وانها لا شك ستكون أكثر صعوبة وتعقيدا بعد أن عاد الرئيس المصرى الى بلاده كواحد من أبرز أبطال المؤتمر ومن أكبر قادة النضال فى أفريقيا وآسيا • ولقد صح بالفعل ذلك ، وأصبحت مهمة الدعايات المعادية لثورة ٢٣ يوليو من أصعب المهمات •

تأميم قناة السويس « ٢٦ من يوليو ١٩٥٦ » :

وفى حالات نادرة فقط بعد نهاية الحرب العالمية الثانية يمكن أن يقال : أن وسائل الاعلام والدعاية العالمية تتوقف عاجزة تماما لفترة عن التعبير عن حقيقة مشاعرها واتجاهاتها بسبب فداحة المفاجأة أو خطرها • ولقد كان قرار تأميم قناة السويس من بين هذه الحالات النادرة التى أصابت معظم الدعايات العالمية بما يشبه الذهول الذى يتحول فيما بعد الى هذيان محموم •

ولقد كان أول انطباع عبرت عنه الدعايات المعادية فى اليوم التالى لقرار التأميم هو جزعها البالغ من هذه « البساطة المتناهية التى أعلن بها الرئيس عبد الناصر قراره التاريخى فى الاسكندرية » •

وبالفعل • ثبت فيما بعد أن هذه البساطة المتناهية التى تم بها قرار اعلان التأميم هى التى جعلت انطونى ايدن يفقد توازنه • ويعتبر أن قرار التأميم هو اهانة شخصية توجه الى رئيس وزراء بريطانيا • ومن ثم فان تفكير ايدن المنفعل بدأ منحرفا وخاطئا • وجعل من حقده الشخصى على الرئيس عبد الناصر أساسا لجميع تصرفاته المستقبلة • وما دام رئيس وزراء بريطانيا بدأ تفكيره منحرفا فان النتيجة الحتمية هى أن ينتهى تفكيره الى نتائج منحرفة ، ولقد كان ذلك هو ما حدث تماما •

لقد ذكر ايدن فى مذكراته التى طبعها بعد عشر سنوات من حرب السويس الفاشلة أنه قال بعد سماعه نبأ التأميم وكان فى حفل عشاء خاص يحضره نورى السعيد والأمير عبد الاله الوصى فى ذلك الوقت على عرش العراق :

« ان المصرى وضع أصبعه على قصبتنا الهوائية • وانني أفضل أن أرى الامبراطورية تسقط فى ارتطامة واحدة بدلا من أن أراها تتفتت قطعة وراء قطعة » •

وأثبتت هذا التعليق أيضا جريدة الصنداى تايمز فى سلسلة تحقيقاتها عن ظروف حرب السويس التى يكتبها هيوم توماس .

والواضح أن هذا التعليق العصبى لايدن لا يحمل شيئا من الحقيقة ؛ فلم تكن قناة السويس قطعة من الامبراطورية البريطانية ، كما أن الامبراطورية نفسها كانت قد ارتطمت بالفعل .

ومن صيغة التعليق يمكن أن يشم القارىء رائحة الحرب النفاذة ، وكان ذلك هو رأى ايدن منذ اللحظة الاولى التى سمع فيها قرار تأميم قناة السويس . وكان عليه أن يثبت بحق - كما تهكم عليه بعض زملائه المحافظين - ما اذا كان يحمل تحت أنفه شاربا حقيقيا .

ولم يكن مؤتمر لندن الأول والثانى ، ولم تكن جمعية المنتفعين لقناة السويس والذهاب الى مجلس الأمن الا مجرد وقت يكسبه ايدن ومؤيدوه للتجهيز للحرب . لقد قال نورى السعيد ناصحا ايدن يجب أن تضرب الآن . وكان ذلك هو نفس رأى ايدن الذى اختلف عليه قادته العسكريون لأنه كان لابد من بعض الوقت للتجهيز والاعداد .

والى جانب الاعداد للحرب كان هناك التمهيد النفسى للعدوان وقد تكفلت به على خير وجه معظم أجهزة الدعاية ووسائل الاعلام فى أوروبا والولايات المتحدة . كان لابد من التمهيد للحرب الساخنة بحرب أخرى نفسية اتخذت لنفسها أربعة أشكال مميزة :

الشكل الأول : وكان موجها للشعب المصرى ، هدفه فى الأساس أن العمل الذى أقدم عليه الرئيس عبد الناصر لا يمكن أن يمر بسهولة الى جانب ان خسائره ستكون أكثر من مكاسبه .

الشكل الثانى : وكان موجهـا الى الشـعوب العربيـة ، هدفه محـاولة عزل مصر عن بقية الدول العربية ومحاصرة الشعب المصرى داخـل أراضيه .

الشكل الثالث : وكان موجها الى شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية التى استقلت حديثا ، أو التى ما زالت تكافح من أجل استقلالها الوطنى . وكان هدفه العمل على احترام العهود والمواثيق الدولية. وان الشعوب الصغيرة لاينبغى أن تتورط فى أعمال لا تستطيع بقوتها المحدودة مواجهة عواقبهـا .

الشكل الرابع والأخير : وكان موجها فى الاساس الى الرأى العام الاوروبى والأمريكى وكان هدفه واضحا وهو تهيئة الأذهان لتقبل مبـدأ العدوان المسلح على مصر لاسترداد القناة ووقف أطماع مصر عند حد ، وتأمين مصـادر البترول فى الشرق الأوسـط . ولقـد ارتفع فى ذلك الوقت شـعار لابد من تأديب العصاة .

وكان عمل أجهزة الدعاية العدوانية فى بريطانيا وفى فرنسا وفى اسرائيل وأتباعها متناسقا ومتوازيا ويعرف أهدافه ، وهو فى النتيجة النهـائية يخـدم فكرة العدوان .

وعندما وقع العدوان بالفعل فى ٢٩ من أكتوبر عام ١٩٥٦ لم يكن مفاجأة لأحد ، ولكن نتـائج العدوان المعـاكسة كانت هى المفـاجأة الـكاملة والمذهلة لدعاة الحرب والمروجين لها .

ومرة أخرى تصاب أجهزة الاعلام الاوروبية والامريكية بما يشبه الصـدمة والذهول والتخبط .

وعلى مدى عشر سـنوات كاملة فشـل العـدوان ولـم تختلف مصـادر الأنبـاء فى العـالم على شيء قدر اختلافهـا على حرب السـويس ، مقوماتهـا ونتائجها .

والأمر الثابت فى كل أجهزة الدعـاية العالميـة المعادية منهـا قبل المؤيدة هو أن حرب السويس كانت الارتطامة الـكاملة للامبراطورية البريطانيـة ، والتسجيل الحاسم لانتصار ارادة الشعوب الحرة ، والادانة الكاملة للحرب كأداة لاخضاع الشعوب .

التواطؤ :

وقد ذكر العديد من الآراء والتكهنات حول التواطؤ بين بريطانيا وفرنسـا من جانب ، واسرائيل من جانب آخر. وليس هناك دليل صدق على وجود التآمر الثلاثى أكثر من المحاولات الفاشلة من قبل بريطانيا بنفى وجود التـآمر ، وظهر ذلك بوضوح فى الدراسة التى قام بها المؤرخ البريطانى الشـهير هيو توماس ونشرته جريدة الصنداى تايمز . لقد كانت هنـاك وقائع اتفاقيـة « سـيفر » السرية التى ختمت التواطؤ بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل على العمل المشترك لغزو مصر وطلبات بن جوريون لكى تتحرك اسرائيل ، ويقول هيو توماس بالنص عن هذه المطالب :

- ضرورة أن تقوم بريطانيا وفرنسا بتحطيم السلاح الجوى المصرى قبل أية خطوة .

- ضرورة أن تقوم فرنسا وبريطانيا بالرقابة كاملة على المطارات المصرية حتى لا يقوم منها خطر ينقض على اسرائيل .

- ضرورة أن تتولى فرنسا اقامة حزام بحرى واق حول اسرائيل حتى تمنع البحرية المصرية من التهديد .

ويقول هيو توماس فى دراسته بالنص عن اتفاقية « سيفر » ما يلى :

« أصر بن جوريون على أنه لا يستطيع أن يعود الى اسرائيل الا بورقة مكتوبة يطمئن بها زملاءه فى الوزارة الى أنهم يستطيعون الحركة ، وعنـدما كلف ايدن

وكيل خارجيته باتريك دين بتوقيع هذه الورقة لبن جوريون رفض بن جوريون وطار بينو وزير خارجية فرنسا الى لندن فى مهمة سرية سريعــة ليعود بتأكيد شخصى من ايدن يضمن الصفقة ٠

« وفى يوم ٢٢ من أكتوبر وصل بن جوريون وديان وبيريز ومعهم الكولونيل مانجان الى باريس فى طائرة من طراز « د س ٤ » كان ترومان قد أهداها الى ديجول فى أعقاب الحرب ٠ وهبطت الطائرة فى مطار فيلاكوبلى ، واستقل الجميع سيارة قطعت بهم ميلا أو ميلين الى فيلا فى « سيفر » احدى ضواحى باريس ٠ وانضم اليهم فيما بعد بينو وموليه ٠ وقد جاء بن جوريون لعدة أسباب ٠ كان يريد أن يتأكد أولا من أن السلاح الجوى المصرى سيدمر قبل أن تزحف القوات الاسرائيلية عبر سيناء ، وكان يريد فرض مراقبة دولية فوق المطارات المصرية تبدأ منذ اللحظة التى تجتاز فيها القوات الاسرائيلية حدود مصر ، وكان يطالب باتفاق مكتوب توقعه الدول الثلاث لكى تتحرك اسرائيل ، وان يحضر المناقشات الأخيرة التى ستدور حول الاتفاق وزير بريطانى مسئول ٠ وأخيرا طلب ضمانات بألا تؤدى التسوية التى كانت على وشك أن تتم فى نيويورك بين فوزى وهمرشلد الى تأجيــل الحرب ، وأن تحمى السـفن الفرنسيــة سواحل اسرائيــل ، وان تتولى « قلة » من الطائرات المقاتلة الفرنسية حماية المدن الاسرائيلية ، وان تلقى الطائرات الفرنسية بالمظلات المواد الغذائية والذخيرة والسيارات على القـــوات الاسرائيلية الزاحفة ٠ وكان من المقرر أن تنطلق تلك الطائرات من قبرص ٠ وفى تلك الليلة سافر « الوزير البريطانى المسئول » ومعه أحـد المسئولين سرا الى باريس وليس ثمة ما يدعو الى الشك فى أن الوزير الذى سافر الى باريس هو لويد وأن المسئول الذى رافقه هو باتريك دين ، المستشار القانونى الســابق لوزارة الخارجية البريطانية الذى خدم ايدن باخلاص طوال الأزمة ، ولقد قال لى بينو باخلاص فى خلال حديث معى : ان الوزير كان « مندوبا بريطانيا » ٠

فترة التوتر مع السوفييت :

ولم يأت عام ١٩٥٥ حتى كان الشعور القومى وكراهية الغرب قد بلغا غايتها فى الشرق الاوسط ، وأصبح الغرب فى تراجع مستمر عن هذه المنطقة ، ورأت دول الشرق الاوسط أن ارتباطها بالاتحاد السوفييتى يزيدهاقوة فى مواجهة الغرب ، كما أن هذا الارتباط يعود عليها بفائدة كبيرة ممثلة فى السلع الرئيسية والعتاد الحربى السوفييتىعلاوة على أن الكتلة الشرقية ستصبح سوقا واسعا لخامات الشرق الاوسط ٠

وقد ازداد التبادل التجارى زيادة كبيرة بين دول المنطقة والكتلة السوفييتية منذ عام ١٩٥٤ ، بينما كانت نسبة صادرات المنطقة الى تلك الكتلة ٨٪ من مجموع صادراتها عام ١٩٥٣ قفزت هذه النسبة الى ٣٢٪ عام ١٩٥٨ ، واستطاع الاتحاد السوفييتى أن يحقق نصرا كبيرا فى تحويل نسبة كبيرة من تجارة الشرق الأوسط نحو الكتلة السوفييتية بخاصة أنه قدم تسهيلات كبيرة فى قروض التنمية الاقتصادية والعسكرية ٠ وقد بلغت قروض الكتلة السوفييتية الى دول المنطقة أكثر من ١٣٠٠ مليون دولار منذ عام ١٩٥٥ ، حصلت منها مصر وحدها على أكثر من ٦٠٠ مليون ٠

ومنذ عام ١٩٥٥ عمل الاتحاد السوفييتى على اقامة روابط ايجابية مع مصر عقب اتمام صفقة السلاح الاولى ٠ وحينما نشأت أزمة السد العالى وما أعقبها من تأميم قناة السويس وقفت الكتلة الشرقية بجانبنا مؤيدة قانونية الاجراء ، وقامت بتقديم عرض تمويل السد العالى ، ثم استمرت العلاقات بين البلدين تنمو فى جميع المجالات ولا سيما فى المجال الاقتصادى فى ظل من الاحترام المتبادل ٠ وقد ظهر ذلك بوضوح فى المحادثات والخطب التى تمت خلال زيارة الرئيس السابق خروشوف للجمهورية العربية المتحدة فى ربيع عام ١٩٦٤ ٠

الا أن هذه العلاقات انتابها نوع من الفتور والتوتر فى الفترة التى تلت الوحدة بين مصر وسوريا نتيجة ملابسات سياسية واختلافات مذهبية • لقد كانت سوريا قبل الوحدة مركزا هاما للنشاط الشيوعى ، وكانت الفوضى الحزبية وعدم الاستقرار السياسى قد وصلا فيهما الى درجة مهدت للشيوعيين المحليين احتمالات السيطرة على الحكم ، ولكن بعد أن تمت الوحدة ضعف مركز الشيوعيين بخروج بعض زعمائهم من سوريا •

وفى ١٤ من يوليو قامت ثورة العراق وتم لعبدالكريم قاسم الاستيلاء على الحكم ولكنه انحرف عن الخط العربى ولجأ الى الشيوعيين المحليين فى ضرب القوى القومية بالعراق ، واستمر العراق فى حالة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسى وصلت ذروتها فى مذبحة الموصل وكركوك •

لم تواجه الوحدة ضغطا من الغرب فقط ولكنها جابهت عدة مشكلات مع الكتلة الشرقية فى نفس المرحلة •

وقد نددت الجمهورية العربية المتحدة فى ذلك الوقت بنشاط الشيوعيين المحليين فى العالم العربى مما حدا بالاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية الى أن تجند أجهزتها الاعلامية للهجوم على اتجاه الجمهورية العربية المتحدة القومى والوحدوى وحملاتها ضد الشيوعيين •

وكان لخطاب السيد الرئيس فى بور سعيد يوم ١٩٥٨/١٢/٢٣ والذى حمل فيه على الشيوعية فى : الجمهورية العربية المتحدة ، والبلدان العربية ، والعراق بصفة خاصة ــ أثر كبير فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية ، مما أدى الى قيام أجهزة الاعلام بها الى مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة •

اذاعة موسكو :

هاجمت أى تقارب بين الجمهورية العربية المتحدة والغرب ، كما هاجمت الرئيس عبد الناصر وقالت : ان موقف ناصر من الشيوعيين هو بمثابة ضربة تنزل بالديموقراطية ، كما أشادت بدور السوفييت فى مساعدة الجمهورية العربية المتحدة فى أثناء العدوان • كذلك أذاعت كلمة محيى الدينوف فى مؤتمر الحزب الشيوعى الذى هاجم بعض الدول العربية لمعاداتها للشيوعيين وقال : ان هؤلاء لا يخدمون أمتهم ، وتناولت بالهجوم شخص الرئيس عبد الناصر وقالت انه ما زال يواصل افتراءاته على عبد الكريم قاسم ، واتهمت الجمهورية العربية بالثورة التى قامت فى الموصل ، ونددت بحملات الجمهورية العربية المتحدة على العراق وقالت : انها ترغب فى ضم العراق . وحاولت اظهار الاتحاد السوفييتى بمظهر المتسامح ، وأن هناك حرية أديان وأن المسلمين فيه يتمتعون بكل شىء فى حرية تامة ، وذلك ردا على ما أشيع من أن فى القاهرة مصدرا يقول أن الاتحاد السوفييتى يسىء معاملة المسلمين، وأكدت الاذاعة عدم تدخل خروشوف فى الشئون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة ، والعمل على مناصرة الحكم القائم فى العراق، والدفاع عن الأوضاع الداخلية بها • كما أنكرت قيام هجرة اليهود من دول الكتلة الشرقية الى اسرائيل •

واشتركت كل من اذاعات : بكين، وتيرانا ، وصوفيا، وبرلين فى الهجوم على القاهرة ، فقامت اذاعة بكين بالهجوم على الرئيس عبد الناصر لمعاداته لعبد الكريم قاسم واتهمته بالمساعدة لقيام ثورة الموصل •

وأما اذاعة صوفيا فقد نددت بالاجراءات التى اتخذت ضد الشيوعيين وخاصة فى الجمهورية العربية المتحدة ، ووصفت الشيوعيين بأنهم القوة المحركة فى الوحدة الشعبية فى البلدان العربية •

وأما اذاعة برلين الشرقية فقد هاجمت صحف القاهرة ووصفتها بأنها تروج الاكاذيب لافساد العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفييتى •

صحيفة البرافدا :

ولقد قامت صحيفة البرافدا بالاشارة الى أن صحف القاهرة تردد ما تقوله صحف الرجعية فى أمريكا على العراق ، ونددت بصحف القاهرة لنشرها ما يفيد أن الاتحاد السوفييتى يشجع الهجرة الى اسرائيل ، كما أشادت بالعلاقات بين السوفييت والعراق وعبد الكريم قاسم وهاجمت الجمهورية العربية المتحدة وسوريا لهجومها على العراق . وقالت : ان الأعمال والخطب التى يقوم بها عبد الناصر تؤيد السياسة الاستعمارية الأمريكية ، وأعربت عن أملها فى زوال التوتر بين العراق والجمهورية العربية المتحدة . وهاجمت الجريدة أيضا مجلة روز اليوسف القاهرية لعطفها على الأمريكيين ، كما استنكرت المحاكمات التى وصفتها بالصورية ضد الشيوعيين وعددهم ٦٤ مواطنا بالاسكندرية ، وهاجمت القاهرة لنشرها أنباء غير ودية عن زيارة خروشوف للولايات المتحدة ، كما نشرت أن فى مصر محاكمات عسكرية سرية ضد التقدميين .

ويعتبر ما نشرته جريدة ازفستيا الشيوعية مقاربا لما جاء بجريدة برافدا من هجوم على الجمهورية العربية المتحدة والاشادة بثورة العراق وحكامها ، كما هاجمت الصحف المصرية وقالت : ان الصحافة لم تقدر الصداقة ، وأبرزت أسف خروشوف لوجود نزاع بين العراق والجمهورية العربية المتحدة .

على أن هذه الحملات مالت بعد ذلك الى الهدوء ، وأخذت العلاقات بين البلدين تتجه الى النمو فى جميع المجالات ، وأصبحت العلاقة بين البلدين مبنية على أساس من التفاهم والاحترام المتبادل ، والحرية السياسية والعقائدية .

قوانين يوليو الاشتراكية :

وجاءت قوانين يوليو الاشتراكية فى يوليو عام ١٩٦١ ، فأثارت مختلف الدعايات العالمية ، فبالنسبة لليونان مثلا أثارت قرارات التأميم موجة من القلق فى الاوساط الاقتصادية والسياسية اليونانية لما ترتب عليها من بعض الاضرار

المالية التى لحقت ببعض أفراد الجالية اليونانية ، ولما نجم عن هذه القرارات من ازدياد هجرة اليونانيين • ويلاحظ أنه بالرغم من ذلك امتنعت الصحف اليونانية عن التعليق •

ولقد تزعمت كل من الدعاية الاسرائيلية، واذاعة طهران كعادتهما الاذاعات المجهولة ، وسارتا فى مخطط استعمارى واحد هدفه النيل من أى انتصار تحرزه الجمهورية العربية المتحدة •

أما بالنسبة لبعض الدول الآسيوية الأفريقية حديثة الاستقلال فقد لوحظ أنها لم تبد حماسا لهذه التشريعات ، وقد يرجع ذلك الى رغبة حكومات بعض هذه الدول فى عدم تشجيع شعوبها على المطالبة بمثل هذه القوانين الاشتراكية •

ومع ذلك فان نقابات العمال فى غينيا اجتمعت واتخذت قرارا بمطالبة الحكومة بتطبيق القوانين الثورية فيما يتعلق بالعمال من حيث حصولهم على ٢٥٪ من الارباح وتمثيلهم فى مجلس ادارات المؤسسات •

أما موقف الدول العربية فقد اختلف بسبب ظروف كل دولة وحالتها الداخلية ، وانفردت صحافة لبنان وحدها بالتعليق على الموضوع ، بل وقفت الصحف المعادية للجمهورية العربية المتحدة موقفا موحدا هدفه تحطيم القرارات والتخويف من تطبيقها فى لبنان ، فى حين أيدت الصحف التحررية هذه التشريعات ، وطالبت بتطبيق هذه الاشتراكية العربية فى لبنان •

ولنحاول أن نتتبع أهم الأهداف الدعائية التى برزت فى مختلف الدعايات لأنها تلقى ضوءا نحن نحتاج اليه لنرى الطريق بوضوح •

فبالنسبة لمحاولة التشكيك فى قدرة هذه التشريعات على النجاح فقد قامت على أساس أن التأميم سياسة ثبت فشلها بدليل انخفاض انتاج المؤسسات التى أممت من قبل • وأشارت الدعايات الى عدم كفاية الجهاز الحكومى لادارة هذا العدد

الضخم من المؤسسات والشركات التى شملها التأميم • كما زعمت أن الاتحاد السوفييتى سيلحق ضررا كبيرا باقتصاديات الجمهورية العربية المتحدة نتيجة عدم رضاه عن هذه التشريعات لارتباط الاقتصاد فى الجمهورية العربية المتحدة بالاقتصاد السوفييتى (القطن ـ صفقة الاسلحة) •

وبالنسبة لمحاولة تشكيك العمال والموظفين فى الحقوق التى كفلتها لهم هذه التشريعات ، رددت الدعايات أن تخفيض ساعات العمل سيؤدى الى ايقاع الضرر بالمؤسسات الاقتصادية اذ سيؤدى الى رفع تكاليف السلع ، وأن قرار منح العمال ٢٥٪ من الربح لن ينفذ بسبب سيطرة الحكومة على المؤسسات ، وبسبب ضعف الربح ، وكما ستؤدى القوانين الاشتراكية الى تحميل العامل أعباء مالية جديدة : كالتأمينات والخدمات الاجتماعية ، فانها قد خلت من بعض المواد التى تحمى العامل من الفصل التعسفى ، كما أن قوانين العمل الجديدة سوف تسبب التضخم •

وبالنسبة لمحاولة اثارة القلاقل حول الوضع الاقتصادى فى الجمهورية العربية المتحدة فلقد روجت هذه الدعايات أن التشريعات اتخذت من أجل العجز الموجود فى الميزانية ، ولأن الاقتصاد المصرى أصبح اقتصادا منهارا تسيطر عليه الحكومة سيطرة تامة ، كما زعمت أن هناك حركات استياء داخل أوساط العمال لعدم رضاهم عن التشريعات العمالية ، وأن التشاؤم أصبح علانية الآن لدى أصحاب المحلات وصغار رجال الأعمال ، كذلك قالت : أن هجرة التجار الأجانب التى بدأت منذ عام ١٩٥٦ بتأميم قناة السويس ازدادت ، وسوف يسرى تعديل فى العملة فى شكل تخفيض مقنع • وقالت : ان التشريعات أحدثت هزة كبيرة فى الأسواق المحلية ، وأن الذهب اختفى من الأسواق ، وأن انخفاض أسعار السندات يدل على الذعر الذى أصاب أصحابها ، ثم رددت الشائعات أقوالا عن استقالة كل من : حسن عباس زكى ، والدكتور القيسونى لعدم علمهما بصدور هذه القرارات وعدم رضاهما عنها •

هذا وحاولت الدعايات اثارة الاقليات والهيئات والطوائف فى الجمهورية العربية المتحدة بقولها : أن قوانين التأميم اضطهاد للأقليات وبالذات للجالية اليونانية ، فضلا عن أن هذه القرارات الاشتراكية تتعارض مع الدين الاسلامى ، وتطبيقها فى الاقليم السورى أضر بالاقتصاد السورى حتى أوجد حالة سخط عامة ٠

ثم حاولت الطعن فى حياد الجمهورية العربية المتحدة فرددت بأن الرئيس ناصر يترسم باصداره هذه القوانين خطى ستالين ، وأن هذه القرارات شيوعية وليست اشتراكية ،وقد أحدثت نفس الأثر الذى أحدثته قرارات التأميم فى الدول التابعة للكتلة الشرقية ٠

الضغوط الاقتصادية :

كشف العدوان الفاشل على السويس عن مدى خطر سيطرة الأجانب على المراكز الحساسة فى الاقتصاد المصرى ، وفى كل اقتصاد قومى توجد مواقع يمكن عن طريقها السيطرة على الاقتصاد القومى وأهمها : البنوك، وشركات التأمين، وهيئات التمويل بصفة عامة ، وكان الكثير منها تحت سيطرة الانجليز والفرنسيين[١] ٠

لذلك وبمجرد فشل العدوان بدأت الثورة باتخاذ سلسلة من الاجراءات لاستخلاص هذه المواقع لمصر ولصالح شعبها ، فبدأت بانشاء المؤسسة الاقتصادية فى ١٣ من يناير سنة ١٩٥٧ بالقانون رقم ٢٠ ، ثم بتمصير البنوك فى ١٥ من يناير ١٩٥٧ بالقانون رقم ٢٢ ٠

ولقد حاولت دعايات الولايات المتحدة بعد ذلك أن تقف بين العالم العربى وبين ما تصفه بالارتماء فى أحضان السوفييت وذلك كستار لأن تأخذ مكان

---

(١) صلاح نصر : الحرب الاقتصادية ص ١٨١ — ٢٠٦ دار القلم بالقاهرة ١٩٦٥ ٠

بريطانيا وفرنسا فى الشرق العربى لتملأ الفراغ المزعوم الذى ادعت وجوده بعد جلاء النفوذ البريطاني والفرنسي عن المنطقة، فأعلن الرئيس أيزنهاور عن مشروعه الذى يعرض فيه المعونة العسكرية لمساعدة دول الشرق الاوسط اذا ما تعرضت لهجوم عليها ، واستعداده بمدها بمعونة قدرها ٢٠٠ مليون دولار ٠

واقترن انسحاب القوات المعتدية عن السويس بنوع من الحصار الاقتصادى قام به الغرب منذ عام ١٩٥٧ هادفا من ذلك التأثير على تجارتنا الخارجية وعرقلة اقتصادنا القومى ٠

وتمثل ذلك فى التضييق على صادراتنا الى البلاد التقليدية كبريطانيا وفرنسا بصفة خاصة ، والامتناع عن بيع القمح والأدوية لنا الا نقدا وبالعملة الصعبة ٠

كذلك أعقب فشل العدوان الثلاثى اتباع دول غرب أوروبا والولايات المتحدة سياسة تهدف الى حصار مصر والضغط عليها اقتصاديا ، وتركزت هذه السياسة حول القطن المصرى واتخذت مظاهر عديدة ٠ منها امتناع دول غرب أوروبا والولايات المتحدة عن شراء القطن المصرى ، وامتناع البنوك المحلية التى كانت تعتبر آنذاك فروعا لمراكزها فى الخارج عن تمويل محصوله ٠ وكانت تغطى كل هذه الاهداف حملة دعائية منظمة شنتها دول غرب أوروبا والولايات المتحدة ، فأشاعت مثلا أن مصر رهنت محصولها من القطن مقابل صفقات الأسلحة من الكتلة الشرقية ، وسياسة الاغراق التى اتبعتها الولايات المتحدة تقوم على بيعها لأقطانها طويلة التيلة فى الأسواق العالمية بأسعار منخفضة ٠

وساهم فى زيادة حدة الموقف بالنسبة لمصر توسع السودان فى زراعة القطن طويل التيلة ، وتعمد بيعه فى الأسواق العالمية بأسعار منخفضة، وقد شكلت

هذه العوامل مجتمعة ضغطا على أسعار القطن المصرى وجعلتها تبدو مرتفعة فى السوق العالمية مما أضعف الطلب عموما على القطن المصرى فانخفضت صادراتنا الى حوالى ١ر٥ ، ٧ر٥ مليون قنطار عامى ٥٦/٥٧ ، ٥٧/١٩٥٨ على التوالى •

وتعتبر الفترة التى أعقبت العدوان الثلاثى مباشرة وامتناع الكتلة الغربية عن شراء القطن المصرى هى الفترة التى قام فيها الغرب فعليا بضغطه الاقتصادى علينا ، أما ما تلا ذلك من انخفاض فى نسبة واردات الكتلة الغربيــة من القطن المصرى فيرجع الى تحول تجارة القطن نحو أسواق جديدة نتيجة هذا الضغط •

ولقد أوقفت بريطانيا مد مصر بالبنكنوت المصرى المطبوع فى بريطانيــا وحصلنا على كميات منه عن طريق السودان ، وعملية طبع البنكنوت من العمليات الهامة والحساســة فى الحروب البــاردة والساخنة على الســواء ، وان امتناع الطابعين عن التوريد أو افشاء سر الطباعة لتسهيل التزييف أمر قد يؤدى الى ارباك الاقتصاد القومى وتخريبه •

وقبل العدوان قامت اسرائيل فعلا بتزييف ورقة البنكنوت فئة الجنيهات الخمسة ، ولولا فشل العدوان فى الحال لغمرت اسرائيل مصر بالأوراق المزيفة وبعد العدوان تسربت بعض هذه الأوراق الى مصر عن طريق بنك أنترا ببيروت ، ولكن اكتشاف التزييف قضى على هذه المحاولة فى حينها •

أمثلة للهجوم على مصر :

١ ـ اتهمت اذاعة لندن بتاريخ ١٩/١٠/٦١ الرئيس عبد الناصر بخفض مستوى المعيشة فى مصر، كما شككت فى جهود المسئولين عن الاقتصاد المصرى •

٢ ـ عزت الاذاعة سوء الوضع الاقتصادى الى المشكلات المتنوعة ، وافتقار مصر للعمال المهرة ، وبطء الاتحــاد السوفييتى فى تنفيذ مشروعات السد العالى •

٣ ـ تهكمت اذاعة اسرائيل بتاريخ ٦١/٧/٢٧ على أعضاء مجلس الأمة وهم يناقشون الميزانية، وقالت الاذاعة أن المجالس المحترمة تستغرق شهرين فى بحث الميزانية بينما ناقشها أعضاء مجلس الأمة فى ست جلسات استغرقت ثلاث ساعات •

٤ ـ ادعت الاذاعة الاسرائيلية بتاريخ ٦١/٧/٣٠ بأن البطالة متفشية فى مصر ، وذكرت أن قرار عدم الجمع بين وظيفتين سيزيد المشكلة تعقيدا ، كما ادعت الاذاعة بتاريخ ٦١/٩/١٣ بأن الحكومة أهملت الريف •

٥ ـ زعمت اذاعة طهران فى ٦١/٨/١٢ أن مستوى المعيشة فى مصر أقل المستويات فى العالم وأن ٩٠٪ من أفراد الشعب حفاة ، وادعت أن أكثر من نصف الميزانية ينفق على التسليح •

٦ ـ أبرزت اذاعة « صوت الأحرار » فى ٦١/٨/١٤ الوضع الاقتصادى فى مصر على أنه فى منتهى السوء حيث زعمت أن الشعب المصرى يقف طوابير أمام المخابز ليحصل على أرغفة العيش، وأن الأرز اختفى من الأسواق .

٧ ـ شككت اذاعة باريس بتاريخ ٦١/٩/٢٥ فى نجاح قانون الاصلاح الزراعى ، كما قالت : ان التجار مستاءون من القيود التى فرضت على الاستيراد والتصدير •

الدعاية المعادية للوحدة المصرية السورية :

واجهت الجمهورية العربية المتحدة منذ قيامها فى فبراير عام ١٩٥٨ من الغرب كثيرا من مظاهر الضغط تمثلت فى الحملات الاعلامية ضد الوحدة واظهارها فى شكل استعمار مصرى ، واعادة تأكيد البيان الثلاثى الصادر يوم ٢٥ من مايو سنة ١٩٥٠ عن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا لتأمين حدود اسرائيل •

وقد صاحب ذلك حملة صهيونية شديدة ضد الجمهورية العربية المتحدة وضد حظر مرور السفن الاسرائيلية فى القناة ، ومصادرة البضائع الاسرائيلية المحملة على السفن الاخرى، وقد بلغت هذه الحملة ذروتها في حادث مقاطعة الباخرة « كليوباترة » فى ميناء نيويورك وتلكؤ حكومة الولايات المتحدة في اتخاذ اجراء حاسم لوقف هذه المقاطعة .

وكانت أهداف الغرب من هذه الضغوط النفسية واضحة ، فهو يسعى الى فصم الوحدة مع سوريا والقضاء على عقيدة القومية العربية أو محاصرتها حتى لا تتسع رقعتها، كما كان هدفه تشجيع الرجعية العربية وأعوان الاستعمار داخل الجمهورية العربية المتحدة للعمل على التخريب ، وأخيرا يحاول أن يساند اسرائيل بمحاولة التأثير على سياسة المقاطعة واجراءاتها بشأن الملاحة فى قناة السويس .

ان التركيز على اثارة السوريين ضد الوحدة بين مصر وسوريا قد بدا بوضوح عقب قيام الاتحاد العراقى الاردنى ، ووجهت هذه الاثارة الى معظم طوائف الشعب السورى :« جيش .. بوليس .. صحفيين .. رجال الأحزاب .. شخصيات سياسية .. تجار .. صناع .. مزارعين .. رجال اقتصاد .. بدو ».

ويمكن اجمال نقاط الدعاية المعادية للوحدة المصرية السورية منذ قيامها فيما يأتى :

١ ـ اتهام المصريين بالسيطرة على سوريا لمحاولة اثارة السوريين ضد الوحدة .

٢ ـ محاولة الدس والوقيعة بين رجال الحكم المصريين والسوريين .

٣ ـ الزعم بأن الصحافة المصرية ستغزو سوريا بعد تنظيم الصحافة فى كلا البلدين محاولة بذلك اثارة الصحفيين السوريين .

٤ ـ اتهام الرئيس عبد الناصر بأنه أبعد جميع خصومه فى سوريا وتركيزه النشاط السياسى فى القاهرة فقط دون دمشق .

٥ ـ اثارة رجال الاحزاب السوريين عن طريق الترديد بأنهم غير راضين عن التنظيمات : الادارية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية .

٦ ـ مهاجمة القوانين الاقتصادية التى صدرت ، ومحاولة اثارة رجال : الاقتصاد ، والتجارة ، والصناعة ، والتدليل على ذلك بكساد سوق القطن وانخفاض أسعاره فى سوريا ، وكساد التجارة السورية بعد الوحدة .

٧ ـ محاولة اظهار فشل الوحدة بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة ، والتركيز من جديد على اتحاد سوريا والعراق الذى يؤكد أنه طبيعى .

وعندما وقع الانفصال فى سبتمبر ١٩٦١ كان هناك ما يشبه الفرحة الكاملة فى كل أجهزة الدعايات المعادية . ففى يوم ٦١/٩/٢٩ أوردت اذاعة باريس اتفاق جميع الصحف الفرنسية الصادرة فى هذا اليوم على أن الانقلاب السورى سيشكل انتكاسه شخصية للرئيس عبد الناصر، كما زعمت صحيفة لوفيجارو بأن الانفصال سيهدد حياته ، وتقول الاذاعة بتاريخ ١٩٦١/١٠/١٤ أن الانقلاب السورى أحدث رد فعل قويا فى مصر ، وأن الضباط فى الجيش المصرى أعربوا عن استيائهم من سياسة حكم القاهرة ، وبتاريخ ٦١/١١/٦ ذكرت الاذاعة الفرنسية أن اطاحة الحكم الناصرى فى سوريا فتح الباب أمام تحسن العلاقات بين الدول العربية وتضامنها فى جميع الميادين .

الخلافات العقائدية فى المنطقة العربية :

قوبلت الاشتراكية العربية ، عقيدة وتطبيقا ، بهجوم مركز من جانب القوى الرجعية فى المنطقة العربية . فمن استعراض بعض الحوادث والقاء الضوء عليها وربط بعضها ببعض نخرج بأن الغرب كله وراء هذا الهجوم المعادى . ولقد صدر العديد من الكتب وكلها يهدف الى تشويه النظام الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة .

قامت هذه الحملات على أساس أن الاشتراكية عقيدة غريبة عن شرقنا ، وعن المسيحية والاسلام بصورة خاصة ، وعن تاريخنا وتقاليده • وان الاشتراكية ظهرت على أيدى ماركس وانجلز ومن سبقهما مثل توماس مور أو لحق بهما مثل لنين وستالين ، وأنها وليدة ظروف أوروبية خاصة فى القرن التاسع عشر .

وتقول الحملة : ان الاشتراكية العربية التى اختارتها القاهرة لم تكن بمفهوم واحد منذ بدأت الدعوة اليها • فقبل سنة ١٩٦١ كانت تدعو الى اقامة مجتمع اشتراكى ديموقراطى تعاونى وتهاجم الشيوعية • ثم جاء عام ١٩٦١ فكان حدا فاصلا للتحول فى مفهوم الاشتراكية المصرية ، اذ محا الميثاق ما قيل من قبل ، واعتبر الاشتراكية العلمية الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم •

وهاجمت الدول الرجعية فى المنطقة الاشتراكية فقالت أنها تخالف كل المخالفة القائلين بأن ديننا دين اشتراكى ، لأن غاية الاشتراكية العربية من هذا القول ، كما يزعمون هو ترغيب المصريين المتمسكين بالدين الاسلامى فى اعتناق الاشتراكية ، وأن الدين ينبغى أن يحافظ على جلاله وقداسته وألا نهبط به الى مستوى الاشتراكية فليس الاسلام بدين اشتراكى •

وتزعم الحملة أن هناك تشابها بين المبادىء الأساسية للميثاق وبين تلك التى جاء بها ماركس ورددوا أمثلة لذلك على النحو التالى :

١ ـ اعتمد ماركس قبل كل شىء على الثورة وجعلها الوسيلة الوحيدة للتغيير وأساسا لكل تقدم ، وفى الميثاق هناك الحاح شديد على الثورة .

٢ ـ دعا ماركس عمال العالم كلهم الى الاتحاد والعمل الثورى ، وكذلك دعا الميثاق المصرى الى جعل الثورة الاشتراكية هدفا للبلاد العربية جمعاء •

٣ ـ نادى ماركس بالغاء ملكية الأرض وجعلها للدولة ، والقوانين الاشتراكية فى مصر ليس فيها ما يشير الى أن التحديد قد وقف عند حد ١٠٠ فدان للأسرة المكونة من الزوج والزوجة والأولاد القصر •

٤ ـ نادى ماركس بالاستيلاء على وسائل الانتاج ، وقال الميثاق المصرى بسيطرة الشعب الكاملة على كل أدوات الانتاج .

٥ ـ نادى ماركس بالقضاء على سيطرة رأس المال ، والميثاق أيد ذلك .

٦ ـ هاجم ماركس الاقطاع والاحتكار والبورجوازية ، ونجد فى الميثاق هجوما وتأكيدا للقضاء على الاقطاع والاحتكار والاستغلال وسيطرة رأس المال .

٧ ـ نادى ماركس بتأميم وسائل النقل والمواصلات قبل كل شيء ، والقوانين الاشتراكية فى مصر أممت قبل كل شيء وسائل النقل والمواصلات .

وتستمر الحملة على الاشتراكية العربية فتقول :

« هل هو الشعب المصرى الذى اختار الحل الاشتراكى أو فرض عليه هذا الحل الاشتراكى ؟

ان الاختيار يدل على حرية الارادة ويدل على حرية الفكر والرأى ، فهل كان الشعب المصرى منذ قيام ثورة ١٩٥٢ حر الارادة حر التفكير حر الرأى ؟

والآمال العريضة للجماهير متى ظهرت وما هو مدى عرضها ومن الذى عبر عنها ، أهى حقا آمال جماهير أم مطامع فئة ثائرة ؟

لم يكن الشعب كله هو الذى اختار الاشتراكية ولم تكن الآمال عريضة كما وصفها الميثاق » .

وتحاول الحملة الرجعية أن توضح أن الاشتراكية العلمية تعادى الدين ، وأن الحاكمين فى مصر لم يتجاهلوا الدين وانما أرادوا أن يجابهوه بشكل ايجابى

لا سلبى ، ويزعمون أن موجهى الاشتراكية فى مصر لجأوا الى اتخاذ الدين الاسلامى نفسه طريقا الى الاشتراكية التى صد عنها الناس ، وجعلوه منفذا يدخلون منه الى قلوب العوام .

وتحاول الرجعية العربية دائما أن تضم الاشتراكيات الثورية العربية فتقول : أنها قامت كلها بالقوة والعنف على أثر انقلاب عسكرى أو ما يشبه الانقلاب ، وتستند الى قوة الجيش قبل كل شىء وليس لديها لصفتها الثورية تأييد شعبى الا من فئة قليلة ، كما شلت الحريات وليس فيها ديموقراطية سياسية ، وعملت على تصفية البورجوازية والرأسمالية بعد أن وصمتهما باطلا بالرجعية ومعاونة الاستعمار ، وصادرت أموال الناس ولم ينج من ذلك حتى الفقراء .

وتزداد الرجعية العربية فى افتراءاتها فتقول : ان الاشتراكية العربية لم تحترم الدين اذ جعلته عبثا فى أقلام الكتاب والدعاة ، يجعلونه اشتراكية ماركسية تارة ، ويفسرون التاريخ الاسلامى تفسيرا ماديا تارة أخرى .

كما تردد أن الأزمات الاقتصادية تتوالى على البلاد التى تطبق الاشتراكيات، فتضطرها الى دفع الشعب الى الجوع والقلق على الغذاء ، أو تصطدم بارتفاع الأسعار ، او تدفعها الى الاستعانة بالقروض الخارجية حتى من دولة قد نسميها بالرأسمالية .

وتركز الرجعية العربية أيضا على أن المحاولات المختلفة لم تمكن هذه الاشتراكيات من اكتساب جماهير الشعب ، ولا الامتداد فى جميع بلاد العرب ، وأصابتها نكسات داخلية .

* * *

والواقع أن الهجوم الذى تشنه الدول الرجعية فى المنطقة على الاشتراكية العربية والدول التقدمية فى المنطقة التى تحكمها نظم تقدمية ثورية يخلط عن عمد خبيث بين : الماركسية ، والمفهوم للاشتراكية العربية .

تصر الرجعية العربية دائما على الخلط بين : الاشتراكية العلمية بالمفهوم الماركسى ، والمفهوم العربى للاشتراكية العلمية فى الميثاق • لقد أوضحت نصوص كثيرة من الميثاق وخطب الرئيس فى أكثر من مناسبة اختلاف علمية الاشتراكية العربية عن مفهوم الماركسية العلمى ، فهذا يقوم على القوانين المادية الجدلية تمييزا لها عن الاشتراكيات المثالية والخيالية السابقة لها ، أما الاشتراكية العربية فهى علمية بمعنى أنها مفتوحة للاستفادة من الفكر والتجارب العالمية فيما يتعلق بالاشتراكية ، وهى تستفيد من التجارب السابقة عليها دون نقلها ، كما أنها اشتراكية تتفق فى مقوماتها مع طبيعة وظروف وتاريخ وطبائع الشعب المصرى معتمدة على نتائج العلم الحديث •

وبالرغم من وضوح الفرق فى مفهوم العلمية بين الاشتراكية والماركسية والتأكيد على هذا فى الميثاق وفى كثير من المناسبات ، فان الرجعية العربية تصر ـ خوفا على مصيرها ـ على أن تؤكد التوافق بين المفهومين وقصر « العلمية » على المفهوم الماركسى •

ان ادعاءاتها الباطلة دليل على أنها تنطق عن الهوى ، فالدين الاسلامى يحتم ضرورة تحرير الانسان من الاستغلال وتحقيق العدالة الاجتماعية ، وهذا ما تنادى به الاشتراكية العربية التى نعود ونكرر أنها ليست ماركسية بالمفاهيم التى أصر عليها موجهو الحملة الرجعية ، فضلا عن أن الاديان السماوية بعامة والدين الاسلامى بخاصة لا يمكن أن تتعارض رسالاتها مع فكرة تحقيق العدالة وتعمل من أجل رفاهية الانسان •

ومن الواضح أن التعبيرات والاصطلاحات التى تستخدمها الدول النامية عموما ، والتى قامت فيها ثورات للاصلاح سواء السريع الشامل أو الهادىء التدريجى ، تكاد تتوافق فى الفاظها ومرادفاتها • بل انها تكاد تتفق أيضا مع الاصطلاحات المستخدمة فى الأفكار الاشتراكية والاصلاحية التى سبقت الماركسية ومع الاشتراكيات التى نادت بها أو طبقتها بعض الاحزاب التى سميت باليسارية فى البلاد الاوروبية ذاتها • ولكنهم يصرون على اعتبار مثل هذه التعبيرات جميعا نابعة من الماركسية فقط وعلى اعتبارها كناية

حتمية للاتجاه الماركسي فى التطبيق • وبالتالى لا يأخذون بما يرد من شرح لمفاهيم هذه التعبيرات سواء فى الميثاق أو فى خطب المسئولين ، وان أشاروا الى لمحة منها فانهم يعتبرونها مرحلة للوصول الى الماركسية • ومما لاشك فيه أن الماركسية تمثل أهم الاشتراكيات المعروفة فى النظرية والتطبيق، ولذا ليس غريبا أن تتوافق بعض التعبيرات المترجمة عن الاصل الماركسى الى اللغات الاخرى ومنها العربية ، ولكن الاصرار على اعتبار هذا التوافق كناية عن الهدف النهائى وهو تطبيق الماركسية التى ترادف الشيوعية يفضح خططهم وغرضهم المنسق مع شروحهم فى دعاياتهم المختلفة •

ومن تحليل الرجعية لمعنى الملكية فى الاشتراكية العربية نراها تدعى أنها مرحلة تنتمى حتما الى الزوال تشبها بالاشتراكية الماركسية ، ولكن الحقد الدفين أوغر صدور الرجعيين ، وأعماهم عن أن يتلمسوا فى الميثاق تفرقته بين نوعين من الملكية : الملكية المستغلة، والملكية غير المستغلة• فبينما شجب الميثاق الاولى اعتبر الثانية حقا لأفراد المجتمع ، بل انه احتفظ للاجيال القادمة بحقها فى أن تتطلع الى الملكية ما دامت غير مستغلة وتؤدى وظيفتها الاجتماعية • وبين الميثاق اقرار الملكية وتوسيع نطاقها فى الاشتراكية العربية ويوضح حدودها للاطمئنان الى عدم الاستغلال •

أما عن الفقرة التى يتساءلون عنها : هل هو الشعب المصرى الذى اختار الحل الاشتراكى أو أنه فرض عليه هذا الحل الاشتراكى ؟ نرى أن دعاة الرجعية قد ساروا شوطا بعيدا فى خطتهم لشجب الاشتراكية العربية وبلبلة الرأى العام فى كل الأقطار العربية •

ولو كانوا ينحون نحو الانصاف بدلا من اتباع الهوى فى استقراء تاريخ الشعب المصرى قبل الثورة وبعدها ـ لرأوا أن حرية الارادة والفكر والرأى كانت بعيدة عن منال هذا الشعب ، وأن قياداته التى كانت تدعى تمثيله والتحدث باسمه لم تكن تعنى فى مجموعها الا بمصالحها الذاتية • وأسوأ من هذا أنها

فى حرصها على هذه المصالح كانت تعمل بوعى منها أو بغير وعى لمصلحة الاستعمار . بينما حققت مبادىء الثورة والاشتراكية العربية : الكفاية، والعدل ، والحرية الاجتماعية لأفراد الشعب الذين كانوا يستشعرون مغزى الحرية فى ظل : الاقطاع ، والاستغلال ، والرأسمالية .

والطليعة الواعية هى التى تستشف آمال الجماهير ومتطلباتها قبل أن تبلورها الجماهير فى صيغة مطالب لانها - أى القيادة - بصدق احساسها وطبيعة نبوعها من وسط الجماهير الشعبية تعرف ما تتطلع اليه هذه الجماهير وتسعى الى اتخاذ الاجراءات والوسائل التى تحقق أهدافها . وفى نفس الوقت تعتمد فى زيادة قوتها وصلابتها فى السير فى هذه الطريق على مساندة الشعب لاجراءاتها .

وقد أوضح الميثاق فى الباب السادس « فى حتمية الحل الاشتراكى » أن هذا الحل حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير ، كما عرضتها الطبيعة المتغيرة فى العالم فى النصف الثانى من القرن العشرين . وبالتالى فان طليعة هذه الامة أخذت تلك العوامل فى الاعتبار ، وترجمت الآمال العريضة فى الاشتراكية العربية نظرية وتطبيقا .

وهل يختلف اثنان فى أن الكفاية التى تحقق للامة : تقدمها ، وعزتها ، وقدرتها على مواجهة قوى الشر فى العالم - وما أكثرها - وكذا العدالة الاجتماعية التى تهدف الى تحقيق الرفاهية ، يعكسان مطلبا قوميا خالصا أمينا لجماهير الشعب عامة .

وتتناسى الحملات الرجعية عامدة مناقشة الميثاق فى مؤتمر شعبى ، والاستفتاءات العامة التى أجريت فى الجمهورية العربية المتحدة ، والتجاوب الفريد الذى لاقته هذه الاستفتاءات وأسفر عن تأييد شعبى اجماعى .

وتذكر حملات الدعاية الرجعية أن موجهى الاشتراكية فى مصر لجأوا الى اتخاذ الدين الاسلامى نفسه طريقا الى اشتراكيتهم التى صد عنها الناس .

ولسنا نعلم من أين استقوا علمهم ذلك ؟ • لقد نسوا أن الاشتراكية فى حتميتها مبدأ وعقيدة وتطبيقا وضعت لصالح الغالبية العظمى من « الناس » أى جماهير الشعب التى ضمها تحالف قوى الشعب العاملة فى الاتحاد الاشتراكى العربى •

وواضح أنّ موجهى هذه الحملات يصدرون فى كتاباتهم عن منطوق واحد التزموه وهو أن الاشتراكية الماركسية الحادية ، والاشتراكية العربية صورة من الماركسية ، والأخيرة حين تراعى ايمان الشعب المصرى بالدين واجهته ايجابيا ومرحليا بادخال الاشتراكية والاسلام فيما يدل على انهما صنوان ، حتى اذا تمكن ذلك من نفوس الشعب فان الزمن الطويل كفيل بمحو أثر الدين •

وفى مجال تأييد أقوالهم فى هذا الصدد يشيرون الى أن الدين الاسلامى لم يرد ذكره فى الميثاق مرة واحدة فى مجال يفيد أن هذا الدين مصدر من مصادر تشريعنا ، أو أنه يرجع اليه فى تنظيم شئون الحياة •

ويجهل هؤلاء – أو يتجاهلون – طبيعة الميثاق وأهدافه وأن الدستور المؤقت « مارس ١٩٦٤ » نص فى مادته الاولى على أن الجمهورية العربية المتحدة دولة ديموقراطية اشتراكية ، ونص أيضا فى المادة الخامسة على أن الاسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية • وأوضحت مقدمة الدستور أنه صدر تأكيدا للميثاق الذى أقره مؤتمر القوى الشعبية • وفى نفس الوقت ، مراعاة لحرية الاعتقاد المنصوص عليها فى المادة (٣٤) ينص الدستور فى مادتهالسابعة أن « الاسرة أساس المجتمع ، قوامها : الدين ، والاخلاق ، والوطنية » •

ويجهل هؤلاء – أو يتجاهلون – التطور الكبير الذى حدث فى عهد الثورة وعمل على التوعية الدينية فى أجهزة الاعلام الرسمية ، وبصفة خاصة فى برامج الاذاعة حتى أنشئت محطة القرآن الكريم ، وفى برامج التليفزيون ، وفى تطوير الجامعة الازهرية بشكل يزيد من فاعليتها وخريجيها ، مما أثار حفيظة الاوساط

الاستعمارية فى الخارج خوفا منها على تقلص نفوذها المتمثل فى جهودها التبشيرية فى البلاد الافريقية بشكل خاص ٠

ولو توخينا الرد على كل دعوى أو زعم ورد فى هجوم الدول الرجعية لكان فى ذلك تكرار لما ورد فى كثير من الوثائق والاحاديث الرسمية ، وأهمها الميثاق ، والدستور ، ولذا نكتفى فى ايجاز بالاشارة الى النقاط التالية :

انهم يصرون باستمرار على الخلط بين الاشتراكية العربية والماركسية بالرغم من أنهم يوردون فى أحاديثهم ما ذكره الرئيس عبد الناصر فى أحد خطاباته بالنسبة لعلمية الاشتراكية العربية ما يلى :

« واذا كنا نريد اشتراكية سليمة ناجحة يجب أن تكون بطريقة علمية وعكس الطريقة العلمية هى الطريقة الفوضوية ، فاشتراكيتنا اذا اشتراكية علمية قائمة على العلم وليست قائمة على الفوضى ، وهى ليست أبدا اشتراكية مادية ، لم نقل أن اشتراكيتنا اشتراكية مادية ولم نقل أن اشتراكيتنا ماركسية » ٠

ولم تشر الدعايات الرجعية الى أن الميثاق فى شجبه للتجارب الرأسمالية لتلازمها تلازما كاملا مع الاستعمار وقيامها عن طريق النهب ، ولتحقيق أهدافها على حساب زيادة شقاء الشعب العامل واستغلاله لصالح رأس المال ، شجب فى نفس الوقت التجارب الاخرى للشيوعية التى حققت أهدافها تحت ضغط تطبيقات مذهبية لا تتمشى مع واقعنا وثقافتنا وقيمنا ٠

ولم يشيروا أيضا الى الاهتمام الكبير فى الميثاق بدور القطاع الخاص ورأس المال الوطنى غير المستغل فى أكثر من موضع نقتبس من بينها :

« ان استمرار دور القطاع الخاص بجانب القطاع العام يزيد من فعاليات الرقابة على الملكية الشعبية العامة ، ويقوم بدور عامل منشط لها بما يفتحه من مجالات المنافسة الحرة فى اطار التخطيط الاقتصادى العام » ٠

وفى هذا تشجيع للمبادرة الفردية فضلا عن التركيز على دعم روح المبادرة فى القطاع العام أيضا ٠

واستمرارا فى تعرضهم لثورتنا واشتراكيتنا يذكرون أن :

« الأزمات الاقتصادية تتوالى على البلاد التى تطبق الاشتراكيات ، فتضطرها الى دفع الشعب الى الجوع والقلق على الغذاء ، أو تصطدم بارتفاع الاسعار، أو تدفعها الى الاستعانة بالقروض الخارجية حتى من دول قد تسميها بالرأسمالية ٠

ولو أنصفوا وعدلوا فى نقدهم لرجعوا الى تاريخ مصر حتى قيام الثورة لتعمق حتمية قيامها واستهدافها فى كل أعمالها مصالح الشعب العريضة وأمله فى الارتفاع بهذه الامة بكل وسيلة ممكنة ، ولتوخوا الانصاف أيضا فى سرد بعض انجازات الثورة ولو على سبيل المثال ، ولحاولوا ـ ولو فى ايجاز ـ أن يتصوروا وضع مصر ووضع العربى فيها فى ظل حكمها السابق أو أى نظام يختاره رأسماليا صريحا أو غيره ٠ وبدلا من ذلك أشار موجهو هذه الدعاية الخبيثة فى مكر واضح ـ الى بعض الحالات التى تعرض لها الاقتصاد العربى مشيرين الى نقص بعض المأكولات والى الاعتماد على القروض من الدول الرأسمالية ، ويتجاهلون أن دولا رأسمالية كبيرة اعتمدت بعد أن أصابها دمار الحرب على معونة دول رأسمالية أخرى لاقالتها من عثرتها ، وأن بريطانيا حاليا مثلا تعتمد على قروض ضخمة للاحتفاظ بكيانها الاقتصادى وبقيمة الجنيه الاسترلينى ، وأن الدول النامية عموما وهى تشكل معظم دول العالم تطالب بزيادة الاموال المتاحة لتنمية اقتصادياتها كحق مقابل لما تعرضت له بلادها من نهب وسلب من الدول الرأسمالية خصوصا ٠

وحين تردد الدعايات المعادية أفكارا خاصة عن الثورات عموما والثورة الماركسية خاصة وتخلص بأن الثورة ليست طريقا للتقدم لأنها « تتم بالعنف والدم وتأتى بالخراب والدمار والرجوع الى الوراء » تتناسى ـ اشباعا لأحقادها ـ

أن من أكبر مفاخر الثورة العربية سماحتها ـ فهى ليست دموية ـ بحيث أصبحت هذه من مآثرها • وورد عنها فى مقدمة دستور ١٩٦٤ « أنه تتويجا لمرحلة التحول العظيم التى تم فيها ، بالتطور السلبى والثورى فى نفس الوقت ، تحقيق سيطرة الشعب على ملكية وسائل الانتاج وادارتها » ووضح لكل ناقد أمين سعيها الدائم للبناء ، ومقاومتها المستمرة لكل جهد منحرف هدام ، وعملها المتواصل على حل مشكلات التنمية ، ورفع مستوى المعيشة ودعم دفاعها لليوم الموعود بوسائل أصبحت تمثل نموذجا يحتذى يخشاه الاستعمار بجميع صوره وأشكاله والرجعية المتحجرة ، وأصبح محل دراسة المفكرين فى بلاد العالم غربا وشرقا ، وكذا فى البلاد الساعية للتنمية •

صدى الميثاق الوطنى :

طوال الاسبوع الثانى من شهر مايو عام ١٩٦٢ ومعظم أجهزة الاعلام ووسائل النشر العالمية تتحدث عن مشروع الميثاق الذى أعلن فى القاهرة أن الرئيس عبدالناصر سيذيع نصه الكامل فى أول جلسة يعقدها المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية • وقد دارت تكهنات كثيرة فى مختلف صحف العالم حول ما قد يتضمنه الميثاق من مبادىء واتجاهات من شأنها أن تؤثر فى المدى البعيد على الصورة العامة للمجتمع داخل الجمهورية العربية المتحدة •

ومظهر الاهتمام البالغ بمشروع الميثاق قبل اعلانه تفسره تعليقات كثيرة لصحف الغرب ، ولا سيما فى بريطانيا ، وهى تشير فى مضمونها الى أن الجمهورية العربية المتحدة لن تكون وحدها الارض الخصبة الصالحة لاستيعاب محتويات الميثاق ، ولكن بذوره قد تجد نفس الخصوبة فى أراض عربية أخرى كثيرة •

والشىء الثابت أن ملامح كثيرة من محتويات الميثاق قد تضمنتها تعليقات معظم صحف العالم قبل اعلانه • الأمر الذى يؤكد أنه بعد عشر سنوات كاملة استطاعت ثورة ٢٣ يوليو أن تقدم للعالم مفهوما كاملا عن الصورة الثابتة للنظام

السياسى ، والاجتماعى ، والاقتصادى الذى تحـاول ارساء دعائمه الجمهورية العربية المتحدة .

والذى حدث أنه بعد ٦ ساعات كاملة استغرقها الرئيس عبدالناصر فى اعلان مشروع الميثـاق « ٣٠ ألف كلمة » أمام أول اجتمـاع للمؤتمـر الوطنى للقوى الشعبية يوم ٢١ من مايو صدرت معظم صحف العالم فى اليوم التالى لتعلن أن البرامج المنظمة المدروسة التى قدمها مشروع الميثاق لم يكن من بينها ما يمكن اعتباره مفاجأة غير متوقعة بالنسبة لأحد . ولقد صار ما يشبه الاتفاق بين جميع مصادر الأنباء على أن مشروع الميثاق جاء وثيقة استكملت ملامح كثيرة وحددت بوضوح موضوع الثورة العربية الرائدة التى تقودها القاهرة ، وحددت مكانهـا بين الثورات الأخرى الكبيرة المماثلة التى كان لهـا تأثيرها المباشر على تاريخ العالم .

وبعد أسبوعين من اعلان الميثاق فى القاهرة كتب جون كميش فى جريدة الجويش أوبزرفر معلنا أن الحقيقة الكبرى التى يجب أن يتذكرها الجميع بشأن الميثاق هى أنه لم تعد هناك أية متناقضات فى تفكير ناصر .

ثم يضيف أن الرئيس عبد الناصر « يعلم الآن ما يريده ، وقد قال ذلك للشعب المصرى ، وللأمة العربية » .

ولقد يبدو غريبا أن تكون مصادر الأنباء فى بريطانيا من اذاعة وصحف هى أنشط وسائل الاعلان فى العالم استقبالا وتعليقا على مشروع الميثاق الوطنى قبل وبعد اعلانه . ولكن وصف الميثاق فى بريطانيا بأنه « القران الجديد » وقال راديو لندن ان الاسبوع الذى ظهر فيه الميثاق كان « أسبوعا خالدا فى تاريخ الأمة العربية » .

وكانت صحف ايطاليا من أكثر صحف أوروبا عموما تعليقا على الميثاق فور اعلانه ، والذى لا شك فيه أن الصحف الايطالية ـ بخاصة الاشتراكية ـ كانت

من أفضل صحف العالم استقبالا للميثاق العربى وترحيبا به • ولقد أثار هذا الترحيب من جانب الصحف الاشتراكية الايطالية نقمة معظم الصحف الصهيونية فى العالم الى الحد الذى قالت فيه صحيفة الجويش أوبزرفر : ان بيترونينى الزعيم الاشتراكى الايطالى « قد رحب بالفعل بالميثاق دون أن يعرف ما الشىء الذى يرحب به » •

والمعروف أن بيترونينى قد استقبل الميثاق العربى على أنه « حدث بالغ الاهميه ، وأنه على الاشتراكيين فى ايطاليا أن يتصلوا بأخوانهم فى الجمهورية العربية المتحدة » •

أما مصادر الاعلام الفرنسية فقد كان لها وجهة نظر أخرى ، اذ أذاع راديو باريس فور اعلان الميثاق أن ناصر عاد فوضع مصر من جديد على رأس العالم العربى ، وأضاف الراديو أن هذا القول لا يتجاوز كونه مجرد رأى خاص لأنه حتى الآن لم ترغب أية دولة عربية فى تنصيب مصر الناصرية زعيمة للأمة العربية • ولقد استقبلت الصحف الفرنسية مشروع الميثاق بحذر شديد ، وكانت بعض تعليقاتها لا تخلو من الاتهام التقليدى للجمهورية العربية المتحدة بأنها تحاول فرض نفسها زعيمة ورائدة للعالم العربى • ولكن ذلك لم يمنع اذاعة تشيكوسلوفاكيا فى اذاعة لها يوم ٦ من يونيو من ترديد ماتناقلته أوساط الكتاب والسياسيين فى باريس حول الميثاق ، وهو يشير فى مضمونه الى أن الميثاق أصبح دستورا للدولة العربية ، وانه بات من المحتمل أن تخطو دول عربية أخرى هذه الخطوة الجريئة • ومن بين دول الكتلة الشرقية كانت يوغوسلافيا وحدها بصحفها واذاعاتها الى جانب الميثاق فور اعلانه • واعتبرته جريدة اليوربا برنامج الأمة العربية فى العمل وطريقها للتطور الديموقراطى الذى يقوم على أساس حلول اشتراكية •

وأما فى الدول العربية فقد اختلفت طريقة استقبال مشروع الميثاق فور اعلانه • ففى لبنان ظهر اتجاهان ، أولهما يؤكد كل ما جاء بالميثاق ويرد شعاراته

الى ضمير الامة العربية كلها ، والآخر وتمثله الصحافة الواليه للمغرب فى بيروت وجه انتقادات عنيفة لكل ما جاء فى الميثاق • ولقد كان هجوم بعض الجرائد اللبنانية الموالية للاستعمار على الميثاق يحمل طابع التعصب والتخبط ولا يرفع الا شعار هدم كل ما هو قادم من القاهرة • ومن ثم فان المراقب لم يفته أن انتقادات هذه الصحف تفتقر الى عنصرين أساسيين هما موضوعيه النقد ونزاهته • ولقد بذلت فى جرائد العراق والاردن والمغرب محاولات للتجاهل واكتفت بتلخيص بعض محتويات الميثاق • وانتهزت جريدة البلاد التى تصدر فى بغداد فرصة اعلان الميثاق لكى تذكر اللواء قاسم بوعد قديم كان قد قطعه على نفسه باعلان دستور لشعب العراق ، الامر الذى لم يحدث حتى نهاية حكمه •

وفى المغرب بينما كانت جرائد الحكومة تكتب عن الميثاق بحذر دون تورط فى مدح أو هجوم ، انطلقت جرائد المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية تعلن ترحيبها بالميثاق •

وفى السودان لم تعلق جرائد الحكومة أو الموالية لها على الميثاق • وقالت الجرائد المستقلة أن الميثاق هو الطليعة الاولى لأسلوب العمل السياسى الذى تفتقر اليه دول الشرق الاوسط ، ووصفت جرائد الختمية الميثاق بأنه سيكون عظيما اذا نجح • أما الجرائد المعروفة بعدائها الصريح للجمهورية العربية المتحدة فلم تعلق عليه ولم تكتب عنه •

وفى السعودية قادت صحف الملك سعود أعنف هجوم وجه الى الميثاق وقد وصفته بأنه نوع من الالحاد والكفر وطالبت بمقاومته ، وقالت ان الاسلام لا يعرف الاشتراكية التى يدعو اليها عبد الناصر •

وجرائد السعودية لم تنشر تعليقا واحدا موضوعيا أو مدروسا فى نقد أحد بنود الميثاق أو مبادئه أو شعاراته ، ولعل ذلك يرجع فى الأصل الى المستوى المنهار الذى تعانى منه صحافة السعودية والمشرفون عليها •

وفى آسيا كانت صحافة الهند أكثر من غيرها اهتماما بمشروع الميثاق فور اعلانه ، وقد نشرت بعض محتوياته وان كانت معظم تطبيقاتها دارت حول الميثاق ولم تتدخل لمناقشة مضمونه • ولم تظهر انتقادات بوجه عام فى معظم ما نشرته صحف الهند حتى الآن •

أما فى اسرائيل فقد قادت صحف تل أبيب واذاعتها أكبر حملة تشكيك حول كل ما تضمنه الميثاق، وقالت انه متناقض وغامض لأنه لا يقدم حلولا معقولة لمشكلات المجتمع فى الجمهورية العربية المتحدة • ويؤكد ما جاء فى كتاب فلسفة الثورة عن أطماع الرئيس ناصر فى الدول العربية •

والى جانب حملة التشكيك قادت الصحف والاذاعة فى اسرائيل حملة تحريض منظمة وموجهة ضد بقية الدول العربية على زعم أن الميثاق « قد تجاهل حكام هذه الدول ، واستهان بهم ، واستمر فى التدخل فى شئون بلادهم وطمع فى تحقيق نظامه الاشتراكى على المستوى العريض الذى يشمل كل الأمة العربية » . ولقد استندت دعايات اسرائيل الى أن اشتراكية ناصر لا يمكن أن يكتب لها البقاء فى داخل الجمهورية العربية المتحدة فقط • ولكن هذه الاشتراكية يجب أن تمتد وتنتشر فى كل أجزاء الأمة العربية كشرط أساسى لابد من توافره لنجاحها • ومن ثم فان اشتراكية ناصر تهدد الاوضاع القائمة فى بقية الدول العربية ، وظلت اسرائيل لفترة طويلة تحذر الحكام العرب من هذا المصير • واطلقت نفس هذا التحذير الى : باريس ، ولندن ، وواشنطون على اعتبار : « ان مصالحها مهددة بالخطر فى حالة تغير الاوضاع القائمة فى المنطقة بسبب اشتراكية ناصر » • ومعنى هذا أن دعايات اسرائيل حاربت الميثاق على جبهتين عريضتين : الأولى تمثل الجبهة العربية والأخيرة تمثل كل ذوى المصالح الذين يهمهم الابقاء على الاوضاع الراهنة فى المنطقة دون تغيير •

واذا كانت الابواب العشرة التى تضمنها مشروع الميثاق الوطنى قد حظيت باهتمام بالغ من جانب معظم مصادر الأنباء العالمية ، فقد لوحظ أن أبوابا

معينة سلطت عليها الاضواء بطريقة جعلتها أكثر اثارة ، وهذه الابواب هى : الثالث ، والخامس ، والسابع ، والتاسع. كذلك كانت المبادىء الثلاثة الكبرى التى تضمنها مشروع الميثاق ودارت حولها معظم المناقشات والتعليقات العالمية هى :

١ ـ الحرية السياسية :

مدلولها • وضماناتها ، والوسيلة المؤدية اليها •

٢ ـ الاشتراكية العربية :

حدودها • أبعادها • وطبيعة الأوضاع التى انبثقت عنها •

٣ ـ الوحدة العربية :

مفهومها • حتميتها • ثم كيفبة الوصول اليها •

وتقول جريدة النهار البيروتية أن معظم العقائد والبرامج الحزبية جاءت قبل الحكم ، وهذه هى نقطة الخلاف الجوهرية بين ميثاق ناصر وبرنامج حكمه عن سائر العقائد والبرامج الحزبية • وتضيف نفس الجريدة بأن كلا من لنين وهتلر وموسولينى أعلنوا عن عقائدهم ورسموا الاطار الذى يسيرون فيه قبل وصولهم الى الحكم • ونفس هذا المعنى تقريبا قاله جاى ويلز فى تعليق له حول الميثاق نشرته جريدة النيويورك تايمز وجاء فيه : « ان كل ما فعله الزعيم المصرى بعد عشر سنوات من ثورته ضد الملكية هو أن يضع سلطته وتفكيره الذى كان غامضا فى اطار تنظيمى • ولكن جريدة الجويش أوبزرفر لها رأى آخر فى الميثاق الوطنى أعلنه جون كمش بقوله : ان ميثاق ناصر هو نوع من التروتسكية العربية • والذى أفزع جريده الجويش أوبزرفر فى الميثاق أنه جعل مصر المسئولة عن القيادة الثورية الشعبية للامة العربية • فقد جاء فى الميثاق : أن ثورة الشعب المصرى حركت احتمالات الثورة فى العالم العربى كله ، وأنه لم يعد هناك من شك فى أن الشعب المصرى مطالب اليوم بأن يضع مزايا انتصاره فى خدمة الثورة العربية الشاملة •

أما وسيلة العمل الى تحقيق العمل الثورى الرائد الذى يقع على عاتق القاهرة فى محاولتها لضمان الحرية والاشتراكية والوحدة العربية فتنقله جريدة الجويش أوبزرفر عن الميثاق الذى جاء فيه : أن الجمهورية العربية المتحدة ـ وهى تؤمن بأنها جزء من الامة العربية ـ لابد لها أن تنقل مبادئها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى دون التردد لحظة أمام الحجة البالية التى تعتبر هذا تدخلا منها فى شئون دول أخرى . ومن ثم فان واجب الجمهورية العربية المتحدة هو مساندة كل حركة شعبية وطنية ، وان تدفع النضال الى مداه ، وان تفتح أفاقا جديدة للتعاون بين جميع الحركات التقدمية الوطنية فى العالم العربى . وعلى هـذا فان قيام اتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال .

ومعنى هذا فى اعتقاد جرائد اسرائيل عموما هو تسخير الجامعة العربية لتكون وفق هوى ناصر . وهكذا تبدو خطورة الاتحاد الاشتراكى العربى الذى أعلن عنه الميثاق والذى اعتبرته كل مصادر الأنباء فى العالم حدثا جديدا وبالغ الأهمية قد يكون له أثره على المستوى البعيد .

وتقول مجلة الاكسبريس الفرنسية فى تعليق لها يوم ٧ من يونيو حول الميثاق : بأن نهاية طريق الميثاق الوطنى هى الشيوعية، وأن عبد الناصر قد يضطر فى النهاية الى أن يسلك نفس الطريق الذى وصل اليه كاسترو .!! ومخاوف المجلة الفرنسية . من هذا المصير الذى تزعمه تبنيها على نتائج انتخابات المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية الذى يقع على عاتقه تحريك الميثاق وتنفيذه :

١ ـ من بين ممثلى المؤتمر يوجـد ٣٧٥ وفدوا من الريف ومعظمهـم من صغار الفلاحين .

٢ ـ الطبقة العاملة فى المؤتمر تفوق فى عددها الطـوائف الاجتماعية الاخرى .

٣ ـ طبقة الرأسمالية الوطنية فى المؤتمر تشعر بمركب نقص ٠

٤ ـ ٥٠٪ من العمال والفلاحين فى كل المجالس التشريعية ٠

وتضيف مجلة الاكسبريس الفرنسية أن حث الفلاحين والفقراء والمغلوبين على أمرهم على الاحساس بالعزة والمسئولية وهم ما زالوا فى حاجة الى قوتهم اليومى لابد ، أن يؤدى فى النهاية الى انطلاق القوى الثورية التى ظلت حتى الآن كامنة فى أعماق الشعب المصرى ، ومن ثم تصعب الحيلولة دون انفجاره ٠ ولكن المجلة نفسها تقرر أن الرئيس عبد الناصر لا يتعرض لأى خطر من هذا القبيل ، وان الشيوعية فى الجمهورية العربية المتحدة لا وجود لهـا يخشى منه ٠ وان الرئيس ناصر يحتل القوى النظامية الوحيدة فى المنطقة ٠ ثم تعود المجلة لتعلن أن مخاوفها تزداد اذا تعرض الأمر لدول عربية أخرى مضطربة مثل سوريا والعراق حيث توجد أحزاب شيوعية منظمة وأجهزة للحكم تعانى ضغطا واضطرابا بالغين ٠ وتقول مجلة الاكسبريس انه فى هذه الحالة لن تقنع الاحزاب الشيوعية فى العراق وسوريا بهذا النظام الاشتراكى الذى وضعه الرئيس عبد الناصر ٠

كذلك كان من قبيل المزاعم نفسها ما رددته جريدة ها آرتس الاسرائيلية ونقله راديو اسرائيل ، فان ما يفهم من أقوال الرئيس فى الميثاق أن نظام الحكم الجديد فى الجمهورية العربية المتحدة سيكون شبيها بنظم الحكم فى الجمهوريات الشعبية فى أوروبا الشرقية ٠

وفى الجانب الآخر تماما تقول بعض صحف بيروت وهو نفس ما يردده راديو اسرائيل : أن الميثاق جعل من ثورة عبد الناصر ثورة محافظة تريد الاحتفاظ بمكاسبها وأنها معنية فى المكان الأول بالاصلاحات الداخلية لان هذه الاصلاحات ستكون وحدها الطريق الحقيقى والفعلى للوحدة العربية ٠ وفى تعليق آخر نجد نفس المعنى كتبته صحف بيروت وتقول : ان الميثاق يعنى أن تبنى مصر نفسها

أولا على أساس تجربتها الاشتراكية لتكون مثالا يحتذى تتجه اليه آمال الحركات التقدمية فى العالم العربى ، وعلى هذا الأساس يبرز اتجاهان متعادلان فى كتابات الصحف ذات الميول المعادية للميثاق :

١ ـ الاتجاه الاول يقول ان الميثاق وضع شعارا هو « مصر فى خدمتكم » ٠

٢ ـ الاتجاه الأخير يقول ان الميثـاق وضع شعارا هو « مصر فى خدمة نفسها أولا » ٠

غير أن عملية « التخويف » التى تنظمها الدعايات المعادية ضد الميثـاق فى الدول العربية لا تقوم على أسس حقيقية تدعمها ، ونجد أن معظم صحافة الغرب قد أكدت بما لا يدع مجالا للشك أن اشتراكية ناصر بعيدة تماما عن شيوعية موسكو وبعيدة أيضا عن اشتراكية تيتو « صديق ناصر المقرب » ولا تبدو فى كثير من عناصرها دخيلة أو مستوردة ٠

فأهم ما يميز اشتراكية ناصر ـ كمـا قالت صحف الغرب ـ أنها رفضت الصراع الحتمى للطبقات ، وأنها احترمت الملكيات الخاصة ، وأنها تمسكت بالعامل الروحى ، وأنها رسمت حدودها داخل اطار من الدين ٠

ويقول راديو لندن فى اذاعة له عقب اعلان الميثاق بيومين فقط « ٢٣ من مايو » : أنه قد أصبح من الواضح أن اشتراكية ناصر تختلف عن اشـــتراكية أوروبا الغربية ، ولكنها تختلف أيضـا عن اشتراكية الروس ، ذلك أنهـا فى الأصل اشتراكية تمت صياغتها فى ضوء ظروف الجمهورية العربية المتحدة وواقعها ٠

وعلى هذا الاساس يبدو تماما أن هجوم الدعايات المعادية لاشتراكية ناصر ليس أساسه أنه قد ينتهى بها الطريق الى الشيوعية ، ولكن سر هذا الهجوم

الحقيقى هو ما أعلنه راديو اسرائيل فى اذاعة له يوم ٢٣ من مايو عن أن ميثاق ناصر تمخض عن « اشتراكية عدوانية » ٠

وعدوان اشتراكية ناصر فى عرف دعايات اسرائيل وغيرها هو أن الميثاق لم يكتب لشعب الجمهورية العربية المتحدة وحده ، ولكنه كتب لكى يكون صالحا للتصدير خارجها ٠ وهنا يكمن الخطر الذى يواجه اسرائيل ومن ورائها كل القوى الاجنبية ذات المصالح الحيوية لا فى المنطقة العربية فقط ولكن فى مناطق أخرى كثيرة فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية حيث تنشط حركات التحرر القومية التى أصبحت الطابع المميز للنصف الثانى من القرن العشرين ٠

نفس هذه الاشتراكية العدوانية تتحدث عنها الصحف الاجيرة فى بيروت وتقول هذه الصحف : « هنيئا باشتراكية ناصر فى داخل بلاده فقط أما فى لبنان فلا !! » ٠

وابتدأت هذه الصحف تتحدث عن الخلافات الجذرية بين الاوضاع الاجتماعية القائمة فى داخل الجمهورية العربية المتحدة ومثيلتها فى لبنان ٠

وقد خلصت الى نتيجة تقول : ان اشتراكية ناصر تصلح للجمهورية العربية المتحدة ولكنها لا تصلح للبنان ، ومن ثم فليس من القريب أو البعيد أن تظهر الدعايات فى الاردن والعراق وغيرهما فى المستقبل لتردد نفس ما سبقت اليه دعايات بيروت من القول بأن اشتراكية ناصر لا تصلح الا للجمهورية العربية المتحدة ، فان دافعا آخر تتبناه دعايات السعودية فى الجزيرة العربية ومؤداه أن الاشتراكية مفهوم غريب على الاسلام والمسلمين ٠

ومن ثم فان دعايات الجمهورية العربية المتحدة عليها أن تتوقع مزيدا من النشاط الذى سوف تبذله الدعايات المعادية على الجانب الآخر ، وعلى أوسع نطاق ٠

والذى لا شك فيه أن المعركة التى ستخوضها دعايات الجمهورية العربية فى المنطقة العربية ستكون ساخنة وسيكون خصومنا على أكثر من جبهة • وعملية خداع الجماهير قد تبدو سهلة ، ودعايات الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بحماية الجماهير العربية التى تمثل قاعدة التقدم الثورى للجهود الرائدة التى تبذلها القاهرة من أجل الامة العربية •

ثورة اليمن :

بعد المظاهرة الاستعمارية الرجعية الصاخبة التى تم عقدها فى مصيف شتورا فى لبنان لمحاكمة الوحدة العربية فى نهاية صيف ٦٢ فوجىء العالم بعدها بأيام بقيام ثورة اليمن التى قضت على الحكم الامامى الرجعى فى صنعاء •

ولقد كان استقبال الدعايات العالمية ومصادر الأنباء لقيام الثورة اليمنية وأثرها على الجزيرة العربية بخاصة والأمة العربية بعامة ما يمكن اجماله بالطريقة التالية :

أولا ــ الجزيرة العربية :

منذ قيام ثورة اليمن وحتى انعقاد مؤتمر القمة العربى الاول اشتركت كل من اذاعات : مكة ، وعدن، والملكيين فى توجيه حملات دعائية معادية ضد ثورة اليمن والجمهورية العربية تستهدف تأكيد شرعية البدر ، وتفكيك جبهة الثورة ، واثارة الشعب اليمنى ضد قوات الجمهورية العربية المتحدة فضلا عن محاولة النيل من شخصية الرئيس عبد الناصر واثارة الرأى العام العربى والدول ضده •

وفى خلال الفترة من مؤتمر القمة العربى الاول حتى عقد اتفاقية جده يلاحظ أن اذاعة مكة خففت من حملاتها الهجومية ضد الجمهورية العربية المتحدة وثورة اليمن بينما استمرت كل من اذاعة عدن والملكيين فى اتجاهها المعادى

[illegible]

أما اذاعه عمان فقد استمرت فى معارضتها للثورة وشن حملاتها على سياسة القاهرة تجاه اليمن حتى مؤتمر القمة العربى الأول حيث تلاشت المعارضة والحملات، واستمرت اذاعة بغداد فى تأييدها للثورة ومعارضتها لبقاء القوات العربية فى عهد عبد الكريم قاسم ، وخفت هذه المعارضة فى عهد حكم البعث حتى نجاح ثورة الرئيس عارف على حكم البعث حيث سارت اذاعة بغداد فى تأييدها القوى للثورة ولموقف القاهرة منها ٠

ولقد اتفقت اذاعات كل من : بيروت ، وعمان ، وبغداد فى الترحيب باتفاقية جدة ، وأشادت بمباحثات الرئيس عبد الناصر ، والملك فيصل فى سبيل عقدها بينما انفردت اذاعة دمشق فى معارضة هذه الاتفاقية ، وقد خفت هذه المعارضة بعد مؤتمر القمة العربى الثالث ٠

وسارت صحف : سوريا ، والاردن ، والعراق على نفس الاتجاه الذى سارت فيه اذاعاتها ٠ اما صحف لبنان فقد تناولت تطورات القضية اليمنية منذ قيامها حسب ميولها واتجاهاتها المختلفة ، فبينما أيدت الصحف القومية والشيوعية الثورة اليمنية شككت فيها بعض الصحف الغربية الميول والبعثية ٠

ثالثا ـ المغرب العربى :

كان موقف وسائل الاعلام فى دول المغرب العربى من ثورة اليمن على النحو التـــالى :

١ ـ منذ قيام الثورة وحتى مؤتمر القمة العربى الأول :

فور قيام الثورة سارعت وسائل الاعلام الجزائرية والتونسية بتأييد الثورة ، فأشادت بها ، ونددت بنظام الامامة الرجعى ، وهاجمت التدخل السعودى فى شئون اليمن ٠

ولم تمض عدة شهور حتى تغير موقف الاذاعة والصحافة التونسية، وأخذت تشن هجوما شديدا على ما أسمته التدخل المصرى ، وتحولت الى العطف على السعودية وترديد انتصارات الملكيين .

أما الاذاعة الليبية فقد اقتصرت على ترديد البيانات الرسمية ونقل الأحداث بصورة اخبارية معبرة فى ذلك عن موقف حكومتها الانعزالى محاولة عدم التدخل فى الخلافات العربية . اما الصحافة الليبية فقد انقسمت على نفسها وتزعمت صحيفة الرائد الجانب المؤيد للثورة والجمهورية العربية المتحدة ، كما تزعمت صحيفة الميدان الجانب المعادى .

وفى المغرب وقفت الاذاعة والصحافة الرسمية وشبه الرسمية الى جانب القوى الرجعية ، فعملت على اذاعة الاخبار التى فى صالح النظام الملكى ، وأهملت أخبار الجانب الثورى ، فى حين وقفت صحف المعارضة الى جانب ثورة اليمن منذ اللحظة الأولى ، ونددت بالحكومة المغربية لعدم اعترافها بالثورة ، واتهمتها بالتحالف مع الرجعية .

٢ ـ الفترة من مؤتمر القمة العربى الاول حتى اتفاقية جدة :

اهتمت وسائل الاعلام الجزائرية بالمساعى التى بذلت من أجل انهاء الحرب فى اليمن ، وأشادت بمحاولة الجزائر التوسط فى النزاع ، كما أشادت بمبادرة عبد الناصر حين قرر السفر الى السعودية .

ولم تجد الصحف الرجعية المعادية للجمهورية العربية المتحدة فى تونس، وليبيا ، والمغرب فى نفسها الجرأة والقدرة على مهاجمة النظام الجمهورى والمطالبة بعودة النظام الامامى الرجعى لليمن ، ولذلك اتجهت الى الانحياز للكتلة الثالثة فى اليمن ، أو الجمهوريين المنشقين وتأييد النعمان ، ومهاجمة السلال وحكومته العسكرية على أساس أنه يؤيد بقاء القوات المصرية فى اليمن .

وعمدت الاذاعة والصحف التونسية الى تصوير الجيش المصرى بأنه جيش احتلال ، وأكدت أن اليمنيين يثورون ضده ، وأنه لن يثبت طويلا أمام الهزائم

المتكررة ، كما هاجمت السلال ، وأشادت بالنعمان ، وطالبت بانسحاب القوات المصرية واعطاء شعب اليمن الفرصة لتقرير مصيره بنفسه ٠

واستمرت الاذاعة الليبية فى موقفها السلبى ، وانضمت صحيفة الميدان الى صحيفة الزمان فى موقفها المعادى للتدخل المصرى وللمشير السلال ، وأيدت الجمهوريين المنشقين ، فى حين أبدت الصحف القومية وجود المصريين وهاجمت المنشقين على السلال ٠

وفى المغرب اقتصرت الاذاعة على نقل الاحداث بصورة اخبارية ، وقل اهتمام الصحف بمشكلة اليمن الا أن صحيفة العلم « حزب الاستقلال الوطنى » هاجمت السلال ، وأيدت النعمان ، ودعت الى وقف القتال مع التلميح بضرورة سحب القوات المصرية ٠

٣ ـ بعد توقيع اتفاقية جدة :

لم يكن تأييد الصحف الجزائريه لاتفاقية جدة تأييدا مطلقا فذكرت أنها لا تعنى زوال الخطر على اليمن ، وأن القاعدة ليست تحقيق السلم بأى ثمن ولكن تحقيقه فى اطار يضمن الوحدة الوطنية والاستمرار فى الخط الثورى ٠

وأظهرت وسائل الاعلام التونسية اتفاقية جدة على أنها هزيمة منكرة للجمهورية العربية ، وانتصار لليمنيين أنفسهم ، وتطبيق لما اقترحته تونس من قبل ٠

أما وسائل الاعلام الليبية فقد أجمعت على الاشادة باتفاقية جدة ، وان كانت بعض الصحف المعادية حاولت التشكيك فى جدية الاتفاق ٠

وفى المغرب أشادت الاذاعة والصحف الحكومية بالاتفاق ولكن ترحيب المعارضة به كان أشد وأوضح ، ورأت فيه انتصارا للشعب اليمنى وضمانا لعدم استقرار وضع اقطاعى أو رجعى فى اليمن ٠

رابعاً ــ اسرائيل :

ولقد استغلت الدعاية الاسرائيلية حرب اليمن للوقيعة بين الدول العربية وتنفيرها من الجمهورية العربية المتحدة عن طريق تصوير تأييد الجمهورية العربية المتحدة لثورة اليمن على أنه استعمار مصرى وأطماع ناصرية فى العالم العربى ، كما حاولت استغلال الحرب لتأليب الغرب على الجمهورية العربية المتحدة ٠

والى جانب ما سبق يمكن ايجاز أبرز الاتجاهات الدعائية فيما يلى :

١ ــ محاولة تفريق الصف العربى ٠

٢ ــ بداية التشكيك فى نجاح الثورة ٠

٣ ــ النيل من زعامة الجمهورية العربية المتحدة للعالم العربى ٠

٤ ــ الرغبة فى استمرار تورط مصر فى اليمن ٠

٥ ــ اثارة الرأى العام المصرى ضد الحكومة المصرية ٠

٦ ــ اثارة الشعب اليمنى ضد الجمهورية العربية المتحدة ٠

٧ ــ اظهار الجمهورية العربية المتحدة فى حالة اليأس من وصولها الى أهدافها ٠

٨ ــ النيل من زعامة الرئيس عبد الناصر شخصيا ٠

٩ ــ التركيز على أنباء انتصارات القوات الملكية والمبالغة فى تصوير خسائر القوات العربية ٠

١٠ ــ ترديد كل ما يسىء الى الجمهورية العربية المتحدة وقواتها ٠

١١ ــ محاولة اقناع الرأى العام بوجود عدم ثقة بين مصر والسعودية ٠

١٢ ــ محاولة اثارة الشكوك حول الجهود المبذولة للوساطة والتقليل من شــأنها ٠

١٣ ــ اتهام قوات الجمهورية العربية المتحدة باستخدام الغــازات السامة وضرب القرى والسكان الآمنين فى اليمن بالطائرات ٠

١٤ ــ تخويف الدول العربية من أطمــاع الجمهورية العربيــة المتحــدة فى البترول العربى ٠

١٥ ــ التشكيك فى نتائج محادثات الرئيس عبد الناصر والملك فيصل ٠

١٦ ــ اعتبار اتفاقية جدة هزيمة دبلوماسية للرئيس عبد الناصر ، ونصرا للملك فيصل ٠

١٧ ــ اتهام كل من القاهرة وصنعاء بنقض اتفاقية جدة ٠

١٨ ــ العمل على الوقيعة بين الجمهورية العربية المتحدة ، والسعودية لعدم اتمام تنفيذ اتفاقية جدة ٠

١٩ ــ محاولة التقليل من شأن مؤتمر حرض الذى عقد فى خلال هذا الشهر والتشكيك فى نية القاهرة بالنسبة لتنفيذ قرارات المؤتمر ٠

٢٠ ــ الادعاء بوجود خلافات فى صفوف الجمهوريين اليمنيين والاشــارة الى ترابط الملكيين ٠

خامساً ــ الدول الغربية :

أما فى العالم الغربى فقد شنت وسائل الاعلام حملة دعائية ضخمة ضد الثورة اليمنية ظفرت فيها وسائل الاعلام البريطانية بنصيب وافر ، ولا سيما الصحف البريطانية المحافظة والصهيونية ٠

وفى ضـوء هذه الدعايات نجـد أن أبرز خطوط هذه الحملة تتركز فى الآتى :

١ ـ اظهار عدم الاستقرار فى اليمن ، وعدم ولاء القبائل للثورة اليمنية ٠

٢ ـ ترديد النغمات التقليدية عن صلة الجمهورية العربية المتحـدة بهذه الثـــورة ٠

٣ ـ محاولة الصاق صفة الشيوعية بالثورة خصوصا من جانب أجهزة الاعلام البريطانية ٠

٤ ـ تسليط الأضواء على البدر وابرازه بصورة المناضل ٠

٥ ـ تضخيم الانتصارات المؤقتة التى أحرزها الملكيون ، وتهويل خسائر الجمهورية العربيه المتحدة والقوات اليمنية الجمهورية ٠

٦ ـ الادعاء بأن القوات العربية فى اليمن قد قامت بتصرفات بشعة حيال ما أسمته بالشعب اليمنى الآمن ٠

٧ ـ التقليل من كفاءة الجيش العربى ٠

٨ ـ صورت وجود الجمهورية العربية المتحـدة فى اليمن بأنه « احتـلال مصرى » ومحاولة للسـيطرة على منـابع البترول فى شـبه الجزيرة العربيـــة ٠

٩ ـ صورت الجانب السعودى فى مركز قوة بينما أبرزت ما أسمته بانهيار اقتصاديات الجمهورية العربية المتحدة نتيجة لحرب اليمن ٠

ومع مضى الوقت اشتدت حدة الهجوم على الجمهورية العربية المتحدة واليمن مع انضاح أهداف الحملة التى يمكن بلورتها فى الآتى :

« محاولة تفكيك جبهة الثورة اليمنية عن طريق بث الخلاف بين الشخصيات القيادية فى اليمن ، وكذلك بين قادة الثورة ، والعمل على تهيئة سخط شعبى فى الجبهه اليمنية ضد ما أسمته بالاحتلال المصرى ، وأثارة جو من عدم الثقة بين رجال القبائل وقادة الثورة بترديد أن الثورة ستجردهم من السلاح وأنها ستعزل مشايخ القبائل لتحل محلهم بعض الضباط ، وأن السلال خائن للدين » •

وفى مرحلة تالية هدفت الحملة الدعائية الى بث الفرقة بين الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية ، ولا سيما بعد مؤتمر القمة العربى الأول عن طريق :

١ ـ تصوير مساعدة الجمهورية العربية المتحدة للثورة اليمنية بأنها تستهدف السيطرة على بترول شبه الجزيرة العربية •

٢ ـ ابراز أن الرئيس عبد الناصر يتخذ من اليمن وسيلة لفرض زعامته على العالم العربى •

٣ ـ اظهار أن الثورة اليمنية ستؤثر حتما على أنظمة الحكم الملكية العربية، وأن المد الثورى فى اليمن يحمل بذور تغير كبير فى شبه الجزيرة عملا على اثارة أصحاب العروض العربية ضد هذه الثورة •

٤ ـ الادعاء بأن الجمهورية العربية المتحدة تستعد بصورة جدية لغزو المملكة العربية السعودية، وأنه يتم فعلا من حين لآخر فى شكل غارات جوية مصرية على الأراضى السعودية •

ولم تتوان الدعاية الغربية عن تأليب الرأى العام العالمى ضد الرئيس عبد الناصر ، فادعت أن الجمهورية العربية المتحدة تتدخل فى شئون الدول الاخرى الداخلية ، ولا تحترم ميثاق الامم المتحدة ، كما أن الجمهورية العربية المتحدة لا تحترم الاتفاقات الدولية التى تحث على وقف اطلاق النار باليمن •

كذلك قامت بالاساءة الى سمعة اقتصاد الجمهوريةالعربية المتحدةفى الأوساط الدولية بهدف منع اتمام أى عقود دولية فى صالح اقتصادياتها وذلك عن طريق:

١ ـ ابراز انهيار اقتصاد الجمهورية العربية المتحدة الداخلى نتيجة لحرب اليمن التى تستنزف موارد الجمهورية العربية المتحدة بغير طائل ؛ فزعمت بانفاق مليون دولار أمريكى يوميا فى حرب اليمن بالرغم من افتقار الجمهورية العربية المتحدة للعملة الصعبة ٠

٢ ـ محاولة الاساءة الى العلاقات العربية الامريكية باظهارها أن الجمهورية العربية المتحدة تستغل المساعدات الامريكية فى تأجير الطيارين السوفييت لضرب اليمن الآمن ٠

الحلف الاسلامى :

الواقع أن فكرة المؤتمرات والتكتلات الاسلامية بدأت منذ أربعين عاما تقريبا حين دعا الملك عبد العزيز آل سعود الى عقد مؤتمر اسلامى فى ١٩٢٥/١٢/٥ يضم وفودا من الدول الاسلامية بهدف مبايعته ملكا على الاراضى الحجازية المقدسة ٠

وعلى الرغم من أن هذا المؤتمر لم ينعقد نتيجة لعدم استجابة كثير من الدول الاسلامية للدعوة فقد كانت فى حد ذاتها مقدمة شجعت على قيام عدة تجمعات اسلامية أبرزها مؤتمر العالم الاسلامى بكراتشى الذى أخذ يتوسع حتى أصبح له ٥٢ فرعا و ٥ مكاتب اقليمية ، والمؤتمر الاسلامى العام فى القدس ، ورابطة العالم الاسلامى التى انبثقت عن المؤتمر الاسلامى الذى دعا اليه الملك السابق سعود خلال موسم الحج فى مايو ١٩٦٢ ويقوم كل من : الحاج أمين الحسينى ، وانعام الله خان ، وسعيد رمضان بدور رئيسى فى النشاط الذى تمارسه هذه المؤتمرات ٠

ويعتبر حلف المعاهدة المركزية « بغداد سابقا » ـ الذى أنشىء عام ١٩٥٥ بغرض تكملة الحزام الغربى المضروب حول العالم الشيوعى ـ امتدادا للمحاولات التى سعت اليها تركيا قبل الحرب العالمية الثانية لتكوين حلف فى منطقة الشرق الأوسط التى انتهت بتوقيع ميثاق سعد آباد عام ١٩٣٧ وهو عبارة عن معاهدة

عدم اعتداء بين كل من : تركيا ، وايران ، والعراق ، وافغانستان لم تسفر عن أى نتائج سياسية ايجابية فى منطقة الشرق الأوسط ٠

غير أنه نتيجة للضعف الذى انتاب حلف بغداد بسبب اشتراك بريطانيا فى العدوان الثلاثى الفاشل على مصر عام ١٩٥٦ ساد اتجاه دفعته الولايات المتحدة بين دول الحلف الاسلامية : « العراق ـ تركيا ـ ايران ـ باكستان » الى اخراج بريطانيا من هذه المنظمة واحلال حلف اسلامى محلها يقتصر على الدول الاسلامية. وقد تزعمت باكستان وايران الدعوة لهذه الفكرة التى لم توفق ازاء رفض كل من مصر ، وسوريا ، والاردن ، والسعودية ٠

وعلى أثر الضربة التى تلقاها حلف بغداد بقيام ثورة العراق عام ١٩٥٨ وانسحابها منه أعلن شاه ايران فى ١٩٥٨/٩/٢٧ أنه يعمل شخصيا على تكوين حلف يضم الدول الاسلامية ، وهذا ما أيدته تركيا وباكستان . الا أن هذه الجهود منيت بالفشل ازاء قوة اندفاع الحركة القومية فى تلك المرحلة ٠

وبفشل هذه الأساليب فى ضم دول اسلامية جديدة الى الحلف المركزى ، أو خلق تجمع اسلامى موال للغرب اتجهت الدول الاسلامية أعضاء الحلف ، (باكستان ـ ايران ـ تركيا) فى يوليو ١٩٦٤ وبدفع من الولايات المتحدة ، وتأييد بريطانيا الى تكوين تنظيم اقليمى يحمل اسم منظمة التعاون الاقليمى وهى ذات طابع اقتصادى وفنى ، وتعمل بصورة مستقلة ظاهريا عن الحلف المركزى أملا فى أن يكون ذلك غطا للتجمع الاسلامى الذى يدعون الى قيامه ٠

وبعد أن أدرك الغرب انعدام فاعلية الحلف المركزى بالرغم من تعدد المحاولات لدعمه وتقويته أخذ يعاود جهوده الرامية لاحياء فكرة الحلف الاسلامى مستهدفا دعم استراتيجية الدفاع عن منطقة شرقى السويس والحفاظ على مصالحه البترولية التى اتسعت فى الدول العربية وايران ٠ فبدأ يدفع السعودية للقيام بالدور الرئيسى فى احياء هذه الفكرة مستغلا مخاوف الملك فيصل من المبادىء القومية التحررية والاشتراكية أو احتوائها على الاقل داخل النطاق الاسلامى ٠

ولقد رحبت الدوائر الدعائية البريطانية بقيام التحالف الاسلامى وما يترتب على نجاحه من بروز الملك فيصل فى المنطقة بصفة عامة ، وفى شبه الجزيرة العربية بصفة خاصة ، حيث ترى فيه الوريث الذى يمكن أن يملأ الفراغ السياسى فيما لو انسحبت من المنطقة ، وتعتقد أنه الشخصية التى تستطيع التصدى لتيار المد التحررى الذى يهدد مصالحها فى الجنوب والخليج وبالرغم من أن بريطانيا تحرص ـ من وجهة النظر الرسمية ـ على ألا يكون ترحيبها بفكرة التحالف الاسلامى علينا ، والا يظهر لها دور فعال فى تحقيقه تلافيا للوقوع فى أخطاء حلف بغداد فانها أبدت نشاطا فى هذا المجال يتمثل فى الاتصالات المتعددة التى أجرتها الخارجية البريطانية مؤخرا مع الممثلين الدبلوماسيين : للاردن ، والسعودية ، وايران ، والعراق. هذا فضلا عن زيارة كريستوفر سومز (وزير الخارجية فى الظل البريطانية) لايران والاردن فى شهر يناير الماضى وتصريحه فى طهران بأن مركز القوة فى الشرق الاوسط يتحول من القاهرة الى طهران والرياض .

وبالرغم من أن الولايات المتحدة تنفى باصرار وجود أى علاقة لها بالحلف الاسلامى ، وتدعى أنه مجرد خرافة أسطورية ابتدعها الصحفيون ـ فهى تؤمن بأن قيام مثل هذا الحلف يعتبر تدعيما لاستراتيجية الدفاع الغربى فى منطقة شرق السويس فضلا عن المحافظة على مصالحها البترولية فى المنطقة .

الخلاصة :

فى ضوء الأساليب الدعائية والمخططات الغربية منذ عام ١٩٥٥ الى عام ١٩٦٦ نلحظ أن الاهداف الاستعمارية هى هى بعينها ، وقد يبدو من التخطيط لتحقيق هذه الاهداف أحيانا أن ثمة أفكارا جديدة ، ولكن باستقرائها نرى أنها صورة لاساليب ومواقف سابقة لعام ١٩٥٥ ومن بين الاهداف التى وضعت عام ١٩٥٥ ولم توفق المخططات المعادية فى تنفيذها :

١ ـ عزل الرئيس عبد الناصر عن مسرح السياسة العربية بعد الخيبة فى تقويض حكمه داخل مصر .

٢ ـ الادعاء بتغلغل شيوعى فى سوريا ووجود نفوذ سياسى وعسكرى فى مصر للاتحاد السوفييتى ٠

٣ ـ خلق نوع من التحالف بين الدول الاسلامية فى اطار حلف بغداد ، ومحاولة ضم السعودية الى : العراق، وباكستان، وتركيا، وايران ٠

٤ ـ ظهور آراء لبعض الحكام العرب عام ١٩٥٦ تنـادى بتسوية النزاع العربى الاسرائيلى يتزعمه نورى السعيد فى العراق ٠

٥ ـ اتساع دائرة الدول الافريقية المستقلة ، وكذا بعض الدول الآسيوية وأثره على الصراع الدائر بين مصر والغرب ٠

وهكذا مضت وسائل الاعلام الغربية والمعادية فى محاولة التشكيك فى نوايا مصر تجاه الدول العربية منذ قيام الثورة وترديد الادعاءات القائلة بوجود أطماع توسعية مصرية فى العالم العربى ، كما أخذت تشكك فى سلامة التخطيط السياسى والاقتصادى للثورة المصرية ، وقامت باثارة الرأى العام الداخلى ضد نظام الحكم القائم ، وتشويه جميع مكاسب الثورة المصرية منذ قيامها حتى الآن ٠

وواضح أن هذا هو نفس الاسلوب الدعائى المتبع الآن ، وبالرغم من ذلك فان الثورة المصرية تمضى فى طريقها الذى رسمته لنفسها من بدء قيامها ٠

ولقد مهدت وسائل الاعلام الغربية والاسرائيلية لعدوانها على مصر والتدخل فى الشئون السـياسية للوطن العربى ، الادعاء بوجود تغلغل شيوعى فى سوريا وتدفق أسلحة شيوعية على مصر فى أوائل عام ١٩٥٥ ٠

والآن وفى عام ١٩٦٦ ما فتئت وسائل الاعلام الرجعية فى بعض الدول : العربية ، واسرائيل، والغرب الاستعمارى تردد مزاعم جديدة عن بدء غزو شيوعى لمصر وسوريا ومن بين هذه المزاعم ما يلى :

١ ـ وجود قواعد سوفييتية فى الموانى المصرية على : البحر المتوسط ، والبحر الأحمر ٠

٢ ـ انحياز سوريا الى المعسكر الشيوعى من جديد ٠

٣ ـ فتح مصر المجال أمام الاسطول السوفييتى فى البحر الاحمر وذلك بعد التواجد المصرى فى اليمن ٠

٤ ـ الادعاء بتحريك سياسة المحاور فى نطاق الدول العربية ٠

وفى عام ١٩٦٦ عادت فكرة الحلف الاسلامى للظهور تنادى بها : العربية السعودية ، وايران ، وانحاز الاردن الى هذا الحلف بعد أن قضى الملك حسين على الحكم الوطنى الذى كان قائما عام ١٩٥٧ ، واتخذت باكستان موقف التريث من هذه الدعوة لوضعها الحالى فى آسيا وعلاقاتها بالغرب والشرق . وما زال فيصل يجرب حظه مع الدول الاخرى عسى أن يجد منها من يتجاوب مع مخططات الاستعمار التى تهدف الى السيطرة على المنطقة ٠

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية فقد استمرت وسائل الاعلام المعادية خلال عام ١٩٥٦ وما أعقب ذلك فى اتهام مصر بالمتاجرة بالقضية الفلسطينية وقد تردد فى هذه الفترة ٠

١ ـ قام نورى السعيد عام ١٩٥٦ بالمناداة بتسوية القضية الفلسطينية على ضوء قرارات الامم المتحدة كوسيلة للاستقرار فى الشرق الاوسط ٠

٢ ـ بعد عام ١٩٥٦ أطاحت الاردن بالحكم الوطنى الذى كان يتجاوب مع القاهرة فى التخطيط لتحرير فلسطين ٠

والآن عام ١٩٦٦ استبدل بنورى السعيد الحبيب بورقيبة حيث ينادى بالصلح مع اسرائيل ، أما فى الاردن فان الملك حسين يرفض التعاون مع منظمة تحرير فلسطين ، وتتكرر صورة الاعتقالات التى كانت تقع عام ١٩٥٧ ويسير فى نفس المخطط السابق ٠

وهكذا تدور أجهزة الاعلام الاستعمارية والرجعية منـــذ سنوات عدة فى حلقة مفرغة ، تعيـــد اليوم ما قالته بالأمس مهما غيرت من أساليبها ، وغققت فى ألفاظها ، وأضفت عليها صفة الجدة ، ولكن كل هذا الهذيان الاستعمارى الرجعى يصير الى لا شيء ٠

وتبقى ثورة الشعب العربى على دربها تسير بأقدام ثابتة ، ترسـم على الصخور طريق :

الحرية ٠٠ الاشتراكية ٠٠ الوحدة ؟

أهم المراجع الأجنبية

1 – Adinarayan S. P. Social Psychology, Allied Publishers Private LTD, Bombay, 1964.

2 – Allport, F. H. and Lepkin, M. «Wartime Rumors of Waste and Special Privilege : Why Some People Believe Them,» Journal of Abormal Psychology, January 1945, P. P. 3-36.

3 – Allport, G. W. and Postman Leo; Analysis of Rumor, Public Opinion Quarterly, Vol. 10 No. 4, 1946, PP 501 - 517.

4 – Allport G. W. and Postman Leo; «The Psychology of Rumor», Henry Holt and Company, New York, 1947.

5 – Allport G. W., Personality and Social Encounter, Beacon Press, Boston 1964.

6 – Angell, Norman. The Public Mind. New York, The MacMillan, 1927.

7 – Angell, M., The Scientific Study of Social Behaviour, London, 1957.

8 – Asch, S. E., Social Psychology. Prentice Hall, New York, 1952.

9 - Bernays, Edward L., Attitude Polls - Servants or Masters, Public Opinion Quarterly, Vol 9, 1943, PP 264 - 68.

10 - Bonner, H., Social Psychology, American Book Coy, New York, 1963.

11 - Chadwick, T., The Infiuence of Rumor on Human Thought and Action. Sherrat and Huges, Manchester, 1932.

12 - Chorus A., Basic Law of Rumor, Journal of Abnormal Psychology, April 1953, P. P. 313-314.

13 - Doob Leonard, W. « Gobbels Principles of Propaganda » Public Opinion Quarterly, 14: 419-442 (1950) reprinted in Wilbur Schramm, The Process and Effects of Mass communication, 1954, PP 517 - 36 and in Daniel Katz, Public Opinion and Propaganda; 1954 PP 508 - 22.

14 - Doob, Leonard W., Propaganda and its Psychology and Technique, Henry Holt and Co., New York, 1935.

15 - Doob Leonard W. Public Opinion and Propaganda, Henry Holt and Co., New York, 1950.

16 - Edmond Taylor E. Strategy of Terror, Houghton Mifflin Company, Boston 1943.

17 - Edmond Taylor E., Richar By Asia, London, 1945.

18 - Edward W. Barret, Truth is Our Weapon, Funk and Wagnalls Co., New York, 1953.

19 - Ellis M. Zacharias, Secret Missions, G. P. Putnam's Sons, New York, 1946.

20 - Eysenck, H. J., Dimensions of Personality, London 1947.

21 - Farago Ladislas, British Propaganda: The Inside Story, United Nations World, 2-22-26 (Oct. 1948).

22 - Fargo Ladislas (ed), German Psychological Warfare, G. P. Putnam's Sons, New York, 1941.

23 - Farago Ladislas, War of Wits, The Anatomy of Espionage and Intelligence, Funk and Wagnall Co., New York, 1954.

24 - Firth, R., Rumor in a Primitive Society, Journal of Abnorrnal Social Psychology, Vol 53, 1956, P. P. 122 - 132.

25 - George L. Alexander, Propaganda Analysis Row Peterson and Company, New York, 1959.

26 - Gordon W. Allport, The Nature of Prejudice, Doubleday and Company, inc, New York, 1958.

27 - Hans Herma, Gobbl's Conception of Propaganda, Social Research, 10: 200-18, 1943.

28 – Hans Sperier, War Aims in Political Warfare, Social Research, 13; 157 (May 1945) Reprinted in Daniel Lerner's Propaganda in War and Crisis, George W. Stewart, Publishers, Inc, New York, 1951, P. 69.

29 – Hans Sperier, «The Future of Psychological Warfare;» Public Opinion Quarterly, 12: 7-8 1948.

30 – Hermans Raushning, The Voice of Destruction. New York, 1940.

31 – Henry Lichten Berger, The Third Reich, Book V, New York, 1937.

32 – Irving, J. A., The Psychological Analysis of Wartime Rumor Patterns in Canada, 1943, Bulletin of the Canadian Psychological Association, 3, 40, 44.

33 – Jean - Marie Domenach, Leninst Propaganda, Public Opinion Quarterly 15: 272 (1951).

34 – J. Peters, The Communist Party - A Manual on Organization, Workers Library, New York 1935 7:14.

35 – John, Scott: Political Warfare, A Guide to Competive Co-existnce, The John Day Co. New York, 1955.

36 – Joseph Stalin, Problems of Lenininsm, Foreign Language Publishing House, Moscow 1940, P. 211.

37 – Knapp, R. H., : A Psychology of Rumor, Public Opinion Quarterly, 8, 23-37, 1944.

38 – Krech, D. and Crutchfield, R. S. Theory and Problems of Social Psychology McGraw Hill New York. 1948.

39 – La Pierre, R. T.; and P. R. Farnsworth, Social Psychology, McGraw - Hill Book Company, Inc., New York 1936.

40 – Lasswell, H. D, Political and Psychological Warfare, in Daniel Lerner (ed), Propaganda in War and Crisis, George W. Stewart; Publisher, Mc. New York, 1950.

41 – Lee, A. M, and N. D. Humphrey, Race Riot, Dryden Press, New York, 1943.

42 – Linebarger, Paul M. A. Psychological Warfare 2nd. ed, Combat Forces Press, Washington, D. C. 1954.

43 – Mark Clark, From the Danube to Yalu, Harper and Brothers, New York, 1955 P. 371.

44 – Maslow A. H. and Bela Mittelman, Principles of Abnormal Psychology, Harper and Brothers Publishers, New York, 1951.

45 – M., Gregor D., The Major Determinants of The Prediction of Social Events, Journal of Abnormal and Social Psychology, 33, 197, 204, 1938.

46 – Miller, N. E. «Theory and Experiment Relating Psychoanalytic Displacement to Stimulus - Response Generalisation», The Study of Personality (Ed Brand, H.) New York and London, 1954.

47 – New - comb, T. M. Role of Behaviour in the Study of Individual Personalitv and Groups, Journal of Personality, X VIII. Durham, N. C, 1950.

48 – Peterson W. A. and Gist, N. P., Rumor and Public Opinion, American Journal of Sociology, Vol 57, 1951, P. P. 159-167.

49 - Philip Selznick, The Organizational Weapon : A Study of Bolshevick Strategy and Tactics, Mc Graw-Hill Book company Inc, New York, 1952.

50 – Radhakamal Mukerjee, «The Philosophy of Personality», Allied Publishers Private Ltd, 15 Gr. Road, Bollard Estate, Bombay.

51 – Robert H. Bruce Lockhart, Comes the Reckoning, Putnam and Co. Ltd, London, 1947.

52 – Robert H. Bruce, Lockhart «Political Warfare», Journal of the Royal United Services Institation 95 : 1950.

53 – Sargent, SS. and Williamson, R. C., Social Psychology. Ronald Press Company New York, 1950.

54 – Scott, John, Political Warefare: A Guide to Competive Co-existence, The John Day Company, New York, 1953.

55 - Thouless, R. H., «General and Social Psychology» 4th ed University Tutorial Press Ltd, Clifton House, Euston Rd, London, N. W. I, 1963.

56 - Vladimir I. Lenin, A Training Pamphlet, 1920.

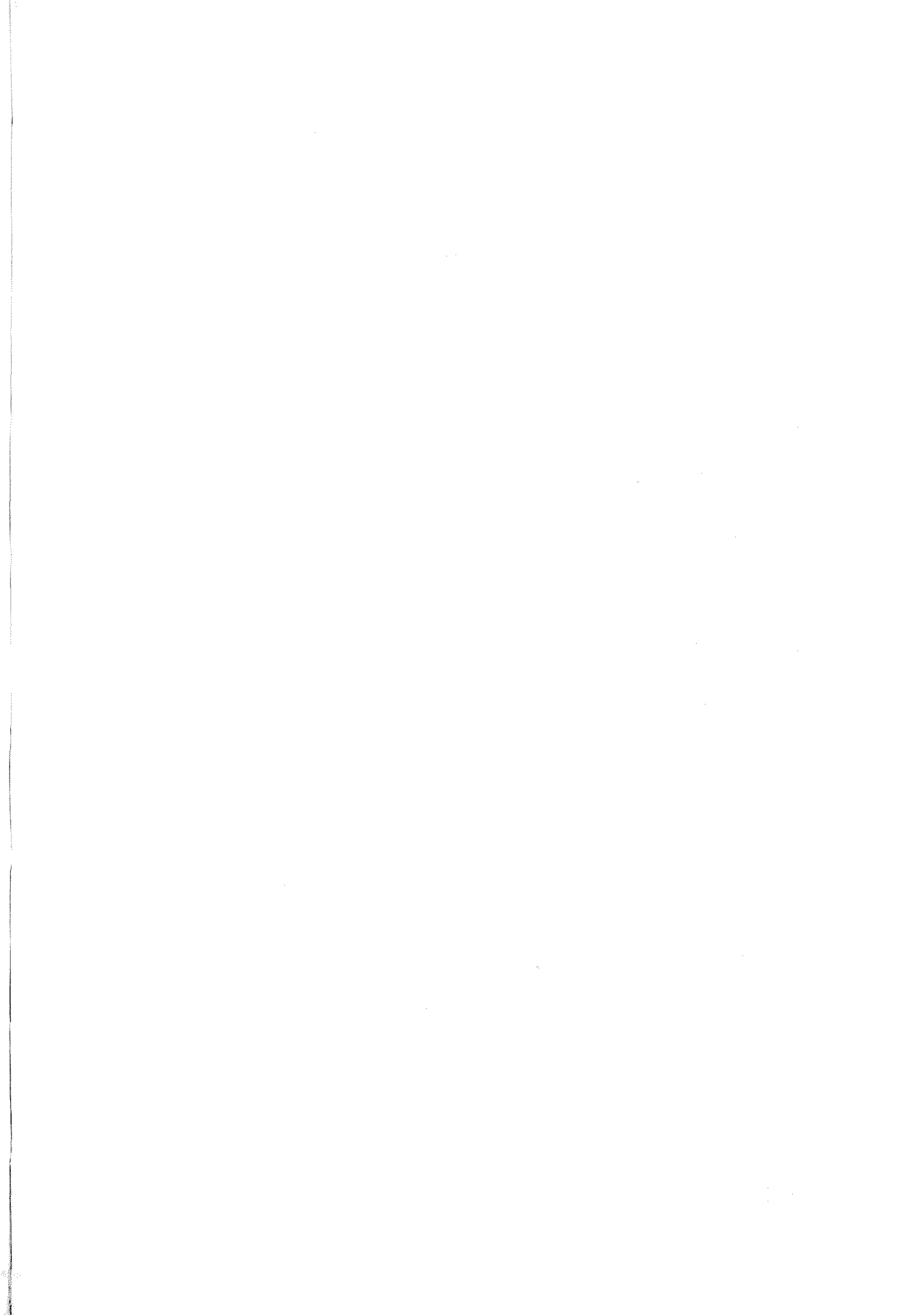
57 - Vladimir I Lenin, Selected Works, International Publishers Co., New York, 1935.

58 - Wise David and Thomas B. Ross, The Invisible Government. New York 1964.

59 - Young K, Social Psychology, F. S. Crofts and Company, New York, 1936.

60 - Encyclopeadia Brtiannica.

61 - Webster's New International Dictionary of the English Language, 2nd ed, Unabridged G. and C. Merriam Co. Springfield, Mass, 1951.



فهرســـت

مقــدمة ٥-٩

الباب الأول

مفهوم الحرب النفسية وتطورها

١٣-١٢٢

الفصل الأول : تكوين السلوك الاجتماعى ١٥

مجال علم النفس الاجتماعى ١٦
السلوك الاجتماعى ١٩
الأحوال البيولوجية ٢٠
الدافع المباشر للسلوك ٢٥
الادراك ٣٢
أثر ظهور المدرسة السلوكية ٣٤
العلم والدين ٣٨
الثقافة والسلوك ٤٥
التعلم ٤٨

الفصل الثانى : الجذور التاريخية ٥٣

دروس الحربين العالميتين ٧٨
الحرب النفسية فى فترة الحرب العـالمية الثانية ٨٢
الشكل الحديث للحرب النفسية ٨٥

الفصل الثالث : مفاهيم متغيرة ٨٧

تعريف الحرب النفسية ٨٩
العناصر الأساسية ٩١
هل الحرب السـياسية تسمية أفضل ٩٣
صـعوبة التعريف ٩٦
اعادة التقييم ١٠٠
تعليـق ١٠٢

الفصل الرابع : الحرب النفسـية جزء من الحرب الشاملة ١٠٧

طبيعة الحرب الشـاملة ١٠٧
شن الحرب على أساس نفسى ١١٣
الحرب النفسية وعلم النفس ١١٥
علم النفس العسـكرى ١١٩
التقاط الكفايات وحسن توجيه الجنود ١٢١

الباب الثانى

التنظيم والأفراد

١٢٣-١٨٦

الفصل الأول : التنظيم للحرب النفسية ١٢٥

منظمات الحرب النفسية فى الحرب العالمية الأولى . . . ١٢٦
فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها ١٣٣
التنظيم الألمانى ١٣٣
منظمات الحرب النفسية الأمريكية فى الحرب العالمية الثانية ١٣٨
تنسيق المعلومات ١٣٩
مكتب معلومات الحرب ١٤٠
هيئات الحرب النفسية داخل المنشئات العسكرية ١٤٣
قسم الحرب النفسية « القيادة العليا لقوات الحلفاء » ١٤٦
التنظيم السوفييتى للحرب النفسية ١٤٧
نواة التنظيم ١٤٩
الكلمات والأفعال ١٥١
التنظيم للقتال ١٥٣
أثر التنظيم فى الحرب النفسية ١٥٥

الفصل الثانى : مؤهلات الأفراد ١٥٧

رجال الأفكار ١٦٢
الاداريون ١٦٧

رجـال الاتصـال ١٧١
الرجال المبتكرون ١٧٥
البـاحثون ١٨٠
الفنيـون ١٨٣
موظفو الخدمات ١٨٤

الباب الثالث

التخطيط والعمليـات

١٨٧ - ٢٥٤

الفصل الأول : مشاكل التخطيط ١٨٩

الاستراتيجية الكبرى ١٩٥
القيـود المختلفـة ٢٠٠
العامل البشرى ٢٠٢
الدعـاية المضـادة ٢٠٦
التوجيهـات المكتوبة ٢٠٧

الفصل الثانى : أهداف العمليـات ٢١١

الأهداف السياسية ٢١٢
هدف سياسى محدود قصير الأجل ٢١٣

هدف سياسى محدود طويل الأجل **٢٢٠**
التنظـيم ٢٢١
تحليل الهـدف ٢٢٢
المطالب العشرة للمعارضة الشعبية **٢٢٢**
١ ـ نقابات العمال للنقابيين ٢٢٢
٢ ـ الزيادة فى الأجور ٢٢٣
٣ ـ عدم تقييد العمال بأعمال معينة ٢٢٣
٤ ـ عدم استغلال الدولة لوقت الفراغ ٢٢٣
٥ ـ انهاء السخرة ٢٢٣
٦ ـ عدم تحديد الحصص ٢٢٤
٧ ـ الاستقلال الذاتى للجان القومية المحلية ٢٢٤
٨ ـ السلع للشعب ٢٢٤
٩ ـ العودة الى خدمة المستهلك ٢٢٥
١٠ ـ الاسكان للعائلات ، لا للدولة ٢٢٥
رد فعل الهـدف ٢٢٥
النشرات تكمل الهجوم الاذاعى وتعززه ٢٢٦
تقدير النتائج ٢٢٧
الأهداف السياسية العسكرية **٢٢٨**
الأهداف العسكرية ٢٢٩
عملية مينسميت **٢٣٢**
الدعاية من أجل الخداع والتمويه الاستراتيجى **٢٣٥**
عملية الدولار الأمريكى **٢٣٨**
عملية « ايتاليا كومبات » **٢٣٩**
عملية « برادوك » **٢٤١**

الفصل الثالث : الحرب النفسية الدفاعية ٢٤٣

أهمية التوجيه المعنوى ٢٤٩

طوارىء المستقبل ٢٥٣

الباب الرابع

مجالات التوصيل

٢٥٥-٢٩٨

الفصل الأول : مجالات التوصيل ٢٥٧

معركة الاذاعة ٢٥٨

الاذاعة على الموجة القصيرة ٢٥٩

نشرات الأخبار على الموجة القصيرة ٢٦١

أهداف نشرات الأخبار ٢٦١

فهم المستمع ٢٦٢

الاذاعة على الموجة العادية ٢٦٤

الراديو الأسود والحرب الباردة ٢٦٥

نشرات الاستسلام كسلاح من أسلحة الاقناع ٢٧٤

النشرات الصحفية كأسلحة للحرب ٢٨٠

الكتيبات ٢٨٩

عمليات التخريب ٢٩١

دبابة الدعاية ٢٩٢

الطائرة كاحدى وسائل الاستخدام ٢٩٦

الباب الخامس

الشائعات أفعى المجتمع

٢٩٩-٤٠٨

الفصل الأول : الشائعات والمجتمع ٣٠١

تعريف الشائعة ٣٠٢
الشائعة والتاريخ ٣٠٥
الشائعة والأسطورة ٣٠٩
قانون الشائعات ٣١٥

الفصل الثاني : تصنيف الشائعات ٣٢١

١ ـ الشائعة الزاحفة ٣٢١
٢ ـ شائعات العنف ٣٢٢
٣ ـ الشائعات الغائصة ٣٢٢
الشائعات والحرب ٣٢٨
الشائعات الهجومية ٣٣١
استخدام الشائعات فى الحرب ٣٣٣
١ ـ الاستخدام بقصد التفتيت ٣٣٣
٢ ـ استخدام الشائعة كستارة دخان ٣٣٤
٣ ـ بقصد الحط من شأن مصادر الأنباء ٣٣٤
٤ ـ استخدام الشائعة كطعم Bait بقصد تبيين الحقيقة ٣٣٤

الشائعات والشغب ٣٣٥
الشـائعة والفكاهة ٣٣٨
أثر الشائعات على الروح المعنوية ٣٤٢

الفصل الثالث : سيكولوجية الدوافع ٣٤٥

الشائعة كأساس للتصديق ٣٤٥
الشائعة كصورة من صور الرأى العام ٣٤٩
لماذا تنتشر الشـائعات ؟ ٣٥٣
الدوافع السيكولوجية وراء الشائعات ٣٥٧
الانعكاس ٣٦١

الفصل الرابع : تحليل الشائعة ٣٧٣

الطريق الأساسى الذى يتم فيه تحريف القصة ٣٧٦
مزج الموضوعات فى الشائعة ٣٧٨
أسس التحليل ٣٧٩
بعض حالات لدراسة الشـائعات ٣٧٩
النموذج الأول ٣٨٠
التعليـق ٣٨١
النموذج الثانى ٣٨٣
التعليـق ٣٨٤
دليل لتحليل الشائعات ٣٨٦
حالة من مجتمعنا ٣٨٩

الشـــائعة ٣٨٩
وضع حد لحرب اليمن ٣٩١
التعليـــق ٣٩١
الشائعة الأولى ٣٩٤
الشائعة الثانية ٣٩٥
الشائعة الثالثة ٣٩٥
الشائعة الرابعة ٣٩٥
الشائعة الخامسة ٣٩٦

الفصل الخامس : مقاومة الشائعات ٣٩٧

السيطرة على الشائعات ٤٠٥

الباب السادس

الدعاية والرأى العام

٤٠٩ - ٤٧٤

الفصل الأول : تأثير الرأى العام ٤١١

تعريف الرأى العـــام ٤١١
أهميـــة الرأى العـــام ٤١٥
طبيعـــة الرأى العـــام ٤١٨
القوى المحركة للرأى العـام ٤٢١
قيـــاس الرأى العـــام ٤٢٣
أخطار عمليات مسح الرأى العـام ٤٢٥
تغير الرأى العـــام ٤٢٦
طريقة تحليل المضمون ٤٢٧

الفصل الثانى : وسائل استخدام الدعاية ٤٣٣

التعاريف الواسعة والتعاريف الضيقة ٤٣٤

أنواع الدعاية ٤٣٦

الدعاية البيضاء ٤٣٦

دعـاية رمادية ٤٣٦

دعـاية سوداء ٤٣٧

الاستراتيجية ٤٣٩

التكتيك ٤٤٠

تكنيكات الدعاية السـوداء ٤٤٢

تقييم الفاعلية ٤٤٥

تقييم دعـاية المعـارك ٤٤٩

الأهداف الكبرى التى يخدمها تقييم البرامج الجارية . . ٤٥٠

صعوبة تكون عملية تقييم علمية يعتمد عليها . . . ٤٥١

نقص الفهم الواضح ٤٥١

أهمية السـجلات الدقيقة ٤٥٤

المعايير اللازمة لقياس النتائج ٤٥٥

تحديد ظروف القتال ٤٥٩

الفصل الثالث : دور بحوث الرأى فى تقييم الحرب النفسية ٤٦٣

دور بحوث الاتصالات فى تقييم الاذاعة الدولية ٤٦٣

عنصر الناقل ٤٦٥

عنصر المضمون ٤٦٥
عنصر المســتمع ٤٦٧
مسـألة التأثير ٤٦٩
التحدى الكبير والحلول المحتملة ٤٧١
الأسلوب الأقرب تماثلا ٤٧١
أسلوب الحكم المؤهل ٤٧٢
الخــــلاصة ٤٧٣

الباب السابع

المخــابرات والتحليل

٤٧٥-٥٣٨

الفصل الأول : دور المخابرات فى الحرب النفسية ٤٧٧

المخابرات الايجابية ٤٧٨
المخابرات الوقائية ٤٧٩
أ ــ مخابرات الأمن ٤٧٩
قيود الأمن ٤٨١
تقييم المواد من ناحية درجة السرية ٤٨٣
تحديد الأفراد الذين يتعاملون مع المعلومات السرية ٤٨٣
التفرقة بين اجراءات الأمن والرقابة على النشر ٤٨٤
الرقابة على الاذاعة ٤٨٤
مهمة جمع المعلومات ٤٨٦
مقاومة التخريب ٤٩٠
مقاومة التآمر والتمرد ٤٩٢

مقاومة النشاط الهدام ٤٩٤

الأمن الداخلى ٤٩٥

ب ـ مقاومة التجسس ٤٩٥

الفصل الثانى : مخابرات الدعاية ٤٩٩

الخيال الخصب والعمل الجاد ٤٩٩

طبيعة مشكلة المعلومات ٥٠٢

احتياجات المعلومات ٥٠٣

المعلومات من أجل التخطيط ٥٠٣

تحليل الهدف ٥٠٥

الأنباء كمعلومات ٥٠٧

تواؤم المعلومات مع الوقت ٥٠٩

التعرف على خطط العدو ومواقفه ٥١٠

تقدير موقف دعاية العدو ٥١١

تحليل الدعاية كمصدر للمخابرات ٥١٢

تحليل الرأى العام ٥١٧

الاستفتاء ٥١٩

الاستجواب ٥٢٠

حالة التخصص ٥٢٢

الفصل الثالث : تحليل الدعاية ٥٢٣

تكنيك العمل ٥٢٥

مواد الدعاية ٥٢٦

المواد المطبوعة ٥٢٨
المواد المذاعة ٥٢٩
الاستماع بوساطة فرد واحد ٥٣١
الدعاية ضد الحقيقة ٥٣٢
المصـــدر ٥٣٦
الوقت ٥٣٧
المستمعون ٥٣٧
الموضوع ، ماذا يقول ، ماذا يحتوى ؟ ٥٣٨
المهمـة ٥٣٨

الباب الثامن

التطبيـــق

٥٣٩ - ٦١٤

الفصل الأول : ثورة ٢٣ يوليـو فى مواجهـــة أساليب الاستعمار والرجعية ٥٤١

مقـــدمة ٥٤١
الوسائل والأسـاليب ٥٤٨
١ ـ الاذاعات السرية ٥٤٨
٢ ـ النشرات السرية ٥٥٣
تقليد الأصوات المعروفة ٥٥٤
الصور المزيفة ٥٥٥

الشـــائعات ٥٥٦
الاتحـــادات ٥٥٧
شراء جرائد وأقلام عربية وأجهزة تشويش وتقـوية اذاعات
الاســـتعمار ٥٥٧
الأحلاف الرجعية ٥٥٨
المجـــلات ٥٥٩
المزيد من النصر يقابله المزيد من حملات النقد ٥٥٩
القومية العربية فى مواجهة الاستعمار ٥٦٠
مؤتمر باندونج الأول « مارس ١٩٥٥ » ٥٦٢
تأميم قناة السويس « ٢٦ من يوليو ١٩٥٦ » ٥٦٤
التواطؤ ٥٦٧
فترة التوتر مع السوفييت ٥٦٩
اذاعة موســـكو ٥٧١
صحيفة البرافدا ٥٧٢
قوانين يوليو الاشتراكية ٥٧٢
الضغوط الاقتصادية ٥٧٥
أمثلة للهجوم على مصر ٥٧٧
الدعاية المعادية للوحدة المصرية السورية ٥٧٨
الخلافات العقائدية فى المنطقة العربية ٥٨٠
صدى الميثـــاق الوطنى ٥٩٠
ثورة اليمن ٦٠٠
أولا ــ الجزيرة العربيـــة ٦٠٠
ثانيا ــ المشرق العربى ٦٠١

ثالثا ـ المغرب العربى ٦٠٢
رابعا ـ اسرائيل ٦٠٥
خامسا ـ الدول الغربية ٦٠٦
الحلف الآسلامى ٦٠٩
الخلاصة ٦١١

تم الجزء الأول ويليه الثانى


الثمن ١٠٠ قرشا